



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

موسوعه
العقائد الاسلاميه

٣

محمد الربي شهري
بمساعده رضا برنجهكار
التحقيق مركز بحوث دار الحديث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسوعه العقائد الاسلاميه

كاتب:

محمد محمدي ري شهري

نشرت في الطباعة:

موسسه علمي فرهنگي دارالحديث

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
19	موسوعه العقائد الاسلاميه المجلد 3
19	اشارة
20	اشاره
28	المدخل
28	الكتاب الأفضل في معرفة الله
29	دراسة الأبحاث في معرفة الله
30	التعقل ، لا التعبّد
31	معرفة الله من منظار القرآن والحديث
34	القسم الأوّل : التعرف علي الله
34	اشاره
36	الفصل الأوّل : قيمة معرفة الله
36	1 / 1 رأس العلم وثمرته
36	2 / 1 أعلي المعارف
37	3 / 1 قوام الدّين
38	4 / 1 أفضل الفرائض
38	5 / 1 أطيب اللّدائد
40	الفصل الثاني: الهداة إلي معرفة الله
40	1 / 2 الله عزّوجلّ
40	اشارة
52	تحليل لأحاديث معرفة الله بالله
52	كيف عرف الله نفسه للناس ؟
54	1 . معرفة الله عن طريق الآثار

54	2 . معرفة الله عن طريق التنزيه والتقديس
55	3 . معرفة الله عن طريق الشهود القلبيّ
57	2 / 2 الأنبياء
59	3 / 2 أهل البيت
61	4 / 2 أتباع الأنبياء
64	الفصل الثالث: مبادئ معرفة الله
64	1 / 3 الفطرة
64	إشارة
74	توضيح حول فطرة معرفة الله
76	معني فطرة معرفة الله
77	أوضح براهين التوحيد الفطريّ
78	1 / 3 _ 1 الميثاق الفطريّ
81	1 / 3 _ 2 تجلّي الفِطْرَة عند الشّدائد
84	2 / 3 العقل
84	1 _ 2 / 3 العقل أوّل الأمور ومبدؤها
85	2 / 3 _ 2 العاقل لا يستطيع جحد ما لا يعرف
87	2 / 3 _ 3 الاحتياط العقليّ في العقائد
90	2 / 3 _ 4 العقل لا يستطيع جحد الله
91	3 / 3 القلب
91	1 _ 3 / 3 رؤية الله بالقلب
95	2 _ 3 / 3 معني رؤية الله بالقلب
100	دراسة حول رؤية الله القلبية
100	أقسام الرؤية القلبية
100	1 . إحاطة القلب بالله
101	2 . المعرفة الشهودية لله

102	الفصل الرابع: طرق معرفة الله
102	1 / 4 معرفة النَّفس
102	اشارة
107	تحليل حول دور معرفة النفس في معرفة الله
108	أقسام أحاديث الدعوة إلي معرفة النفس
108	1 . قيمة معرفة النفس
108	2 . مضار الجهل بالنفس
109	3 . مفتاح معرفة الوجود
109	4 . مفتاح معرفة الله
110	5 . القصد من معرفة النفس
110	وقفه عند حديث «من عرف نفسه
110	الأول : سند الحديث
111	الثاني : شروح الحديث
114	الثالث : معاني الحديث
115	الرابع : أوضح معاني الحديث
117	الخامس : مراتب النفس
118	2 / 4 التَّجربة
118	اشارة
120	توضيح حول تأثير التجربة في معرفة الله
122	3 / 4 التفكر في حدوث العالم
122	اشارة
128	بحث حول عدد الطرق إلي الله
129	الطرق إلي الله عدد أنفاس الخلائق
132	الفصل الخامس: دور معرفة الخلق في معرفة الخالق
132	اشاره

133	تجَلَّى الخالق في مرآة الخلق
136	الباب الأول: جوامع آيات معرفة الله في الخلقة
148	الباب الثاني: خلق الإنسان
148	1 / 2 جوامع آيات معرفة الله في خلق الإنسان
152	2 / 2 خلق الإنسان من التُّراب
153	3 / 2 خلق الإنسان من الطُّفَّة
156	4 / 2 تصوير الجنين في الرَّحْم
162	5 / 2 نفخ الرُّوح في الجنين
163	6 / 2 اختلاف الألسنة والألوان
164	7 / 2 الرُّزْق
167	8 / 2 الطَّيِّبَات من الرُّزْق
168	9 / 2 شهوة الأكل
168	10 / 2 وصول الغذاء إلى البدن
169	11 / 2 النَّوْم
170	12 / 2 اللِّبَاس
171	13 / 2 البيت
171	14 / 2 الزوج
172	15 / 2 أداة التَّعلُّم
174	تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الإنسان
174	1 . خلق الإنسان من تراب
175	2 . تصوير الجنين
176	3 . إيجاد الحياة
176	4 . النوم
177	5 . الرزق
177	6 . الزوج

177	7 . اللباس
178	8 . أدوات استيعاب العلم
179	9 . اختلاف اللغات والصور
180	الباب الثالث: خلق الحيوان
180	اشاره
186	تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الحيوان
186	1 . أنواع الحيوان
187	2 . حكمة صغر الحشرات
187	3 . ميزات كل حيوان
188	4 . الشعور الفطري للحيوانات
188	5 . دور الحيوانات في حياة الإنسان
189	6 . خضوع الحيوانات للإنسان
190	الباب الرابع: خلق النبات
190	اشاره
193	تأملات حول آيات معرفة الله في خلق النبات
193	1 . بعث الحياة في المواد الميتة
193	2 . التنظيم الدقيق الموزون للنباتات
194	3 . أنواع النباتات
194	4 . نظام الزوجية في النباتات
196	الباب الخامس: خلق الأزواج
196	اشاره
200	تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الأزواج
202	الباب السادس: خلق الأرض
202	اشاره
212	تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الأرض

- 212 أولاً : حجم الأرض
- 213 ثانيا : استقرار الأرض في الفضاء
- 215 ثالثا : استقرار الأرض بأربع عشرة حركة
- 216 رابعا : توفير المعادن والفلزات
- 218 الباب السابع: خلق الجبال
- 218 اشاره
- 222 تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الجبال
- 222 أولاً : نصب الجبال
- 223 ثانيا : دور الجبال في استقرار الأرض
- 224 ثالثا : دور الجبال في حفظ الإنسان
- 224 رابعا : دور الجبال في تصفية المياه
- 225 خامسا : فوائد أخرى للجبال
- 226 الباب الثامن: خلق الماء
- 226 اشاره
- 228 تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الماء
- 228 1 . رمز الحياة
- 229 2 . زينة الأرض
- 229 3 . ضمان مصادر الغذاء
- 230 4 . ضمان حاجة الشرب
- 230 5 . أساس النظافة والطهارة
- 232 الباب التاسع: خلق البحر
- 232 اشاره
- 235 تأملات حول آيات معرفة الله في خلق البحر
- 235 1 . دور البحار في ضمان مصادر الغذاء
- 236 2 . دور البحار في ضمان وسائل الزينة

236	3 . دور البحر في الحمل والنقل
237	4 . الحائل غير المرني بين بحرین
238	5 . عجائب البحار
238	6 . الكشف التدريجي لمنافع البحر مع تقدّم العلم
240	الباب العاشر: خلق الرّياح والسّحاب والمطر
240	اشاره
242	تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق الرّياح والسّحاب والمطر
244	الباب الحادي عشر: خلق الليل والنّهار
244	اشاره
246	تأمّلات في آيات معرفة الله في خلق اللّيل والنّهار
246	اشاره
248	1 . أولو الأبصار
248	2 . أولو الأبواب
248	3 . أهل التقوي
248	4 . أهل الإيمان
250	الباب الثاني عشر: خلق الشمس والقمر
250	اشاره
252	تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق الشمس والقمر
252	أولاً : نظام الشمس والقمر
253	ثانيا : حركة الشّمس والقمر
253	ثالثا : سجود الشّمس والقمر لله
254	رابعا : تسخير الشّمس والقمر للإنسان
254	خامسا : دور الشّمس في توفير الضوء والحياة
255	سادسا : دور الشّمس والقمر في تقويم التاريخ
256	الباب الثالث عشر: خلق السّماوات

256 اشاره
260 تأملات حول آيات معرفة الله في خلق السماء
260 اشاره
261 أولاً: سعة السماء
262 ثانياً: مصابيح السماء
262 ثالثاً: السقف المحفوظ
264 رابعاً: استقرار الأجرام السماوية في الفضاء
265 خامساً: النظام الدقيق السائد على الأجرام السماوية
265 سادساً: الاهتداء بالنجوم
268 الفصل السادس: طرق الوصول إلى أسمي مراتب معرفة الله
268 1 / 6 ذكر الله
269 2 / 6 الصلاة
270 3 / 6 الجوع والصوم
271 4 / 6 محبة الله
273 تعليق
274 5 / 6 الانتفاع إلى الله
275 6 / 6 ولاية أهل البيت
277 7 / 6 الاستعانة من الله
281 تحليل حول طرق الوصول إلى أسمي درجات معرفة الله
281 أولاً: ذكر الله
281 اشاره
284 1 . استمرار الذكر وديمومته
285 2 . أتم مصاديق الذكر
286 3 . حقيقة الذكر
286 4 . شرط الانتفاع بالذكر

287 ثانيا : رعاية آداب الطعام
287 اشاره
288 1 . الطَّعام الحلال وصفاء القلب
288 2 . قلَّة الطعام وتنوير القلب
289 3 . تأثير الصَّيام في المعرفة الشهودية
289 4 . الحافظ الرباني علي الأكل واستنارة القلب
290 ثالثا : ولاية أهل البيت
290 1 . تأثير أهل البيت في معرفة الله
291 2 . تأثير أهل البيت في الهداية الباطنية للإنسان
293 3 . التأثير المتبادل لمعرفة الله ومعرفة أهل البيت
294 رابعا : الاستعانة بالله
294 اشاره
295 1 . الدعاء مع السعي
296 2 . أهمّ شروط الدعاء
296 خامسا : إحياء العقل وإماتة النفس
298 الفصل السابع: آثار معرفة الله
298 1 / 7 محبة الله
301 2 / 7 خشية الله
303 3 / 7 الرغبة فيما عند الله
303 4 / 7 طاعة الله
304 5 / 7 اجتناب المحارم
306 6 / 7 الرُّهد في الدنيا
307 7 / 7 النَّقْوِي
307 8 / 7 التَّوَحُّد
308 9 / 7 التَّوَضُّع لله

308 10 / 7 التَّسْلِيمُ لِقَضَاءِ اللَّهِ
308 11 / 7 الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ
309 12 / 7 اسْتِشْيارِ الْوَجْهِ وَحِزْنِ الْقَلْبِ
310 13 / 7 الْغِنَى عَنْ خَلْقِ اللَّهِ
310 14 / 7 السَّهْرُ بِذِكْرِ اللَّهِ
310 15 / 7 كَثْرَةُ الدُّعَاءِ
311 16 / 7 اسْتِجَابَةُ الدُّعَاءِ
312 17 / 7 الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ
313 18 / 7 الْمَجْتَمَعُ الْأَمْثَلُ
316 تلخيص ما مرَّ من دور معرفة الله
316 1 . دور معرفة الله في الحياة الفردية
317 2 . دور معرفة الله في الحياة الاجتماعية
320 الفصل الثامن: آفاق معرفة الله
320 1 / 8 حَتَّى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَحُدُّهَا
322 2 / 8 لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ
330 كلام في بطلان القول بجواز رؤية الله بالبصر
330 اشاره
331 الدليل العقليِّ للقائلين بجواز الرؤية
331 الدليل النقليِّ للقائلين بجواز الرؤية
334 3 / 8 لَا تَحْسُنُهُ الْحَوَاسُّ
336 4 / 8 لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ
342 5 / 8 النَّهْيُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِهِ
345 6 / 8 النَّهْيُ عَنِ التَّعَمُّقِ فِي صِفَتِهِ
345 اشاره
348 كلام حول معني «التعمق» في معرفة الله

348 اشارة

349 1 . «التعمق» في اللغة

349 2 . الأحاديث التي تناولت كلمة «التعمق»

349 أ _ مدح ترك التعمق في صفات الله

350 ب _ خطر مطلق التعمق

350 ج _ التحذير من التعمق في الدين

351 د _ عاقبة التعمق في الدين

352 الفصل التاسع: ما ورد في حجب الله

352 1 / 9 لا حجاب بين الله وبين خلقه

354 2 / 9 محجوب بغير حجاب

354 3 / 9 لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه

355 4 / 9 حجابهُ الثور

357 5 / 9 حجابهُ الثور والظلمة

360 نظرة علي روايات الحجب

366 الفصل العاشر: موانع معرفة الله

366 1 / 10 السيئات

369 2 / 10 الظلم

370 3 / 10 الاستكبار

371 4 / 10 الجهل

372 5 / 10 الغفلة

372 6 / 10 الهوى

373 7 / 10 مرض القلب

374 القسم الثاني: التعرف علي توحيد الله

374 اشارة

376 الفصل الأول: قيمة التوحيد

- 376 1 / 1 أوّل الدّين
- 376 2 / 1 نصف الدّين
- 377 3 / 1 كلمة التّقوي
- 377 4 / 1 ثمن الجنّة
- 378 5 / 1 حياة النّفس
- 378 6 / 1 عروة الله الوثقي
- 379 7 / 1 حصن الله
- 379 8 / 1 أفضل الأعمال
- 379 9 / 1 سبب المغفرة
- 380 10 / 1 سبب دفع البلاء
- 380 11 / 1 سبب الفلاح
- 382 الفصل الثاني : مراتب التّوحيد
- 382 المرتبة الاولى : التّوحيد في الذات
- 382 اشاره
- 383 1 / 1 ما يدلُّ علي وحدة ذاته
- 384 2 / 1 تفسير التّوحيد
- 390 3 / 1 المذهب الحقُّ في التّوحيد
- 391 4 / 1 التّوحيد الخالص
- 393 5 / 1 ما يمتنع في التّوحيد
- 396 المرتبة الثانية : التّوحيد في الصّفات
- 396 اشاره
- 397 1 / 2 صفات الله عين ذاته
- 400 2 / 2 الفرق بين صفات ذاته وصفات فعله
- 416 المرتبة الثالثة : التّوحيد في الأفعال
- 416 1 / 3 التّوحيد في الخالق

418 2 / 3 التَّوْحِيدُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ .
418 1 _ 2 / 3 لا رَبَّ غَيْرَهُ .
419 2 _ 2 / 3 ما يَدُلُّ عَلَيَّ وَحْدَةَ الرُّبُوبِيَّةِ .
420 3 / 3 التَّوْحِيدُ فِي التَّدْبِيرِ .
420 1 _ 3 / 3 لا يَدْبِرُ الْأَمْرَ إِلَّا اللَّهُ .
421 2 _ 3 / 3 ما يَدُلُّ عَلَيَّ وَحْدَةَ التَّدْبِيرِ .
425 3 _ 3 / 3 ما يَنَافِي التَّوْحِيدَ فِي التَّدْبِيرِ .
428 المَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ : التَّوْحِيدُ فِي الْحُكْمِ .
431 المَرْتَبَةُ الْخَامِسَةُ : التَّوْحِيدُ فِي الطَّاعَةِ .
436 المَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ : التَّوْحِيدُ فِي الْعِبَادَةِ .
437 أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّوْحِيدِ .
442 الْقِسْمُ الثَّلَاثُ : التَّعْرِيفُ عَلَيَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ .
442 إِشَارَةٌ .
444 الْفَصْلُ الْأَوَّلُ : مَعْنَى أَسْمَاءِ اللَّهِ .
444 إِشَارَةٌ .
449 1 / 1 أَسْمَاؤُهُ تَعْبِيرٌ .
449 إِشَارَةٌ .
453 تَعْلِيْقٌ .
453 1 _ 1 / 1 مَعْنَى «الْإِلَه» .
456 2 _ 1 / 1 مَعْنَى «اللَّهُ» .
459 3 _ 1 / 1 مَعْنَى «اللَّهُ أَكْبَرُ» .
460 4 _ 1 / 1 مَعْنَى «بِاسْمِ اللَّهِ» .
462 الْفَصْلُ الثَّانِي : أَصْنَافُ أَسْمَاءِ اللَّهِ .
462 1 / 2 الْأَسْمَاءُ اللَّفْظِيَّةُ .
462 2 / 2 الْأَسْمَاءُ التَّكْوِينِيَّةُ .

- 464 3 / 2 المستأثر من الأسماء
- 466 الفصل الثالث: عدد أسماء الله
- 466 1 / 3 عدد الأسماء اللفظية
- 466 إشارة
- 470 كلام في عدد الأسماء الحسني اللفظية
- 473 2 / 3 عدد الأسماء التكوينية
- 473 تعليق
- 476 الفصل الرابع : الإسم الأعظم
- 476 1 / 4 ما روي في تفسير الاسم الأعظم
- 476 1 _ 1 / 4 البسملة
- 477 2 _ 1 / 4 آيات من القرآن
- 479 3 _ 1 / 4 نصوص من الأدعية
- 481 4 _ 1 / 4 كلُّ اسم من أسماء الله
- 482 2 / 4 من كان عنده الاسم الأعظم
- 482 إشارة
- 486 تحقيق في معني الاسم الأعظم
- 487 أفضل تحقيق في تبيان الاسم الأعظم
- 490 الفصل الخامس : دور أسماء الله في تدبير العالم
- 508 تعريف مركز

سرشناسه : محمدي ري شهري، محمد، 1325-

عنوان و نام پديدآور : موسوعه العقائد الاسلاميه/محمد الريشهري ؛ بمساعده رضا برنجكار ؛ التحقيق مركز بحوث دار الحديث.

مشخصات نشر : قم: موسسه علمي فرهنگي دارالحديث، سازمان چاپ و نشر، 1384.

مشخصات ظاهري : 5 ج.

فروست : مركز بحوث دارالحديث؛ 85

شابك : (دوره):964-7489-99-4 ؛ (ج.1):964-7489-94-3 ؛ (ج.2):964-7489-95-1 ؛ (ج.3):964-7489-96-X ؛

(ج.4):964-7489-97-8 ؛ (ج.5):964-7489-98-6

يادداشت : چاپ دوم

يادداشت : چاپ اول: 1383.

يادداشت : جلد اول كتاب باهمكاري رضا برنجكار و عبدالهادي مسعودي ميباشد.

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : ج 1 و 2. المعرفه. --ج 3 و 4 و 5. معرفة الله.

موضوع : اسلام -- عقايد -- احاديث.

موضوع : احاديث شيعه -- قرن 14.

شناسه افزوده : برنجكار، رضا، 1342-

شناسه افزوده : مسعودي، عبدالهادي، 1343-

شناسه افزوده : دارالحديث

شناسه افزوده : دارالحديث

رده بندي كنگره : 8334م/BP211/5

رده بندي ديويي : 297/4172

شماره كتابشناسي ملي : 1028220

ص: 1

اشاره

المدخل

الكتاب الأفضل في معرفة الله

المدخل الحمد لله الأول بلا أول كان قبله ، والآخر بلا آخر يكون بعده ، الذي قصر عن رؤيته أبصار الناظرين ، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين . والحمد لله علي ما عرفنا من نفسه ، وألهمنا من شكره ، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ، ودلنا عليه من الإخلاص له في توحيده ، وجنبنا من الإلحاد والشك في أمره . حمدا يرتفع متاً إلي أعلي عليين ، في كتاب مرقوم ، يشهده المقربون . والصلاة علي عبده المصطفى محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وعلي أصحابه الذين أحسنوا الصحبة ، واستجابوا له ، وأسرعوا إلي وفادته ، وسابقوا إلي دعوته . إن معرفة الله سبحانه من أهم القضايا التي شغلت ذهن الإنسان علي مر التاريخ ، وصنفت فيها كتب كثيرة ، لكن هل يتسني لنا أن نسأل عن أفضل كتاب يُعرف الناس بخالقهم؟

الكتاب الأفضل في معرفة الله ريب في أن أفضل كتاب في معرفة الله تعالي هو الكتاب الذي دونه أفضل عارف بالله ، وهو الله _ جلّ وعلا _ نفسه ، وليس لأحد أن يعرف ذاته كذاته المقدسة عينها ،

دراسة الأبحاث في معرفة الله

ثمّ لم يعرفه من مخلوقاته أحد كأنبيائه وأوصيائهم ، ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : «يا عليّ ، ما عرفَ اللهَ حقَّ معرفتهِ غيري وغيرك». (1) علي هذا الأساس يُعدُّ القرآن الكريم وكلام أهل البيت أفضل وسيلة لمعرفة الله _ جلّ شأنه _ وتعريفه ، وأفضل كتاب في معرفة الله هو الكتاب المستنير بتعاليم القرآن والسنة ، المسترشد بهما ، وأنّ إهمال هذه التعاليم ، والاستناد علي الفكر الوضعي الناقص لا يُبعدان الباحث عن الطريق الذي يؤدي به إلي المقصد فحسب ، بل يجعلانه عرضةً لخطر الضلال أيضًا .

دراسة الأبحاث في معرفة الله في اللّهانّ الدراسة الدقيقة للأبحاث التي توقّرت علي معرفة الله لحدّ الآن من جهةٍ ، والتأمّل في تعاليم الكتاب والسنة في هذا الشأن من جهةٍ أُخرى ، تدلّ علي مدي قصور المسلمين أو تقصيرهم _ ولا سيما الباحثين منهم _ في هذا المجال . إنّ هذه الدراسة تُرشّد إلي أنّ الله تعالى نفسه هو أفضل من أرشد الناس إلي أدلّة معرفته بواسطة رُسله ، وأعمق من كان ، وأبسط من هدي إلي ذلك وأنفع في الوقت ذاته ، بيّد أنّ ما قاله فيما يتعلّق بالتأمّل والتحقيق في هذه الأدلّة لم ينل نصيبه من البحث . وتُشعر هذه الدراسة أنّ علي الرغم ممّا بذله الباحثون المسلمون من وقتٍ كثيرٍ محقّقين في هذا الموضوع ، ومع وجود الكتب الجمّة في هذا المجال ، لكنّ أدلّة الله سبحانه علي وجوده ما زالت بحاجةٍ إلي البحث والتحقيق كما هي حقّها . وتهدي هذه الدراسة إلي أنّ الآيات التي تتحدّث عن معرفة الله _ أي: الإنسان ،

التعقل ، لا التعبد

والحيوانات، والأرض، والجبال، والماء، والبحار، والنباتات، والرياح، والسحاب، والمطر، والشمس، والقمر، والليل، والنهار، والنجوم، وأخيراً من أصغر ذرات العالم إلى أكبر الأجرام السماوية _ لو دُرست بشكلٍ علميٍّ جامعيٍّ من منظور قرآنيٍّ، لَمَا تقدّم المسلمون اليوم في الكلام والفلسفة والحكمة فحسب، بل في جميع العلوم التجريبية أيضاً، ولَعَمَرَتَهُم معرفة الله القائمة على تعاليم القرآن، والدين، والدنيا: «فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (1).

التعقل، لا التعبد من البديهيّ أنّ المقصود من الاستنارة بتعاليم القرآن والحديث لمعرفة الله تعالى ليس القبول التعبدي بها فيشكل عليّ أنّ حجّية القرآن والحديث تستند إليّ إثبات وجود الله، فلو استند إثبات وجوده تعالى إليّ الكتاب والسنة يكون دوراً، وهو باطلٌ عقلاً، بل المقصود هو الاستهداء بالأدلة والبراهين العقلية المستقاة من القرآن والحديث بنحوٍ يستطيع العقل فيه أن يدرك وجود الخالق وصفاته عبر التأمل فيها بغضّ النظر عن قائلها، فالتعقل هو المعيار في الإقرار بوجود الله لا التعبد. وفي ضوء ذلك، لا ضرورة لدراسة أسناد الأحاديث المرتبطة بمعرفة الله والتحقيق في انتسابها إليّ أهل البيت من أجل الاستضاءء بها؛ لأنّ ما فيها من الفاعلية والتأثير هو البراهين العقلية الكامنة فيها، لا انتسابها إليّ أهل البيت عليهم السلام فحسب. أجل، بعد إثبات التوحيد والنبوة، وحجّية كلام أهل البيت عليهم السلام عن طريق العقل، لو ورد عن طريق النقل كلام لهم في صفات الله سبحانه لا يستند إليّ البرهان فلا بدّ من سبره وتحليله للاقتناع من انتسابه إليهم. وإذا ثبت جزماً أنّه منهم، فالعقل يحكم بقوله تعبدًا.

معرفة الله من منظار القرآن والحديث

معرفة الله من منظار القرآن والحديث إذا أخذنا بعين الاعتبار الملاحظات المشار إليها فإن المجموعة التي أمامكم تحت عنوان «معرفة الله» محاولة في طريق معرفة الله تعالى علي أساس تعاليمه نفسه . وهذا الكتاب الذي يمثل امتدادا لكتاب «المعرفة» المتكفل بدراسة موضوعات متنوعة ترتبط بالمعرفة من منظار القرآن والحديث ، يقدم الحلقة الثانية من حلقات «موسوعة العقائد الإسلامية في الكتاب والسنة» . إن كتابنا هذا يتناول النصوص الإسلامية في معرفة الله لأول مرة ، وقد جمعت فيه وسّ بكت بنظم جديد سهل المنال مشفوعةً بالتحليل وتبيان النقاط المطلوبة لتكون دانيةً إلي أيدي الباحثين ، وفيما يلي أقسام البحث : القسم الأول: «التعرف علي الله» ويشتمل علي عشرة فصول هي بالترتيب: قيمة معرفة الله ، الهداة إلي معرفة الله ، مبادئ معرفة الله ، طرق معرفة الله ، دور معرفة الخلق في معرفة الخالق ، طرق الوصول إلي أسمي مراتب معرفة الله ، آثار معرفة الله ، آفاق معرفة الله ، ما ورد في حجب الله ، موانع معرفة الله . القسم الثاني: «التعرف علي توحيد الله» ، ويضم فصلين : الأول : قيمة التوحيد ، وهو في الحقيقة مكمل للفصل الأول من القسم الأول ؛ لأن معرفة الله الحقيقية ليست إلا توحيد الله . الثاني : مراتب التوحيد ، وقد نوقش فيه التوحيد في الذات ، والتوحيد في الصفات ، والتوحيد في الأفعال ، والتوحيد في الطاعة ، والتوحيد في العبادة . القسم الثالث : «التعرف علي أسماء الله» ، ويتألف من خمسة فصول بينت القصد من أسماء الله تعالى ، وفسرت معاني «الإله» ، و«الله» ، و«الله أكبر» ، و«باسم الله» في لغة الأحاديث المأثورة ، واستبانة أيضا أقسام أسماء الله ، والأسماء اللفظية ،

والأسماء التكوينية، ومنتخبا من الأسماء، وعدد الأسماء اللفظية والتكوينية، وتفسير الاسم الأعظم، ودور الأسماء الإلهية في تدبير عالم الوجود. القسم الرابع: «التعرف علي الصفات الثبوتية»، ويشمل ثلاثة وتسعون فصلاً فصول توفرت علي تفسير أبرز الصفات الثبوتية لخالق الكون في الرؤية القرآنية والحديثية؛ وذلك في سياق تبيان النقاط المهمة التي يجدر الاهتمام بها في كيفية وصف الله سبحانه. القسم الخامس: «التعرف علي الصفات السلبية» ويتكون من ثمانية فصول تحدثت عن أهم الصفات السلبية للحق تعالي نحو: المثل، والحد، والتجزؤ، والتغيير، والجسم، والصورة، والوالد، والولد، والسنة، والنوم، والحركة، والسكون علي ما أفاده منطوق النصوص الإسلامية. وفي الختام يطيب لي أن أقدم جزيل الشكر وبالغ التقدير لجميع الإخوة الأفاضل والباحثين الكرام العاملين في دار الحديث ممن أدوا دورا محمودا في تنظيم هذه المجموعة النفيسة الثمينة، ولاسيما الأخ الفاضل الجليل حجة الإسلام والمسلمين الدكتور رضا برنجكار، أتهل إلي المولي الكريم سبحانه _ وهو الكاتب الحقيقي لها _ أن يمن علي الجميع بالأجر والثواب كما هو أهله من الفضل والكرامة. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. محمّد المحمّدي الريشهري 7 ربيع الأول 1424 هـ

القسم الأول : التعرّف علي الله

اشاره

القسم الأول : التعرّف علي الله الفصل الأول : قيمة معرفة الله الفصل الثاني : الهداة إلي معرفة الله الفصل الثالث : مبادئ معرفة الله الفصل الرابع : طرق معرفة الله الفصل الخامس : دور معرفة الخلق في معرفة الخالق الفصل السادس : طرق الوصول إلي أسمي مراتب معرفة الله الفصل السابع : آثار معرفة الله الفصل الثامن : آفاق معرفة الله الفصل التاسع : ما ورد في حجب الله الفصل العاشر : موانع معرفة الله

الفصل الأول : قيمة معرفة الله

1 / 1 رأس العلم وثمرته

1 / 2 أعلي المعارف

الفصل الأول : قيمة معرفة الله 1 / 1 رأس العلم وثمرتها لإمام الرضا عليه السلام : جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلي الله عليه وآله ، وقالَ : ما رأسُ العلمِ؟ قالَ : مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ . (1)

الإمام عليّ عليه السلام : ثَمَرَةُ الْعِلْمِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ . (2)

1 / 2 أعلي المعارف لإمام عليّ عليه السلام : مَعْرِفَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْلَى الْمَعَارِفِ . (3)

عنه عليه السلام : الْعِلْمُ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْعِلْمَيْنِ . (4)

1- .جامع الأخبار : ص 36 ح 17 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 14 ح 36 .

2- .غرر الحكم : ح 4586 .

3- .غرر الحكم : ح 9864 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 486 ح 8989 .

4- .غرر الحكم : ح 1674 .

1 / 3 قوام الدّين

عنه عليه السلام: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَمَلَّتْ مَعْرِفَتُهُ . (1)

1 / 3 قوام الدّين رسول الله صلي الله عليه وآله: دِعَامَةُ الدّينِ وَأَسَاسُهُ الْمَعْرِفَةُ بِاللّهِ عِزُّ وَجَلُّ ، وَالْيَقِينُ ، وَالْعَقْلُ النَّافِعُ ؛ وَهُوَ الْكَفُّ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ . (2)

الإمام عليّ عليه السلام: أَوَّلُ الدّينِ مَعْرِفَتُهُ . (3)

عنه عليه السلام: رَأْسُ الْأَمْرِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَمُودُهُ طَاعَةُ اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ . (4)

الإمام الرضا عليه السلام: أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعْرِفَتُهُ . (5)

عنه عليه السلام: لَا دِيَانَةَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ ، وَلَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ . (6)

-
- 1- غرر الحكم : ح 7999 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 431 ح 7384 .
 - 2- الفردوس : ج 2 ص 222 ح 3077 عن عائشة ، كنز العمال : ج 3 ص 381 ح 7047 .
 - 3- نهج البلاغة : الخطبة 1 ، الاحتجاج : ج 1 ص 473 ح 113 ، عوالي اللآلي : ج 4 ص 126 ح 215 ، الكافي : ج 1 ص 140 ح 6 عن فتح بن عبدالله مولي بني هاشم عن الإمام الكاظم عليه السلام وفيه «أول الديانة به معرفته» ، التوحيد : ص 57 ح 14 عن فتح ابن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا عليه السلام وفيه «أول الديانة معرفته» ، بحار الأنوار : ج 57 ص 176 ح 136 .
 - 4- دستور معالم الحكم : ص 20 .
 - 5- التوحيد : ص 34 ح 2 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 150 ح 51 كلاهما عن القاسم بن أيوب العلوي ، الأمالي للمفيد : ص 253 ح 4 عن محمّد بن زيد الطبري ، الأمالي للطوسي : ص 22 ح 28 عن محمّد بن يزيد الطبري ، الاحتجاج : ج 2 ص 360 ح 283 ، الإرشاد : ج 1 ص 223 عن صالح بن كيسان عن الإمام علي عليه السلام ، تحف العقول : ص 61 عن الإمام عليّ عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 57 ص 43 ح 17 .
 - 6- التوحيد : ص 40 ح 2 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 153 ح 51 كلاهما عن القاسم بن أيوب العلوي ، تحف العقول : ص 67 عن الإمام علي عليه السلام وفيه «بتصديق» بدل «بالإخلاص» ، الاحتجاج : ج 2 ص 364 ح 283 ، بحار الأنوار : ج 4 ص 230 ح 3 .

1 / 4 أفضل الفرائض

1 / 5 أطيب اللذائذ

1 / 4 أفضل الفرائض تنبيهه الخواطر: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أفضل الأعمال، فقال: العلم بالله والفقهُ في دينه، وكرَّههما عليه. فقال: يا رسول الله، أسألك عن العمَلِ فتخبرني عن العلم! فقال صلى الله عليه وآله: إنَّ العلمَ ينفعك معه قليلُ العملِ، وإنَّ الجهلَ لا ينفعك معه كثيرُ العملِ. (1)

رسول الله صلى الله عليه وآله: التَّفَكُّرُ في عَظَمَةِ اللَّهِ وِجَنَّتِهِ وَنَارِهِ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ. (2)

الإمام الصادق عليه السلام: إنَّ أَفْضَلَ الْفَرَايِضِ وَأَوْجَبَهَا عَلَيَّ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَةَ الرَّبِّ، وَالْإِقْرَارُ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ. (3)

1 / 5 أطيب اللذائذ رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا: يا أهل الجنة، إنَّ لكم عند الله موعداً لم ترؤهُ. فقالوا: وما هو؟ ألم يبئس وُجوهنا، ويُزحزحنا عن النَّارِ، ويُدخلنا الجنة؟ قال: فيكشفُ الحِجَابُ، قال: فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً .

1- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 82 وراجع: كنز العمال: ج 10 ص 144 ح 28731 .

2- كنز العمال: ج 3 ص 107 ح 5712 نقلاً عن أبي الشيخ عن ابن عباس .

3- كفاية الأثر: ص 258 عن هشام، بحار الأنوار: ج 36 ص 407 ح 16 .

أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ . (1)

عنه صلي الله عليه وآله: أَسَأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَأَسَأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَأَسَأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَيَّ وَجْهَكَ ، وَالشُّوقَ إِلَيَّ لِقَائِكَ ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ . (2)

الإمام علي عليه السلام: مَا يُسْرِنِي لَوْ مِتُّ طِفْلاً وَأُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ وَلَمْ أَكْبُرْ فَأَعْرِفَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . (3)

الإمام زين العابدين عليه السلام: إِلَهِي مَا أَلَذَّ خَوَاطِرَ الْإِلَهَامِ بِذِكْرِكَ عَلَيَّ الْقُلُوبِ ! وَمَا أَحْلَى الْمَسِيرَ إِلَيْكَ بِالْأَوْهَامِ فِي مَسَالِكِ الْغُيُوبِ ! وَمَا أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ ! وَمَا أَعَذَّبَ شُرْبَ قُرْبِكَ ! فَأَعِدْنَا مِنْ طَرْدِكَ وَإِبْعَادِكَ . (4)

الإمام الصادق عليه السلام: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا مَدَّوْا أَعْيُنَهُمْ إِلَيَّ مَا مَتَّعَ اللَّهُ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا ، وَكَانَتْ دُنْيَاهُمْ أَقْلَ عِنْدَهُمْ مِمَّا يَطْوُونَهِ بِأَرْجُلِهِمْ ، وَلَنَعِمُوا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - ، وَتَلَذُّوْا بِهَا تَلَذُّذَ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَانِ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ . إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْسَ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ ، وَصَاحِبٌ مِنْ كُلِّ وَحْدَةٍ ، وَنُورٌ مِنْ كُلِّ ظَلَمَةٍ ، وَقُوَّةٌ مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ ، وَشِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُقْمٍ . (5)

راجع: ص 357 (الفصل الأول: قيمة التوحيد).

- 1- .مسند ابن حنبل: ج 9 ص 240 ح 23980 ، سنن الترمذي: ج 4 ص 687 ح 2552 و ج 5 ص 286 ح 3105 ، سنن ابن ماجه: ج 1 ص 67 ح 187 ، صحيح ابن حبان: ج 16 ص 471 ح 7441 كلها عن صهيب نحوه ، كنز العمال: ج 14 ص 447 ح 39205 .
- 2- .سنن النسائي: ج 3 ص 55 عن عمّار بن ياسر ، صحيح ابن حبان: ج 5 ص 305 ح 1971 عن عطاء بن السائب عن أبيه ، المعجم الكبير: ج 5 ص 157 ح 4932 عن زيد بن ثابت ، السنّة لابن أبي عاصم: ص 186 ح 427 عن فضالة بن عبيد ؛ مكارم الأخلاق: ج 2 ص 31 ح 2069 نحوه .
- 3- .حلية الأولياء: ج 1 ص 74 ، العمر والشيب لابن أبي الدنيا: ص 59 ح 34 كلاهما عن أبي الفرج ، ربيع الأبرار: ج 2 ص 60 ، كنز العمال: ج 13 ص 151 ح 36472 .
- 4- .بحار الأنوار: ج 94 ص 151 ح 21 نقلاً عن العدد القويّة عن إبراهيم بن محمّد .
- 5- .الكافي: ج 8 ص 247 ح 347 عن جميل بن درّاج .

الفصل الثاني: الهداة إلى معرفة الله

2 / 1 الله عز وجل

إشارة

الفصل الثاني: الهداة إلى معرفة الله 2 / 1 اللها الكتاب «إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ» . (1)

«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَ مَكَّمِ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِيَلَاءِ يَمِنٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» . (2)

«لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» . (3)

«إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» . (4)

راجع : البقرة : 120 ، آل عمران : 73 ، الأنعام : 71 ، الأعراف : 43 ، طه : 50 ، النور : 35 .

1- الليل : 12 .

2- الحجرات : 17 .

3- البقرة : 272 .

4- القصص : 56 .

الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: قَالَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - : عِبَادِي ، كُتِبَ ضَالًّا إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، وَكُتِبَ فَاقِرًا إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُهُ ، وَكُتِبَ مُذْنِبًا إِلَّا مَنْ عَصَمْتُهُ . (1)

عنه صلى الله عليه وآله : مَنْ أَصْبَحَ وَلَا يَذْكُرُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ أَخَافُ عَلَيْهِ زَوَالَ النِّعْمَةِ : أَوَّلُهَا أَنْ يَقُولَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَرَّفَنِي نَفْسَهُ وَلَمْ يُتْرِكْنِي عُيْمَانَ الْقَلْبِ . . . (2)

الإمام علي عليه السلام : اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ ، وَالرَّسُولَ بِالرَّسَالَةِ ، وَأَوْلِي الْأَمْرِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . (3)

عنه عليه السلام - مِنْ دُعَائِهِ يَوْمَ الْجَمَلِ - : لِكِتِّكَ يَا مَوْلَايَ بَدَأْتَنِي أَوَّلًا بِإِحْسَانِكَ ، فَهَدَيْتَنِي لِدِينِكَ ، وَعَرَفْتَنِي نَفْسَكَ . (4)

عنه عليه السلام - فِي دُعَاءٍ عَلَّمَهُ نَوْفَ الْبِكَالِيِّ - : أَسَأُ لَكَ بِاسْمِكَ الَّذِي ظَهَرْتَ بِهِ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَانِكَ فَوَحَّدوكَ وَعَرَفوكَ فَعَبَدوكَ بِحَقِيقَتِكَ ، أَنْ تُعَرِّفَنِي نَفْسَكَ لِأَقْرَبِّ لَكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ عَلَي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بِكَ ، وَلَا تَجْعَلَنِي يَا إِلَهِي مِمَّنْ يَعْبُدُ الْإِسْمَ دُونَ الْمَعْنَى ، وَالْحَظَنِي بِلِحْظَةٍ مِنْ لِحْظَاتِكَ تُنَوِّرُ بِهَا قَلْبِي بِمَعْرِفَتِكَ خَاصَّةً وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَانِكَ ،

1- .كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 4 ص 397 ح 5848 ، الأمامي للصدوق : ص 162 ح 161 عن علقمة بن محمد الحضرمي عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله ، بحار الأنوار : ج 5 ص 198 ح 16 وراجع : سنن ابن ماجه : ج 2 ص 1422 ح 4257 ومسند ابن حنبل : ج 8 ص 85 ح 21425 وص 128 ح 21596 وكنز العمال : ج 15 ص 925 ح 43591 .

2- .الدعوات : ص 81 ح 204 عن الإمام علي عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 86 ص 282 ح 45 وراجع : مصباح المتهجد : ص 293 ح 404 والدرع الواقية : ص 162 .

3- .الكافي : ج 1 ص 85 ح 1 ، التوحيد : ص 286 ح 3 وليس فيه «بالأمر» وكلاهما عن الفضل بن السكن عن الإمام الصادق عليه السلام ، روضة الواعظين : ص 38 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 270 ح 7 .

4- .مهج الدعوات : ص 125 ، بحار الأنوار : ج 94 ص 234 ح 9 .

إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (1)

عنه عليه السلام_ في دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ بَعْدَ رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ _ : يَا مَنْ دَلَّ عَلَيَّ ذَاتِهِ بِذَاتِهِ ، وَتَنَزَّهَ عَنِ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَجَلَّ عَنِ مُلَاءَمَةِ كَيْفِيَّاتِهِ . (2)

الكافي عن علي بن عتبة : سَدَّيْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِمَ عَرَفْتَ رَبِّكَ؟ قَالَ : بِمَا عَرَفَنِي نَفْسُهُ . قِيلَ : وَكَيْفَ عَرَفَكَ نَفْسُهُ؟ قَالَ : لَا يُشْبِهُهُ صُورَةٌ ، وَلَا يُحَسُّ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ ، قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ : شَيْءٌ فَوْقَهُ ، أَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ : لَهُ أَمَامٌ ، دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ لَا كَشْيَةٍ دَاخِلٍ فِي شَيْءٍ ، وَخَارِجٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا كَشْيَةٍ خَارِجٍ مِنْ شَيْءٍ ، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ هَكَذَا وَلَا هَكَذَا غَيْرُهُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مُبْتَدَأٌ . (3)

التوحيد عن سلمان الفارسي : سَأَلَ الْجَائِلِيُّ (4) مِنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَخْبِرْنِي ، عَرَفْتَ اللَّهَ بِمُحَمَّدٍ ، أَمْ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا عَرَفْتُ اللَّهَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَكِنْ عَرَفْتُ مُحَمَّدًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ خَلَقَهُ وَأَحَدَتْ فِيهِ الْحُدُودَ مِنْ طَوْلٍ وَعَرْضٍ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مُدَبَّرٌ مَصْنُوعٌ بِاسْتِدْلَالٍ وَإِلْهَامٍ مِنْهُ وَإِرَادَةٍ ، كَمَا أَلْهَمَ الْمَلَائِكَةَ طَاعَتَهُ وَعَرَفَهُمْ نَفْسَهُ بِمَا شَبِهَ وَلَا كَيْفٍ . (5)

1- بحار الأنوار : ج 94 ص 96 ح 12 نقلًا عن الكتاب العتيق الغروي .

2- بحار الأنوار : ج 87 ص 339 ح 19 نقلًا عن الاختيار .

3- الكافي : ج 1 ص 85 ح 2 ، التوحيد : ص 285 ح 2 ، المحاسن : ج 1 ص 373 ح 818 وفيه «بالقياس» بدل «بالناس» ، بحار الأنوار : ج 3 ص 270 ح 8 .

4- الجائليق : هو رئيس النصاري في بلاد الإسلام ، ولغتهم السريانية (مجمع البحرين : ج 1 ص 270) .

5- التوحيد : ص 287 ح 4 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 272 ح 9 .

الإمام الحسين عليه السلام من دُعائه يَوْمَ عَرَفَةَ -: أَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَ . (1)

عنه عليه السلام - فيما نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ دُعَاءِ عَرَفَةَ -: إِلَهِي عَلِمْتُ بِاخْتِلَافِ الْأَثَارِ وَتَنَقُّلاتِ الْأَطْوَارِ ، أَنْ مُرَادَكَ مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لَا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ... إِلَهِي تَرُدُّدِي فِي الْأَثَارِ يَوْجِبُ بَعْدَ الْمَزَارِ ، فَاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةِ تَوْصِيَةِ لِنِي إِلَيْكَ ، كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ ، أَيْكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرُ لَكَ! مَتِي غَيْبَتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَيَّ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَيْكَ! وَمَتِي بَعُدَتْ حَتَّى تَكُونَ الْأَثَارُ هِيَ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَيْكَ! عَمِيَّتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ عَلَيْهَا رَقِييبًا ، وَخَسِرَتْ (2) صَفْقَةً عَبْدٌ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيبًا . (3)

الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي -: (بِكَ) عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ ، وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ . (4)

عنه عليه السلام: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَقِنَا مِنْكَ ، وَاحْفَظْنَا بِكَ ، وَاهْدِنَا إِلَيْكَ ، وَلَا تُبَاعِدْنَا عَنْكَ؛ إِنَّ مَنْ تَقَّهَ يَسْلَمَ ، وَمَنْ تَهَدَى يَعْلَمَ ، وَمَنْ تَقَرَّبَهُ إِلَيْكَ يَعْنَمَ . (5)

عنه عليه السلام من دُعائه يَوْمَ عَرَفَةَ -: سُدَّ بِحَانِكَ! بَسَّ طَتَّ بِالْخَيْرَاتِ يَدِكَ ، وَعُرِفَتْ الْهِدَايَةُ مِنْ عِنْدِكَ ، فَمَنْ التَّمَسَّكَ لِذِينِ أَوْ دُنْيَا وَجَدَكَ . (6)

1- الإقبال: ج 2 ص 82 ، البلد الأمين: ص 255 ، المصباح للكفعمي: ص 998 ، بحار الأنوار: ج 98 ص 221 .

2- كما في بحار الأنوار وفي المصدر: «حسرت» والظاهر أنه تصحيف .

3- الإقبال (طبعة دار الكتب الإسلامية): ص 348 ، بحار الأنوار: ج 98 ص 225 .

4- مصباح المتهجد: ص 582 ح 691 ، الإقبال: ج 1 ص 157 ، المصباح للكفعمي: ص 781 كلُّها عن أبي حمزة الثمالي ، بحار الأنوار: ج 98 ص 82 ح 2 .

5- الصحيفة السجادية: ص 36 الدعاء 5 .

6- الصحيفة السجادية: ص 187 الدعاء 47 ، المصباح للكفعمي: ص 888 ، الإقبال: ج 2 ص 150 عن الإمام الصادق عليه السلام وليس فيه ذيله ، بحار الأنوار: ج 98 ص 263 .

عنه عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلاِ أَوَّلِ كَانَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ بِلاِ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذِي قَصَدَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعًا وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَيَّ مَشِيئَتَهُ اخْتِرَاعًا، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ. (1) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَيَّ مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مَنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، لَتَصَدَّرَفُوا فِي مَنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: «إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا». (2) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَيَّ مَا عَرَفْنَا مِنْ نَفْسِهِ، وَالْهَمْنَا مِنْ شُكْرِهِ، وَفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ، وَجَنَّبَنَا مِنَ الْإِلْحَادِ وَالشُّكِّ فِي أَمْرِهِ. (3)

عنه عليه السلام: اللَّهُمَّ... فَصَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْنَا بِعَزِّكَ مِنْ عِبَادِكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ غَيْرِكَ بِإِرْفَادِكَ (4)، وَاسْأَلْكَ بِنا سَبِيلَ الْحَقِّ بِإِرْشَادِكَ. (5)

عنه عليه السلام: سُبْحَانَكَ مَا أَضْيَقَ الطَّرِيقَ عَلَيَّ مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ! وَمَا أَوْضَحَ الْحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَهُ! إِلَهِي فَاسْأَلْكَ بِنا سَبِيلَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ، وَسَيِّرْنَا فِي أَقْرَبِ الطَّرِيقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ، قَرِّبْ عَلَيْنَا الْبَعِيدَ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا الْعَسِيرَ الشَّدِيدَ. (6)

-
- 1- .الصحيفة السجادية: ص 19 الدعاء 1 ، ينابيع المودة: ج 3 ص 411 وليس فيه ذيله من «ابتدع بقدرته...».
 - 2- .الفرقان : 44 .
 - 3- .الصحيفة السجادية : ص 20 الدعاء 1 .
 - 4- .الرُّفْدُ : الْعَطَاءُ وَالصَّلَاةُ (القاموس المحيط : ج 1 ص 295) .
 - 5- .الصحيفة السجادية : ص 36 الدعاء 5 .
 - 6- .بحار الأنوار : ج 94 ص 147 نقلاً عن بعض كتب الأصحاب .

عنه عليه السلام: اللَّهُمَّ أَنْتَ وَلِيُّ الْأَصْفِيَاءِ وَالْأَخْيَارِ، وَلَكَ الْخَلْقُ وَالْإِخْتِيَارُ، وَقَدْ أَلْبَسْتَنِي فِي الدُّنْيَا ثَوْبَ عَافِيَتِكَ، وَأَوْدَعْتَ قَلْبِي صَوَابَ مَعْرِفَتِكَ... اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ أَوْضَحْتَ لَهُمُ الدَّلِيلَ عَلَيْكَ، وَفَسَحْتَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَيْكَ، فَاسْتَشْعَرُوا (1) مَدَارِعَ الْحِكْمَةِ، وَاسْتَظَرَفُوا (2) سُبُلَ التَّوْبَةِ، حَتَّى أَنَاخُوا فِي رِيَاضِ الرَّحْمَةِ، وَسَلِمُوا مِنَ الْإِعْتِرَاضِ بِالْعِصْمَةِ. (3)

عنه عليه السلام: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ جَدُّوا فِي قَصْدِكَ فَلَمْ يَنْكَلُوا، وَسَلَكُوا الطَّرِيقَ إِلَيْكَ فَلَمْ يَعْذِلُوا (4)، وَاعْتَمَدُوا عَلَيْكَ فِي الْوُصُولِ حَتَّى وَصَلُوا، فَزَوَّيْتَ قُلُوبَهُمْ مِنْ مَحَبَّتِكَ، وَأَنْسَتَ نَفْسَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، فَلَمْ يَقْطَعْهُمْ عَنْكَ قَاطِعٌ، وَلَا مَنْعَهُمْ عَنْ بُلُوغِ مَا أَمْلَوْهُ لَدَيْكَ مَانِعٌ، فَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ. (5)

عنه عليه السلام: فَيَا مَنْ أَكْرَمَنِي بِتَوْحِيدِهِ، وَعَصَمَنِي عَنِ الضَّلَالِ بِتَسْدِيدِهِ، وَالزَّمَنِي إِقَامَةَ حُدُودِهِ، لَا تَسْلُبْنِي مَا وَهَبْتَ لِي مِنْ تَحْقِيقِ مَعْرِفَتِكَ، وَأَحْيِنِي بِتَقْيِينِ أَسْلَمٍ بِهِ مِنَ الْإِلْحَادِ فِي صِفَتِكَ. (6)

الإمام الباقر عليه السلام: يَا مَنْ أَتْخَفَنِي بِالْإِقْرَارِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَحَبَانِي بِمَعْرِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَخَلَّصَنِي مِنَ الشُّكِّ وَالْعَمَى ... (7)

عنه عليه السلام - لِرَجُلٍ وَقَدْ كَلَّمَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ -: أَيُّهَا الرَّجُلُ، تَحْتَقِرُ الْكَلَامَ وَتَسْتَصْغِرُهُ! إَعْلَمْ

- 1- الشُّعَارُ: الثَّوْبُ الَّذِي يَلْبِي الْجَسَدَ؛ لِأَنَّهُ يَلْبِي شَعْرَهُ (النهاية: ج 2 ص 480) أَي جَعَلُوا الْحِكْمَةَ كَالْمِدْرَعَةِ - وَهِيَ لِبَاسٌ خَاصٌ - وَجَعَلُوهَا مَلَاصِقَةً لَهُمْ .
- 2- اسْتَظَرَفَهُ: أَي عَدَّهُ طَرِيفًا، أَوْ اسْتَحْدَثَهُ (الصحاح: ج 4 ص 1394).
- 3- بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج 94 ص 172 ح 22 نَقْلًا عَنْ كِتَابِ أَنْبَسِ الْعَابِدِينَ.
- 4- عَدَّلَ عَنِ الطَّرِيقِ: أَي مَالَ عَنْهُ (المصباح المنير: ص 396).
- 5- بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج 94 ص 156 ح 22 نَقْلًا عَنْ كِتَابِ أَنْبَسِ الْعَابِدِينَ .
- 6- بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج 94 ص 161 ح 22 نَقْلًا عَنْ كِتَابِ أَنْبَسِ الْعَابِدِينَ .
- 7- مَهْجُ الدَّعَوَاتِ: ص 400 عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجَعْفِيِّ، بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج 95 ص 338 ح 8.

أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ رَسُولًا لَهُ حَيْثُ بَعَثَهَا وَمَعَهَا ذَهَبٌ وَلَا فِضَّةٌ، وَلَكِنْ بَعَثَهَا بِالْكَلامِ، وَإِنَّمَا عَرَفَ اللَّهَ - جَلَّ وَعَزَّ - نَفْسَهُ إِلَى خَلْقِهِ بِالْكَلامِ وَالْأدَلاتِ عَلَيْهِ وَالْأعلامِ . (1)

الإمام الصادق عليه السلام: أَسأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْكَليمِ عَلَيَّ الْجَبَلِ الْعَظيمِ، فَلَمَّا بَدَأَ شَعاعُ نَورِ الحُجُبِ الْعَظيمَةِ أَثَبَّتَ مَعْرِفَتَكَ فِي قُلُوبِ العارِفينَ بِمَعْرِفَةِ تَوحيدِكَ، فَلا إِلَهَ إِلا أَنْتَ . (2)

عنه عليه السلام - لِلْمُفضَّلِ بْنِ عُمَرَ -: فَكَّرَ يا مُفضَّلُ، فِيمَا أُعطيَ الْإِنسانُ عِلْمَهُ وما مُنِعَ؛ فَإِنَّهُ أُعطيَ عِلْمَ جَميعِ ما فِيهِ صَلاحٌ دِينِيهِ وَدُنْيائِهِ، فَمِمَّا فِيهِ صَلاحٌ دِينِيهِ مَعْرِفَةُ الخالِقِ - تبارَكَ وَتَعالي - بِالْأدَلاتِ وَالشَّواهِدِ القائِمَةِ فِي الخَلقِ . (3)

عنه عليه السلام: لا دَليلَ عَلَيَّ اللَّهُ بِالْحَقِيقَةِ غَيْرَ اللَّهِ، وَلا دَاعيَ إِلَيَّ اللَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ سِوَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ دَلَّنَا بِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ عَلَيَّ نَفْسِهِ . (4)

عنه عليه السلام: لَيْسَ لِلَّهِ عَلَيَّ خَلْقِهِ أَنْ يَعْرِفُوا قَبْلَ أَنْ يُعْرِفَهُمْ، وَلِلخَلقِ عَلَيَّ اللَّهُ أَنْ يُعْرِفَهُمْ، وَلِلَّهِ عَلَيَّ الخَلقِ إِذا عَرَفَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوهُ . (5)

الكافي عن منصور بن حازم: قُلْتُ لِأبي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي نَاطَرْتُ قَوماً، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلالُهُ - أَجَلٌ وَأَعَزُّ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعْرِفَ بِخَلْقِهِ، بَلِ العِبادُ يُعْرِفونَ بِاللَّهِ . فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ . (6)

-
- 1- الكافي: ج 8 ص 148 ح 128 عن مسعدة عن الإمام الصادق عليه السلام، وسائل الشيعة: ج 12 ص 190 ح 16050 .
 - 2- مصباح المتهجد: ص 339 ح 450، جمال الأسبوع: ص 216 كلاهما عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج 90 ص 45 ح 9 .
 - 3- بحار الأنوار: ج 3 ص 82 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .
 - 4- إحقاق الحق: ج 12 ص 289 نقلاً عن كتاب علم القلوب .
 - 5- التوحيد: ص 412 ح 7، الكافي: ج 1 ص 164 ح 1 نحوه وكلاهما عن بريد بن معاوية .
 - 6- الكافي: ج 1 ص 86 ح 3 وص 168 ح 2 وص 188 ح 15، التوحيد: ص 285 ح 1، رجال الكشي: ج 2 ص 718 ح 795، بحار الأنوار: ج 3 ص 270 ح 6 .

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ كُلَّهُ عَجِيبٌ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ عَلَيْكُمْ بِمَا قَدْ عَرَفْتُمْ مِنْ نَفْسِهِ . (1)

عنه عليه السلام: مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بِحِجَابٍ أَوْ بِصُورَةٍ أَوْ بِمِثَالٍ فَهُوَ مُشْرِكٌ ؛ لِأَنَّ الْحِجَابَ وَالْمِثَالَ وَالصُّورَةَ غَيْرُهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ مُوَحَّدٌ ، فَكَيْفَ يُوَحَّدُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَرَفَهُ بِغَيْرِهِ ! إِنَّمَا عَرَفَ اللَّهَ مَنْ عَرَفَهُ بِاللَّهِ ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِهِ فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ ، إِنَّمَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ . وَاللَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ لَا مِنْ شَيْءٍ ، يُسَمِّي بِأَسْمَائِهِ ، فَهُوَ غَيْرُ أَسْمَائِهِ وَالْأَسْمَاءُ غَيْرُهُ ، وَالْمَوْصُوفُ غَيْرُ الْوَاصِفِ ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِمَا لَا يَعْرِفُ فَهُوَ ضَالٌّ عَنِ الْمَعْرِفَةِ ، لَا يُدْرِكُ مَخْلُوقٌ شَيْئًا إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تُدْرِكُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ إِلَّا بِاللَّهِ . (2)

الكافي عن عبد الأعلى: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، هَلْ جُعِلَ فِي النَّاسِ أَدَاةٌ يَنَالُونَ بِهَا الْمَعْرِفَةَ ؟ قَالَ : فَقَالَ : لَا . قُلْتُ : فَهَلْ كَلَّفُوا الْمَعْرِفَةَ ؟ قَالَ : لَا ، عَلَيَّ اللَّهُ الْبَيَانُ : «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (3) و «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا» (4) . (5)

تفسير العياشي عن محمد بن حكيم: كَتَبْتُ رُقْعَةً إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا : أَسْتَطِيعُ النَّفْسَ الْمَعْرِفَةَ ؟

-
- 1- الكافي : ج 1 ص 86 ح 3 عن إبراهيم بن عمر .
 - 2- التوحيد : ص 143 ح 7 عن عبد الأعلى ، بحار الأنوار : ج 4 ص 161 ح 6 وراجع : التوحيد : ص 192 ح 6 .
 - 3- البقرة : 286 .
 - 4- الطلاق : 7 .
 - 5- الكافي : ج 1 ص 163 ح 5 ، التوحيد : ص 414 ح 11 ، المحاسن : ج 1 ص 431 ح 996 ، بحار الأنوار : ج 5 ص 30 ح 10 .

فَقَالَ : لا- . فَقُلْتُ : يَقُولُ اللَّهُ : «الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمْعًا» (1) ! قَالَ : هُوَ كَقَوْلِهِ : «مَا كَانُوا يَسْمَعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ» (2) . قُلْتُ : يُعَاتِبُهُمْ (3) ؟ قَالَ : لَمْ يَعْتَبَهُمْ بِمَا صَدَّقُوا قُلُوبَهُمْ ، وَلَكِنْ يُعَاتِبُهُمْ بِمَا صَدَّقُوا نُفُوسَهُمْ ، وَلَوْ لَمْ يَتَكَلَّفُوا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ . (4)

الإمام الصادق عليه السلام- في جواب عبد الرحيم القصير لما سأله عن المعرفة والجحود هل هما مخلوقان- : سألت عن المعرفة ما هي ، فأعلم- رحمتك الله- أن المعرفة من صنع الله عز وجل في القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله في القلب مخلوق ، وليس للعباد فيهما من صنع ، ولهم فيهما الإختيار من الإكتساب ، فبشدهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة ، فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، وبشدهوتهم الكفر اختاروا الجحود ، فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضللاً ، وذلك بتوفيق الله لهم وخذلان من خذله الله ، فبالإختيار والإكتساب عاقبتهم الله وأثابهم (5) .

الكافي عن محمد بن حكيم : قُلْتُ لِأبي عبد الله عليه السلام : المعرفة من صنع من هي ؟ قَالَ : مِنْ صُنْعِ اللَّهِ ، لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ . (6)

1- .الكهف : 101 .

2- .هود : 20 .

3- .في بحار الأنوار : «قلت : فعابهم؟ قال : لم يعيهم . . . لكن عابهم» ، وهو الأنسب للسياق .

4- .تفسير العياشي : ج 2 ص 351 ح 88 ، بحار الأنوار : ج 5 ص 306 ح 28 .

5- .التوحيد : ص 226 ح 7 عن عبد الرحيم القصير ، بحار الأنوار : ج 5 ص 30 ح 39 .

6- .الكافي : ج 1 ص 163 ح 2 ، التوحيد : ص 410 ح 1 ، بحار الأنوار : ج 4 ص 165 .

التوحيد عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: أَنَّهُ سُدِّئِلَ عَنِ الْمَعْرِفَةِ أَهْيَ مُكْتَسَبَةٌ؟ فَقَالَ: لَا. فَقِيلَ لَهُ: فَمِنْ صَنَعَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ وَمِنْ عَطَانِهِ هِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ. (1)

الإمام الصادق عليه السلام: سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ: الْمَعْرِفَةُ، وَالْجَهْلُ، وَالرِّضَا، وَالْغَضَبُ، وَالنَّوْمُ، وَالْبِقَظَةُ. (2)

الإمام الكاظم عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِهِ وَمَعْرِفَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَنْ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ رَحْمَةً مِنْهُ لِي، وَتَطَوُّلاً مِنْهُ عَلَيَّ بِالْإِيمَانِ. (3)

قرب الإسناد عن البنزطي: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِلنَّاسِ فِي الْمَعْرِفَةِ صُنْعٌ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: لَهُمْ عَلَيْهَا ثَوَابٌ؟ قَالَ: يَتَطَوَّلُ عَلَيْهِمُ بِالثَّوَابِ كَمَا يَتَطَوَّلُ عَلَيْهِمُ بِالْمَعْرِفَةِ. (4)

الإمام الجواد عليه السلام: قَامَ رَجُلٌ إِلَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ صِفْ لَنَا رَبِّكَ، فَإِنَّ مَن قَبَلْنَا قَدِ اخْتَلَفُوا عَلَيْنَا.

1- التوحيد: ص 416 ح 15.

2- الكافي: ج 1 ص 164 ح 1، الخصال: ص 325 ح 13، التوحيد: ص 411 ح 6، المحاسن: ج 1 ص 72 ح 29، مشكاة الأنوار: ص 261 ح 774، بحار الأنوار: ج 5 ص 221 ح 2.

3- كامل الزيارات: ص 95 ح 95 عن محمد بن الحسن بن الوليد، فرحة الغري: ص 80 عن يونس بن زبيان عن الإمام الصادق عليه السلام، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 587 ح 3197 من دون إسناد إلى المعصوم، بحار الأنوار: ج 100 ص 271 ح 14.

4- قرب الإسناد: ص 347 ح 1256، بحار الأنوار: ج 5 ص 221 ح 1 وراجع: تحف العقول: ص 444.

فَقَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّهُ مَنْ يَصِفُ رَبَّهُ بِالْقِيَّاسِ لَا يَزَالُ الدَّهْرُ فِي الْإِلْتِبَاسِ ، مَاثِلًا عَنِ الْمِنْهَاجِ ، ظَاعِنًا فِي الْإِعْوَجَاعِ ، ضَالًّا عَنِ السَّبِيلِ ، قَائِلًا غَيْرَ الْجَمِيلِ . أَعْرَفُهُ بِمَا عَرَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَاةٍ ، وَأَصْدَمُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ صُورَةٍ ، لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ ، مَعْرُوفٌ بِغَيْرِ تَشْبِيهِ ، وَمُتَمَدِّانٌ فِي بُعْدِهِ لَا - بِنَظِيرٍ ، لَا - يُمَثَّلُ بِخَلْقَتِهِ وَلَا - يَجُوزُ فِي قَضِيَّتِهِ ، الْخَلْقُ إِلَيَّ مَا عَلِمَ مُنْقَادُونَ وَعَلَيَّ مَا سَطَرَ فِي الْمَكْنُونِ (1) مِنْ كِتَابِهِ مَاضُونَ ، وَلَا يَعْمَلُونَ خِلَافَ مَا عَلِمَ مِنْهُمْ وَلَا غَيْرَهُ يُرِيدُونَ ، فَهُوَ قَرِيبٌ غَيْرٌ مُلْتَزِقٌ وَبَعِيدٌ غَيْرٌ مُتَقَصِّصٌ ، يُحَقِّقُ وَلَا يُمَثِّلُ ، وَيُوحِّدُ وَلَا يُبَعِّضُ ، يُعَرِّفُ بِالْآيَاتِ وَيُثَبِّتُ بِالْعَلَامَاتِ ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . (2)

بحار الأنوار عن صدِّحِ إدريس عليه السلام: بِالْحَقِّ عُرِفَ الْحَقُّ ، وَبِالنُّورِ أَهْتَدِيَ إِلَى النُّورِ ، وَبِالسَّمْسِ أَبْصَرْتُ الشَّمْسَ ، وَبِضَوْءِ النَّارِ رُئِيَ النَّارُ ، وَلَنْ يَسَعَ صَغِيرٌ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَلَا يَقِلُّ ضَعِيفٌ مَا هُوَ أَقْوَى مِنْهُ ، وَلَا يُحْتَاجُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيَّ الشَّيْءُ الْمُنِيرُ بِمَا هُوَ دُونَهُ ، وَلَا يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا الْمَأْخُودُ بِهِ عَنِ التَّوْفِيقِ ، وَاللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . (3)

راجع : ص 45 (الفِطْرَةُ) و 59 (المِيثَاقُ الْفِطْرِيُّ) و 62 (تَجَلِّي الْفِطْرَةِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ) .

1- كَنَّ الشَّيْءَ : سَتَرَهُ ، أَكْنَنْتُمْ : أَخْفَيْتُمْ (لسان العرب : ج 13 ص 360) .

2- التَّوْحِيدُ : ص 47 ح 9 عن مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ سَيَّارٍ عَنِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ عَنِ أَبِيهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، التَّفْسِيرُ الْمُنْسُوبُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ص 50 ح 24 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 297 ح 23 .

3- بحار الأنوار : ج 95 ص 466 نقلاً عن ابن مَتَّوِيهِ .

تحليل لأحاديث معرفة الله بالله

كيف عرّف الله نفسه للناس؟

تحليل لأحاديث معرفة الله باللّهقراًنا في أحاديث هذا الباب أنّ الله تعالى عرّف نفسه للناس ، وأنّ عليهم أن يعرفوه به ، وبملاحظة هذه الأحاديث يُثار سؤال وهو: ما المقصود من معرفة الله بالله؟ للمحدّثين والحكماء آراء شتّى في الإجابة عن السؤال ، كما يلاحظ بنظرة بدائية في متن الأحاديث تفاسير مختلفة لمعرفة الله بالله ، لكنّ التأمّل فيها يستبين أن لا خلاف يلوح في الأفق . وما يُستشفّ من التأمل في النصوص المأثورة هو أنّ المعرفة الحقيقيّة لله سبحانه لا تيسر إلا بالله نفسه ، وليس لأحدٍ أن يعرفه للناس حقّ تعريفه إلا هو _ جلّ شأنه _ ، من هنا أخذ سبحانه علي نفسه هداية الناس ، كما قال في كتابه: «إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى» (1) ، يُثار هنا سؤال آخر مفاده: كيف يعرف الله نفسه للناس ، ويهديهم إليه؟

كيف عرّف الله نفسه للناس؟ لو تأملنا لرأينا أنّ الله تعالى قد عرّف نفسه للناس ، وهيأ للبشر أنواع الآلات

والأدوات والإمكانات الداخلية والخارجية لمعرفة بكلّ طريق متيسر ، من هنا قال شيخ المحدثين في تفسير كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إذ قال: «اعرفوا الله بالله»: «عرفنا الله بالله لأننا إن عرفناه بعقولنا فهو عز وجل وإلهها؛ وإن عرفناه عز وجل بأنبيائه ورُسُلِهِ وحُجَجِهِ عليهم السلام فهو عز وجل باعترفهم ومُرسَلُهُم حُجَجًا؛ وإن عرفناه بأنفسنا فهو عز وجل مُحدِّثُهَا ، فَبهِ عَرَفْنَا» (1) . إن ما أودع الله في داخل وجود الإنسان لمعرفته ، هو فطرة معرفته ، والعقل والقلب ، تلك الأمور التي سيأتي تفصيلها في الفصل الثالث تحت عنوان «مبادئ معرفة الله» ، وما جعل في خارج وجوده ، هو الوحي والأنبياء . ومهمة الأنبياء عليهم السلام ، كما قال الإمام عليّ عليه السلام هي هداية الفطرة والعقل ، وإزالة الموانع والحجب التي تحول دون معرفة الله من بصائرهم: «فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ ، لِيَسْتَأْذِنُوا مِنْهُمِ مِثْقَالَ فِطْرَتِهِ ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ، وَيَحْتَجِّجُوا عَلَيْهِمِ بِالتَّبْلِيغِ ، وَيُثِيرُوا لَهُمِ دَفَائِنَ الْعُقُولِ ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ ...» (2) في ضوء ذلك ، وكما ورد في عدّة أحاديث (3) ، المعرفة من صنع الله ، فهو الذي علّم الإنسان أدوات معرفته ، وهياً له سبيل كسبها . و يستطيع الإنسان أن يشاهد مظاهر جماله سبحانه ببصيرته جليّةً ، مستظهاً بهداية الأنبياء وإزالة موانع المعرفة . وانطلاقاً من هذا التحليل يمكننا أن نقدّم ثلاثة تقاسير واضحة لمعرفة الله بالله وفقاً لمراتب معرفة الله :

- 1- التوحيد : ص 290 ذيل ح 10 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 273 .
- 2- نهج البلاغة : الخطبة 1 ، بحار الأنوار : ج 11 ص 60 ح 70 .
- 3- راجع : ص 21 «الله عز وجل» .

1 . معرفة الله عن طريق الآثار

2 . معرفة الله عن طريق التنزيه والتقديس

1 . معرفة الله عن طريق الآثار يعرف الله الخالق الحكيم القدير الإنسان بنفسه من خلال إراءته آثار علمه وقدرته وحكمته في نظام الوجود ، ويشير عدد من الأحاديث إلي هذا التفسير . «إِنَّمَا عَرَفَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَزَّ - نَفْسَهُ إِلَى خَلْقِهِ بِالْكَلَامِ وَالِدَّلَالَاتِ عَلَيْهِ وَالْأَعْلَامِ» (1) .

2 . معرفة الله عن طريق التنزيه والتقديس تنزيه الخالق سبحانه وتقديسه عن مشابهة المخلوقات هو التفسير الثاني لمعرفة الله بالله . قال المحدث الأقدم الشيخ الكليني قدس سره في تبيان هذا التفسير : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَشْخَاصَ وَالْأَنْوَارَ وَالْجَوَاهِرَ وَالْأَعْيَانَ ؛ فَالْأَعْيَانَ : الْأَبْدَانَ ، وَالْجَوَاهِرَ : الْأَرْوَاحَ ، وَهُوَ - جَلَّ وَعَزَّ - لَا يَشْبَهُ جِسْمًا وَلَا رُوحًا ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي خَلْقِ الرُّوحِ الْحَسَّاسِ الدَّرَاكُ أَمْرٌ وَلَا سَبَبٌ ، هُوَ الْمَتَفَرِّدُ بِخَلْقِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ ، فَإِذَا نَفَى عَنْهُ الشَّبْهَيْنِ : شَبْهَ الْأَبْدَانَ وَشَبْهَ الْأَرْوَاحِ ، فَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ بِاللَّهِ ، وَإِذَا شَبَّهَهُ بِالرُّوحِ أَوْ الْبَدَنِ أَوْ النُّورِ فَلَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ بِاللَّهِ » (2) . وقال صدر الدين الشيرازي قدس سره في معرفة الله بالله عن طريق التنزيه والتقديس : «وهو أن يستدلَّ أولاً بوجود الأشياء علي وجود ذاته ، ثم يعرف ذاته بنفي المثل والشبه عنه . . . فإذا نفى عنه ما عداه وسلب عنه شبه ما سواه سواء كانت أبدانا أو ارواحا ، فعرف أنه منزّه عن أن يوصف بشيء غير ذاته . . . فمن عرف الله بأنه لا يشبه شيئا من الأشياء ولا يشبهه شيء ، فقد عرف الله بالله لا بغيره» (3) .

1- .راجع : ص26 ح 3350 .

2- .الكافي : ج 1 ص 85 ح 1 .

3- .شرح أصول الكافي : ج 3 ص 61 .

3 . معرفة الله عن طريق الشهود القلبي

وجاء هذا التفسير أيضا في عدد من الأحاديث كقول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من سأله: كيف عرّفك نفسه؟ «لا يشبّهه صورة، ولا يحسّ بالحواسّ ولا يقاسُ بالناس» (1).

3 . معرفة الله عن طريق الشهود القلبيّ أنّهم تفسير لمعرفة الله بالله هو معرفته بواسطة الشهود القلبيّ إذ أنّ «استطالة الشيء بنفسه تُغني عن وصفه»، أو كما جاء في الأدب الفارسيّ (2) ما تعريبه: «بزوغ الشّمس دليل علي الشّمس». وأشار عدد من الأحاديث إلي هذا التفسير (3) كالذي ورد في صَدْحَفِ إدريس عليه السلام: «بِالْحَقِّ عُرِفَ الْحَقُّ، وَبِالنُّورِ أُهْتَدِيَ إِلَى النُّورِ وَبِالشَّمْسِ أُبْصِرَتِ الشَّمْسُ». (4) وقال صدر الدّين الشيرازيّ قدس سره في شرح أصول الكافي حول معرفة الله بالله: «إنّ معرفة الله بالله له وجهان أحدهما: إدراك ذاته بطريق المشاهدة وصریح العرفان . والثاني: بطريق التنزيه والتقديس...» (5). وقال الإمام الخميني رحمه الله في شرح: «إِعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ، وَالرَّسُولَ بِالرَّسَالَةِ، وَأُولِي الْأَمْرِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ»: «فبعد أن يغادر السالك إلي الله _ بخطوات ترويض النفس والتقوي الكاملة _ بيت النفس، ولم يصطحب معه في هذا الخروج العُلقة الدنيوية، والتعقّبات،

1- راجع: ص 315 ح 3783 .

2- آفتاب آمد دليل آفتاب .

3- راجع: ص 72 «القلب» .

4- راجع: ص 31 ح 3367 .

5- شرح أصول الكافي: ج 3 ص 61 .

ويتحقق له السفر إلى الله سبحانه، يتجلي له الحق المتعالي قبل كل شيء، علي قلبه المقدس بالألوهية ومقام ظهور الأسماء والصفات . ويكون هذا التجلي أيضا مرتباً ومنظماً، حيث ينطلق من الأسماء المحاطة مرورا بالأسماء المحيطة حسب شدة السير وضعفه وحسب قوة قلب السالك وضعفه علي التفصيل الذي لا يستوعبه هذا الكتاب المختصر، حتي ينتهي إلي رفض كل تعينات عالم الوجود سواء كانت تعينات تعود إلي نفسه أو تعينات راجعة إلي غيره والتي تعتبر _ أي هذه التعينات الغيرية _ في المنازل والمراحل التالية من التعينات العائدة إلي نفسه أيضا وبعد الرفض المطلق ، يتم التجلي بالألوهية، ومقام الله الذي هو مقام أحديّة جمع ظهور الأسماء، وتظهر «إعرفوا الله _ بالله _» في مرتبتها الأوّليّة النّازلة . ولدي وصول العارف إلي هذا المقام والمنزلة، يفني في هذا التجلي، فإذا وسعته العناية الأزليّة، لحصل للعارف الفاني في هذا التجلي، استيناس، ولزالت عنه وحشة الطريق ونصب السفر، واستفاق، فلم يقتنع بهذا المقام، ويستمرّ بخطوات ملؤها الشوق والعشق، ويكون الحقّ المتعالي في سفر العشق هذا مبدأ السفر والباعث علي السفر ونهاية السفر، وتتمّ خطواته في أنوار التجلي، فيسمع هاتفا يقول له «تقدّم» ويستمرّ في التقدّم إلي أن تتجلي في قلبه بصورة مرتّبة ومنظمة، الأسماء والصفات في مقام الواحدية، حتي يبلغ مقام الأحديّة، ومقام الاسم الأعظم الذي هو اسم الله ، فيتحقق في هذا المقام «إعرفوا الله بالله» في مرتبة عالية . ويوجد أيضا بعد هذا المقام، مقام آخر لا مجال لذكره فعلاً». (1)

2 / 2 الأنبياء الكتاب «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ». (1)

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ». (2)

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ». (3)

«أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَعْيُنِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ». (4)

الحديث رسول الله صلي الله عليه وآله: الحمد لله... المحتجب بنوره دون خلقه... وابتعث فيهم النبيين... ليعقب العباد عن ربهم ما جهلوه؛ فيعرفوه بربوبيته بعدما أنكروا، ويوحده بالالهية بعدما عضدوا (5). (6)

1- الأنبياء : 25 .

2- النحل : 36 .

3- يوسف : 108 .

4- الغاشية : 17 _ 22 .

5- عضدوا : أي ذهبوا يمينا وشمالاً؛ من قولك عضدت الدابة : أي مشيت إلي جانبها يمينا أو شمالاً (انظر المصباح المنير : ص 415) وفي بحار الأنوار وعلل الشرائع : «عندوا» بدل «عضدوا» .

6- التوحيد : ص 44 ح 4 عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام ، علل الشرائع : ص 119 ح 1 عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه ، كفاية الأثر : ص 160 عن هشام بن محمد عن أبيه عن الإمام الحسن عليه السلام وليس فيه ذيله ، بحار الأنوار : ج 4 ص 288 ح 19 .

الإمام علي عليه السلام في بيان رسالة الأنبياء: فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وواتر (1) إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ؛ لِيَسْتَأْذِنَهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرَهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجِّجُوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ. (2)

عنه عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ عِبَادِهِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ عُهُودِ عِبَادِهِ إِلَى عُهُودِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ عِبَادِهِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَمِنْ وِلَايَةِ عِبَادِهِ إِلَى وِلَايَتِهِ؛ بِشِيرَا وَتَذِيرَا وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَا مُنِيرَا، عَوْدَا وَبَدَا، وَعُذْرَا وَتُذْرَا، بِحُكْمٍ قَدْ فَصَّلَهُ وَتَفْصِيلٍ قَدْ أَحْكَمَهُ، وَفُرْقَانٍ قَدْ فَرَّقَهُ وَفُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقَرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. (3)

عنه عليه السلام: بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، يُقْرَأُ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقَرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. (4)

الإمام الصادق عليه السلام لِّلزَّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَهُ: مِنْ أَيْنَ أَثَبَّتَ الْأَنْبِيَاءُ؟: إِنَّا لَمَّا أَثَبْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا صَانِعًا مُتَعَالِيًا عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، وَكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيمًا مُتَعَالِيًا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ، وَلَا يُلَامِسُوهُ، فَيُبَاشِرُهُمْ وَيُبَاشِرُوهُ، وَيُحَاجُّهُمْ وَيُحَاجُّوهُ، ثَبَّتَ أَنَّ لَهُ سَفْرَاءَ فِي خَلْقِهِ يُعْبِرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ، وَمَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ وَفِي تَرْكِهِ فَنَاءُؤُهُمْ. (5)

- 1- وَاثَرَتْ الْكُتُبَ فَتَوَاتَرَتْ: أَي جَاءَتْ بَعْضُهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ وَتَرَا وَتَرَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْقَطِعَ (الصَّحَاحُ: ج 2 ص 843).
- 2- نَهَجَ الْبَلَاغَةَ: الْخُطْبَةَ 1، بَحَارِ الْأَنْوَارِ: ج 11 ص 60 ح 70.
- 3- الْكَافِي: ج 8 ص 386 ح 586 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِيهِ، بَحَارِ الْأَنْوَارِ: ج 77 ص 365 ح 34 وَرَاجِعُ: التَّفْسِيرِ الْمَنْسُوبِ إِلَى الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ص 599.
- 4- نَهَجَ الْبَلَاغَةَ: الْخُطْبَةَ 147، بَحَارِ الْأَنْوَارِ: ج 18 ص 221 ح 55.
- 5- الْكَافِي: ج 1 ص 168 ح 1، التَّوْحِيدُ: ص 249 ح 1، عِلَلُ الشَّرَائِعِ: ص 120 ح 3 كُلُّهَا عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، الْاِحْتِجَاجُ: ج 2 ص 213 ح 223، بَحَارِ الْأَنْوَارِ: ج 11 ص 29 ح 20.

الإمام الكاظم عليه السلام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله . (1)

3 / 2 أهل البيت رسول الله صلي الله عليه وآله وأنا وعلي أبو هذه الأمة ، من عرفنا فقد عرف الله عز وجل ، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عز وجل . (2)

عنه صلي الله عليه وآله: يا علي ، ما عرف الله إلا بي ثم بك ، من جحد ولايتك جحد الله ربوبيته . (3)

الإمام علي عليه السلام: إن الله - تبارك وتعالى - لو شاء لعرف العباد نفسه ، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يوتي منه ؛ فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإتهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ولا سواء (4) حيث ذهب الناس إلي عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلي عيون صافية تجري بأمر ربها ، لا نفاذ لها ولا انقطاع . (5)

عنه عليه السلام: أنا باب حطة ، من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه ؛ لأنني وصي نبي في أرضه . (6)

- 1- الكافي: ج 1 ص 16 ح 12 عن هشام بن الحكم ، تحف العقول: ص 386 ، بحار الأنوار: ج 78 ص 300 ح 1 .
- 2- كمال الدين: ص 261 ح 7 عن الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام ، الأمالي للصدوق: ص 755 ح 1015 عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه صلي الله عليه وآله ، بحار الأنوار: ج 16 ص 364 ح 66 .
- 3- كتاب سليم بن قيس: ج 2 ص 855 ح 44 عن سلمان وأبي ذر والمقداد ، بحار الأنوار: ج 22 ص 148 ح 141 .
- 4- في بصائر الدرجات ومختصره: «ولا سواء من ذهب حيث ذهب الناس ، ذهب الناس ...» .
- 5- الكافي: ج 1 ص 184 ح 9 ، مختصر بصائر الدرجات: ص 55 ، بصائر الدرجات: ص 497 ح 8 كلها عن مقرر عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار: ج 24 ص 253 وراجع تفسير فرات: ص 143 ح 174 .
- 6- التوحيد: ص 165 ح 2 ، معاني الأخبار: ص 18 ح 14 ، الاختصاص: ص 248 كلها عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار: ج 4 ص 9 ح 18 .

عنه عليه السلام: مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ، وَهُوَ الدِّينُ الخَالِصُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ» (1). (2)

الإمام الباقر عليه السلام: بِنَا عُبْدِ اللَّهِ، وَبِنَا عَرَفِ اللَّهِ، وَبِنَا وَحَدِّ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - . (3)

تفسير العياشي عن أبي حمزة الثمالي: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَا حَمَزَةَ، إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ، فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ كَأَنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ هَكَذَا ضَالًّا. قُلْتُ: أَصَلَحَكَ اللَّهُ، وَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: يُصَدِّقُ اللَّهَ وَيُصَدِّقُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَوْلَاةٍ عَلَيَّ وَالْإِتِّمَامِ بِهِ، وَبِأَيْمَةِ الْهُدَى مِنْ بَعْدِهِ، وَالْبِرَاءَةِ إِلَيَّ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَكَذَلِكَ عَرَفَانُ اللَّهِ. (4)

الإمام الصادق عليه السلام: جَاءَ ابْنُ الْكَوَّاءِ إِلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، «وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلَامَ بَسِيمَاهُمْ» (5). فَقَالَ: نَحْنُ عَلَيَّ الْأَعْرَافِ، نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسِيمَاهُمْ، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِي لَا يَعْرِفُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا. (6)

1- .البينة: 5.

2- .بحار الأنوار: ج 26 ص 1 ح 1 نقلاً عن كتاب عتيق، مشارق أنوار اليقين: ص 160 نحوه وكلاهما عن سلمان وأبي ذرّ.

3- .الكافي: ج 1 ص 145 ح 10، بصائر الدرجات: ص 64 ح 16 وفيه «وعد» بدل «وحد» وكلاهما عن بريد العجلي، التوحيد: ص

152 ح 9 عن ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه وليس فيه ذيله، بحار الأنوار: ج 23 ص 102 ح 8.

4- .تفسير العياشي: ج 2 ص 116 ح 155، بحار الأنوار: ج 27 ص 57 ح 16.

5- .الأعراف: 46.

6- .الكافي: ج 1 ص 184 ح 9 عن مقرن، مختصر بصائر الدرجات: ص 52، بصائر الدرجات: ص 497 ح 6، تفسير فرات: ص 143

ح 174 كلّها عن الأصبغ بن نباتة عن الإمام عليّ عليه السلام نحوه، بحار الأنوار: ج 8 ص 338 ح 14.

2 / 4 أتباع الأنبياء

عنه عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يُوتي منها، ولولا هم ما عرف الله عز وجل، وبهم احتج الله - تبارك وتعالى علي - خلقه. (1)

عنه عليه السلام: إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، فجعلنا خزائنه في سماواته وأرضه، ولولا ما عرف الله. (2)

الإمام الكاظم عليه السلام - في زيارة الأئمة عليهم السلام -: السلام علي محال معرفة الله... من عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله. (3)

راجع: أهل البيت في الكتاب والسنة: القسم الثالث / الفصل الأول / أبواب الله.

2 / 4 أتباع الأنبياء الكتاب «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَالِيًا بَصِيرَةً أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي». (4)

الحديث الكافي عن الزهري: دخل رجال من قريش علي علي بن الحسين - صلوات الله عليهما - فسألوه: كيف الدعوة إلي الدين؟

- 1- الكافي: ج 1 ص 193 ح 2 عن أبي بصير.
- 2- مسائل علي بن جعفر: ص 319 ح 801، بصائر الدرجات: ص 105 ح 9 كلاهما عن علي بن جعفر عن أخيه الإمام الكاظم عليه السلام، بحار الأنوار: ج 26 ص 107 ح 10 وراجع: بصائر الدرجات: ص 105 ح 11.
- 3- الكافي: ج 4 ص 579 ح 2 عن علي بن حسان عن الإمام الرضا عليه السلام، تهذيب الأحكام: ج 6 ص 102 ح 178، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 608 ح 3212، عيون أخبار الرضا: ج 2 ص 271 ح 1 كلها عن علي بن حسان عن الإمام الرضا عليه السلام، بحار الأنوار: ج 100 ص 222 ح 20.
- 4- يوسف: 108.

قال: تقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى دِينِهِ. وَجَمَاعُهُ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْآخَرُ: الْعَمَلُ بِرِضْوَانِهِ. وَإِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْ يُعْرَفَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالرَّافَةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْعِزَّةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْعُلُوِّ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ النَّافِعُ الصَّانِعُ، الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا سِوَاهُ هُوَ الْبَاطِلُ. فَإِذَا أَجَابُوا إِلَيَّ ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيَّ الْمُسْلِمِينَ. (1)

1- الكافي: ج 5 ص 36 ح 1، تهذيب الأحكام: ج 6 ص 141 ح 239.

الفصل الثالث: مبادئ معرفة الله

3 / 1 الفطرة

إشارة

الفصل الثالث: مبادئ معرفة الله 3 / 1 الفطرة الكتاب «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» . (1)

«صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ» . (2)

«حُفْنَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» . (3)

«وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» . (4)

راجع : العنكبوت : 61 ، الزخرف : 9 .

1- الروم : 30 .

2- البقرة : 138 .

3- الحجج : 31 .

4- لقمان : 25 ، الزمر : 38 .

الحديث الكافي عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام ، قال :سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «حُنْفَاءٌ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ» ؟ قَالَ : الْحَنِيفِيَّةُ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا «لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» قَالَ : فَطَرَهُمْ عَلَيَّ الْمَعْرِفَةَ بِهِ . (1)

التوحيد عن زرارة :قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : _ أَصْلَحَكَ اللَّهُ _ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : «فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» ؟ قَالَ : فَطَرَهُمْ عَلَيَّ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْمِيثَاقِ عَلَيَّ مَعْرِفَتِهِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ . قُلْتُ : وَخَاطَبُوهُ ؟ قَالَ : فَطَاطَ أَرَأَيْتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَعْلَمُوا مَنْ رَبُّهُمْ وَلَا مَنْ رَأَزَقَهُمْ . (2)

معاني الأخبار عن زرارة :سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «حُنْفَاءٌ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ» وَقُلْتُ : مَا الْحَنِيفِيَّةُ ؟ (3) قَالَ : هِيَ الْفِطْرَةُ . (4)

المحاسن عن زرارة :سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : «فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» .

-
- 1- الكافي: ج 2 ص 12 ح 4، التوحيد: ص 330 ح 9، مختصر بصائر الدرجات: ص 160 وفيهما «هي الفطرة» بدل «من الفطرة»، بحار الأنوار: ج 67 ص 135 ح 7.
 - 2- التوحيد: ص 330 ح 8، مختصر بصائر الدرجات: ص 160 وفيه «عائنه» بدل «خاطبوه»، بحار الأنوار: ج 3 ص 278 ح 10.
 - 3- في المصدر: «الحنفيّة»، والتصويب من بحار الأنوار و المحاسن .
 - 4- معاني الأخبار: ص 350 ح 1، المحاسن: ج 1 ص 375 ح 824 وزاد فيه «التي فطر الناس عليها، فطر الله الخلق علي معرفته»، بحار الأنوار: ج 3 ص 276 ح 1.

قَالَ: فَطَرَهُمْ عَلَيَّ مَعْرِفَتِهِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْلَمُوا إِذَا سُئِلُوا مَنْ رَبُّهُمْ وَلَا مَنْ رَازِقُهُمْ . (1)

الإمام الباقر عليه السلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَيَّ الْفِطْرَةَ؛ يَعْنِي عَلَيَّ الْمَعْرِفَةَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُ، كَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ». (2)

الكافي عن زرارة: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيَّهَا». قَالَ: فَطَرَهُمْ جَمِيعًا عَلَيَّ التَّوْحِيدِ . (3)

الكافي عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ: «فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيَّهَا»؟ قَالَ: التَّوْحِيدُ . (4)

الإمام الصادق عليه السلام في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «صَبَّغَةَ اللَّهُ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً» -: الْإِسْلَامُ . (5)

-
- 1- المحاسن: ج 1 ص 375 ح 825، بحار الأنوار: ج 3 ص 279 ح 13 وراجع مختصر بصائر الدرجات: ص 160 .
 - 2- الكافي: ج 2 ص 13 ح 4، التوحيد: ص 331 ح 9، مختصر بصائر الدرجات: ص 161 كلّها عن زرارة، بحار الأنوار: ج 67 ص 135 ح 7 .
 - 3- الكافي: ج 2 ص 12 ح 3 و ص 13 ح 5 عن محمد الحلبي، التوحيد: ص 329 ح 6 و ح 4 و 5 عن محمد الحلبي، المحاسن: ج 1 ص 375 ح 823، بحار الأنوار: ج 3 ص 278 ح 8 .
 - 4- الكافي: ج 2 ص 12 ح 1، التوحيد: ص 328 ح 2 و ح 1 عن العلاء بن فضيل، الأمالي للطوسي: ص 660 ح 1366 عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام، بحار الأنوار: ج 3 ص 277 ح 4 .
 - 5- الكافي: ج 2 ص 14 ح 1 عن عبد الله بن سنان و ح 2 عن حمران و ح 3 عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام، معاني الأخبار: ص 188 ح 1 عن أبان، تفسير العياشي: ج 1 ص 62 ح 108 عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام وعن حمران عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج 67 ح 132 ح 2 وراجع: المحاسن: ج 1 ص 375 ح 822 .

تفسير الطبري عن قتادة في قوله تعالى: «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً»: «إِنَّ الْيَهُودَ تَصْبِغُ أَبْنَاءَهَا يَهُودًا، وَالنَّصَارَى تَصْبِغُ أَبْنَاءَهَا نَصَارَى، وَإِنَّ صِبْغَةَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، فَلَا صِبْغَةَ أَحْسَنُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَلَا أَطَهَرَ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ نُوحًا وَالْأَنْبِيَاءَ بَعْدَهُ». (1)

رسول الله صلى الله عليه وآله: كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَيَّ الْفِطْرَةَ حَتَّى يُعْرَبَ (2) عَنْهُ لِسَانُهُ، فَإِذَا أَعْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَافِرًا. (3)

عنه صلى الله عليه وآله: كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَيَّ الْفِطْرَةَ حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبْوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا وَيُنَصِّرَانِهَا. (4)

مسند ابن حنبل عن الأسود بن سريع: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ سَدْرِيَّةً يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ، فَأَفْضَى بِهِمُ الْقَتْلَ إِلَى الذَّرِيَّةِ، فَلَمَّا جَاؤُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا حَمَلَكُمُ عَلَيَّ قَتْلَ الذَّرِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانُوا أَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: أَوْهَلْ خِيَارِكُمْ إِلَّا أَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ؟! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَسَمَةٍ

1- تفسير الطبري: ج 1 الجزء الأول ص 570، فتح الباري: ج 8 ص 161 نحوه، الدر المنثور: ج 1 ص 340 نقلاً عن عبد بن حميد وابن المنذر.

2- أعرب الرجل عن نفسه، إذا بين وأوضح (مقاييس اللغة: ج 4 ص 299). والظاهر أن الإعراب في هذا الموضع كناية عن تمييز الحق والباطل.

3- مسند ابن حنبل: ج 5 ص 129 ح 14811 عن جابر بن عبد الله، المصنّف لعبد الرزاق: ج 5 ص 203 ح 9386 وليس فيه ذيله من «فإذا أعرب»، تفسير ابن كثير: ج 6 ص 321.

4- مسند ابن حنبل: ج 5 ص 303 ح 15589، السنن الكبرى: ج 9 ص 132 ح 18089، المعجم الكبير: ج 1 ص 284 ح 829، مسند أبي يعلى: ج 1 ص 444 ح 938 وفيه «مولود» بدل «نسمة» وكلها عن الأسود بن سريع، كنز العمال: ج 4 ص 382 ح 11014.

تَوْلَدُ إِلَّا عَلَيَّ الْفِطْرَةَ حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهَا لِسَانُهَا . (1)

رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من مولودٍ إلا يولدُ عليَّ الفِطْرَةَ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ (2)

سنن الترمذي عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلُّ مولودٍ يولدُ عليَّ المِلَّةِ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. قيل: يا رسول الله، فمن هلك قبل ذلك؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين به. (3)

رسول الله صلى الله عليه وآله: كلُّ مولودٍ يولدُ من والدٍ (4) كافرٍ أو مسلمٍ فإنَّما يولدون عليَّ الفِطْرَةَ عَلَيَّ الْإِسْلَامِ كُلُّهُمْ، ولكنَّ الشَّيَاطِينَ أَتَتْهُمْ فَاجْتَالَتْهُمْ (5) عَنْ دِينِهِمْ فَهَوَّدَتْهُمْ وَنَصَرَتْهُمْ وَمَجَّسَتْهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا . (6)

- 1- .مسند ابن حنبل: ج 5 ص 303 ح 15588 ، السنن الكبرى: ج 9 ص 219 ح 18334 ، المستدرک علی الصحیحین: ج 2 ص 134 ح 2566 وفيه «يوم خبير» بدل «يوم حنين» ، المصنّف لعبد الرزّاق: ج 11 ص 122 ح 20090 نحوه .
- 2- .صحیح البخاري: ج 4 ص 1792 ح 4497 وج 1 ص 456 ح 1293 ، صحیح مسلم: ج 4 ص 2047 ح 22 ، سنن أبي داود: ج 4 ص 229 ح 4714 ، الموطأ: ج 1 ص 241 ح 52 ، مسند ابن حنبل: ج 3 ص 14 ح 7184 وص 108 ح 7716 ، السنن الكبرى: ج 6 ص 333 ح 12138 كلّها عن أبي هريرة، كنز العمال: ج 1 ص 261 ح 1308 .
- 3- .سنن الترمذي: ج 4 ص 447 ح 2138 وراجع صحیح مسلم: ج 4 ص 2048 ح 23 والسنن الكبرى: ج 6 ص 334 ح 12141 .
- 4- .في المصدر: «ولد» ، والتصويب من كنز العمال .
- 5- .أي استخفقتهم فجالوا معهم في الضلال . يقال: جالَ واجتالَ: إذا ذهب وجاء . واجتالَ الشيء: إذا ذهب به وساقه . والجالل: الزائل عن مكانه (النهاية: ج 1 ص 317) .
- 6- .نوادير الأصول: ج 1 ص 197 عن أنس ، كنز العمال: ج 1 ص 266 ح 1336 .

عنه صلي الله عليه وآله: الأ- إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا... إني خلقت (1) عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم. (2)

عنه صلي الله عليه وآله في الدعاء: يا من فتق العقول بمعرفته. (3)

الإمام علي عليه السلام: اللهم خلقت القلوب علي إرادتك، وفطرت العقول علي معرفتك، فتعلمت (4) الأفيدة من مخافتك، وصرخت القلوب بالولاه، وتفاصرت وسع قدر العقول عن الثناء عليك، وانقطعت الألفاظ عن مقدار محاسنك، وكلت الألسن عن إحصاء نعمك، فإذا ولجت بطرق البحث عن نعتك بهرتها حيرة العجز عن إدراك وصفك، فهي تردد في التفتير عن مجاوزة ما حددت لها؛ إذ ليس لها أن تتجاوز ما أمرتها. (5)

تفسير العياشي عن زرارة: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ» إني قوله: «قَالُوا بَلَى». قال: كان محمد عليه وآله السلام أول من قال: بلى. قلت: كانت رؤية معاينة؟ قال: فأثبت المعرفة في قلوبهم. (6)

1- في الكلام حذف؛ أي: قال الله تعالى... (هامش المصدر).

2- صحيح مسلم: ج 4 ص 2197 ح 63، المعجم الكبير: ج 17 ص 358 ح 987 وص 362 ح 996، تليس إبليس: ص 24، مسند ابن حنبل: ج 6 ص 156 ح 17491 وفيه «فأضلتهم» بدل «فاجتالهم» وكلها عن عياض بن حمار وراجع: الفردوس: ج 3 ص 178 ح 4483 وكنز العمال: ج 4 ص 438 ح 11306 ونثر الدر: ج 1 ص 245.

3- بحار الأنوار: ج 95 ص 204 ح 37 نقلاً عن جنة الأمان، مصباح المتعجب: ص 156 ح 249 وص 280 ح 387 كلاهما من دون إسناد إلي المعصوم.

4- تملل: تقلب (القاموس المحيط: ج 4 ص 52).

5- مهج الدعوات: ص 154، بحار الأنوار: ج 95 ص 403 ح 34.

6- تفسير العياشي: ج 2 ص 39 ح 108، بحار الأنوار: ج 5 ص 257 ح 58.

الإمام علي عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُلهِمِ عِبَادَهُ حَمْدَهُ، وَفَاطِرِهِمْ عَلِي مَعْرِفَةَ رَبُّوبِيَّتِهِ، الدَّالُّ عَلِي وَجُودِهِ بِخَلْقِهِ... لَا تَحْجُبُهُ الْحُجُبُ، وَالْحِجَابُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ خَلْقُهُ إِيَّاهُمْ؛ لَا مِتْنَاعَهُ مِمَّا يُمْكِنُ فِي ذَوَاتِهِمْ، وَلَا مَكَانٍ (1) مِمَّا يَمْتَنِعُ مِنْهُ، وَلَا فِتْرَاقِ الصَّانِعِ مِنَ الْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ مِنَ الْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ مِنَ الْمَرْبُوبِ. (2)

عنه عليه السلام: إِنَّ أَفْضَلَ مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ؛ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ. (3)

الكافي عن بكير بن أعين: كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ شَيْعَتِنَا بِالْوِلَايَةِ وَهُمْ ذُرِّيَّةُ يَوْمِ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَي الذَّرِّ، وَالْإِقْرَارَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَلِ مُحَمَّدٍ صَلِي اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنُّبُوَّةِ. (4)

الإمام الباقر عليه السلام: كَانَتْ شَرِيعَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَخَلَعَ الْأَنْدَادِ، وَهِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي فُطِرَ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ عَلَي نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَي النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. (5)

1- «ولامكان» بالتثنية بحذف المضاف إليه؛ أي: ولإمكان ذواتهم. وفي توحيد الصدوق رحمهم الله هكذا: «ولامكان ذواتهم مما يمتنع منه ذاته» وهو الصواب وكان اللفظتين سقطتا من قلم النساخ (الوافي: ج 1 ص 437).

2- الكافي: ج 1 ص 139 ح 5 عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص 56 ح 14 عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا عليه السلام.

3- كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 205 ح 613، نهج البلاغة: الخطبة 110، علل الشرائع: ص 247 ح 1، الزهد للحسين بن سعيد: ص 13 ح 27، تحف العقول: ص 149، المحاسن: ج 1 ص 451 ح 1040، الأمالي للطوسي: ص 216 ح 380 عن أبي بصير عن الإمام الباقر عنه عليهما السلام، بحار الأنوار: ج 77 ص 398 ح 21 وراجع: كنز العمال: ج 16 ص 231 ح 44276.

4- الكافي: ج 1 ص 436 ح 1، المحاسن: ج 1 ص 228 ح 411، تفسير العياشي: ج 1 ص 180 ح 73، بحار الأنوار: ج 5 ص 250 ح 43.

5- الكافي: ج 8 ص 282 ح 424، تفسير العياشي: ج 2 ص 144 ح 18 كلاهما عن إسماعيل الجعفي، بحار الأنوار: ج 11 ص 331 ح 53.

الإمام الحسين عليه السلام من دُعائه يَوْمَ عَرَفَةَ: لِكِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي رَافَةً مِنْكَ وَتَحَنُّنًا عَلَيَّ، لِذِي سَبَقَ لِي مِنَ الْهُدَى الَّذِي فِيهِ يَسَّرْتَنِي، وَفِيهِ أَنْشَأْتَنِي، وَمَنْ قَبْلَ ذَلِكَ رَوَّفْتَ بِي بِجَمِيلِ صَدْنِعِكَ وَسَوَابِغِ نِعْمَتِكَ . . . فَرَبَّيْتَنِي زَائِدًا فِي كُلِّ عَامٍ، حَتَّى إِذَا كَمُلْتَ فِطْرَتِي وَاعْتَدَلْتَ سَرِيرَتِي أَوْجَبْتَ عَلَيَّ حُجَّتَكَ؛ بِأَنَّ أَلْهَمْتَنِي مَعْرِفَتَكَ، وَرَوَّعْتَنِي بِعَجَائِبِ فِطْرَتِكَ، وَأَنْطَقْتَنِي لِمَا ذَرَأْتَ فِي سَمَانِكَ وَأَرْضِكَ مِنْ بَدَائِعِ خَلْقِكَ، وَتَبَهَّتَنِي لِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَوَأَجِبِ طَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ، وَفَهَّمْتَنِي مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُكَ، وَيَسَّرْتَ لِي تَقَبُّلَ مَرْضَاتِكَ، وَمَنَنْتَ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ بِعَوْنِكَ وَلُطْفِكَ. (1)

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَيَّ الْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَهُمْ عَلَيْهَا، لَا يَعْرِفُونَ إِيمَانًا بِشَرِيعَةٍ، وَلَا كُفْرًا بِجُحُودٍ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ الرَّسُلَ تَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ. (2)

عنه عليه السلام: كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَبَابِهِ (3) عَلَيَّ الْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَخَلْقِ عَلَيْهَا، حَتَّى هَدَاهُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِلَى دِينِهِ وَاجْتِبَاهُ. (4)

عنه عليه السلام - فِي صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ -: عَارِفٌ بِالْمَجْهُولِ، مَعْرُوفٌ عِنْدَ كُلِّ جَاهِلٍ. (5)

عنه عليه السلام - لِلْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ -: فَكَّرْ يَا مُفَضَّلُ، فِيمَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ عِلْمَهُ وَمَا مُنِعَ؛ فَإِنَّهُ أُعْطِيَ عِلْمَ جَمِيعِ مَا فِيهِ صَدَاحُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ؛ فَمِمَّا فِيهِ صَدَاحُ دِينِهِ مَعْرِفَةُ الْخَالِقِ

1- الإقبال: ج 2 ص 75، بحار الأنوار: ج 60 ص 372 ح 81.

2- الكافي: ج 2 ص 417 ح 1، علل الشرائع: ص 121 ح 5 كلاهما عن حسين بن نعيم الصحاف، بحار الأنوار: ج 69 ص 213 ح 1.

3- الشيبية: الحداثة، وهو خلاف الشيب (الصحاح: ج 1 ص 151).

4- الكافي: ج 8 ص 370 ح 560 عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي، بحار الأنوار: ج 12 ص 44 ح 38.

5- الكافي: ج 1 ص 91 ح 2، التوحيد: ص 58 ح 15 كلاهما عن حماد بن عمرو النصيبي، بحار الأنوار: ج 4 ص 286 ح 18.

— تَبَارَكَ وَتَعَالَى — بِالذَّلِيلِ وَالشَّوَاهِدِ الْقَائِمَةِ فِي الْخَلْقِ ، وَمَعْرِفَةِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَبِرِّ الْوَالِدِينَ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَمُؤَاسَاةِ أَهْلِ الْخَلَّةِ (1) ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ تَوَجَّدَ مَعْرِفَتُهُ وَالْإِقْرَارُ وَالْإِعْتِرَافُ بِهِ فِي الطَّبَعِ وَالْفِطْرَةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مُوَافِقَةٍ أَوْ مُخَالَفَةٍ . (2)

عنه عليه السلام : قَالَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : حُبُّ الْأَطْفَالِ ؛ فَإِنِّي فَطَرْتُهُمْ عَلَيَّ تَوْحِيدِي ؛ فَإِنِ أُمَّتُهُمْ أَدْخَلْتُهُمْ بِرَحْمَتِي جَنَّتِي . (3)

الإمام الرضا عليه السلام : بِصُنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ ، وَبِالْعُقُولِ تُعْتَمَدُ مَعْرِفَتُهُ ، وَبِالْفِطْرَةِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ . (4)

راجع : ص 21 (اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) و 59 (الميثاقُ الفِطْرِيُّ) و 62 (تجَلِّي الفِطْرَةِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ) .

- 1- الخَلَّةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ وَالْخِصَاصَةُ (القاموس المحيط : ج 3 ص 370).
- 2- بحار الأنوار : ج 3 ص 82 عن المفصّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفصّل .
- 3- المحاسن : ج 1 ص 457 ح 1057 عن المساور ، بحار الأنوار : ج 104 ص 97 ح 57 .
- 4- التوحيد : ص 35 ح 2 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 151 ح 51 كلاهما عن القاسم بن أيوب العلوي ، الأماشي للمفيد : ص 254 ح 4 عن محمّد بن زيد الطبري ، الأماشي للطوسي : ص 22 ح 28 عن محمّد بن يزيد الطبري ، تحف العقول : ص 62 عن الإمام علي عليه السلام وفيه «وبالفكرة» بدل «وبالفطرة» ، الاحتجاج : ج 2 ص 360 ح 283 ، بحار الأنوار : ج 4 ص 228 ح 3 .

توضيح حول فطرة معرفة الله

توضيح حول فطرة معرفة اللّهانّ أول مبدأ لمعرفة الله هو فطرة الإنسان وجبلته. وتنقسم الآيات والأحاديث التي تدلّ علي هذا المفهوم _ كما لوحظ في الفصل الثالث _ إلي ثلاثة طوائف ، هي : الطائفة الأولى : الآيات والأحاديث الدالّة علي أنّ معرفة الله أودعت في سرائر الناس جميعاً بشكل شعور فطريّ . وقد وردت صفوة هذه الآيات والأحاديث في الحديث النبويّ الشريف : «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَي الفِطْرَةِ ، يَعْنِي عَلَي المَعْرِفَةِ بِأَنَّ اللهَ عز و جل خَالِقُهُ» (1) . الطائفة الثانية : النصوص الدالّة علي أنّ الله سبحانه أخذ الميثاق من الناس قاطبةً علي ربوبيّته قبل ولادتهم ، كقوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَي أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا» (2) . سأل زُرارة _ وهو من أجلاء أصحاب الإمام الصادق عليه السلام _ الإمام عن كيفية أخذ

1- راجع : ص 47 ح 3390 .

2- الأعراف: 172 .

اللَّهِ الْإِقْرَارَ بِرَبوبيَّتِهِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ثَبَّتِ الْمَعْرِفَةُ فِي قُلُوبِهِمْ» . وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ : «أَثَبَتِ الْمَعْرِفَةَ فِي قُلُوبِهِمْ» (1) . وَعَنْ ابْنِ مَسْكَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» قَالَ : قُلْتُ : مُعَايَنَةً كَانَ هَذَا ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَعَمْ ، فَثَبَّتِ الْمَعْرِفَةَ وَسَوَّاءَ الْمَوْقِفِ وَسَيِّدُ كُرُونَهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَنْ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَقْرَبَ بِلِسَانِهِ فِي الذَّرِّ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ ، فَقَالَ اللَّهُ : «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ» (2) .

(3) الجدير بالذكر أنه يمكن تفسير الآيات والأحاديث التي تناولت بيان الميثاق الفطري بتفسيرين : 1 . أن يكون ظاهر هذه الآيات والأحاديث مشيراً إلى مرحلة من حياة البشر قبل نشأة الدنيا إذ عرّف الله فيها نفسه لجميع الناس وخاطبهم : «ألسنتُ برَبِّكم» ؟ ، فأجابوا كلَّهم : «بلى» ، واعترفوا برَبوبيَّتِهِ . هكذا انعقد ميثاق بين الإنسان وربّه يُدعي الميثاق الفطريّ ، ويتمثّل أثر هذا الميثاق في المعرفة القلبية للإنسان باللّه ، وتتجلّى هذه المعرفة في ظروف خاصّة ،

1- .راجع : ص 61 ح 3422 .

2- .الأعراف : 101 .

3- .راجع : ص 60 ح 3421 .

معني فطرة معرفة الله

وإن لم يذكر أحد خصوصيات موقف الميثاق ، كما قال الإمام الصادق عليه السلام في تبيان آية الميثاق: «ثَبَّتَ الْمَعْرِفَةَ وَنَسُوا الْمَوْقِفَ وَسَيَذْكُرُونَهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَن خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ» (1) . 2 . أن المقصود من السؤال والجواب والميثاق هو غير المتداول منها ، وإنما هو ميثاق فطرة الإنسان مع الله تعالى ، واعترافه بربوبية الله الأحد هو تلك المعرفة التي أودعها الله في فطرة البشر وثبتها . الطائفة الثالثة : النصوص التي تدلّ على أنّ طبيعة الإنسان بنحو أنه إذا مُنِيَ برقبة المصائب والشدائد زالت موانع المعرفة من بصيرته وفي هذه الحالة يشعر بكلّ وجوده حقيقة الله سبحانه وتعالى ، ويمدّ يد الفاقة إلى ذلك الغنيّ . ومحصد لمة الآيات القرآنية في هذا المجال وردت في كلام نورانيّ للإمام العسكري عليه السلام ، فقد قال سلام الله عليه: «اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَائِجِ وَالشَّدَائِدِ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ هُوَ دُونَهُ ، وَتَقَطُّعِ الْأَسْبَابِ مِنْ جَمِيعِ مَا سِوَاهُ» (2) .

معني فطرة معرفة الله هذه الفطرة معنيان: الفطرة العقلية ، والفطرة القلبية . إنَّ القصد من فطرة معرفة الله العقلية هو : أن الله سبحانه خلق عقل الإنسان بشكل يكون التوجه إلى الوجود والنظام المسيطر عليه باعثاً على إيجاد الاعتقاد بوجود الله ذاتياً وبلا حاجة إلى الاستدلال .

1- .راجع : ص 59 ح 3418 .

2- .راجع : ص 63 ح 3426 .

أوضح براهين التوحيد الفطري

أمّا الفطرة القلبية لمعرفة الله تعني : أنّ الله سبحانه قد جعل معرفته في قلب الإنسان وروحه بحيث لو ارتفعت الحجب وأزيلت الحواجز ، تجلّت تلك المعرفة الأصيلة ، فيجد الإنسان نفسه في رحاب الخالق . بناءً على هذا ، فإنّ التفاوت بين المعرفة الفطرية العقلية والقلبية ، كالفرق بين العلم والوجدان ، أو بتعبير نصّ الروايات كالفرق بين الإيمان واليقين .

أوضح براهين التوحيد الفطريّانّ القسم الثالث من النصوص التي أُشير إليها تبيّن أوضح البراهين التجريية علي التوحيد الفطريّ ، وقد استند إليها القرآن مرارا لتعريف الله تعالي كحقيقة يعرفها الإنسان ذاتيا ويجد نفسه محتاجا إليها . إنّ التجربة تدلّ علي أنّ مشكلات الحياة إذا ألمّت بالإنسان ، وعجزت كلّ السبل والحيل عن حلّها وعلاجها ، أزالّت يد البلاء القويّة حجب المعرفة ، وحينئذٍ يغدو الناس جميعا حتّي المنكرون لله عارفين بالله مستمدّينه في أمورهم .

3 / 1_ 1 الميثاق الفطري

1 / 3_ 1 الميثاق الفطري بالكتاب «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـذَا غَافِلِينَ .» (1).

«أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَـذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ .» (2).

الحديث تفسير العياشي عن زرارة: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ» إلى قوله: «أَنفُسِهِمْ». قال: أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا وهم كالدّر (3)، فعرفهم أنفسهم وأراهم أنفسهم، ولولا ذلك ما عرف أحد ربّه، وذلك قوله: «وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» (4). (5).

الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ» إلى قوله: «شَهِدْنَا»: ثبّت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه. (6).

1- الأعراف: 172 .

2- يس: 60 و 61 .

3- في بيان معني عالم الذر وتفسير الآية الكريمة راجع الميزان في تفسير القرآن: ج 8 ص 306 _ 330 .

4- لقمان: 25 .

5- تفسير العياشي: ج 2 ص 40 ح 111 ، التوحيد: ص 330 ح 9 نحوه، بحار الأنوار: ج 3 ص 279 ح 11 .

6- تفسير العياشي: ج 2 ص 40 ح 112 ، علل الشرايع: ص 117 ح 1 وفيه «الموقت» بدل «الموقف» والظاهر أنه تصحيف وكلاهما عن زرارة، الثاقب في المناقب: ص 567 ح 508، كشف الغمّة: ج 3 ص 209، مختصر بصائر الدرجات: ص 161 والثلاثة الأخيرة عن أبيهاشم عن الإمام العسكري عليه السلام، بحار الأنوار: ج 5 ص 243 ح 32 .

تفسير العياشي عن أبي بصير: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الذَّرِّ حَيْثُ أَشْهَدَهُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ، «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى»، وَأَسْرَرَ بَعْضَهُمْ خِلَافَ مَا أَظْهَرَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ عَلِمُوا الْقَوْلَ حَيْثُ قِيلَ لَهُمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلْتَهُمْ أَجَابُوهُ. (1)

تفسير العياشي عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» -: قالوا بألسنتهم؟ قال: نَعَمْ، وقالوا بقلوبهم. فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ كَانُوا يَوْمِنَدٍ؟ قَالَ: صَنَعَ مِنْهُمْ مَا اكْتَفَى بِهِ. (2)

الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ» -: كَانَ ذَلِكَ مُعَايِنَةً لِلَّهِ، فَأَنَسَاهُمْ الْمُعَايِنَةَ وَأَثَبَتِ الْإِقْرَارَ فِي صُدُورِهِمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا عَرَفَ أَحَدٌ خَالِقَهُ وَلَا رَازِقَهُ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: «وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» (3). (4)

تفسير القمّي عن ابن مسكان عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» قال: قُلْتُ: مُعَايِنَةٌ كَانَ هَذَا؟

-
- 1- تفسير العياشي: ج 2 ص 42 ح 117، بحار الأنوار: ج 5 ص 258 ح 63.
 - 2- تفسير العياشي: ج 2 ص 40 ح 110، بحار الأنوار: ج 67 ص 102 ح 20.
 - 3- الزخرف: 87.
 - 4- المحاسن: ج 1 ص 438 ح 1015 عن زرارة، بحار الأنوار: ج 5 ص 223 ح 13.

قَالَ: نَعَمْ، فَتَبَّتِ الْمَعْرِفَةُ وَنَسُوا الْمَوْقِفَ وَسَيَذْكُرُونَهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَن خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، فَمِنْهُمْ مَن أَقْرَبَ لِسَانِهِ فِي الذَّرِّ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ، فَقَالَ اللَّهُ: «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ» (1). (2)

تفسير العياشي عن زرارة: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ» إِلَى قَوْلِهِ: «قَالُوا بَلَى». قَالَ: كَانَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَنْ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: كَانَتْ رُؤْيَا مُعَايِنَةً؟ قَالَ: فَاتَّبَتِ الْمَعْرِفَةُ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَسُوا ذَلِكَ الْمِيثَاقَ، وَسَيَذْكُرُونَهُ بَعْدُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَن خَالِقُهُ وَلَا مَن رَازِقُهُ. (3)

المحاسن عن زرارة: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى». قَالَ: تَبَّتِ الْمَعْرِفَةُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَنَسُوا الْمَوْقِفَ، وَسَيَذْكُرُونَهُ يَوْمَ مَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَن خَالِقُهُ وَلَا مَن رَازِقُهُ (4).

الإمام الصادق عليه السلام: نَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيَّ النَّعْمِ السَّابِغَةِ وَالْحَجَّجِ الْبَالِغَةِ، وَالْبَلَاءِ الْمَحْمُودِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، فَكَانَ مِن نِعْمِهِ الْعِظَامِ وَآلَائِهِ الْجِسَامِ التِّيَانَعَمَ بِهَا تَقْرِيرُهُ قُلُوبَهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَخَذَهُ مِيثَاقَهُمْ بِمَعْرِفَتِهِ. (5)

1- الأعراف: 101.

2- تفسير القمي: ج 1 ص 248، مختصر بصائر الدرجات: ص 168، بحار الأنوار: ج 5 ص 237 ح 14.

3- تفسير العياشي: ج 2 ص 39 ح 108، بحار الأنوار: ج 5 ص 257 ح 58.

4- المحاسن: ج 1 ص 376 ح 826، بحار الأنوار: ج 3 ص 280 ح 16.

5- بحار الأنوار: ج 3 ص 152 عن المفضل بن عمر.

3 / 1 _ 2 تجلّي الفِطْرَة عند الشّدائدِ

2 / 1 _ 3 تجلّي الفِطْرَة عند الشّدائدِ الكتاب «وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» (1).

«وَحِوْزَنَا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (2).

«وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» (3).

راجع : الزمر : 8 ، 49 ، يونس : 12 ، 22 ، الإسراء : 67 ، العنكبوت : 65 ، الأنعام : 40 ، 41 .

الحديث ربيع الأبرار : قَالَ رَجُلٌ لِيَجْعَفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : مَا الدَّلِيلُ عَلَيَّ اللَّهُ ؟ وَلَا تَذْكُرْ لِي الْعَالَمَ وَالْعَرَضَ وَالْجَوْهَرَ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ رَكِبْتَ الْبَحْرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : هَلْ عَصَفْتَ بِكُمْ الرِّيحُ حَتَّى خِفْتُمُ الْغَرَقَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ انْقَطَعَ رَجَاؤُكَ مِنَ الْمَرْكَبِ وَالْمَلَّاحِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تَتَّبَعْتَ نَفْسَكَ أَنْ تَمَّ مِنْ يُنْجِيكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

1- الروم : 33 .

2- يونس : 90 .

3- النحل : 53 و 54 .

قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَيَّ» (1)، «إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَالْيَهُ تَجْرُؤُونَ». (2)

راجع: ص 21 (الله عز وجل) و 45 (الفطرة) و 59 (الميثاق الفطري).

الإمام العسكري عليه السلام في قول الله عز وجل: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: «اللَّهُ» هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَائِجِ وَالشَّدَائِدِ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَتَقَطُّعِ الْأَسْبَابِ مِنْ جَمِيعِ مَا سِوَاهُ. يَقُولُ: بِاسْمِ اللَّهِ أَي: أَسْتَعِينُ عَلَيَّ أُمُورِي كُلَّهَا بِاللَّهِ الَّذِي لَا تَحِقُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، الْمُغِيثُ إِذَا اسْتُغِيثَ، وَالْمُجِيبُ إِذَا دُعِيَ. وَهُوَ مَا قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، ذُلِّي عَلَيَّ اللَّهُ مَا هُوَ؟ فَقَدْ أَكْثَرَ عَلَيَّ الْمُجَادِلُونَ وَحَيَّرُونِي. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ كُسِرَ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةٌ تُنَجِّيكَ وَلَا سِدَّ بَاحَةَ تُغْنِيكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَالِكَ أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرَطَّتِكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَيَّ الْإِنجَاءِ حَيْثُ لَا مُنْجِي، وَعَلَيَّ الْإِغَاثَةَ حَيْثُ لَا مُغِيثَ. ثُمَّ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَلَرُبَّمَا تَرَكَ بَعْضُ شَيْعَتِنَا فِي افْتِتَاحِ أَمْرِهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَيَمْتَحِنُهُ اللَّهُ بِمَكْرُوهِ لِيُنَبِّهَهُ عَلَيَّ شُكْرِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَيَمْحَقَ عَنْهُ وَصِمَةَ تَقْصِيرِهِ عِنْدَ تَرْكِهِ قَوْلَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

1- الإِسْرَاءُ: 67.

2- رِبْعِ الْأَبْرَارِ: ج 1 ص 663.

قال: وقام رجلٌ إليّ بنِ الحُسينِ عليهما السلامَ فقال: أخبرني عن معني «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». فقالَ عليُّ بنُ الحُسينِ عليهما السلامَ: حدّثني أبي عن أخيه الحُسنِ عن أبيه أميرِ المؤمنينِ عليه السلامَ: أن رجلاً قامَ إليه فقال: يا أميرِ المؤمنينَ، أخبرني عن «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ما معناه؟ فقال: إن قولك: «اللَّهُ» أعظمُ اسمٍ من أسماءِ اللَّهِ عز و جل، وهو الاسمُ الَّذي لا ينبغي أن يُسمّى به غيرُ اللَّهِ، ولم يُسمَّ به مخلوقٌ. فقالَ الرجلُ: فما تفسيرُ قولهِ: «اللَّهُ»؟ قال: هو الَّذي يتألَّهُ إليه عندَ الحوائجِ والشدائدِ كُلِّ مخلوقٍ عندَ انقطاعِ الرّجاءِ من جميعِ مَنْ هو دونهُ، وتقطعِ الأسبابِ من كُلِّ مَنْ سِواه، وذلكَ أن كُلَّ مُترتّبٍ في هذه الدُّنيا ومُتعلّمٍ فيها وإن عَظُمَ غناؤُهُ وطغيانُهُ وكثرتِ حوائجُ مَنْ دونهُ إليه؛ فإنَّهُم سَيحتاجونَ حوائجَ لا يقدِرُ عليها هذا المُتعلّمُ، وكذلكَ هذا المُتعلّمُ يحتاجُ حوائجَ لا يقدِرُ عليها، فينقطعُ إليّ اللَّهُ عندَ ضرورتهِ وفاقتهِ، حتّى إذا كفي همّةُ عادٍ إليّ شريكه، أما تسمعُ اللَّهُ عز و جل: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرِ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْأَلُونَ مَا تُسْأَلُونَ». (1) فقالَ اللَّهُ عز و جل لعباده: أيها الفقراءُ إليّ رحمتي، إني قد ألزمتكم الحاجةَ إليّ في كُلِّ حالٍ، وذلةَ العبوديّةِ في كُلِّ وقتٍ، فإلّيّ فافزعوا في كُلِّ أمرٍ تأخذونَ فيه، وترجونَ تمامه وبلوغَ غايته؛ فإني إن أردتُ أن أُعطيكم لم يقدِرِ غيري عليّ منكم، وإن أردتُ أن أمنعكم لم يقدِرِ غيري عليّ إعطائكم؛ فأنا أحقُّ من سُئِلَ، وأوليّ مَنْ

3 / 2_1 العقل أوّل الأمور ومبدؤها

تُضْبَعُ إِلَيْهِ ، فَقُولُوا عِنْدَ افْتِتَاحِ كُلِّ أَمْرٍ صَغِيرٍ أَوْ عَظِيمٍ : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ، أَي اسْتَعِينُ عَلَيَّ هَذَا الْأَمْرَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا يَحِقُّ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ ، الْمُغِيثُ إِذَا اسْتُعِثَ ، الْمُجِيبُ إِذَا دُعِيَ . (1)

3 / 2_1 العقل أوّل الأمور ومبدؤها الكافي عن الحسن بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ أَوَّلَ الْأُمُورِ وَمَبْدَأَهَا وَقَوْنَهَا وَعَمَارَتَهَا التَّيْلَانِ تَنْتَفِعُ شَيْءٌ إِلَّا بِهِ الْعَقْلُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ زِينَةً لِخَلْقِهِ وَنُورًا لَهُمْ ، فَبِالْعَقْلِ عَرَفَ الْعِبَادُ خَالِقَهُمْ وَأَنْهُمْ مَخْلُوقُونَ ، وَأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لَهُمْ وَأَنَّهُمْ الْمُدَبَّرُونَ ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي وَهُمْ الْفَانُونَ ، وَاسْتَدَلُّوا بِعُقُولِهِمْ عَلَيَّ مَا رَأَوْا مِنْ خَلْقِهِ ؛ مِنْ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ ، وَشَمْسِهِ وَقَمَرِهِ ، وَلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَبِأَنَّ لَهُ وَلَهُمْ خَالِقًا وَمُدَبِّرًا لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ ، وَعَرَفُوا بِهِ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ ، وَأَنَّ الظُّلْمَةَ فِي الْجَهْلِ ، وَأَنَّ النُّورَ فِي الْعِلْمِ ، فَهَذَا مَا دَلَّهِمْ عَلَيْهِ الْعَقْلُ . قِيلَ لَهُ : فَهَلْ يَكْتَفِي الْعِبَادُ بِالْعَقْلِ دُونَ غَيْرِهِ ؟ قَالَ : إِنَّ الْعَاقِلَ _ لِدَلَالَةِ عَقْلِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ قِوَامَهُ وَزِينَتَهُ وَهُدَايَتَهُ _ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ لِخَالِقِهِ مَحَبَّةً ، وَأَنَّ لَهُ كِرَاهِيَةً ، وَأَنَّ لَهُ طَاعَةً ، وَأَنَّ لَهُ مَعْصِيَةً ، فَلَمْ يَجِدْ عَقْلَهُ يَدُلُّهُ عَلَيَّ ذَلِكَ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَطَلْبِهِ ،

1- التوحيد : ص 230 ح 5 ، معاني الأخبار : ص 4 ح 2 وفيه إلي : «حَيْثُ لَا مَغِيثُ» وكلاهما عن يوسف بن محمّد بن زياد وعلي بن محمّد بن سيّار ، بحار الأنوار : ج 3 ص 41 ح 16 وراجع : إرشاد القلوب : ص 168 .

3 / 2_ 2 العاقل لا يستطيع جحد ما لا يعرف

وَأَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِعَقْلِهِ ، إِنْ لَمْ يُصِبْ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ ، فَوَجَبَ عَلَيَّ الْعَاقِلِ طَلْبُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ الَّذِي لَا قِيَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ . (1)

الإمام الرضا عليه السلام : بِالْعُقُولِ يُعْتَقَدُ التَّصَدِيقُ بِاللَّهِ . (2)

2 / 3_ 2 العاقل لا يستطيع جحد ما لا يعرف الكافي عن هشام بن الحكم : كَانَ بِمِصْرَ زَنْدِيقٌ تَبَلَّغُهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْيَاءٌ ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُنَاطِرَهُ ، فَلَمْ يُصَادِفْهُ بِهَا ، وَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ خَارِجٌ بِمَكَّةَ ، فَخَرَجَ إِلَيَّ مَكَّةَ وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَصَادَفْنَا وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الطَّوَافِ - وَكَانَ اسْمُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - فَضَرَبَ كَتِفَهُ كِتْفَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَ : اسْمِي عَبْدُ الْمَلِكِ . قَالَ : فَمَا كُنْيَتُكَ ؟ قَالَ : كُنْيَتِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَمَنْ هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي أَنْتَ عَبْدُهُ ؟ أَمِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ أَمْ مِنْ مُلُوكِ السَّمَاءِ ؟ وَأَخْبِرْنِي عَنْ ابْنِكَ عَبْدِ اللَّهِ السَّمَاءِ أَمْ عَبْدِ اللَّهِ الْأَرْضِ ؟ قُلْ مَا شِئْتُمْ تُخَصِّمُوا ! قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ : فَقُلْتُ لِلزَّنْدِيقِ : أَمَا تَرُدُّ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : فَقَبَّحَ قَوْلِي . فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : إِذَا فَرَّغْتَ مِنَ الطَّوَافِ فَأْتِنَا . فَلَمَّا فَرَّغَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَتَاهُ الزَّنْدِيقُ فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلزَّنْدِيقِ : أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَرْضِ تَحْتًا وَفَوْقًا ؟ قَالَ : نَعَمْ .

1- .الكافي : ج 1 ص 29 ح 34 .

2- .التوحيد : ص 40 ح 2 عن القاسم بن أيوب العلوي ، بحار الأنوار : ج 4 ص 230 ح 3 .

قَالَ : فَدَخَلَتْ تَحْتَهَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَا يُدْرِيكَ مَا تَحْتَهَا ؟ قَالَ : لَا أُدْرِي إِلَّا أَتَى أَظُنُّ أَنْ لَيْسَ تَحْتَهَا شَيْءٌ . فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَالظُّنُّ عَجْزٌ ، لِمَا لَا تَسْتَيْقِنُ ؟ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : أَفَصَدَّ عِدَّتِ السَّمَاءُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَتَدْرِي مَا فِيهَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : عَجَبًا لَكَ ! لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ ، وَلَمْ تَبْلُغِ الْمَغْرِبَ ، وَلَمْ تَنْزِلِ الْأَرْضَ ، وَلَمْ تَصْعَدِ السَّمَاءَ ، وَلَمْ تَجْزِ هُنَاكَ فَتَعْرِفَ مَا خَلْفَهُنَّ ، وَأَنْتَ جَاوِدٌ بِمَا فِيهِنَّ ، وَهَلْ يَجْحَدُ الْعَاقِلُ مَا لَا يَعْرِفُ ؟! قَالَ الزُّنْدِيقُ : مَا كَلَّمَنِي بِهَذَا أَحَدٌ غَيْرُكَ ! فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَأَنْتَ مِنْ ذَلِكَ فِي شَكٍّ ؛ فَلَعَلَّهُ هُوَ ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُوَ ؟ فَقَالَ الزُّنْدِيقُ : وَلَعَلَّ ذَلِكَ . فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَيْسَ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ حُجَّةً عَلَيَّ مَنْ يَعْلَمُ ، وَلَا حُجَّةً لِلْجَاهِلِ . يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ تَفَهَّمْ عَنِّي ، فَإِنَّا لَا نَشْكُ فَيَاللَّهِ أَبَدًا ، أَمَا تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَلْجَانِ فَلَا يَسْتَتِيهَانِ ، وَيَرْجِعَانِ قَدِ اضْطَرَّا لَيْسَ لَهُمَا مَكَانٌ إِلَّا مَكَانَهُمَا ، فَإِنْ كَانَا يَقْدِرَانِ عَلَيَّ أَنْ يَذْهَبَا فَلِمَ يَرْجِعَانِ ؟ وَإِنْ كَانَا غَيْرَ مُضْطَرِّينَ فَلِمَ لَا يَصِيرُ اللَّيْلُ نَهَارًا وَالنَّهَارُ لَيْلًا ؟ اضْطَرَّا وَاللَّهِ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ إِلَيَّ دَوَامِهِمَا ، وَالَّذِي اضْطَرَّهُمَا أَحْكَمُ مِنْهُمَا وَأَكْبَرُ . فَقَالَ الزُّنْدِيقُ : صَدَقْتَ . (1)

1- .الكافي: ج 1 ص 72 ح 1 ، التوحيد: ص 293 ح 4 نحوه ، بحار الأنوار: ج 3 ص 51 ح 25 .

3 / 2 _ 3 الاحتياط العقلي في العقائد

3 / 2 _ 3 الاحتياط العقلي في العقائد للإمام علي عليه السلام - مِمَّا نُقِلَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقِيلَ : هُمَا لِغَيْرِهِ : زَعَمَ الْمُتَجَمُّ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا أَنْ لَا مَعَادَ فَقُلْتُ ذَلِكَ إِلَيْكُمَا إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْوَبَالُ عَلَيْكُمَا (1)

عنه عليه السلام - في الديوان المنسوب إليه - : قَالَ الْمُتَجَمُّ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا لَنْ يُحْشَرَ الْأَمْوَاتُ قُلْتُ إِلَيْكُمَا (2) إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ إِنْ صَحَّ قَوْلِي فَالْخَسَارُ إِلَيْكُمَا (3)

الإمام الصادق عليه السلام - في مُنَازَرَتِهِ لِلطَّبِيبِ الْهِنْدِيِّ - : قُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَكَ ، فَهَلْ يُخَافُ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا أُخَوِّفُكَ بِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا . قُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ كَمَا أَقُولُ - وَالْحَقُّ فِي يَدِي - أَلَسْتُ قَدْ أَخَذْتُ فِيمَا كُنْتُ أُحَازِرُ مِنْ عِقَابِ الْخَالِقِ بِالثَّقَةِ ، وَأَنْتَ قَدْ وَقَعْتَ بِجُحُودِكَ وَإِنْكَارِكَ فِي الْهَلَكَةِ ؟ قَالَ : بَلِي . قُلْتُ : فَأَيُّنَا أَوْلَى بِالْحَزْمِ وَأَقْرَبُ مِنَ النَّجَاةِ ؟ قَالَ : أَنْتَ . (4)

الكافي عن أبي منصور المتطَّيَّب : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي ، قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : تَرَوْنَ

1- .مطالب السؤل : ص 62 ، بحار الأنوار : ج 78 ص 87 ح 92 .

2- .في الطبعة المعتمدة: «إليهما» ، والتصويب من طبعة أخرى .

3- .الديوان المنسوب إلي الإمام علي عليه السلام : ص 520 الرقم 393 .

4- .بحار الأنوار : ج 3 ص 154 عن المفضل بن عمر .

هَذَا الْخَلْقَ - وَأَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى مَوْضِعِ الطَّوَافِ - مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أُوجِبُ لَهُ اسْمُ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْخَ الْجَالِسَ - يَعْنِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَمَّا الْبَاقُونَ فَرَعَا (1) وَبِهَائِمٌ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ : وَكَيْفَ أُوجِبَتْ هَذَا الْإِسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَهُمْ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ : لِأَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ : لَا تَفْعَلْ ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ . فَقَالَ : لَيْسَ ذَا رَأْيِكَ ، وَلَكِنَّكَ تَخَافُ أَنْ يَضْعِفَ رَأْيَكَ عِنْدِي فِي إِحْلَالِكَ إِثَاءَ الْمَحَلِّ الَّذِي وَصَفْتَ . فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : أَمَا إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ هَذَا فُتِّمَ إِلَيْهِ ، وَتَحَفَّظَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الرَّكْلِ ، وَلَا تَتَّنِ عِنَانَكَ إِلَيَّ اسْتِرْسَالٍ فَيَسَّ لِمَكَ إِلَيَّ عِقَالٍ ، وَسِمَهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . قَالَ : فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ ، وَبَقِيَتْ أَنَا وَابْنُ الْمُقَفَّعِ جَالِسِينَ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْنَا ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ ، قَالَ : وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْمُقَفَّعِ ، مَا هَذَا بِبَشَرٍ ! وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِيٌّ يَتَجَسَّدُ إِذَا شَاءَ ظَاهِرًا وَيَتَرَوَّحُ إِذَا شَاءَ بَاطِنًا فَهُوَ هَذَا ! فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : جَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي ابْتَدَأَنِي . فَقَالَ : إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَيَّ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ - وَهُوَ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ ؛ يَعْنِي أَهْلَ الطَّوَافِ - فَقَدْ سَدَّ لِمَا وَعَطَبْتُمْ ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ - وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ - فَقَدْ اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ .

1- رَعَاعِ النَّاسِ : غَوْغَاؤُهُمْ وَسَقَاطُهُمْ وَأَخْلَاطُهُمْ ، الْوَاحِدُ : رَعَاعَةٌ (النهاية : ج 2 ص 235) .

فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ! أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ يَقُولُونَ؟ مَا قَوْلِي وَقَوْلُهُمْ إِلَّا وَاحِدًا. فَقَالَ: وَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ لَهُمْ مَعَادًا وَثَوَابًا وَعِقَابًا، وَيَكْفُرُونَ بِأَنَّ فِي السَّمَاءِ إِلَهًا وَأَنَّهَا عُمُرَانُ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ؟ (1)

الكافي عن بعض أصحابنا رفعه_ في مُنَاطِرَةِ الإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ مَعَكَ كَيْسٌ فِيهِ جَوَاهِرٌ، فَقَالَ لَكَ قَائِلٌ: هَلْ فِي الْكَيْسِ دِينَارٌ؟ فَتَنَيْتَ كَوْنَ الدِّينَارِ فِي الْكَيْسِ، فَقَالَ لَكَ: صِفْ لِي الدِّينَارَ وَكُنْتَ غَيْرَ عَالِمٍ بِصِدْقِ مَتْنِهِ، هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَنْفِي كَوْنَ الدِّينَارِ عَنِ الْكَيْسِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَالْعَالِمُ أَكْبَرُ وَأَطْوَلُ وَأَعْرَضُ مِنَ الْكَيْسِ، فَالْعَالِمُ فِي الْعَالَمِ صَدَقَةٌ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ صِدْقَةَ الصَّنْعَةِ مِنْ غَيْرِ الصَّنْعَةِ! فَانْقَطَعَ عَبْدُ الْكَرِيمِ وَأَجَابَ إِلَيَّ الْإِسْلَامَ بِعَظْمِ أَصْحَابِهِ، وَبَقِيَ مَعَهُ بَعْضٌ. (2)

الكافي عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام: دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ عَلَيَّ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَكُمْ - وَلَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُونَ - أَلْسِنًا وَإِيَّاكُمْ شَرَعًا سَوَاءً، لَا يَصُدُّرُنَا مَا صَدَّقْنَا وَصُمْنَا وَزَكَّيْنَا وَأَقْرَبْنَا؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ، ثُمَّ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَنَا - وَهُوَ قَوْلُنَا - أَلَسْتُمْ قَدْ هَلَكْتُمْ وَنَجَوْنَا؟ (3)

-
- 1- الكافي: ج 1 ص 74 ح 2، التوحيد: ص 126 ح 4، بحار الأنوار: ج 3 ص 42 ح 18.
 - 2- الكافي: ج 1 ص 77 ذيل ح 2، التوحيد: ص 297 ح 6، بحار الأنوار: ج 3 ص 46 ح 20.
 - 3- الكافي: ج 1 ص 78 ح 3، التوحيد: ص 250 ح 3، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 131 ح 28، الاحتجاج: ج 2 ص 354 ح 281، بحار الأنوار: ج 3 ص 36 ح 12.

3 / 2 _ 4 العقل لا يستطيع جحد الله

3 / 2 _ 4 العقل لا يستطيع جحد الله لإمام علي عليه السلام: الحمد لله... الذي بطن من خفيات الأمور، وظهر في العقول بما يري في خلقه من علامات التدبير، الذي سئلت الأنبياء عنه، فلم تصفه بحمد ولا ببعض، بل وصفته بفعاله ودلت عليه بإياته، لا تستطيع عقول المتفكرين جحدته؛ لأن من كانت السماوات والأرض فطرته وما فيهن وما بينهن، وهو الصانع لهن؛ فلا مدفع لقدرتيه. (1)

عنه عليه السلام في بيان عظمة الله جلّ وعلا: وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، وأعتراف الحاجة من الخلق إلي أن يقيمها بمسالك (2) قوته، ما دلنا باضطرار قيام الحجة له علي معرفته، فظهرت البدائع التي أحدثتها آثار صنعته وأعلام حكمته، فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه؛ وإن كان خلقاً صامتاً، فحجته بالتدبير ناطقة، ودلالته علي المبدع قائمة. (3)

عنه عليه السلام: الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلت عليه أعلام الظهور، وامتنع علي عين البصير؛ فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبتة يبصره... فهو الذي تشهد له أعلام الوجود علي إقرار قلب ذي الجحود. (4)

الإمام زين العابدين عليه السلام: الحمد لله... ذي المنن التي لا يحصيها العادون، والنعم

1- الكافي: ج 1 ص 141 ح 7، التوحيد: ص 31 ح 1 وفيه «بنقص» بدل «ببعض» وكلاهما عن الحارث الأعور، بحار الأنوار: ج 4 ص 265 ح 14.

2- مسالك بالكسر: ما يمسك ويعصم به (شرح نهج البلاغة: ج 6 ص 411).

3- نهج البلاغة: الخطبة 91 عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج 57 ص 107 ح 90.

4- نهج البلاغة: الخطبة 49، بحار الأنوار: ج 4 ص 308 ح 36.

3 / 3_1 رؤية الله بالقلب

الَّتِي لَا يُجَازِيهَا الْمُجْتَهِدُونَ، وَالصَّنَائِعِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَهَا الْجَاهِدُونَ، وَالذَّلَائِلِ الَّتِي يَسْتَبْصِرُ بِنُورِهَا الْمَوْجُودُونَ. (1)

راجع: ص 117 (الباب الأول: جوامع آيات معرفة الله في الخلقة).

3 / 3 القلب 3_1_3 رؤية الله بالقلب الكتاب «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى». (2)

الحديث مجمع البيان عن أبي ذرٍّ وأبي سعيد الخدري: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سُنِلَ عَنْ قَوْلِهِ: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى». قَالَ: رَأَيْتُ نُورًا

(3).

التوحيد عن محمد بن الفضيل: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ بِقَلْبِهِ رَأَاهُ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» أَي لَمْ يَرَهُ بِالْبَصَرِ، وَلَكِنْ رَأَاهُ بِالْفُؤَادِ. (4)

1- بحار الأنوار: ج 94 ص 153 ح 22 نقلاً عن كتاب أنيس العابدين .

2- النجم: 11 .

3- مجمع البيان: ج 9 ص 265، بحار الأنوار: ج 18 ص 288 .

4- التوحيد: ص 116 ح 17، بحار الأنوار: ج 4 ص 43 ح 19 وراجع: الأمالي للسيد المرتضي: ج 1 ص 103 وروضه الواعظين: ص 41 .

رسول الله صلى الله عليه وآله وأسألك بالإسم الذي فتقت به رتق عظيم جفون عيون الناظرين ، الذي به تدبير حكمتك وشاهد حجج أنبيائك ، يعرفونك بفطن القلوب ، وأنت في غوامض مسرات سريرات الغيوب . (1)

عنه صلى الله عليه وآله : يا من لا يبعد عن قلوب العارفين . (2)

السنن الكبرى عن أبي ذر : رأيت النبي صلى الله عليه وآله رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَرَهُ بِبَصَرِهِ . (3)

رسول الله صلى الله عليه وآله : رأيت ربي عز وجل ليس كمثل شيء . (4)

عنه صلى الله عليه وآله : رأيت ربي - تبارك وتعالى - . (5)

صحيح مسلم عن أبي ذر : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله : هل رأيت ربك ؟ قال : نور ، أني (6) أراه؟ (7)

-
- 1- .مهج الدعوات : ص 103 عن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 94 ص 404 ح 5 .
 - 2- .البلد الأمين : ص 407 ، المصباح للكفعمي : ص 343 ، بحار الأنوار : ج 94 ص 392 .
 - 3- .السنن الكبرى للنسائي : ج 6 ص 472 ح 11536 .
 - 4- .الفردوس : ج 2 ص 254 ح 3183 عن ابن عباس .
 - 5- .مسند ابن حنبل : ج 1 ص 611 ح 2580 وص 621 ح 2634 ، السنن لابن أبي عاصم : ص 188 ح 432 كلها عن ابن عباس ، كنز العمال : ج 14 ص 448 ح 39209 .
 - 6- .قوله : «نور أني أراه» هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات . ومعناه : حجاب النور فكيف أراه . قال الإمام أبو عبد الله المازري : الضمير في «أراه» عائذ علي الله سبحانه وتعالى ، ومعناه أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة ياغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه (هامش المصدر) . ويحتمل أن يقرأ هكذا : «أنني أراه» وبه ينسجم مع الرواية الأولى من الباب والرواية اللاحقة بل مع جميع روايات الباب .
 - 7- .صحيح مسلم : ج 1 ص 161 ح 291 ، سنن الترمذي : ج 5 ص 396 ح 3282 وفيه «هل سألته فقال : نوراني أراه» ، مسند ابن حنبل : ج 8 ص 90 ح 21450 وص 71 ح 21371 وفيه «قد رأيت نورا أني أراه» ، مسند الطيالسي : ص 64 ح 474 ، كنز العمال : ج 11 ص 400 ح 31864 .

صحيح مسلم عن عبد الله بن شقيق: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّنَا؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: رَأَيْتُ نُورًا. (1)

مجمع البيان عن أبي العالفة: سَدَّ بِلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّنَا لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ؟ قَالَ: رَأَيْتُ نَهْرًا، وَرَأَيْتُ وَرَاءَ النَّهْرِ حِجَابًا، وَرَأَيْتُ وَرَاءَ الْحِجَابِ نُورًا لَمْ أَرِ غَيْرَ ذَلِكَ. (2)

الإمام الرضا عليه السلام: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، بَلَغَ بِي جِبْرَائِيلُ مَكَانًا لَمْ يَطَّأهُ قَطُّ جِبْرَائِيلُ. فَكُشِفَ لَهُ، فَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبَّ. (3)

التوحيد عن مرام عن الإمام الصادق عليه السلام: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. يَعْنِي بِقَلْبِهِ. (4)
الإمام علي عليه السلام: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ. (5)

عنه عليه السلام: لَمْ أَعْبُدْ رَبًّا لَمْ أَرَهُ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ فِيهِ أَوْ قَبْلَهُ أَوْ مَعَهُ. (6)

عنه عليه السلام: فِي مُنَازَرَتِهِ لِلْيَهُودِيِّ الشَّامِيِّ، وَقَدْ قَالَ لَهُ: فَإِنَّ هَذَا سُلَيْمَانُ أُعْطِيَ مُلْكًَا

-
- 1- صحيح مسلم: ج 1 ص 161 ح 292، السنّة لابن أبي عاصم: ص 192 ح 441.
 - 2- مجمع البيان: ج 9 ص 264، بحار الأنوار: ج 18 ص 288؛ الدر المنثور: ج 7 ص 648 نقلًا عن ابن المنذر وابن أبي حاتم.
 - 3- الكافي: ج 1 ص 98 ح 8، التوحيد: ص 108 ح 4 وفيه «فأراني الله» بدل «فأراه الله»، قرب الإسناد: ص 357 ح 1275 نحوه وكلها عن ابن أبي نصر، بحار الأنوار: ج 4 ص 38 ح 15.
 - 4- التوحيد: ص 116 ح 16، بحار الأنوار: ج 4 ص 43 ح 19.
 - 5- الأسفار الأربعة: ج 5 ص 27، تفسير كنز الدقائق: ج 14 ص 479، شرح أصول الكافي (ملاّ محمّد صالح المازندراني): ج 3 ص 83 ح 1 عن الفضل بن سكن عن الإمام الصادق عنه عليهما السلام، و ص 98 ح 1، الميزان في تفسير القرآن: ج 8 ص 266.
 - 6- شرح الأسماء الحسنی للسیزواری: ص 189، الأسفار الأربعة: ج 1 ص 117 نحوه.

لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ! : لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؛ إِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَعُرِجَ بِهِ فِي مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ ، فِي أَقَلِّ مِنْ ثُلُثِ لَيْلَةٍ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ ، فَدَنَا بِالْعِلْمِ فَتَدَلَّى فَدَلَّى لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ رَفْرَفٌ أَحْضَرُ ، وَغَشِي الثُّورُ بَصْرَهُ ، فَرَأَى عَظَمَةَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَلْبُؤَادِهِ وَلَمْ يَرَهَا بِعَيْنِهِ ، فَكَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَوْ أَدْنَى . (1)

عنه عليه السلام_ مِنْ دُعَاءِ عَلَمَهُ نَوْفَا الْبِكَالِيِّ : إلهي تناهت أبصارُ الناظرينَ إليكِ بِسَرِّ رَائِرِ الْقُلُوبِ ، وَطَالَعَتِ أَصْغَى السَّامِعِينَ لَكَ نَجِيَّاتِ الصُّدُورِ ، فَلَمْ يَلْقَ أَبْصَارُهُمْ رَدًّا دُونَ مَا يُرِيدُونَ ، هَتَكَتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حُجُبَ الْغَفْلَةِ ، فَسَكَنُوا فِي نوركِ ، وَتَنَفَّسُوا بِرُوحِكَ . (2)

الإمام الحسين عليه السلام_ مِنْ دُعَائِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ : أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الْأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَانِكَ ، حَتَّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدُوكَ . (3)

عنه عليه السلام_ مِنْ دُعَائِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ : كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ ، أَيْكُونُ لِعَيْبِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرُ لَكَ؟ مَتَى غَبَتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَيَّ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَيْكَ؟! وَمَتَى بَعُدَتْ حَتَّى تَكُونَ الْأَثَارُ هِيَ النَّبِيَّ تُوَصِّلُ إِلَيْكَ؟! عَمِيَّتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ عَلَيْهَا رَقِيبًا ، وَخَسِرَتْ (4) صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيبًا . إلهي أَمَرْتُ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْأَثَارِ فَأَرْجِعْنِي إِلَيْكَ بِكَسُوةِ الْأَنْوَارِ وَهَدَايَةِ

1- الاحتجاج : ج 1 ص 521 ح 127 عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار : ج 3 ص 320 ح 16 .

2- بحار الأنوار : ج 94 ص 95 ح 12 نقلًا عن الكتاب العتيق الغروي عن نوف البكالي .

3- الإقبال (الطبعة الحجرية) : ص 349 ، بحار الأنوار : ج 98 ص 226 .

4- كما في بحار الأنوار ، وفي المصدر : «حسرت» ، والظاهر أنه تصحيف .

3 / 3 _ 2 معني رؤية الله بالقلب

الإستبصار، حتّى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها، مَصُونِ السَّرِّ عَنِ النَّظْرِ إِلَيْهَا، وَمَرْفُوعِ الْهِمَّةِ عَنِ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا، إِنَّكَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (1)

الإمام زين العابدين عليه السلام: لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ حُجَّتِهِ حِجَابٌ، فَلَا (2) لِلَّهِ دُونَ حُجَّتِهِ سِتْرٌ. (3)

الكافي عن يعقوب بن إسحاق: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . . وَسَأَلْتُهُ: هَلْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبَّهُ؟ فَوَقَّعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَرَى رَسُولَهُ بِقَلْبِهِ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبَّ. (4)

3 / 3 _ 2 معني رؤية الله بالقلب للإمام الصادق عليه السلام: بَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْطُبُ عَلَي مَنبَرِ الْكُوفَةِ، إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ذِعْلَبٌ، ذُو لِسَانٍ بَلِيغٍ فِي الْخُطْبِ شَدَّ جَاعُ الْقَلْبِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: وَيَلَّكَ يَا ذِعْلَبُ، مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ أَيْتَهُ؟ قَالَ: وَيَلَّكَ يَا ذِعْلَبُ، لَمْ تَرَهُ الْعِيُونَ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، وَيَلَّكَ يَا ذِعْلَبُ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفُ اللَّطَافَةِ لَا يُوصَفُ بِاللُّطْفِ، عَظِيمُ الْعَظَمَةِ لَا يُوصَفُ بِالْعِظَمِ، كَبِيرُ الْكِبَرِيَاءِ لَا يُوصَفُ بِالْكَبَرِ، جَلِيلُ الْجَلَالَةِ لَا يُوصَفُ بِالْغَلْظِ،

1- الإقبال (الطبعة الحجرية): ص 348، بحار الأنوار: ج 67 ص 142 وفيه صدره إلي «نصيبا» .

2- في بعض النسخ: «ولا» (هامش المصدر).

3- معاني الأخبار: ص 35 ح 5 عن ثابت الشمالي، بحار الأنوار: ج 24 ص 12 ح 5 .

4- الكافي: ج 1 ص 95 ح 1، التوحيد: ص 108 ح 2، بحار الأنوار: ج 4 ص 43 ح 21 .

قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُقَالُ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُقَالُ لَهُ بَعْدٌ، شَاءَ الْأَشْيَاءَ لَا بِهَمَّةٍ، ذَرَاكُ (1) لَا بِحَدِيثَةٍ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، غَيْرُ مُتَمَازِجٍ بِهَا وَلَا بَائِنٌ مِنْهَا، ظَاهِرٌ لَا بِتَأْوِيلِ الْمُبَاشَرَةِ، مُتَجَلِّ (2) لَا بِاسْتِهْلَالِ رُؤْيَةٍ، نَاءٌ لَا بِمَسَافَةٍ، قَرِيبٌ لَا بِمُدَانَاةٍ (3).

عنه عليه السلام: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: مَا كُنْتُ بِالَّذِي أَعْبُدُ إِلَهَا لَمْ أَرَهُ. ثُمَّ قَالَ: لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ فِي مُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ، غَيْرَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ بَيْنَ عَقْدِ الْقُلُوبِ (4).

الكافي عن سنان: حَضَرْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، أَيُّ شَيْءٍ تَعْبُدُ؟ قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: بَلْ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ (5).

تاريخ دمشق عن المدائني: بَيْنَمَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي فِنَاءِ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ حَيْثُ عِبَدْتَهُ؟

1- الذَّرْكُ: اللَّحَاقُ وَالْوَصُولُ إِلَى الشَّيْءِ (النهاية: ج 2 ص 114).

2- الْجَلِّيُّ: نَقِيضُ الْخَفِيِّ، وَتَجَلَّى الشَّيْءُ: انْكَشَفَ (الصحاح: ج 6 ص 2303).

3- الكافي: ج 1 ص 138 ح 4، التوحيد: ص 308 ح 2، عن عبد الله بن يونس، الأمالي للصدوق: ص 423 ح 560 عن الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي عليه السلام نحوه، بحار الأنوار: ج 4 ص 27 ح 2.

4- المحاسن: ج 1 ص 373 ح 817، بحار الأنوار: ج 4 ص 53 ح 30.

5- الكافي: ج 1 ص 97 ح 5، التوحيد: ص 108 ح 5، الاحتجاج: ج 2 ص 166 ح 195 وص 211 ح 221 عن يونس بن ظبيان عن الإمام الصادق عليه السلام، الأمالي للصدوق: ص 352 ح 427، إرشاد القلوب: ص 167 عن الإمام الصادق عليه السلام وفي الثلاثة الأخيرة «العيان» بدل «الأبصار»، بحار الأنوار: ج 4 ص 26 ح 1.

فَأَطْرَقَ وَأَطْرَقَ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَعْبُدَ شَيْئًا لَمْ أَرَهُ. فَقَالَ: وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: لَمْ تَرَهُ الْأَبْصَارُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، مَعْرُوفٌ بِالْآيَاتِ، مَنَعُوتٌ بِالْعَلَامَاتِ، لَا يَجُورُ فِي قَضِيَّتِهِ، بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، ذَلِكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ. (1)

كفاية الأثر عن هشام: كُنْتُ عِنْدَ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بْنُ وَهَبٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَعْيَنَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ وَهَبٍ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي الْخَبْرِ الَّذِي رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَى رَبَّهُ، عَلِيٌّ أَيْ صُورَةَ رَأَاهُ؟ وَعَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، عَلِيٌّ أَيْ صُورَةَ يَرُونَهُ؟ فَتَبَسَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: يَا فُلَانُ، مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ يَأْتِي عَلَيْهِ سَبْعُونَ سَنَةً، أَوْ ثَمَانُونَ سَنَةً، يَعِيشُ فِي مَلِكِ اللَّهِ، وَيَأْكُلُ مِنْ نَعْمِهِ، لَا يَعْرِفُ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مُعَاوِيَةُ، إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَرِ رَبَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَإِنَّ الرُّؤْيَةَ عَلَيَّ وَجْهَيْنِ: رُؤْيَةَ الْقَلْبِ وَرُؤْيَةَ الْبَصَرِ؛ فَمَنْ عَنِيَ بِرُؤْيَةِ الْقَلْبِ فَهُوَ مُصِيبٌ، وَمَنْ عَنِيَ بِرُؤْيَةِ الْبَصَرِ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ.

(2)

-
- 1- تاريخ دمشق: ج 54 ص 282؛ الإرشاد: ج 1 ص 224، الاحتجاج: ج 1 ص 493 ح 123 كلاهما عن الإمام علي عليه السلام، الأمالي للسيد المرتضي: ج 1 ص 104، كشف الغمّة: ج 2 ص 418، روضة الواعظين: ص 41 عن الإمام الصادق عليه السلام وكلّها نحوه، بحار الأنوار: ج 4 ص 32 ح 8.
- 2- كفاية الأثر: ص 256، بحار الأنوار: ج 4 ص 54 ح 34.

التوحيد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: قُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَقَدْ رَأَوْهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قُلْتُ: مَتَى؟ قَالَ: حِينَ قَالَ لَهُمْ: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» (1)، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَيَرَوْنَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَلَسْتُ تَرَاهُ فِي وَقْتِكَ هَذَا؟ قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! فَأَحَدْتُ بِهَذَا عَنْكَ؟ فَقَالَ: لَا، فَإِنَّكَ إِذَا حَدَّثْتَ بِهِ فَأَنْكَرَهُ مُنْكَرٌ جَاهِلٌ بِمَعْنَى مَا تَقُولُهُ، ثُمَّ قَدَّرَ أَنَّ ذَلِكَ تَشْبِيهُ كُفْرٍ، وَلَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ بِالْقَلْبِ كَالرُّؤْيَةِ بِالْعَيْنِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُصِفُهُ الْمُشَدِّبُونَ وَالْمُلْحِدُونَ. (2)

الإمام الصادق عليه السلام لَزِنْدِيقٍ سَأَلَهُ كَيْفَ يَعْبُدُ اللَّهُ الْخَلْقَ وَلَمْ يَرَوْهُ؟_- رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِنُورِ الْإِيمَانِ، وَأَثْبَتَتْهُ الْعُقُولُ بِيَقَظَتِهَا إِثْبَاتَ الْعِيَانِ، وَأَبْصَرَتْهُ الْأَبْصَارُ بِمَا رَأَتْهُ مِنْ حُسْنِ التَّرْكِيبِ، وَإِحْكَامِ التَّأْلِيفِ، ثُمَّ الرُّسُلُ وَأَيَاتُهَا، وَالْكِتَابُ وَمُحْكَمَاتُهَا، وَاقْتَصَرَتْ الْعُلَمَاءُ عَلَيَّ مَا رَأَتْ مِنْ عَظَمَتِهِ دُونَ رُؤْيَيْهِ. (3)

عنه عليه السلام حِينَ سَأَلَهُ مُحَمَّدُ الْحَلْبِيُّ: هَلْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبَّهُ؟_- نَعَمْ، رَأَاهُ بِقَلْبِهِ. فَأَمَّا رَبُّنَا - جَلَّ جَلَالُهُ - فَلَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ أَسْمَاعُ السَّامِعِينَ. (4)

1- الأعراف: 172 .

2- التوحيد: ص 117 ح 20، بحار الأنوار: ج 4 ص 44 ح 24 .

3- الاحتجاج: ج 2 ص 212 ح 223، بحار الأنوار: ج 10 ص 164 ح 2 .

4- الأمل للشيخ المرتضى: ج 1 ص 103، روضة الواعظين: ص 41، بحار الأنوار: ج 4 ص 54 ح 32 .

دراسة حول رؤية الله القلبية

أقسام الرؤية القلبية

1 . إحاطة القلب بالله

دراسة حول رؤية الله القلبية القلب أحد طرق معرفة الله بناءً علي ما ورد في أحاديث هذا الباب. فليس بإمكاننا رؤية الله بالقلب فحسب، بل صرّح عظماء المسلمين عن تجربتهم في رؤيته القلبية . والسؤال هنا : ما المقصود برؤية الله القلبية؟ ألا يمكننا القول بتعدّد رؤية الله بالقلب بنفس السبب الذي امتنعت رؤيته بالبصر؟!

أقسام الرؤية القلبية الجواب هو أنّ هناك معنيين لرؤية الله القلبية، أحدهما ممكن ، والآخر ممتنع :

1 . إحاطة القلب بالله المعني الأول للرؤية القلبية هو: أن يحيط القلب بالذات المقدّسة لله سبحانه، ويدركه الإنسان ببصيرة قلبه . وهذا الصنف من الرؤية القلبية لله مستحيل كالرؤية الحسية . فليس بإمكان المحدود أن يحيط باللامحدود . ولا فرق في هذا بين البصيرة والباصرة، وكما يقول الإمام علي عليه السلام :

2 . المعرفة الشهودية لله

لا تُحيطُ بهِ الأَبصارُ وَالقُلُوبُ . (1) وأيضاً ممّا قاله عليه السلام : عَظَمَ أن تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحاطَةِ قَلْبٍ أو بَصَرٍ . (2)

2 . المعرفة الشهودية لله المعنى الآخر للرؤية القلبية هو: شكل من التجارب الباطنية التي تنكشف بموجبها الحجب المظلمة والنورانية، وتتجلّى أنوار جلال الحقّ قدس سره وجماله للسالك . وتسمّى هذه الحالة بالمعرفة الشهودية، وأيّ بيان لهذه الحالة للمحجوبة قلوبهم، كوصف الجمال لشخص أعمى . وقد وصف من حاز شرف المعرفة الشهودية حالته الباطنية بعبارات كـ «تجلّى الله للقلب» . و«رؤية أنوار العظمة الإلهية» ، و«الاتصال بمعدن العظمة» . لكن الحقيقة أنّ المعنى الحقيقي لهذه الجملة غير قابل للاستيعاب أيضاً للقلوب المحجوبة

1- .راجع : ص 319 ح 3803 .

2- .راجع : ص 318 ح 3802 .

الفصل الرابع: طرق معرفة الله

4 / 1 معرفة النفس

إشارة

الفصل الرابع: طرق معرفة الله 4 / 1 معرفة النفس الكتاب «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» . (1)

الحديث للإمام الصادق عليه السلام في قوله سبحانه: «وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» -: إِنَّهُ خَلَقَكَ سَمِيعًا بَصِيرًا ، تَغَضَّبُ وَتَرْضِي ، وَتَجُوعُ وَتَشْبَعُ ؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى . (2)

التوحيد عن هشام بن سالم (3): التوحيد عن هشام بن سالم 4 : حَضَرْتُ مُحَمَّدَ بْنَ التُّعْمَانَ الْأَحْوَلَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : بِمَ عَرَفْتَ رَبِّكَ؟

1- الذاريات : 20 و 21 .

2- مجمع البيان : ج 9 ص 235 ، تفسير القمي : ج 2 ص 330 من دون إسنادٍ إلي المعصوم وفيه «تغضب مرة وترضي مرة» .

3- هذا النص وإن لم يكن عن المعصوم عليه السلام إلا أنه ينتهي إلي هشام بن الحكم وهو من أجداد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وأفضلهم في علم الكلام ، فالذي يقوي في النظر أنه مؤيد من الإمام عليه السلام فلذلك أوردناه هنا .

قال: بتوفيقه وإرشاده وتعريفه وهدايته. قال: فخرجت من عنده، فلقيت هشام بن الحكم، فقلت له: ما أقول لمن يسألني فيقول لي: بم عرفت ربك؟ فقال: إن سأل سائل فقال: بم عرفت ربك؟ قلت: عرفت الله - جل جلاله - بنفسي؛ لأنها أقرب الأشياء إلي، وذلك أنني أجدها أبعاضاً مجتمعةً وأجزاءً متولفةً، ظاهرة التركيب، مبيّنة الصنعة، مبيّنة علي ضروبٍ من التخطيط والتصوير، زائدة من بعد نقصان، وناقصة من بعد زيادة، قد أنشئ لها حواسٍ مختلفةً وجوارحٍ متباينة؛ من بصرٍ وسمعٍ وشامٍ وذائقٍ ولا مِسِّ، مجبولةً علي الضعف والنقص والمهاتمة، لا تدرك واحدةً منها مدرك صاحبيتها ولا تقوي علي ذلك، عاجزةً عند اجتلاب المنافع إليها ودفع المضار عنها، واستحال في العقول وجود تأليف لا مؤلف له، وثبات صورة لا مصوّر لها، فعلمت أن لها خالقاً خلقها، ومصوراً صورها، مخالفاً لها علي جميع جهاتها، قال الله عز وجل: «وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ». (1)

رسول الله صلي الله عليه وآله: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ. (2)

الأمالى: رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَأَلَتْهُ: مَتَى يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ؟ فَقَالَ: إِذَا عَرَفَ نَفْسَهُ. (3)

رسول الله صلي الله عليه وآله: أَعْرِفْكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرِفْكُمْ بِرَبِّهِ. (4)

1- التوحيد: ص 289 ح 9، بحار الأنوار: ج 3 ص 49 ح 22.

2- عوالي اللآلي: ج 4 ص 102 ح 149، مصباح الشريعة: ص 343، غرر الحكم: ح 7946 عن الإمام علي عليه السلام وليس فيه «فقد»، بحار الأنوار: ج 2 ص 32 ح 22؛ شرح نهج البلاغة: ج 20 ص 292 ح 339، المنة كلمة للجاحظ: ص 22 ح 6 كلاهما عن الإمام علي عليه السلام.

3- الأمالى للشيخ المرتضى: ج 1 ص 198.

4- جامع الأخبار: ص 35 ح 12، روضة الواعظين: ص 25.

عوالي اللآلي: رُوِيَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجُلٌ اسْمُهُ مُجَاشِعٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَعْرِفَةُ النَّفْسِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مُوَافَقَةِ الْحَقِّ؟ قَالَ : مُخَالَفَةُ النَّفْسِ . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى رِضَاءِ الْحَقِّ؟ قَالَ : سُدُّ خَطِّ النَّفْسِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى وَصْلِ الْحَقِّ؟ قَالَ : هَجْرُ النَّفْسِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى طَاعَةِ الْحَقِّ؟ قَالَ : عِصْيَانُ النَّفْسِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذِكْرِ الْحَقِّ؟ قَالَ : نِسْيَانُ النَّفْسِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى قُرْبِ الْحَقِّ؟ قَالَ : التَّبَاعُدُ عَنِ النَّفْسِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى أَنْسِ الْحَقِّ؟ قَالَ : الْوَحْشَةُ مِنَ النَّفْسِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ؟

قال: الاستعانة بالحق علي النفس (1).

مصباح الشريعة- فيما نسبه إلي الإمام الصادق عليه السلام-: قال صلي الله عليه وآله: أطلّبوا العلم ولو بالصين. وهو علم معرفة النفس، وفيه معرفة الرب (2).

الإمام علي عليه السلام: عجبت لمن يجهل نفسه، كيف يعرف ربه؟! (3)

عنه عليه السلام: أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه (4).

عنه عليه السلام- في الحكم المنسوبة إليه-: من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز (5).

الإمام الصادق عليه السلام: العجب من مخلوق يزعم أن الله يخفي علي عبادِهِ وهو يري أثر الصنع في نفسه، بتركيب يهتر عقله، وتأليف يبطل جوده (6)!(7)

عنه عليه السلام: إن الصورة الإنسانية أكبر حجة الله علي خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ، وهي الشاهد علي كل غائب، وهي الحجة علي كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلي كل خير، وهي الصراط

1- عوالي اللآلي: ج 1 ص 246 ح 1، بحار الأنوار: ج 70 ص 72 ح 23.

2- مصباح الشريعة: ص 342، بحار الأنوار: ج 2 ص 32 ح 21.

3- غرر الحكم: ح 6270، عيون الحكم والمواعظ: ص 329 ح 5639.

4- غرر الحكم: ح 3126، عيون الحكم والمواعظ: ص 112 ح 2438 وفيه «أكبر» بدل «أكثر».

5- شرح نهج البلاغة: ج 20 ص 292 ح 340.

6- في بحار الأنوار «حجته» وما أوردناه كما في نسخة أخرى ذكرت في هامشه.

7- بحار الأنوار: ج 3 ص 152 نقلاً عن الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

الممدودُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . (1)

بحار الأنوار عن صُحفِ إدریس علیه السلام : مَنْ عَرَفَ الْخَلْقَ عَرَفَ الْخَالِقَ ، وَمَنْ عَرَفَ الرَّزْقَ عَرَفَ الرَّازِقَ ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ . (2)

راجع : ص 99 (التَّجَرِبَةُ) و 129 (الباب الثاني : خلق الإنسان) .

1- .الكلمات المكنونة : ص 111 ، الأسفار الأربعة : ج 8 ص 356 عن الإمام علي عليه السلام وليس فيه «وهي الهيكل الذي بناه بحكمته» و«هي الحجّة علي كلّ جاحد» ، جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ص 383 ح 765 ، نصّ النصوص : ص 306 وص 441 ، كشف الأسرار : ص 160 .

2- .بحار الأنوار : ج 95 ص 456 نقلاً عن ابن متّويه .

تحليل حول دور معرفة النفس في معرفة الله

تحليل حول دور معرفة النفس في معرفة اللّهانّ في خلق الإنسان علامات و دلالات واضحة علي معرفة الله من منظور القرآن الكريم ، وكلّ من لم يكن لجوجا وأراد أن يقرّ بحقائق الوجود معتمدا علي الدليل والبرهان ؛ فإنه يستطيع أن يتعرّف علي خالق العالم وحقيقة الحقائق إذا أمعن النظر في حكّم وجوده ، كما قال سبحانه وتعالى: «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (1) . «وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» (2) . «سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ...» (3) . تصرّح الآيات المذكورة بأنّ الدليل في وجود الإنسان لمعرفة خالق العالم ليس واحدا بل توجد أدلّة كثيرة ، ولهذا عبّرت الآيات الكريمة بلفظ الجمع ، بل لا يستطيع الإنسان أن يكون عارفا بنفسه حقّا وغير عارف بالله .

1- .الجاثية: 4 .

2- .الذاريات: 20 و 21 .

3- .فصلت: 53 .

أقسام أحاديث الدعوة إلي معرفة النفس

1 . قيمة معرفة النفس

2 . مضار الجهل بالنفس

أقسام أحاديث الدعوة إلي معرفة النفسين الأحاديث الإسلامية مستلهمة من القرآن الكريم ، تؤكد معرفة النفس كثيرا ، ويمكن أن نقسّمها أربعة أقسام :

1 . قيمة معرفة النفس القسم الأول : إنّ الأحاديث التي تعدّ معرفة النفس أكثر المعارف قيمةً كالتّي رُوِيَتْ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إذ قال: «أَفْضَلُ الْمَعْرِفَةِ مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ» (1) . «الْمَعْرِفَةُ بِالنَّفْسِ أَنْفَعُ الْمَعْرِفَتَيْنِ» (2) . «أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ» (3) . «غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ» (4) . «مَعْرِفَةُ النَّفْسِ أَنْفَعُ الْمَعَارِفِ» (5) . وعن الإمام الباقر عليه السلام : «لَا مَعْرِفَةَ كَمَعْرِفَتِكَ بِنَفْسِكَ» (6) .

2 . مضارّ الجهل بالنفس القسم الثاني : الأحاديث التي تناولت المضارّ الناشئة عن جهل الإنسان نفسه ، فقد أكّدت هذه الأحاديث أنّ الإنسان لا يستطيع أن يمتلك رؤيةً كوثيةً صحيحةً ولا

1- .غور الحكم : ح 2935 .

2- .غور الحكم : ح 1675 .

3- .غور الحكم : ح 3105 .

4- .غور الحكم : ح 6365 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 348 ح 5911 .

5- .غور الحكم : ح 9865 .

6- .تحف العقول : ص 286 عن جابر الجعفي ، بحار الأنوار : ج 78 ص 165 ح 1 .

3 . مفتاح معرفة الوجود

4 . مفتاح معرفة الله

يظفر بطريق الفلاح والنجاة في الحياة ما لم يعرف نفسه . فيما يأتي قسم من كلمات الإمام علي عليه السلام في هذا الموضوع: «مَنْ جَهَلَ نَفْسَهُ كَانَ بِغَيْرِ نَفْسِهِ أَجْهَلَ» (1) . «كَيْفَ يَعْرِفُ غَيْرَهُ مَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ» (2) . «لَا تَجْهَلُ نَفْسَكَ فَإِنَّ الْجَاهِلَ مَعْرِفَةَ نَفْسِهِ جَاهِلٌ بِكُلِّ شَيْءٍ» (3) . «مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ بَعْدَ عَن سَبِيلِ النَّجَاةِ ، وَخَبَطَ فِي الضَّلَالِ وَالْجَهَالَاتِ» (4) .

3 . مفتاح معرفة الوجود القسم الثالث : الأحاديث التي تنص علي أنّ معرفة النفس مقدّمة لمعرفة الوجود ومفتاح لها ، كما نُقل عن الإمام علي عليه السلام قوله: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَهُوَ لِغَيْرِهِ أَعْرَفٌ» (5) . وقوله: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ انْتَهَى إِلَى غَايَةِ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَعِلْمٍ» (6) .

4 . مفتاح معرفة الله القسم الرابع : الأحاديث التي تجعل معرفة النفس مفتاحا لمعرفة الله سبحانه ، بل مساوية لها ، وقد لوحظت في الفصل الرابع ، أشهرها الحديث الشريف الذي روي عن النبي صلي الله عليه وآله ، والإمام علي عليه السلام ، قالوا:

1- .غرر الحكم : ح 8624 .

2- .عيون الحكم والمواعظ : ص 383 ح 6467 .

3- .غرر الحكم : ح 10337 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 524 ح 9547 .

4- .غرر الحكم : ح 9034 .

5- .غرر الحكم : ح 8758 .

6- .غرر الحكم : ح 8949 .

5 . القصد من معرفة النفس

وقفه عند حديث «من عرف نفسه»

الأول : سند الحديث

«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» (1).

5 . القصد من معرفة النفس القسم الخامس : الأحاديث التي تبين القصد من معرفة النفس وتفسّر ذلك ، كالتالي وردت في الفصل الرابع ، وجميع الأحاديث التي ستأتي في الباب الثاني حول خلق الإنسان . والآن لمّا كان الحديث الشريف «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» قد نال اهتمام العلماء ولاسيّما أولي الحكمة والعرفان من بين جميع الآيات والأحاديث التي دعت الناس إلي معرفة النفس ، فمن الضروريّ الالتفات كما يبدو إلي عدد من الموضوعات في هذا المجال :

وقفه عند حديث «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ...» الأول : سند الحديث نقل هذا الحديث الشريف «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» في مختلف المصادر الروائيّة _ كما لوحظ في الفصل الرابع _ لكنّه يخلو من سند متّصل بأهل البيت عليهم السلام . إنّ هذا الحديث واحد من مئة كلمة اختارها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفّي سنة 255 هـ من قصار كلمات أمير المؤمنين عليه السلام . وسّمّاها «مطلوب كلّ طالب من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب» ، وقال في وصفها: «كلّ كلمة تقي بألف من محاسن كلام العرب» (2) . وتذهب بعض الروايات إلي أنّ مضمون هذا الحديث كان قبل الإسلام أيضًا فقد

1- عوالي اللآلي : ج 4 ص 102 ح 149 ، غرر الحكم : ح 7946 .

2- هذه المئة كلمة شرحها ابن ميثم البحرانيّ ، ورشيد الدين الطواط و عبد الوهاب . وطُبعت كلّها في مجلّد واحد بتصحيح المحدث الأرمويّ . راجع: هِزار ويك كلمه (بالفارسية) : ج 3 ص 194 .

الثاني : شروح الحديث

ورد في صحف إدريس عليه السلام (1) ، وقد نُقل عن الراغب الاصفهاني أنه قال في رسالة «تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين» : «قد رُوي إنه ما أنزل الله من كتاب إلا وفيه: اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك» (2) . أجل ، يُصطلح علي الحديث المذكور عنوان المُرسَل ، وإسناده غير واضح ، بيد أن مضمونه قد ورد في الآيات المشار إليها ، وهو في الحقيقة شرح و تفسير لتلك الآيات ، فلا حاجة إلي جرح السند وتعديله ، من هنا أيده كثير من المحدثين والمحققين واستندوا إليه . الثاني : شروح الحديث كان هذا الحديث الشريف منذ أمد بعيد مثار اهتمام العلماء بخاصة الحكماء وأولي العرفان ، وقد صُنفت رسالات ومقالات كثيرة فيه ، فيما يأتي بعض شروحه المستقلة: (3) 1 . الرسالة الوجودية في معني قوله صلي الله عليه و آله : «من عرف نفسه فقد عرف ربه» . طبعة القاهرة . 2 . رسالة «بالفارسية» في شرح حديث: «من عرف نفسه» لعماد الدين بن يونس بنجهازري . طبعتها الأستاذ حسن زاده آملّي (4) . 3 . رسالة «بالفارسية» في شرح حديث: «من عرف نفسه» للعارف عبد الله بلياني . وطُبعت مع رسائل أُخري سنة 1394 هـ . (5)

1- .راجع : ص 87 ح 3480 .

2- .هزار ويك كلمه (بالفارسية) : ج 3 ص 199 .

3- .راجع : ميراث حديث شيعه (بالفارسية) : الدفتر الأول ص 144 _ ص 146 .

4- .هزار ويك كلمه (بالفارسية) : ج 3 ص 197 و ص 217 _ 228 .

5- .فهرست نسخ خطي كتابخانه آيت الله مرعشي (بالفارسية) : ج 18 ص 62 .

4. رسالة في شرح حديث: «من عرف نفسه» للأستاذ حسن زاده آملي، وطُبعت باللغة الفارسية بعنوان «هزار و يك كلمه» يعني باللغة العربية: ألف كلمة وكلمة. (1) وقد أورد العلامة الطهراني في الذريعة خمس رسائل في شرح هذا الحديث. (2) 5. عدّة رسائل بالفارسيّة في شرح حديث: «من عرف نفسه» إحداهما للأستاذ حسن زاده آملي. وهي مخطوطة (3). 6. والأخري لأحمد بن زين الدين الإحسائي (4)، والثالثة لأحمد بن صالح بن طوق القطيفي، والرابعة لصدر الدين الكاشف الدزفولي (1174 _ 1256 هـ)، والخامسة لعماد الدين المازندراني، والسادسة لعلي بن أحمد بن الحسين آل عبد الجبار القطيفي (1287 هـ). كما يوجد شرحان للحديث المذكور مجهولي المؤلف. (5) 7. والسابعة لمولانا برهان البغدادي. (6) 8. شرح حديث: «أعلمكم بنفسه أعلمكم برّبه»، المملأ إسماعيل الخواجوي المازندراني. (7)

1- هزار و يك كلمه (بالفارسية): ج 3 ص 189 _ 227.

2- الذريعة: ج 13 ص 208 _ 209.

3- هزار و يك كلمه (بالفارسية): ج 3 ص 198.

4- فهرست كتب مشايخ (بالفارسية): ص 15، مكتبة آية الله الكليبايگاني، مجموعة رقم 714/4.

5- فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله مرعشي (بالفارسية): ج 3 ص 336. فهرست نسخ خطي كتابخانه مسجد أعظم (بالفارسية): ص 589.

6- فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله مرعشي (بالفارسية): ج 3 ص 335.

7- فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله مرعشي (بالفارسية): ج 14 ص 329.

9. مرآة المحققين في معني من عرف نفسه ، الشيخ محمود الشبستريّ. (فارسي). (1) 10. زبدة الطريق في معني من عرف نفسه ، درويش علي بن يوسف كوكدي(فارسي). (2) 11. معني من عرف نفسه ، الشيخ حبيب العجميّ. (3) 12. الغوثية شرح من عرف نفسه ، عبد القادر الجيلانيّ. (4) 13. الفصوص في قول من عرف نفسه ، محيي الدين بن عربي. (5) 14. النورية في حديث من عرف نفسه ، آغا شمس الدين. (6) 15. أسرار الدقائق ، شرح حديث «من عرف نفسه» ، الشيخ بدر الدين السماويّ. (7) 16. شرح حديث من عرف نفسه ، الإمام محمّد الغزاليّ. (8) 17. القول الأشبه في حديث من عرف نفسه ، جلال الدين أبو بكر السيوطيّ. 9 18. نقطة الوحدة في معني من عرف نفسه ، الشيخ أبو إسحاق (تركي). 10 19. معني من عرف نفسه ، الإمام محمّد الغزاليّ (تركي). 11

1- .أعيد طبعه غير مرّة .

- 2- .فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله مرعشي (بالفارسية) : ج 3 ص 148 .
- 3- .فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله مرعشي (بالفارسية) : ج 3 ص 139 .
- 4- .فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله مرعشي (بالفارسية) : ج 3 ص 146 .
- 5- .فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله مرعشي (بالفارسية) : ج 3 ص 147 .
- 6- .طبعت هذه الرسالة في «الحاوي للفتاوي» مرارا .
- 7- .فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله مرعشي (بالفارسية) : ج 3 ص 150 .
- 8- .فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله مرعشي (بالفارسية) : ج 3 ص 149 .

الثالث : معاني الحديث

20 . رسالة قبس المقتبس ، المألا حبيب شريف الكاشاني (فارسي) . (1) 21 . الغوثية شرح من عرف نفسه فقد عرف ربه ، السيد محمد مهدي التنكابني (فارسي) . (2) يضاف إلي هذه الرسائل المستقلة وجود شروح ضمنية كثيرة أيضا علي هذا الحديث ، نشير فيما يأتي إلي بعضها : 1 . صدّ كلمه «بالفارسية» ، رشيد الدين وطواط ، الكلمة السادسة ، ص 5 _ 6 . 2 . الميزان في تفسير القرآن ، ج 6 ، ص 169 _ 176 . 3 . صدّ كلمه «بالفارسية» ، الأستاذ حسن زاده ، الكلمة 26 . 4 . هزار ويك نكته «بالفارسية» ، التّكات : 105 ، 128 ، 541 .

الثالث : معاني الحديث في معان كثيرة ذكر منها الأستاذ حسن زاده آملی اثنين وتسعين معنيّ تحت عنوان: بعض المعاني الواردة في الحديث الشريف: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» (3) . يعتقد البعض أنّ في هذا الحديث إشاراتٍ لطيفة وإرشادات بيّنة لأصول الدين: معرفة الله ، والصفات الثبوتية والسلبيّة ، والعدل ، والنّبوة ، والإمامة ، والمعاد (4) . ويرى بعض آخر أنّ جميع القضايا الفلسفيّة الأصيلّة ومطالب الحكمة المتعالية

1- . طبعت هذه الرسالة في مجلّة علوم حديث (بالفارسيّة) ، العدد 4 ، ص 132 .

2- . طبعت هذه الرسالة في كتاب ميراث حديث شيعه (بالفارسية) ، الدفتر الأوّل ، ص 150 _ 172 .

3- . هزار ويك كلمه (بالفارسية) : ج 3 ص 200 ، ص 216 .

4- . هزار ويك كلمه (بالفارسية) : ج 3 ص 217 .

الرابع : أوضح معاني الحديث

القيمة والحقائق العرفانية الرصينة يمكن استنباطها منه (1). ويذهب فريق ثالث إلى أن جميع أصول الدين وفروعه ، وكافة الأحكام الدنيوية والأخروية ، وأحكام الربوبية والعبودية كلها تلخصت في هذا الحديث (2). إن تقويم ما قيل في شرح هذا الحديث يتطلب فرصة أخرى ، لكن يبدو أن الالتفات إلى ثلاث نقاط ضروري من أجل تبيان القصد منه بدقة ، هي : 1 . التأمل في الآيات الكريمة التي تتعلق بها هذا الحديث الشريف . 2 . ملاحظة الروايات التي تعد بمنزلة الشرح لهذا الحديث . 3 . الرجوع إلى ما فهمه أصحاب الأئمة من معرفة النفس . وبدل تحليل لما قيل في معاني الحديث المذكور علي أن النقاط التي أشير إليها إما لم تلت نصيبها من الاهتمام أو قل الاهتمام بها .

الرابع : أوضح معاني الحديثان مقتضي الدقة في الآيات التي تدعو الإنسان إلى معرفة الله بمعرفة نفسه ، ومجموع الأحاديث التي تبينها وتفسرها ، وكذلك الرجوع إلى فهم المتكلمين من أصحاب أهل البيت ، كل ذلك يفضي إلى أن أوضح معاني الحديث الدعوة إلى معرفة النفس ، والتدبر في الحكم التي مضت في خلق الإنسان ، وتعبّر عن العلم والقدرة المطلقة لخالقه ، وهذه الحكم التي سُرحت في متن القرآن والأحاديث هي كيفية خلق الإنسان من تراب ، وكيفية نشأته من نطفة ، وتصوير الجنين في الرحم ، ونفخ

1- هزار ويك كلمه (بالفارسية) : ج 3 ص 191 .

2- ميراث حديث شيعه (بالفارسية) : الدفتر الأول ص 157 .

الروح في الجنين، واختلاف الألسن والألوان، وتأمين الأطعمة المطلوبة... إلخ. وقد فصّلت في الباب الثاني وهي من أسرار السبل إلى معرفة الله (1)، وقد أوجز الإمام الصادق عليه السلام آيات الحكمة وآثار الصنع في وجود الإنسان بقوله: «وَالْعَجَبُ مِنْ مَخْلُوقٍ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَخْفِي عَلَيَّ عِبَادِهِ وَهُوَ يَرِي أَثَرَ الصَّنْعِ فِي نَفْسِهِ بِتَرْكِيْبٍ يُبْهَرُ عَقْلَهُ وَتَأْلِيْفٍ يُبْطِلُ حُجَّتَهُ» (2). وقوله عليه السلام في بيان الآية 53 من سورة فصلت: «وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ»: «إِنَّهُ خَلَقَكَ سَمِيعًا بَصِيرًا، تَغَضَّبُ وَتَرْضَى، وَتَجُوعُ وَتَشْبَعُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» (3). من اللافت للنظر أنّ هشام بن الحكم - وهو من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام وأصحابه المتكلمين - استنبط نفس المعني من الآيات والأحاديث الواردة في معرفة النفس، فقد قال في صدد معرفة الله عن طريق معرفة النفس: عَرَفْتُ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِنَفْسِي لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ، وَذَلِكَ أَنِّي أَحَدُهَا أَبْعَاثًا مُجْتَمِعَةً وَأَجْزَاءً مُؤْتَلِفَةً... (4). ويشير في الختام إلى أنّ القصد من قوله تعالى: «وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» هو هذا المعني نفسه. لكننا نأسف شديد الأسف علي أنّ المعني الواضح الذي أكده القرآن الكريم والأحاديث في تبين حديث معرفة النفس قد غُفِلَ عنه تماما ولم يذكر في عداد الشروح الملحوظة حتّي بوصفه معني كسائر المعاني - التي فرض بعضها علي

1- راجع: ص 129 «الباب الثاني: خلق الإنسان».

2- بحار الأنوار: ج 3 ص 152 عن المفضل بن عمر.

3- راجع: ص 83 ح 3468.

4- راجع: ص 83 ح 3469.

الخامس : مراتب النفس

الحديث الشريف _ ولو أن علماء المسلمين أخذوا برسالة القرآن في معرفة النفس لفاقوا جميع علماء العالم في العلوم المرتبطة بعلم معرفة الإنسان . الخامس : مراتب معرفة النفس لا شك في أن لمعرفة النفس مراتب كمعرفة الله ، لذا نقرأ في الحديث العَلَوِيُّ قوله عليه السلام : «أَعْرَفُكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرَفُكُمْ بِرَبِّهِ» (1) . إن أوطأ المراتب في معرفة النفس ميسرة لعامة الناس ، بيد أنه كلما زادت معلومات الإنسان بنفسه ، زادت معرفته بالله سبحانه ، إلي أن يظفر بالمعرفة الشهودية للنفس ، وهناك يفوز بالمعرفة الشهودية للحق تعالي ، ويشهد وحدانيته إلي جانب الملائكة وأولي العلم: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ» (2) . ولا يتيسر بلوغ هذه المرتبة من المعرفة إلا عن طريق المجاهدة التي سيأتي الحديث عنها في الفصل السادس .

1- راجع: ص 84 ح 3472 .

2- آل عمران : 18 .

إشارة

4 / 2 التجربة الإمام علي عليه السلام: عُرِفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ ، وَحَلِّ الْعُقُودِ ، وَكَشْفِ الضَّرِّ وَالْبَلِيَّةِ عَمَّنْ أَحْلَصَ لَهُ النَّيَّةَ . (1)

عنه عليه السلام: عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ ، وَحَلِّ الْعُقُودِ ، وَنَقْضِ الْهَمَمِ . (2)

جامع الأخبار: سُدَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الدَّلِيلُ عَلَيِ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ؟ قَالَ: ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ: تَحْوِيلُ الْحَالِ ، وَضَعْفُ الْأَرْكَانِ ، وَنَقْضُ الْهَمَّةِ . (3)

الإمام الحسين عليه السلام: إِنَّ رَجُلًا قَامَ إِلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِمَاذَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِفَسْخِ الْعَزْمِ ، وَنَقْضِ الْهَمِّ ، لَمَّا هَمَمْتُ فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَمِّي ، وَعَزَمْتُ فَخَالَفَ الْقَضَاءُ عَزْمِي ؛ عَلِمْتُ أَنَّ الْمُدَبِّرَ غَيْرِي . (4)

التوحيد عن هشام بن سالم: سُدَّ لِأَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَفِيلَ لَهُ: بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِفَسْخِ الْعَزْمِ ، وَنَقْضِ الْهَمِّ ؛ عَزَمْتُ فَفَسَخَ عَزْمِي ، وَهَمَمْتُ فَفَقَّضَ هَمِّي . (5)

1- غرر الحكم: ح 6315 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 339 ح 5778 .

2- نهج البلاغة: الحكمة 250 ، روضة الواعظين: ص 38 وليس فيه «نقض الهمم» .

3- جامع الأخبار: ص 39 ح 28 ، بحار الأنوار: ج 3 ص 55 ح 29 .

4- التوحيد: ص 288 ح 6 عن زياد بن المنذر عن الإمام الباقر عن أبيه عليهما السلام ، الخصال: ص 33 ح 1 ، مختصر بصائر الدرجات: ص 131 كلاهما عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه عليهما السلام ، روضة الواعظين: ص 38 عن الإمام الباقر عنه عليهما السلام ، إرشاد القلوب: ص 168 من دون إسنادٍ إلي المعصوم وفيه «الهمم» بدل «الهمم» ، بحار الأنوار: ج 3 ص 42 ح 17 .

5- التوحيد: ص 289 ح 8 ، بحار الأنوار: ج 3 ص 49 ح 21 .

الإمام الصادق عليه السلام لا بن أبي العوجاء لما قال: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لي خلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلِف منهم اثنان، ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرُّسل؟ ولو باشروهم بنفسه كان أقرب إلي الإيمان به: وَيَلْكَ وَكَيْفَ احْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَرَاكَ قُدْرَتَهُ فِي نَفْسِكَ؛ شُوءَكَ وَلَمْ تَكُنْ، وَكِبْرَكَ بَعْدَ صِدْقِكَ، وَقُوَّتَكَ بَعْدَ ضَعْفِكَ وَضَعْفَكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ، وَسُقْمَكَ بَعْدَ صِحَّتِكَ وَصِحَّتَكَ بَعْدَ سُقْمِكَ، وَرِضَاكَ بَعْدَ غَضَبِكَ وَغَضَبَكَ بَعْدَ رِضَاكَ، وَحُزْنَكَ بَعْدَ فَرَحِكَ وَفَرَحَكَ بَعْدَ حُزْنِكَ، وَحُبَّكَ بَعْدَ بُغْضِكَ وَبُغْضَكَ بَعْدَ حُبِّكَ، وَعَزْمَكَ بَعْدَ أُنَاتِكَ وَأُنَاتَكَ بَعْدَ عَزْمِكَ، وَشِدْهُوتَكَ بَعْدَ كِرَاهَتِكَ وَكِرَاهَتَكَ بَعْدَ شِدْهُوتِكَ، وَرَغْبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ وَرَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ، وَرَجَاءَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ وَيَأْسَكَ بَعْدَ رَجَائِكَ، وَخَاطِرَكَ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَهْمِكَ، وَعُزُوبَ مَا أَنْتَ مُعْتَقِدُهُ عَن ذَهْنِكَ. (1)

راجع: ص 83 (معرفة النفس) و 135 ح 3545.

1- الكافي: ج 1 ص 75 ح 2، التوحيد: ص 127 ح 4 وفيه «إبانك» بدل «أُنَاتَكَ» وكلاهما عن ابن أبي العوجاء.

توضيح حول تأثير التجربة في معرفة الله

توضيح حول تأثير التجربة في معرفة الله يمكن أن نفسّر معرفة الله عن طريق التجربة بنمطين، وهما كما يأتي: الأول: تطرأ في الحياة الخاصة لكل إنسان حالات وحوادث متنوّعة، وهي تعبّر عن تدبير المدبّر من جهة، وأن لا تأثير للإنسان نفسه في إيجادها من جهة أُخري، كأنّه يعتزم بجزمٍ علي القيام بعملٍ ينتهي بضرره في الحقيقة لكنّه ينصرف عنه بلا دليل عقليّ خاصّ يمتلكه، ثمّ يتبيّن بعد ذلك أنّه لو كان فعلاً لضرّه وأخسره، فمن ذا الذي حال بينه وبين عزمه القاطع وأنقذه من الخطر؟ إنّ التأمل في هذه التجربة كما لوحظ في الكلام العلويّ يوصل الإنسان إلي نتيجة، هي أنّ مدبّر حياة الإنسان غيره، وما هو إلاّ الله الحكيم العليم القدير، كما نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ» (1). أجل، فالله سبحانه هو الذي يحول بين الإنسان وقلبه، ويسبّب فسخ عزيّمته ونقض همّته. علي هذا المنوال نلاحظ أنّ الطفولة، والشباب، والشيوخ، والضعف، والقوّة،

والصحة، والمرض، وسائر الحالات التي تعرض للإنسان، _ وهي خارجة عن إرادته وتدبيره _ تعبّر عن حكم مدبرٍ سواه . وهذا التفسير للتجربة فرع من معرفة الله عن طريق معرفة النفس حقًا، من هنا يتسنى لنا أن نعدّ هذه الأحاديث من الأحاديث الشارحة للحديث المأثور: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» . الثاني: معني معرفة الله عن طريق التجربة تجربة تتجلّي للموحّدين المتّقين المخلصين: «عُرِفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَحَلِّ الْعُقُودِ، وَكَشْفِ الضُّرِّ وَالْبَلِيَّةِ عَمَّنْ أَخْلَصَ لَهُ النَّيَّةَ» (1) . ولحلّ مشكلات الحياة ودفع بليّاتها طريق آخر غير الطرق العاديّة والماديّة المعروفة، وذلك هو التّقوي، والتوكّل، والإخلاص، وينصّ القرآن الكريم علي هذا في قوله عزّ من قائل: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (2) . ويؤكّد أيضا: «وَالَّذِينَ جَاءُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» (3) . ولكلّ باحثٍ أن يجرب التوحيد، بل النبوة عبر الاختبار العمليّ للآيات المذكورة في حياة الموحّدين المتّقين المخلصين .

1- راجع: ص 99 ح 3481 .

2- الطلاق: 2 و 3 .

3- العنكبوت: 69 .

4 / 3 التفكير في حدوث العالم

إشارة

4 / 3 التفكير في حدوث العالم الكتاب «أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ .» (1)

«اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ» (2)

«قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» (3)

راجع: الأنعام: 14، يوسف: 101، فاطر: 1، الزمر: 46، الشوري: 11.

الحديث للإمام علي عليه السلام: الحمد لله... الدال على قدمه بحدوث خلقه، ويحدث خلقه علي وجوده... مستشهد بحدوث الأشياء علي أزليته، وبما سمها به من العجز علي قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء علي دوامه (4)

عنه عليه السلام: الحمد لله الملهم عبادة حمده، وفاطريهم علي معرفة ربوبيته، الدال علي وجوده بخلقهم، ويحدث خلقه علي أزليه (5)

عنه عليه السلام: أما الاحتجاج علي من أنكر الحدوث مع ما تقدم، فهو أنا لما رأينا هذا

1- الطور: 35 و 36.

2- الزمر: 62.

3- الأنبياء: 56.

4- نهج البلاغة: الخطبة 185، التوحيد: ص 69 ح 26 عن الهيثم بن عبد الله الرماني عن الإمام الرضا عن أبائه عنه عليهم السلام، البلد الأمين: ص 92 وفيهما ذيله من «مستشهد بحدوث»، الاحتجاج: ج 1 ص 480 ح 117، بحار الأنوار: ج 4 ص 221 ح 2.

5- الكافي: ج 1 ص 139 ح 5 عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص 56 ح 14 عن فتح بن يزيد عن الإمام الرضا عليه السلام، نهج البلاغة: الخطبة 152 نحوه، بحار الأنوار: ج 57 ص 166 ح 105.

العالم المتحرك متناهية أزمانه وأعيانه وحركاته وأكوانه، وجميع ما فيه، ووجدنا ما غاب عنا من ذلك يلحقه النهاية، ووجدنا [العقل يتعلق بما لا نهاية، ولولا ذلك لم يجد العقل دليلاً يفرق ما بينهما، ولم يكن لنا بُدٌّ من إثبات ما لا نهاية له معلوماً معقولاً أبدياً سرمدياً، ليس بمعلوم أنه مقصور القوي، ولا مقدور ولا متجزئ ولا منقسم، فوجب عند ذلك أن يكون ما لا يتناهي مثل ما يتناهي. وإذا قد ثبت لنا ذلك، فقد ثبت في عقولنا أن ما لا يتناهي هو القديم الأزلي، وإذا ثبت شيء قديم وشيء مُحدث، فقد استغنى القديم الباري للأشياء عن المُحدث الذي أنشأه وبرأه وأحدثه، وصحَّ عندنا بالحجة العقلية أنه المُحدث للأشياء، وأنه لا خالق إلا هو، فتبارك الله المُحدث لكل مُحدث، الصانع لكل مصنوع، المُبتدع للأشياء من غير شيء. وإذا صحَّ أنني لا أقدر أن أُحدث مثلي استحال أن يُحدثني مثلي، فتعالى المُحدث للأشياء عما يقول الملحدون علواً كبيراً. (1)

الإمام الصادق عليه السلام. لَمَّا سُئِلَ: مَا الدَّلِيلُ عَلَيَّ أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا؟: أَكْثَرُ الْأَدِلَّةِ فِي نَفْسِي؛ لِأَنِّي وَجَدْتُهَا لَا تَعْدُو أَحَدًا أَمْرِينَ: إِمَّا أَنْ أَكُونَ خَلَقْتُهَا وَأَنَا مَوْجُودٌ، وَإِمَّا أَنْ أَكُونَ خَلَقْتُهَا وَأَنَا مَعْدُومٌ؛ فَكَيْفَ يَخْلُقُ لَا شَيْءٌ؟ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمَا فَاسِدَتَيْنِ مِنَ الْجِهَتَيْنِ جَمِيعًا عَلِمْتُ أَنَّ لِي صَانِعًا وَمُدَبِّرًا. (2)

عنه عليه السلام. لَمَّا سَأَلَهُ أَبُو شَاكِرٍ الدَّيْصَانِيُّ: مَا الدَّلِيلُ عَلَيَّ أَنَّ لَكَ صَانِعًا؟: وَجَدْتُ نَفْسِي

1- بحار الأنوار: ج 93 ص 90 نقلاً عن رسالة النعماني.

2- روضة الواعظين: ص 39.

لا تخلو من إحدى جهتين: إما أن أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري؛ فإن كنت صنعتها أنا فلا أخلو من أحد معنيين: إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة، أو صنعها وكانت معدومة؛ فإن كنت صنعها وكانت موجودة فقد استغنت بوجودها عن صنعها، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئا، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صنعا؛ وهو الله رب العالمين، فقام وما أجاز جوابا (1). (2)

عنه عليه السلام. لما سأله ابن أبي العوجاء: ما الدليل علي حدث الأجسام؟ -: إني ما وجدت شيئا صغيرا ولا كبيرا إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديما ما زال ولا حال؛ لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخوله في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم والحدث والقدم في شيء واحد. فقال عبد الكريم: هبك علمت في جري الحالتين والزمانين علي ما ذكرت، واستدللت بذلك علي حدوثها، فلو بقيت الأشياء علي صغرها، من أين كان لك أن تستدل علي حدوثهن؟ فقال العالم عليه السلام: إنما تتكلم علي هذا العالم الموضوع، فلو رفعا ووضعا عالما آخر كان لا شيء أدل علي الحدث من رفعا إياه ووضعا غيره، ولكن أجيبك من حيث قدرت أن تلمنا، فنقول: إن الأشياء لو دامت علي صغرها لكان في الوهم أنه متي ضم شيء إلي مثله كان أكبر، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم، كما أن

1- ما أجاز جوابا: أي ما ردّ (القاموس المحيط: ج 2 ص 16).

2- التوحيد: ص 290 ح 10 عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج 3 ص 50 ح 23.

في تغييره دخوله في الحدّث، ليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم، فانقطع وخزي. (1)

التوحيد عن هشام بن الحكم: دخل أبو شاكر الديباني علي أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال له: إنك أحد النجوم الزواهر، وكان أبوك بدورا بواهر، وأمّهاتك عقيلاتٍ عباهر، وعنصرُك من أكرم العناصير، وإذا ذكر العلماء فيك تُشني الخناصير، فحبرني أيها البحر الخضمّ الرّاخر، ما الدليل علي حدوث العالم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: نستدلّ عليه بأقرب الأشياء. قال: وما هو؟ فدعا أبو عبد الله عليه السلام بيضة فوضّعها علي راحته، فقال: هذا حصن مملوم، داخله غرقى (2) رقيق لطيف، به فضة سائلة وذهبة مائعة، ثمّ تفلق عن مثل الطاووس، أدخلها شيء؟ فقال: لا. قال: فهذا الدليل علي حدوث العالم. قال: أخبرت فأوجزت، وقلت فأحسنت، وقد علمت أنا لا تقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بإذناننا، أو شمّمناه بمناخِرنا، أو ذُقناه بأفواهنا، أو لمسناه بأكفنا، أو تصوّرنا في القلوب بيانا، أو استنبطه الرويات (3) إيقانا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس، وهي لا تنفع شيئا بغير دليل، كما لا يقطع الظلمة بغير مصباح. (4)

-
- 1- الكافي: ج 1 ص 77، التوحيد: ص 297 ح 6، بحار الأنوار: ج 57 ص 62 ح 32.
 - 2- الغرقى: القشرة الملتفة ببيض البيض (القاموس المحيط: ج 1 ص 22).
 - 3- الرويات: جمع رويّة؛ وهي التفكير في الأمر (لسان العرب: ج 14 ص 350 «روي»).
 - 4- التوحيد: ص 292 ح 1، الأمالي للصدوق: ص 432 ح 571، الإرشاد: ج 2 ص 201، إعلام الوري: ج 1 ص 543، روضة الواعظين: ص 28، بحار الأنوار: ج 10 ص 211 ح 12.

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ الْأَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَيَّ حُدُوثِهَا مِنْ . . . تَحَرُّكِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَانْقِلَابِ الْأَزْمِنَةِ، وَاخْتِلَافِ الْوَقْتِ، وَالْحَوَادِثِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي الْعَالَمِ، مِنْ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، وَمَوْتٍ وَبَلَاءٍ، وَاضْطِرَارِ النَّفْسِ إِلَيَّ الْإِقْرَارِ بِأَنَّ لَهَا صَانِعًا وَمُدَبِّرًا. أما تَرَى الْحُلُوقَ يَصِيرُ حَامِضًا، وَالْعَذَبُ مَرًّا، وَالْجَدِيدُ بَالِيًا، وَكُلُّ إِلَيَّ تَغَيَّرٍ وَفَنَاءٍ؟! (1)

الكافي_ في حَبْرِ مُنَاطَرَةِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ_: فَقَالَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] لَهُ: أَمْصَنُوعٌ أَنْتَ أَوْ غَيْرُ مَصْنُوعٍ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: بَلْ، أَنَا غَيْرُ مَصْنُوعٍ. فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَصِفْ لِي لَوْ كُنْتَ مَصْنُوعًا كَيْفَ كُنْتَ تَكُونُ؟ فَبَقِيَ عَبْدُ الْكَرِيمِ مَلِيًّا لَا يُحِيرُ جَوَابًا، وَوَلِعَ بِخَشَبَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: طَوِيلٌ عَرِيضٌ عَمِيقٌ قَصِيرٌ مُتَحَرِّكٌ سَاكِنٌ، كُلُّ ذَلِكَ صِدْفَةٌ خَلَقَهُ. فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ: فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْلَمْ صِفَةَ الصَّنْعَةِ غَيْرَهَا فَاجْعَلْ نَفْسَكَ مَصْنُوعًا لِمَا تَجِدُ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يَحْدُثُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ. (2)

التوحيد عن أبي الصلت الهروي: سَأَلَ الْمَأْمُونُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (3). فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - . . . خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَهُوَ

1- الاحتجاج: ج 2 ص 216 ح 223، بحار الأنوار: ج 57 ص 78 ح 53.

2- الكافي: ج 1 ص 76، التوحيد: ص 296 ح 6، الاحتجاج: ج 2 ص 200 ح 214، بحار الأنوار: ج 3 ص 31 ح 4 وراجع التوحيد: ص 293 ح 2.

3- هود: 7.

مُسْتَوِلٍ عَلِي عَرْشِهِ ، وَكَانَ قَادِرًا عَلِي أَنْ يَخْلُقَهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ؛ لِيُظْهَرَ لِلْمَلَائِكَةِ مَا يَخْلُقُهُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، وَتَسْتَدِلُّ بِحُدُوثِ مَا يُحَدِّثُ عَلِي اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ . (1)

التوحيد عن الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عليه السلام: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، مَا الدَّلِيلُ عَلِي حَدِيثِ الْعَالَمِ ؟ قَالَ : أَنْتَ لَمْ تَكُنْ ثُمَّ كُنْتَ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكُونَ نَفْسَكَ ، وَلَا كَوْنَكَ مَنْ هُوَ مِثْلَكَ . (2)

1- .التوحيد : ص 320 ح 2 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 134 ح 33 ، الاحتجاج : ج 2 ص 393 ح 302 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 318 ح 14 .

2- .التوحيد : ص 293 ح 3 ، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 134 ح 32 ، الأمالي للصدوق: ص 433 ح 572 ، الاحتجاج: ج 2 ص 353 ح 280 ، روضة الواعظين : ص 26 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 36 ح 11 .

بحث حول عدد الطرق إلى الله

بحث حول عدد الطرق إلى الله إذا تأملنا في الآيات والأحاديث الملحوظة في الفصول الثلاثة المتقدمة حول طرق معرفة الله أمكننا أن ندرك أن لمعرفة الله من منظور القرآن والحديث ثلاثة طرق أصلية تعود إليها الطرق الأخرى . وهي : 1 . معرفة النفس . 2 . معرفة العالم . 3 . المجاهدة . إن الطريق الأول والثاني علميان ، والطريق الثالث عملي ، فقد أُشير إلى هذه الطرق في الآية الكريمة الآتية : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَو لَمْ يَكُفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » (1) . والطريق الثالث _ أي : تسخير الجهود كلها من أجل تطبيق الأوامر والتعاليم الإلهية في الحياة _ هو طريق الوصول إلى أعلي درجات معرفة الله ، أي : المعرفة

الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق

الشهوديّة، والطريقان الأوّل والثاني يمثّلان إراءة الطريق فحسب، أمّا الطريق الثالث فإنّه يضمن بلوغ الهدف. «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنَّا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا» (1). وبطبيّ هذا الطريق لا يبلغ الإنسان أعلي مراتب معرفة الله فحسب، بل يظفر بأعلي درجات معرفة النفس، ومعرفة العالم أيضا. في ضوء ذلك يتسّي لنا أن نقول: إنّ الصراط الإلهيّ المستقيم واحد لا أكثر، وهو الدّين الذي أراه الأنبياء لتكامل الإنسان. والطرق الأخرى ليست سبلا إلى الله إلا إذا انتهت إلى هذا الطريق الرئيس.

الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق تساؤل جدير بالإنارة، وهو: إذا كانت «الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق» الواردة في كلام عدد من المحدّثين والحكماء كمبدأ ثابت، وتارةً تطرح كحديث نبويّ، فهل ينافي هذا الأمر وحدة الصراط الإلهيّ المستقيم؟ إنّ الجواب هو أنّ هذا الكلام لم يرد في أيّ مصدر من المصادر الحديثيّة المعتمدة، وقد تفرّد المرحوم الملام أحمد النراقي - رضوان الله تعالى عليه - بذكره في كتاب «مثنوي طاقديس» كحديث من الأحاديث (2). سواءً أكان هذا الكلام حديثا أم لم يكن، فإنّه لا يعني ما أُستند إليه بعض أدعياء الثقافة في عصرنا من التعدّية الدينيّة، بل يعني أنّ الطرق الفرعيّة المتّصلة بالطريق الأصليّ للدّين المسمّي الصراط المستقيم كثيرة، وكلّ شخص يستطيع أن يبلغه من

1- العنكبوت: 69.

2- راجع: مثنوي طاقديس: ص 206. بيان حديث «الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق».

الطريق الذي يناسب قابليته واستعداده. يقول العلامة المجلسي قدس الله سره في هذا الشأن: «ثم إن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان، وتحصيل الاطمئنان، كما وكيفاً، شدةً وضعفاً، سرعةً وبطناً، حالاً وعلماً، وكشفاً وعياناً وإن كان أصل المعرفة فطرياً، إما ضروري أو يهتدي إليه بأدني تنبيه، فلكل طريقة هداه الله عز وجل إليها إن كان من أهل الهداية، والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وهم درجات عند الله «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (1). (2)

1- بحار الأنوار: ج 67 ص 137 وراجع: مثنوي طاقدیس: ص 206.

2- المجادلة: 11.

الفصل الخامس: دور معرفة الخلق في معرفة الخالق

إشاره

الفصل الخامس: دور معرفة الخلق في معرفة الخالق يعتبر القرآن الكريم جميع ما في عالم الوجود آيات واضحة وعلائم بينة ودلالات قاطعة علي وجود خالق الكون ، يعني أنّ الموجودات جميعاً من أصغر الذرات إلي أكبر المجرات ومن النواة إلي أكبر الأجرام السماوية ومن المخلوقات المرئية وغير المرئية ، كلّها خلقت لتكون آية واضحة ومرآة صادقة ودليلاً قاطعاً علي وجود خالقها . وإذا لم يكن ثمة حجاب علي نظر الإنسان ، ولم تُغلق موانع المعرفة القلبية والعقلية مسامح قلبه وعقله ، فإنه حينما يتطلع في مرآة الموجودات الكونية من الأرض والجبال والصحاري والبحار والأشجار وغيرها ، يتجلّي له الخالق _ جلّ وعلا _ فالكون كلّ شاهد عليه ، وكلّ ما في الآفاق دليل عليه ، فما أروع قول الشاعر : فيا عجباً كيف يُعصي الإله أم كيف يجحده الجاحد وفي كلّ شيء له آية تدلّ علي أنه واحد ومن وجهة النظر القرآنية لا يمكن أن يكون الإنسان عارفاً بالعالم وغير عارفٍ باللّه ، أي أنّه يري المخلوقات ولا يري خالقها ، ولا يمكن أن يتطلّع في مرآة

تجلّي الخالق في مرآة الخلق

الوجود فلا يتجلّي له خالق الوجود، إلا أن يكون هناك نقصٌ في نظره. إنّ هذه الحقيقة القرآنية طرحها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في مواضع مختلفة بعبارات متعدّدة وبشكلٍ ساحرٍ يستهوي القلوب، وحديثه عليه السلام في هذا المجال يعدّ من أبلغ البيان لمعرفة الله تعالى عن طريق الآيات والدلالات، ومنها قوله عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّيِّ لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ» (1). قد تمرّون علي هذه العبارة مرّ الكرام، وفي الواقع أنّ روعتها وعمقها في غنيّ عن الشرح والتوضيح، فإنّ تجلّي الخالق للإنسان ليس بالأمر الذي يمكن وصفه بالكتابة والكلام، إنّهُ أمرٌ ذوقيّ نظريّ، ومن الطبيعي أنّ من سلّمت ذائقة روحه وثقبت عين بصيرته مثل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ فإنّه يعتبر الخلق كلّ مرآة لجمال الخالق وجلاله.

تجلّي الخالق في مرآة الخلق إنّ إدراك تجلّي الخالق في مرآة الخلق يتناسب شدّة وضعفا مع ميزان قوّة رؤية الإنسان، فكلّما كانت موانع المعرفة عنده أقلّ وقوّة الرؤية العقلية والقلبية أكثر، فإنّ تجلّي الخالق - تبارك وتعالى - في مرآة الخلق بالنسبة له أكثر إحساسا وأشدّ إدراكا. إنّ المحقّق البحراني، في بيانه لأنواع الادراكات الإنسانية لتجلّيات الخالق في الخلق، يُصنّف الناس إلى أربعة أصناف فيقول: «إنّ تجلّيه يعود إلي إجلاء معرفته من مصنوعات قلوب عباده، حتى أشبهت كلّ ذرة من مخلوقاته مرآةً ظهر فيها لهم، فهم يشاهدونه علي قدر قبولهم لمشاهدته وتفاوت تلك المشاهدة بحسب تفاوت أشعة أبصار بصائرهم؛ فمنهم: من يري

الصنّاعة أولاً- والصانع ثانياً . ومنهم : من يراها معا . ومنهم : من يري الصانع أولاً . ومنهم : من لا يري مع الصانع غيره» (1). ولأجل توضيح هذا التقسيم فإننا نذكر مثلاً يوضح إلي حدّ ما هذا المطلب ؛ لو كانت لديك مرآة وتريد أن تنظر إلي صورة شيء معين فيها ، فإنك تارة تري المرآة أولاً ثم تري الصورة ، وتارة تري المرآة والصورة معا ، أي عند رؤية الصورة تنتبه إلي المرآة أيضا ، وتارة تري الصورة أولاً ثم تنتبه إلي المرآة ، وتارة تُمعن النظر في الصورة إلي الحدّ الذي لا- تنتبه إلا إلي الصورة التي في المرآة ، فلا- تري شيئا آخر غيرها . ومع الاعتناء بهذا المثال فإنه يمكن تقسيم الناس ، الذين يتمتعون بالبصيرة العقلية من حيث إدراك تجلّي الخالق في مرآة الخلق ، إلي أربعة أقسام : القسم الأول : أولئك الذين يراجعون مرآة الخلق ، فيشاهدون تلك المرآة أولاً ، ثم يتجلّي الخالق ثانيا لعقولهم من خلال مطالعة مرآة الخلق وملاحظتها . القسم الثاني : الذين يتمتعون بقوة رؤية أدقّ ، فيعرفون الخالق قبل معرفة القسم الأول ، حيث يرون مرآة الخلق والخالق في آن واحد ، وبعبارة أخرى : إنهم يرون الخالق في هذه المرآة وبواسطتها ، أي في الوقت الذي تري عيونهم الجبل والبحر والشجر وغيرها من الموجودات ، فإنهم يرون الخالق - جلّ وعلا - بالبصيرة العقلية . القسم الثالث : أولئك الذين تعسّد قوا الخالق وتولّوها به إلي درجة ، حينما ينظرون إلي مرآة الخلق ، يرون الخالق أولاً ، ثم ينتبهون إلي الخلق ، فهم يتوصّلون إلي

الخلق عن طريق الخالق ، ولا- يتوصّلون إلي الخالق عن طريق الخلق . القسم الرابع : هم الذين في أوج المعرفة الإلهية ، وإن معرفتهم ومحبتهم لله سبحانه بلغت حدًا بحيث لا يرون شيئًا إلا هو تعالي ، وهذه المرتبة لا يبلغها إلا الأنبياء عليهم السلام ومن بلغ الكمال من البشر الذين يرون أنّ الوجود الحقيقي منحصر بالله تعالي وحده ، ووجود ما عداه سبحانه اعتباري كالظلل (1) .

1- هؤلاء الذين يقولون عند مناجاة الخالق - جلّ وعلا - ما ورد في دعاء عرفة المنسوب إلي الإمام الحسين عليه السلام ، والذي جاء فيه : «كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك ، أَلغيرك من الظهور ما ليس لك حتّي يكون هو المُظهِر لك؟ متي غبّت حتّي تحتاج إلي دليلٍ يدلُّ عليك؟ ومتي بَعُدت حتّي تكون الآثارُ هي التي توصلُ إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبًا...» .

الباب الأول: جوامع آيات معرفة الله في الخلق

الباب الأول: جوامع آيات معرفة الله في الخلق الكتاب «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِي مَا وَفَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطَلًا سُبْحًا فَفَنَّا عَذَابَ النَّارِ» . (1)

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» . (2)

«إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ» . (3)

1- آل عمران : 190 و 191 .

2- البقرة : 164 .

3- الجاثية : 3_6 .

«إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ» . (1)

«وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَيَّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» . (2)

«قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» . (3)

الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله في بيان صفات الباري جلَّ وعلا: فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ عَلا ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ دَنا ، فَتَجَلَّى لِخَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ يُرَى . (4)

عنه صلى الله عليه وآله: يَا مَنْ فِي السَّمَاءِ عَظَمَتُهُ ، يَا مَنْ فِي الْأَرْضِ آيَاتُهُ ، يَا مَنْ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَلَائِلُهُ ، يَا مَنْ فِي الْبِحَارِ عَجَائِبُهُ ، يَا مَنْ فِي الْجِبَالِ خَزَائِنُهُ ، يَا مَنْ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، يَا مَنْ إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ، يَا مَنْ أَظْهَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لُطْفَهُ ، يَا مَنْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، يَا مَنْ تَصَرَّفَ فِي الْخَلَائِقِ قُدْرَتُهُ . (5)

الإمام علي عليه السلام: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَتَاهُ نَاسٌ مِنْ آيَادٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : وَيَحْكُمُ! مَا فَعَلَ قُسٌّ بِنُ سَاعِدَةَ؟ قَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

1- يونس: 6 .

2- يونس: 100 و 101 .

3- إبراهيم: 10 .

4- التوحيد: ص 45 ح 4 عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، علل الشرائع: ص 119 ح 1 عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عليه السلام، كفاية الأثر: ص 161 عن هشام بن محمد عن أبيه عن الإمام الحسن عليه السلام، بحار الأنوار: ج 11 ص 38 ح 35 .

5- البلد الأمين: ص 407، بحار الأنوار: ج 94 ص 391 .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا أَحَدٌ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَاهُ مِنْهُ لَشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ فَيَسُوقِي، وَأَنَا مَعَ عَمِّي أَبِيطَالِبٍ غُلَامٌ، سَمِعْتُهُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا، فَاسْمَعُوا مَقَالَتِي : أَرَى سَمَاءً مَبْنِيَّةً، وَأَرَى شَمْسًا مَضْحِيَّةً، وَأَرَى قَمَرًا بَدْرِيًّا، وَأَرَى نُجُومًا تَسْرِي، وَأَرَى جِبَالًا مَرْسِيَّةً، وَأَرَى أَرْضًا مَدْحُوءَةً، وَأَرَى لَيْلًا وَنَهَارًا وَمَطَرًا وَشِتَاءً وَصَيْفًا وَنَبَاتًا، وَأَرَى مَنْ مَاتَ لَا يَرْجِعُ، فَلَا أُدْرِي رَضُوا فَقَامُوا، أَمْ سَخَطُوا فَتَنَامُوا ! أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ رَبًّا يُدَبِّرُهَا لِمَنْ عَقَلَ فِي اخْتِلَافِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . (1)

عنه عليه السلام : كَفِي بِإِتْقَانِ الصُّنْعِ لَهَا [أَيِ المَخْلُوقَاتِ] آيَةٌ، وَبِمُرَكَّبِ الطَّبَعِ عَلَيْهَا دَلَالَةٌ، وَبِحُدُوثِ الفِطْرِ عَلَيْهَا قَدَمَةٌ، وَبِإِحْكَامِ الصَّنْعَةِ لَهَا عِبْرَةٌ . (2)

عنه عليه السلام : بِصُنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، وَبِالعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ، وَبِالفِكْرِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ، وَبِإيَاتِهِ احْتَجَّ عَلَي خَلْقِهِ . (3)

عنه عليه السلام : بِصُنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، وَبِالعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ، وَبِالنَّظَرِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ . (4)

عنه عليه السلام : بِصُنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، وَبِالعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ، وَبِالتَّفَكُّرِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ، مَعْرُوفٌ بِالدَّلَالَاتِ، مَشْهُودٌ بِالبَيِّنَاتِ . (5)

1- .الجعفریات : ص 174 عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام .

2- .التوحيد : ص 71 ح 26 عن الهيثم بن عبد الله الرماني عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام ، البلد الأمين : ص 92 ، بحار الأنوار : ج 4 ص 222 .

3- .تحف العقول : ص 62 ، التوحيد : ص 35 ح 2 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 151 ح 51 كلاهما عن القاسم بن أيوب العلوي عن الإمام الرضا عليه السلام ، الأمالي للمفيد : ص 254 ح 4 عن محمد بن زيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام ، الأمالي للطوسي : ص 22 ح 28 عن محمد بن يزيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام ، الاحتجاج : ج 2 ص 360 ح 283 عن الإمام الرضا عليه السلام وكلها نحوه ، بحار الأنوار : ج 4 ص 228 ح 3 .

4- .الإرشاد : ج 1 ص 223 عن صالح بن كيسان ، الاحتجاج : ج 1 ص 475 ح 114 وفيه «بالفكر» بدل «بالنظر» .

5- .جامع الأخبار : ص 35 ح 14 ، روضة الواعظين : ص 25 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 55 ح 28 .

عنه عليه السلام: ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَمِّنِّ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . (1)

عنه عليه السلام: ظَهَرَ فِي الْعُقُولِ بِمَا يُرَى فِي خَلْقِهِ مِنْ عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ . . . وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ، أَتَقَنَ مَا أَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْأَشْبَاحِ كُلِّهَا ، لَا بِمِثَالٍ سَبَقَ إِلَيْهِ ، وَلَا لُغُوبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِ مَا خَلَقَ لَدَيْهِ . (2)

عنه عليه السلام: ظَهَرَتْ فِي بَدَائِعِ الَّذِي أَحَدَثَهَا آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَصَارَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَمُنْتَسِبًا بِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً فِيهِ . (3)

عنه عليه السلام: عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرِي خَلْقَ اللَّهِ . (4)

عنه عليه السلام لَمَّا سَبَّ بِلِ عَنْ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ -: الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ ، وَالرَّوْثَةُ تَدُلُّ عَلَى الْحَمِيرِ ، وَأَثَارُ الْقَدَمِ تَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَهَيْكَلُ عَلَوِيٍّ بِهَذِهِ اللَّطَافَةِ ، وَمَرْكَزُ سَفَلِيٍّ بِهَذِهِ الْكَثَافَةِ ، كَيْفَ لَا يَدُلُّانِ عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ؟! (5)

عنه عليه السلام فيما نُسِبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ -: أَشْهَدُ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَيْكَ ، وَشَوَاهِدٌ تَشْهَدُ بِمَا إِلَيْهِ دَعَوْتُ . كُلُّ مَا يُؤَدِّي عَنْكَ الْحُجَّةَ ، وَيَشْهَدُ لَكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، مَوْسُومٌ بِآثَارِ نِعْمَتِكَ وَمَعَالِمٌ تَدْبِيرِكَ . عَلَوْتُ بِهَا عَنْ خَلْقِكَ ، فَأَوْصَلْتُ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ مَعْرِفَتِكَ مَا آتَسَّهَا مِنْ وَحْشَةِ الْفِكْرِ ، وَكَفَّهَا رَجَمَ الْإِحْتِجَاجِ ؛ فَهِيَ مَعَ مَعْرِفَتِهَا بِكَ وَوَلَّيْتُهَا إِلَيْكَ شَاهِدَةٌ بِأَنَّكَ لَا تَأْخُذُكَ

1- نهج البلاغة : الخطبة 182 عن نوف البكالي ، بحار الأنوار : ج 77 ص 308 ح 13 .

2- الكافي : ج 1 ص 141 ح 7 ، التوحيد : ص 31 ح 1 وفيه «الأشياء» بدل «الأشباح» وكلاهما عن الحارث الأعور ، بحار الأنوار : ج 57 ص 167 ح 107 .

3- التوحيد : ص 52 ح 13 ، نهج البلاغة : الخطبة 91 نحوه وكلاهما عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 4 ص 276 ح 16 .

4- نهج البلاغة : الحكمة 126 ، خصائص الأئمة عليهم السلام : ص 101 ، الأمالي للطوسي : ص 663 ح 1387 ، المحاسن : ج 1 ص 378 ح 832 كلاهما عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين عليه السلام نحوه ، بحار الأنوار : ج 7 ص 42 ح 14 .

5- جامع الأخبار : ص 35 ح 13 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 55 ح 27 وراجع روضة الواعظين : ص 39 .

الأوهام، ولا تدركك العقول ولا الأبصار. (1)

عنه عليه السلام: بها [أي بالمخلوقات] تجلّي صانعها للعقول. (2)

عنه عليه السلام: الحمد لله الذي ... تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة، وتشهد له المرئي لا بمحاضرة. لم تحط به الأوهام، بل تجلّي لها بها.

(3)

عنه عليه السلام: الحمد لله المتجلّي لخلقِهِ بخلقِهِ، والظاهر لقلوبِهِم بحجّته. (4)

عنه عليه السلام: أقام من شواهد البينات علي لطيف صدّ نعتِهِ، وعظيم قدرته، ما انقادت له العقول مُعترفةً به، ومسلمةً له، ونعقت في أسماعنا دلائله علي وحدانيته. (5)

عنه عليه السلام- لما قال له الجاثليق في مُناظرته: خبرني عنه تعالي، أمدرك بالحواسّ عندك فيسلك المُسترشد في طلبهِ استعمال الحواسّ، أم كيف طريق المعرفة به إن لم يكن الأمر كذلك؟ فقال: تعالي المملك الجبار أن يوصف بمقدار، أو تدركه الحواسّ أو يقاس بالناس، والطريق إلي معرفته صنائعه الباهرة للعقول، الدالة ذوي الاعتبار بما هو عنده مشهود ومعقول. (6)

عنه عليه السلام- في خلق السّماء والكون: وكذلك السّماء والهواء، والرياح والماء، فانظر

- 1- شرح نهج البلاغة: ج 20 ص 255 ح 1.
- 2- نهج البلاغة: الخطبة 186، تحف العقول: ص 66، الاحتجاج: ج 1 ص 476 ح 116 وج 2 ص 364 ح 283 عن الإمام الرضا عليه السلام، التوحيد: ص 39 ح 2 عن محمد بن يحيى وأحمد بن عبد الله العلوي عن الإمام الرضا عليه السلام نحوه، بحار الأنوار: ج 4 ص 230 ح 3.
- 3- نهج البلاغة: الخطبة 185، الاحتجاج: ج 1 ص 480 ح 117، بحار الأنوار: ج 4 ص 261 ح 9.
- 4- نهج البلاغة: الخطبة 108، بحار الأنوار: ج 34 ص 239 ح 999.
- 5- نهج البلاغة: الخطبة 165، بحار الأنوار: ج 65 ص 30 ح 1.
- 6- الأمالي للطوسي: ص 220 ح 382، الخرائج والجرائح: ج 2 ص 555 ح 14، المناقب لابن شهر آشوب: ج 2 ص 258 كلّها عن سلمان الفارسي، بحار الأنوار: ج 10 ص 56 ح 2.

إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطَوْلِ هَذِهِ الْقِلَالِ (1)، وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ. فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ، وَجَحَدَ الْمُدَبَّرَ! زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ؛ وَلَمْ يَلْجِئُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا. وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟! (2)

عنه عليه السلام في ذكر الدنيا والمخلوقات -: وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا؛ مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاجِحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَّهَاتِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَيَّ إِحْدَاثِ بَعْوَضَةٍ، مَا قَدَّرْتُ عَلَيَّ إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفْتُ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَيَّ إِجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرْتُ عَقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقَرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ إِنْسَانِهَا، مُدْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ إِفْنَائِهَا! (3)

الإمام الحسين عليه السلام فيما نسب إليه من دعاء عرفّة -: أَنْتَ الَّذِي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَرَأَيْتَكَ ظَاهِرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ. (4)

الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل: «وَمَنْ كَانَ فِيهِ ذِي أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا» (5) -: مَنْ لَمْ يَدُلَّهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَدَوْرَانِ الْفَلَكَ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالآيَاتِ الْعَجِيبَاتِ عَلَيَّ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ أَمْرًا أَعْظَمَ

1- هي جمع القلّة: أعلي الجبل (القاموس المحيط: ج 4 ص 40 «قل»). .

2- نهج البلاغة: الخطبة 185، الاحتجاج: ج 1 ص 482 ح 117، بحار الأنوار: ج 64 ص 39 ح 19.

3- نهج البلاغة: الخطبة 186، الاحتجاج: ج 1 ص 478 ح 116، بحار الأنوار: ج 6 ص 330 ح 16.

4- الإقبال (طبعة دار الكتب الإسلامية): ص 350، بحار الأنوار: ج 67 ص 142.

5- الإسراء: 72.

مِنْهُ «فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا»، فَهُوَ عَمَّا لَمْ يُعَايِنِ أَعْمَى وَأَضَلُّ. (1)

عنه عليه السلام: كَفَى لِأَوْلِي الْأَلْبَابِ بِخَلْقِ الرَّبِّ الْمُسَخَّرِ، وَمُلْكِ الرَّبِّ الْقَاهِرِ، وَجَلَالِ الرَّبِّ الظَّاهِرِ، وَنُورِ الرَّبِّ الْبَاهِرِ، وَبُرْهَانِ الرَّبِّ الصَّادِقِ، وَمَا أَنْطَقَ بِهِ أَلْسُنَ الْعِبَادِ، وَمَا أَرْسَلَ بِهِ الرَّسُلَ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيَّ الْعِبَادِ؛ دَلِيلًا عَلَيَّ الرَّبِّ. (2)

الإمام الصادق عليه السلام - لَمَّا سَأَلَهُ الرَّنْدِيقُ: مَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ -: وَجُودُ الْأَفَاعِيلِ دَلَّتْ عَلَيَّ أَنْ صَانِعًا صَنَعَهَا. أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيَّ بِنَاءٍ مُشَيَّدٍ مَبْنِيٍّ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ بَانِيًا وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَ الْبَانِيَّ وَلَمْ تُشَاهِدْهُ؟! (3)

عنه عليه السلام: لَوْ لَمْ يَكُنِ الشَّاهِدُ دَلِيلًا عَلَيَّ الْغَائِبِ، لَمَا كَانَ لِلْخَلْقِ طَرِيقٌ إِلَيَّ إِثْبَاتِهِ تَعَالَى. (4)

عنه عليه السلام - لِلْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ -: يَا مُفَضَّلُ، أَوَّلُ الْعِبَرِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَيَّ الْبَارِي - جَلَّ قَدْسُهُ - تَهَيَّئْ هَذَا الْعَالَمَ، وَتَأَلِّفْ أَجْزَائِهِ وَنَظْمُهَا عَلَيَّ مَا هِيَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْعَالَمَ بِفِكْرِكَ وَمَيَّزْتَهُ بِعَقْلِكَ وَجَدْتَهُ كَالْبَيْتِ الْمَبْنِيِّ، الْمُعَدِّ فِيهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِبَادُهُ، فَالسَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ كَالسَّقْفِ، وَالْأَرْضُ مَمْدُودَةٌ كَالسِّاطِ، وَالنُّجُومُ مَنْضُودَةٌ كَالْمَصَابِيحِ، وَالْجَوَاهِرُ مَخْزُونَةٌ كَالدَّخَائِرِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهَا لِشَأْنِهِ مُعَدٌّ، وَالْإِنْسَانُ كَالْمُمْلَكِ ذَلِكَ الْبَيْتِ، وَالْمُخَوَّلُ جَمِيعٌ مَا فِيهِ، وَصَرُوبُ النَّبَاتِ مُهَيَّأَةٌ لِمَارِبِهِ، وَصَفَنُوفُ الْحَيَوَانَ مَصْرُوفَةٌ فِي مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ، فَفِي هَذَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَيَّ أَنَّ الْعَالَمَ مَخْلُوقٌ بِتَقْدِيرِ وَحِكْمَةِ، وَنِظَامٍ وَمُلَاءَمَةٍ، وَأَنَّ الْخَالِقَ لَهُ وَاحِدٌ، وَهُوَ الَّذِي

1- التوحيد: ص 455 ح 6، الاحتجاج: ج 2 ص 165 ح 193 كلاهما عن محمد بن مسلم، بحار الأنوار: ج 3 ص 28 ح 2.

2- الكافي: ج 1 ص 82 ح 6 عن أبي سعيد الزهري.

3- الكافي: ج 1 ص 81 ح 5، التوحيد: ص 244 ح 1، الاحتجاج: ج 2 ص 197 ح 213 كلها عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج 10 ص 195 ح 3.

4- عوالي اللآلي: ج 3 ص 286 ح 28.

أَلْفُهُ وَنَظْمُهُ بَعْضًا إِلَى بَعْضٍ . (1)

عنه عليه السلام - أيضا - : اعلم - يا مفضل - أن اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجارية المعروف عندهم «قوسموس» وتفسيره «الزينة» وكذلك سمته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة ، أفكانوا يسمونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير والنظام ؟ فلم يرضوا أن يسموه تقديرا ونظاما حتى سموه زينة ؛ ليخبروا أنه - مع ما هو عليه من الصواب والإتقان - علي غاية الحسن والبهاء . أعجب - يا مفضل - من قوم لا يقضون صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطئ ، ويقضون علي العالم بالإهمال ولا يرون شيئا منه مهماً ! بل أعجب من أخلاق من ادعى الحكمة حتى جهلوا مواضعها في الخلق ، فأرسلوا ألسنتهم بالدم للخالق - جلّ وعلا - ! بل العجب من المخدول «مانى» حين ادعى علم الأسرار ، وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق ، حتى نسبته إلي الخطأ ، ونسب خالقه إلي الجهل ، تبارك الحليم الكريم ! وأعجب منهم جميعا المعطلة الذين راموا أن يدرك بالحس ما لا يدرك بالعقل ، فلما أعوزهم ذلك خرجوا إلي الجحود والتكذيب فقالوا : ولم لا يدرك بالعقل ؟ قيل : لأنه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته ؛ فإنك لو رأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت أن راميا رمي به ، فليس هذا العلم من قبل البصر ، بل من قبل العقل ؛ لأن العقل هو الذي يميزه ، فيعلم أن الحجر لا يذهب علوا من تلقاء نفسه . أفلا ترى كيف وقف البصر علي حده فلم يتجاوزة ؟ فكذلك يقف العقل علي

حَدَّهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ فَلَا يَعُدُّهُ ، وَلَكِنْ يَعْقِلُهُ بِعَقْلِ أَقْرَأَنَّ فِيهِ نَفْسًا وَلَمْ يُعَايِنِهَا وَلَمْ يُدْرِكْهَا بِحَاسَّةٍ مِنَ الْحَوَاسِّ . وَعَلِي حَسَبِ هَذَا أَيْضًا نَقُولُ : إِنَّ الْعَقْلَ يَعْرِفُ الْخَالِقَ مِنْ جِهَةِ تَوْجِبِ عَلَيْهِ الْإِقْرَارَ ، وَلَا يَعْرِفُهُ بِمَا يَوْجِبُ لَهُ الْإِحَاطَةَ بِصِدْقَتِهِ . . . فَأَمَّا أَصْحَابُ الطَّبَائِعِ فَقَالُوا : إِنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا لِغَيْرِ مَعْنَى ، وَلَا تَتَجَاوَزُ عَمَّا فِيهِ تَمَامُ الشَّيْءِ فِي طَبِيعَتِهِ ، وَرَعَمُوا أَنَّ الْحِكْمَةَ تَشْهَدُ بِذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُمْ : فَمَنْ أَعْطَى الطَّبِيعَةَ هَذِهِ الْحِكْمَةَ وَالْوُقُوفَ عَلَيَّ حُدُودِ الْأَشْيَاءِ بِمَا مُجَاوِزَةً لَهَا ، وَهَذَا قَدْ تَعَجَّرَ عَنْهُ الْعُقُولُ بَعْدَ طَوْلِ التَّجَارِبِ ، فَإِنْ أَوْجَبُوا لِلطَّبِيعَةِ الْحِكْمَةَ وَالْقُدْرَةَ عَلَيَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ فَقَدْ أَقْرَأُوا بِمَا أَنْكَرُوا ؛ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ صِدْقَاتُ الْخَالِقِ ، وَإِنْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ هَذَا لِلطَّبِيعَةِ فَهَذَا وَجْهُ الْخَلْقِ يَهْتَفُ بِأَنَّ الْفِعْلَ لِلْخَالِقِ الْحَكِيمِ . (1)

عنه عليه السلام: فَتَنظَرَتِ الْعَيْنُ إِلَى خَلْقٍ مُخْتَلَفٍ مُتَّصِلٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَذَلَّلَهَا الْقَلْبُ عَلَيَّ أَنَّ لِدَلِكِ خَالِقًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فَكَّرَ حَيْثُ دَلَّتْهُ الْعَيْنُ عَلَيَّ مَا عَايَنَتْ مِنْ عِظَمِ السَّمَاءِ وَارْتِفَاعِهَا فِي الْهَوَاءِ ، بِغَيْرِ عَمَدٍ وَلَا دِعَامَةٍ تَمْسِكُهَا ، وَأَنَّهَا لَا تَتَأَخَّرُ فَتَنْكَشِطُ ، وَلَا تَتَقَدَّمُ فَتَزُولُ ، وَلَا تَهْبِطُ مَرَّةً فَتَدْنُو ، وَلَا تَرْتَفِعُ فَلَا تُرَى . (2)

عنه عليه السلام- لِيَزِيدِي قَالَهُ : أَخْبَرَنِي أَيُّهَا الْحَكِيمُ ، مَا بَالُ السَّمَاءِ لَا يَنْزِلُ مِنْهَا إِلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ ، وَلَا يَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَيْهَا بَشَرٌ ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَيْهَا وَلَا- مَسَلَكٌ ، فَلَوْ نَظَرَ الْعِبَادُ فِي كُلِّ دَهْرٍ مَرَّةً مَنْ يَصْعَدُ إِلَيْهَا وَيَنْزِلُ لَكَانَ ذَلِكَ أَثْبَتُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ ، وَأَنْفَى لِلشُّكِّ وَأَقْوَى لِلْيَقِينِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَعْلَمَ الْعِبَادُ أَنَّ هُنَاكَ مُدَبِّرًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الصَّاعِدُ ، وَمِنْ عِنْدِهِ يَهْبِطُ الْهَابِطُ ؟ : - إِنَّ كُلَّ مَا تَرَى فِي الْأَرْضِ مِنَ التَّدْبِيرِ إِنَّمَا هُوَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمِنْهَا

1- بحار الأنوار : ج 3 ص 146 نقلاً عن الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .

2- تفسير نور الثقلين : ج 4 ص 195 ح 16 نقلاً عن كتاب الإهليلجة وراجع بحار الأنوار : ج 3 ص 162 .

يَظْهَرُ، أَمَا تَرَى الشَّمْسَ مِنْهَا تَطْلُعُ، وَهِيَ نُورُ النَّهَارِ، وَفِيهَا قِيَامُ الدُّنْيَا، وَلَوْ حُسِبَتْ حَارَ مَنْ عَلَيْهَا وَهَلَكَ، وَالْقَمَرَ مِنْهَا يَطْلُعُ، وَهُوَ نُورُ اللَّيْلِ، وَبِهِ يُعْلَمُ عَدَدُ السَّنِينَ وَالْحِسَابُ وَالشُّهُورُ وَالْأَيَّامُ، وَلَوْ حُسِبَ لِحَارَ مَنْ عَلَيْهَا وَفَسَدَ التَّدْبِيرِ، وَفِي السَّمَاءِ النُّجُومُ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمِنَ السَّمَاءِ يَنْزِلُ الْغَيْثُ الَّذِي فِيهِ حَيَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ؛ مِنَ الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ وَالْأَنْعَامِ، وَكُلُّ الْخَلْقِ لَوْ حُسِبَ عَنْهُمْ لَمَا عَاشُوا. وَالرِّيْحُ لَوْ حُسِبَتْ أَيَّامًا لَفَسَدَتْ الْأَشْيَاءُ جَمِيعًا وَتَغَيَّرَتْ، ثُمَّ الْغَيْمُ وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ، كُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنْ هُنَاكَ مُدَبِّرًا يُدَبِّرُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمِنْ عِنْدِهِ يَنْزِلُ، وَقَدْ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَنَاجَاهُ، وَرَفَعَ اللَّهُ عِيسَى بِنَ مَرْيَمَ، وَالْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ، غَيْرَ أَنَّكَ لَا تُؤْمِنُ بِمَا لَمْ تَرَهُ بِعَيْنِكَ، وَفِيمَا تَرَاهُ بِعَيْنِكَ كِفَايَةٌ أَنْ تَفْهَمَ وَتَعْقِلَ. (1)

عنه عليه السلام: وَلَعَمْرِي لَوْ تَفَكَّرُوا فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْعِظَامِ لَعَايَنُوا مِنْ أَمْرِ التَّرْكِيبِ الْبَيِّنِ، وَلُطْفِ التَّدْبِيرِ الظَّاهِرِ، وَوُجُودِ الْأَشْيَاءِ مَخْلُوقَةً بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، ثُمَّ تَحَوَّلَهَا مِنْ طَبِيعَةٍ إِلَى طَبِيعَةٍ، وَصَدَ نِيعَةٌ بَعْدَ صَدَ نِيعَةٍ، مَا يَدُلُّهُمْ ذَلِكَ عَلَيَّ الصَّانِعِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُوشِيءٌ مِنْهَا مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَثَرٌ تَدْبِيرٍ وَتَرْكِيبٍ يَدُلُّ عَلَيَّ أَنْ لَهُ خَالِقًا مُدَبِّرًا، وَتَأَلِيفٍ بِتَدْبِيرٍ يَهْدِي إِلَيَّ وَاحِدٍ حَكِيمٍ. (2)

الإمام الرضا عليه السلام: لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ: فَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ؟ -: إِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى جَسَدِي وَلَمْ يُمَكِّنِي فِيهِ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ فِي الْعَرَضِ وَالطُّوْلِ وَدَفَعِ الْمَكَارِهِ عَنْهُ وَجَرَّ الْمَنْفَعَةَ إِلَيْهِ، عَلِمْتُ أَنَّ لِهَذَا الْبَيَانَ بَانِيًا، فَأَقْرَرْتُ بِهِ مَعَ مَا أَرَى مِنْ دَوْرَانِ الْفَلَكَ بِقُدْرَتِهِ، وَإِنْشَاءِ السَّحَابِ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَمَجْرِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ،

1- الاحتجاج: ج 2 ص 229 ح 223، بحار الأنوار: ج 10 ص 174.

2- بحار الأنوار: ج 3 ص 153 نقلاً عن الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

وغير ذلك من الآيات العجيبات المُبينات ، عَلِمْتُ أَنَّ لِهَذَا مُقَدَّرًا وَمُنْشَأً . (1)

عيون أخبار الرضا عن الحسن بن علي بن فضال: قُلْتُ لَهُ [الإمام الرضا عليه السلام] : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، لِمَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ عَلَيَّ أَنْوَاعَ شَيْءٍ وَلَمْ يَخْلُقْهُ نَوْعًا وَاحِدًا؟ فَقَالَ: لِيَأْتِيَ فِي الْأَوْهَامِ أَنَّهُ عَاجِزٌ، فَلَا تَقَعُ صُورَةٌ فِي وَهْمٍ مُلْحِدٍ إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا خَلْقًا، وَلَا يَقُولُ قَائِلٌ: هَلْ يَقْدِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ عَلَيَّ صُورَةَ كَذَا وَكَذَا إِلَّا وَجَدَ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَيَعْلَمُ بِالنَّظَرِ إِلَى أَنْوَاعِ خَلْقِهِ أَنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (2)

الإمام الرضا عليه السلام: يُدَلُّ عَلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِصِفَاتِهِ، وَيُذَكَّرُ بِأَسْمَائِهِ، وَيُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِخَلْقِهِ . (3)

عنه عليه السلام: نِظَامُ تَوْحِيدِ اللَّهِ نَفْيِ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ الْعُقُولِ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ مَخْلُوقٌ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ أَنَّ لَهُ خَالِقًا لَيْسَ بِصِفَةٍ وَلَا مَوْصُوفٍ، وَشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ بِالْإِقْتِرَانِ، وَشَهَادَةِ الْإِقْتِرَانِ بِالْحَدَثِ، وَشَهَادَةِ الْحَدَثِ بِالْمِتِنَاعِ مِنَ الْأَزْلِ الْمُمْتَنِعِ مِنَ الْحَدَثِ . (4)

عنه عليه السلام في قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَنْ كَانَ فِي ذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا» -: يَعْنِي أَعْمَى عَنِ الْحَقَائِقِ الْمَوْجُودَةِ . (5)

1- الكافي: ج 1 ص 78 ح 3، التوحيد: ص 251 ح 3، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 132 ح 28، الاحتجاج: ج 2 ص 355 ح 281 كلها عن محمد بن عبد الله الخراساني، بحار الأنوار: ج 3 ص 36 ح 12 .

2- عيون أخبار الرضا: ج 2 ص 75 ح 1، علل الشرائع: ص 14 ح 13، بحار الأنوار: ج 3 ص 41 ح 15 .

3- التوحيد: ص 437 ح 1، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 175 ح 1 كلاهما عن الحسن بن محمد النوفلي، بحار الأنوار: ج 10 ص 315 .

4- التوحيد: ص 35 ح 2، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 150 ح 51 نحوه وكلاهما عن محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام والقاسم بن أيوب العلوي، الاحتجاج: ج 2 ص 360 ح 283، تحف العقول: ص 61 عن الإمام علي عليه السلام، بحار الأنوار: ج 57 ص 43 ح 17 .

5- التوحيد: ص 438 ح 1، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 175 ح 1 كلاهما عن الحسن بن محمد النوفلي، بحار الأنوار: ج 10 ص 316 ح 1 .

الإمام الجواد عليه السلام: كُلُّ مُتَجَزِّيٍّ أَوْ مُتَوَهِّمٍ بِالْقِلَّةِ وَالكَثْرَةِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ دَالٌّ عَلَيَّ خَالِقٌ لَهٗ . (1)

المزار الكبير- في الدعاء -: صارَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ حُجَّةً لَكَ وَمُنْتَسَبًا إِلَيَّ فِعْلِكَ ، وَصَادِرًا عَنِّ صَدِّعِكَ ، فَمِنْ بَيْنِ مُبْتَدِعِ يَدُلُّ عَلَيَّ إِبْدَاعِكَ ، وَمُصَوِّرٍ يَشْهَدُ بِتَصْوِيرِكَ ، وَمُقَدِّرٍ يُنْبِئُ عَن تَقْدِيرِكَ ، وَمُدَبِّرٍ يَنْطِقُ عَن تَدْبِيرِكَ ، وَمَصْنُوعٍ يَوْمِيٌّ إِلَيَّ تَأْثِيرِكَ ، وَأَنْتَ لِكُلِّ جِنْسٍ مِنْ مَصْنُوعَاتِكَ وَمَبْرُوءَاتِكَ (2) وَمَفْطُورَاتِكَ صَانِعٌ وَبَارِئٌ وَفَاطِرٌ . (3)

بحار الأنوار عن المولي محمد تقي المجلسي قدس سره: قَالَ سُبْحَانَهُ : كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ ، فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيْ أُعْرَفَ . (4)

راجع : ص 65 (العقل) .

- 1- .الكافي : ج 1 ص 116 ح 7 ، التوحيد : ص 193 ح 7 ، الاحتجاج : ج 2 ص 468 ح 321 كلها عن أبي هاشم الجعفري ، بحار الأنوار : ج 4 ص 153 ح 1 وراجع : الاحتجاج : ج 2 ص 375 ح 285 .
- 2- .في المصدر : «مبروراتك» ، والتصويب من بحار الأنوار .
- 3- .المزار الكبير: ص 99 ، بحار الأنوار : ج 100 ص 223 ح 20 .
- 4- .بحار الأنوار : ج 87 ص 199 ، إحقاق الحقّ : ج 1 ص 431 ، رسائل الكركي : ج 3 ص 159 وفيه «لأن أعرف» بدل «لكي أعرف» ، شرح الأسماء للسبزواري : ج 1 ص 64 . ولم نعر علي هذا الحديث في المصادر الأصلية .

الباب الثاني: خلق الإنسان**2 / 1 جوامع آيات معرفة الله في خلق الإنسان**

الباب الثاني: خلق الإنسان 1 / 2 جوامع آيات معرفة الله في خلق الإنسان الكتاب «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» .

الحديث الإمام علي عليه السلام في قوله تعالى: «وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» (1) _ قال: سبيل الغائط والبول. (2)

عنه عليه السلام: أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعَتْ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلَيَّ قَدْرٌ مَعْلُومٌ، وَأَجَلٌ مَقْسُومٌ، تَمُورُ (3) فِي بَطْنِ أُمَّكَ جَنِينًا لَا تُحِيرُ دُعَاءً، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً.

1- .. الجاثية: 4، الذاريات: 21.

2- فضيلة الشكر للخرائطي: ص 40 ح 22 عن أصبغ بن نباته، الدر المنثور: ج 7 ص 619 نقلاً عن مساوي الأخلاق للخرائطي.

3- مار الشيء مورا: اضطرب وتحرك (تاج العروس: ج 7 ص 496 «مور»).

ثُمَّ أُخْرِجَتْ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا ؛ فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمَّكَ ، وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ ؟ (1)

بحار الأنوار عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام : فَكَرَّ - يَا مُفَضَّلُ - فِي أَعْضَاءِ الْبَدَنِ أَجْمَعَ وَتَدْبِيرِ كُلِّ مِنْهَا لِلْإِرْبِ (2) ؛ فَالْيَدَانِ لِلْعِلَاجِ ، وَالرِّجْلَانِ لِلسَّعْيِ ، وَالْعَيْنَانِ لِلْإِهْتِدَاءِ ، وَالْفَمُّ لِلْإِغْتِذَاءِ ، وَالْمِعْدَةُ لِلْهَضْمِ ، وَالْكَبِدُ لِلتَّخْلِيصِ ، وَالْمَنَافِذُ لِتَنْفِيذِ الْفُضُولِ ، وَالْأَوْعِيَةُ لِحَمْلِهَا ، وَالْفَرْجُ لِإِقَامَةِ النَّسْلِ ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَأَعْمَلْتَ فِكْرَكَ فِيهَا وَنَظَّرَكَ ؛ وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا قَدْ قُدِّرَ لِشَيْءٍ عَلَيَّ صَوَابٍ وَحِكْمَةً . فَقُلْتُ : يَا مَوْلَايَ ، إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الطَّبِيعَةِ ! فَقَالَ : سَلُّهُمْ عَن هَذِهِ الطَّبِيعَةِ ، أَهِيَ شَيْءٌ لَهُ عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ عَلَيَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ ، أَمْ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ؟ فَإِنْ أَوْجَبُوا لَهَا الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ فَمَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِثْبَاتِ الْخَالِقِ فَإِنَّ هَذِهِ صَدَنَعَتُهُ ؟ وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهَا تَفْعَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا عَمَدٍ ، وَكَانَ فِي أَفْعَالِهَا مَا قَدْ تَرَاهُ مِنَ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ عُلِمَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لِلْخَالِقِ الْحَكِيمِ ، وَأَنَّ الَّذِي سَمَّوْهُ طَبِيعَةً هُوَ سُنَّةٌ فِي خَلْقِهِ الْجَارِيَةِ عَلَيَّ مَا أَجْرَاهَا عَلَيْهِ أَنْظِرِ الْآنَ إِلَيَّ هَذِهِ الْحَوَاسِّ الَّتِي خُصَّصَ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي خَلْقِهِ وَشُرِّفَ بِهَا عَلَيَّ غَيْرِهِ ، كَيْفَ جُعِلَتِ الْعَيْنَانُ فِي الرَّأْسِ كَالْمَصَابِيحِ فَوْقَ الْمَنَارَةِ لِيَتِمَّ كَنْ مِنْ مُطَالَعَةِ الْأَشْيَاءِ ، وَلَمْ تُجْعَلْ فِي الْأَعْضَاءِ الَّتِي تَحْتَهُنَّ كَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ فَتَعْرِضُهَا الْآفَاتُ ، وَتُصِيبُهَا مِنْ مُبَاشَرَةِ الْعَمَلِ وَالْحَرَكَةِ مَا يُعَلِّلُهَا وَيُؤَثِّرُ فِيهَا وَيَقْصُصُ مِنْهَا ، وَلَا

1- نهج البلاغة : الخطبة 163 ، بحار الأنوار : ج 60 ص 347 ح 34 .

2- الإزب : الحاجة (لسان العرب : ج 1 ص 208) .

في الأعضاء التي وَسَطَ البَدَنِ كالبطنِ وَالظَّهْرِ فَيَعَسَّرُ تَقْلُبُهَا وَأَطْلَاعُهَا نَحْوَ الْأَشْيَاءِ ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مَوْضِعٌ كَانَ الرَّأْسُ أَسْنَى الْمَوَاضِعِ لِلْحَوَاسِّ ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الصَّوْمِعَةِ لَهَا . فَجَعَلَ الْحَوَاسَّ خَمْسًا تَلْقَى خَمْسًا لِكَيْلَا يَفُوتَهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ ، فَخَلَقَ الْبَصَرَ لِيُدْرِكَ الْأَلْوَانَ ؛ فَلَوْ كَانَتِ الْأَلْوَانُ وَلَمْ يَكُنْ بَصَرٌ يُدْرِكُهَا لَمْ يَكُنْ مَنفَعَةٌ فِيهَا ، وَخَلَقَ السَّمْعَ لِيُدْرِكَ الْأَصْوَاتَ ؛ فَلَوْ كَانَتِ الْأَصْوَاتُ وَلَمْ يَكُنْ سَمْعٌ يُدْرِكُهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِرْبٌ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْحَوَاسِّ . ثُمَّ هَذَا يَرْجِعُ مُتَكَافِئًا ؛ فَلَوْ كَانَ بَصَرٌ وَلَمْ يَكُنْ أَلْوَانٌ لَمَا كَانَ لِلْبَصَرِ مَعْنَى ، وَلَوْ كَانَ سَمْعٌ وَلَمْ يَكُنْ أَصْوَاتٌ لَمْ يَكُنْ لِلسَّمْعِ مَوْضِعٌ . فَانظُرْ كَيْفَ قَدَّرَ بَعْضُهَا يَلْقَى بَعْضًا فَجَعَلَ لِكُلِّ حَاسَّةٍ مَحْسُوسًا يَعْمَلُ فِيهِ ، وَلِكُلِّ مَحْسُوسٍ حَاسَّةً تُدْرِكُهُ . وَمَعَ هَذَا فَقَدْ جُعِلَتِ أَشْيَاءٌ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْحَوَاسِّ وَالْمَحْسُوسَاتِ ، لَا يَتِمُّ الْحَوَاسُّ إِلَّا بِهَا ، كَمِثْلِ الضِّيَاءِ وَالْهَوَاءِ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ ضِيَاءٌ يُظْهِرُ اللَّوْنَ لِلْبَصَرِ لَمْ يَكُنِ الْبَصَرُ يُدْرِكُ اللَّوْنَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَوَاءٌ يُؤَدِّي الصَّوْتِ إِلَى السَّمْعِ لَمْ يَكُنِ السَّمْعُ يُدْرِكُ الصَّوْتِ ، فَهَلْ يَخْفَى عَلَيَّ مِنْ صَحَّ نَظْرُهُ وَأَعْمَلُ فِكْرَهُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ مِنْ تَهَيُّةِ الْحَوَاسِّ وَالْمَحْسُوسَاتِ بَعْضُهَا يَلْقَى بَعْضًا ، وَتَهَيُّةِ أَشْيَاءٍ أُخْرَ بِهَا تَتِمُّ الْحَوَاسُّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمْدٍ وَتَقْدِيرٍ مِنْ لَطِيفِ خَبِيرٍ؟ (1)

الإمام الصادق عليه السلام_ في بيان مراحل كمال الطفل_ : لو كان المولود يولد فهما عاقلاً لأنكر العالم عنده ولادته، ولبقي حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك مما يشاهده

ساعةً بعد ساعةٍ ويوماً بعد يومٍ، واعتبر ذلك بأنَّ من سُبي من بلدٍ إلى بلدٍ وهو عاقلٌ يكون كالواله الحيران، فلا يُسرِعُ في تعلُّمِ الكلامِ وقبولِ الأدبِ كما يُسرِعُ الذي يُسبي صغيراً غيرَ عاقلٍ . ثمَّ لو وُلِدَ عاقلاً كان يَجِدُ غَضاضَةً (1) إذا رأى نفسه محمولاً مُرضعاً مُعصَباً بِالخِرْقِ مُسَجِّىً فِي المَهْدِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي عَنْ هَذَا كُلِّهِ لِرِقَّةِ بَدَنِهِ وَرُطوبَتِهِ حِينَ يُولَدُ، ثُمَّ كَانَ لَا يُوَجِدُ لَهُ مِنَ الحِلَاوَةِ وَالْوَقْعِ مِنَ القُلُوبِ مَا يُوَجِدُ لِلطِّفْلِ، فَصَارَ يَخْرُجُ إِلَى الدُّنْيَا غَيِّباً غَافِلاً عَمَّا فِيهِ أَهْلُهُ فَيَلْقَى الأَشْيَاءَ بِذِهْنٍ ضَعِيفٍ وَمَعْرِفَةٍ نَاقِصَةٍ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَزَايَدُ فِي المَعْرِفَةِ قَلِيلاً قَلِيلاً وَشَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ وَحَالاً بَعْدَ حَالٍ حَتَّى يَأْلَفَ الأَشْيَاءَ وَيَتَمَرَّنَ وَيَسْتَمِرَّ عَلَيْهَا، فَيَخْرُجُ مِنْ حَدِّ التَّأَمُّلِ لَهَا وَالحَيْرَةِ فِيهَا إِلَى التَّصَرُّفِ وَالإِضْطِرَابِ إِلَى المَعَاشِ بِعَقْلِهِ وَحِيلَتِهِ، وَإِلَى الإِعْتِبَارِ وَالطَّاعَةِ وَالسَّهْوِ وَالعَفْلَةِ وَالمَعْصِيَةِ. وَفِي هَذَا أَيْضاً وَجوهٌ أُخَرُ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ يُولَدُ تَامَّ العَقْلِ مُسْتَقِلاً بِنَفْسِهِ لَدَهَبَ مَوْضِعَ حِلَاوَةِ تَرْبِيَةِ الأَوْلَادِ، وَمَا قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ لِلوَالِدِينَ فِي الإِسْتِغَالِ بِالوَلَدِ مِنَ المَصْلَحَةِ وَمَا يُوَجِبُ التَّرْبِيَةَ لِلآبَاءِ عَلَي الأَبْنَاءِ مِنَ المُكَلَّفَاتِ بِالبِرِّ وَالعَطْفِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ، ثُمَّ كَانَ الأَوْلَادُ لَا يَأْلَفُونَ آبَاءَهُمْ، وَلَا يَأْلَفُ الآبَاءُ أبنَاءَهُمْ ؛ لِأَنَّ الأَوْلَادَ كَانُوا يَسْتَعْنُونَ عَنِ تَرْبِيَةِ الآبَاءِ وَحِيَاظَتِهِمْ فَيَتَفَرَّقُونَ عَنْهُمْ حِينَ يُولَدُونَ، فَلَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ نِكَاحِ أُمَّهِ وَأُخْتِهِ وَذَوَاتِ المَحَارِمِ مِنْهُ إِذَا كَانَ لَا يَعْرِفُهُنَّ، وَأَقْلُ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ القَبَاحَةِ، بَلْ هُوَ أَشْنَعُ وَأَعْظَمُ وَأَفْظَعُ وَأَقْبِحُ وَأَبْشَعُ لَوْ خَرَجَ المَوْلُودُ مِنْ بَطْنِ أُمَّهِ وَهُوَ يَعْقِلُ أَنْ يَرَى مِنْهَا مَا لَا يَحِلُّ لَهُ وَلَا يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَرَاهُ. أَفَلَا تَرَى كَيْفَ أُقِيمَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الخَلْقَةِ عَلَي غَايَةِ الصَّوَابِ

1- الغَضاضَةُ : الذَّلَّةُ وَالمُنْقِصَةُ (الصَّحاح: ج 3 ص 1095 «غَضَضُ»).

2 / 2 خلق الإنسان من التراب

وَحَلَا مِنْ الْخَطَا دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ. (1)

راجع: ص 83 (معرفة النفس) و 99 (التجربة).

2 / 2 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنَ التُّرَابِ الْكَتَابِ «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ». (2)

«فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ». (3)

«خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ». (4)

راجع: الحجج: 5، الأنعام: 2، الحجر: 26، المؤمنون: 12، غافر: 67، فاطر: 11.

الحديث لعل الشرائع عن أبي عبد الله بن يزيد: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ سَلَامٍ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لَهُ... : فَأَخْبَرَنِي عَنْ آدَمَ لَمَ سُمِّيَ آدَمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ طِينِ الْأَرْضِ وَأَدِيمِهَا. قَالَ: فَآدَمُ خُلِقَ مِنْ طِينٍ كُلُّهُ أَوْ طِينٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: بَلْ مِنْ الطِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ خُلِقَ مِنْ طِينٍ وَاحِدٍ لَمَا عَرَفَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَكَانُوا عَلَيَّ صُورَةَ وَاحِدَةٍ.

1- بحار الأنوار: ج 3 ص 63 عن المفصل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفصل.

2- الروم: 20.

3- الصافات: 11.

4- الرحمن: 14.

2 / 3 خلق الإنسان من التُّففة

قال: فَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَثَلٌ؟ قال: التُّرابُ فِيهِ أبيضٌ وفيهِ أَحْضَرٌ وفيهِ أَشْقَرٌ وفيهِ أَعْبَرٌ وفيهِ أَحْمَرٌ وفيهِ أَرْزَقٌ، وفيهِ عَذْبٌ وفيهِ مِلْحٌ، وفيهِ حَسِينٌ وفيهِ لَيْنٌ وفيهِ أَصْهَبٌ، فَلِذَلِكَ صَارَ النَّاسُ فِيهِمْ لَيْنٌ وفيهِمْ حَسِينٌ، وفيهِمْ أبيضٌ وفيهِمْ أَصْفَرٌ وَأَحْمَرٌ وَأَصْهَبٌ وَأَسْوَدٌ عَلَيِ ألوانِ التُّرابِ . (1)

الإمام الصادق عليه السلام: أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إبليسُ؛ قال: «خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» (2)، وَلَوْ عَلِمَ إبليسُ ما جَعَلَ اللهُ فِي آدَمَ لَمْ يَفْتَخِرْ عَلَيْهِ . ثُمَّ قال: إِنَّ اللهُ عز و جل خَلَقَ الملائكةَ مِنَ النُّورِ، وَخَلَقَ الجانَّ مِنَ النَّارِ، وَخَلَقَ الجانَّ مِنَ الرِّيحِ، وَخَلَقَ صِنْفًا مِنَ الجانِّ مِنَ المَاءِ، وَخَلَقَ آدَمَ مِنْ صَفْحَةِ الطِّينِ . (3)

2 / 3 خلق الإنسان من التُّففة الكتاب «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا» . (4)

«فَلْيَنْظُرِ الأَئِمْسانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ» . (5)

-
- 1- .علل الشرائع: ص 471 ح 33، بحار الأنوار: ج 60 ص 244 نقلاً عن بعض الكتب القديمة عن عبد الله بن سلام .
 - 2- .الأعراف: 12، ص: 76 .
 - 3- .الاختصاص: ص 109، بحار الأنوار: ج 11 ص 102 ح 8 .
 - 4- .الفرقان: 54 .
 - 5- .الطارق: 5_7 .

«أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ» . (1)

«إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» . (2)

راجع: النحل: 4، القيامة: 37، 38، فاطر: 11، غافر: 67، المؤمنون: 14، يس: 77.

الحديث للإمام علي عليه السلام من حُطْبَةٍ يَصِفُ فِيهَا خَلْقَ الْإِنْسَانِ: أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الأستار نُطْفَةً دِهَاقًا.. ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَلِسَانًا لَافِظًا، وَبَصْرًا لَاحِظًا؛ لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا، حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا. (3)

عنه عليه السلام في تَقْدِيسِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: عَالِمِ السِّرِّ مِنْ صَدَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ... وَمَحَطِّ الْأَمْشَاجِ (4) مِنْ مَسَارِبِ (5) الْأَصْلَابِ. (6)

الإمام الباقر عليه السلام في قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ»: ماء الرجل وماء المرأة اختلطا جميعا. (7)

بحار الأنوار عن صحف إدريس عليه السلام: فَازَ - يَا أَخْنُوخُ - مَنْ عَرَفَنِي، وَهَلَكَ مَنْ أَنْكَرَنِي. عَجَبًا لِمَنْ ضَلَّ عَنِّي وَلَيْسَ يَخْلُو فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مِنِّي، كَيْفَ يَخْلُو وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ، وَأَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ؟

1- المرسلات: 20 و 21.

2- الإنسان: 2.

3- نهج البلاغة: الخطبة 83، بحار الأنوار: ج 60 ص 349 ح 35.

4- الأمشاج: يريد المنى الذي يتولد منه الجنين (النهاية: ج 4 ص 333).

5- وفي نسخة: «مشارب».

6- نهج البلاغة: الخطبة 91 عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج 57 ص 113.

7- تفسير القمي: ج 2 ص 398 عن أبي الجارود وراجع بحار الأنوار: ج 60 ص 327.

أَلَسْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْعَظِيمُ عِنْدَ نَفْسِهِ فِي بُنْيَانِهِ ، الْقَوِيُّ لَدَى هِمَّتِهِ فِي أَرْكَانِهِ ، مَخْلُوقًا مِنَ النُّطْفَةِ الْمَذْرُوعَةِ ، وَمُخْرَجًا مِنَ الْأَمَاكِينِ الْقَذِرَةِ ، تَنَحَّطُ مِنْ أَصْلَابِ الْآبَاءِ كَالنُّخَاعَةِ إِلَى أَرْحَامِ النِّسَاءِ ، ثُمَّ يَأْتِيكَ أَمْرِي فَتَصِيرُ عَلَقَةً ، لَوْ رَأَتْكَ الْعَيُونُ لَأَسْتَقْدَرْتَكَ ، وَلَوْ تَأَمَّلَتْكَ النُّفُوسُ لَعَافَتْكَ ، ثُمَّ تَصِيرُ بِقُدْرَتِي مُضْغَةً لَا حَسَنَةً فِي الْمَنْظَرِ ، وَلَا نَافِعَةً فِي الْمَخْبَرِ ، ثُمَّ أُبْعَثُ إِلَيْكَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِي ، فَتُخَلَقُ عُضْوًا عُضْوًا ، وَتُقَدَّرُ مَفْصِلًا مَفْصِلًا ، مِنْ عِظَامٍ مَغْشِيَّةٍ ، وَعُرُوقٍ مُلْتَوِيَّةٍ ، وَأَعْصَابٍ مُتَنَاسِلَةٍ ، وَرِبَاطَاتٍ مَائِدَةٍ ، ثُمَّ يَكْسُوكَ لَحْمًا ، وَيُلْبِسُكَ جِلْدًا ، تُجَامِعُ مِنْ أَشْيَاءٍ مُتَبَايِنَةٍ ، وَتُخَلَقُ مِنْ أَصْنَافٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَتَصِيرُ بِقُدْرَتِي خَلْقًا سَوِيًّا لَا رُوحَ فِيكَ تُحَرِّكُ ، وَلَا قُوَّةَ لَكَ تُقَلِّكُ ... فَانْفُخْ فِيكَ الرُّوحَ ، وَأَهَبْ لَكَ الْحَيَاةَ ، فَتَصِيرُ بِإِذْنِي إِنْسَانًا ، لَا تَمْلِكُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، وَلَا تَفْعَلُ خَيْرًا وَلَا شَرًّا ، مَكَانَكَ مِنْ أُمَّكَ تَحْتَ السُّرَّةِ ، كَأَنَّكَ مَصْرُورٌ فِي صُرَّةٍ ، إِلَى أَنْ يَلْحَقَكَ مَا سَبَقَ مِنِّي مِنَ الْقَضَاءِ ، فَتَصِيرُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى وَسْعِ الْفَضَاءِ ، فَتَلْقِي مَا قَدَّرَكَ مِنَ السَّعَادَةِ أَوْ الشَّقَاءِ ، إِلَى أَجَلٍ مِنَ الْبَقَاءِ مُتَعَقِّبٌ لَا شَكَّ بِالْفَنَاءِ ، أَنْتِ خَلَقْتِ نَفْسَكَ ، وَسَوَّيْتِ جِسْمَكَ ، وَنَفَخْتِ رُوحَكَ ؟ إِنْ كُنْتِ فَعَلْتِ ذَلِكَ وَأَنْتِ النُّطْفَةُ الْمَهْيِيَّةُ ، وَالْعَلَقَةُ الْمُسْتَضْعَفَةُ ، وَالْجَنِينُ الْمَصْرُورُ فِي صُرَّةٍ ، فَأَنْتِ الْآنَ فِي كَمَالِ أَعْضَائِكَ ، وَطَرَاءَةِ مَائِكَ ، وَتَمَامِ مَفَاصِلِكَ ، وَرِيْعَانِ شَبَابِكَ ، أَقْوَى وَأَقْدَرُ ؛ فَاخْلُقِي لِنَفْسِكَ عُضْوًا آخَرَ ، وَاسْتَجْلِبِي قُوَّةً إِلَيَّ قُوَّتِكَ ، وَإِنْ كُنْتِ أَنْتِ دَفَعْتِ عَن نَفْسِكَ فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ طَارِقَاتِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَعْلَالِ ، فَادْفَعِي عَن نَفْسِكَ الْآنَ أَسْقَامَكَ ، وَنَزَّهِ عَن بَدَنِكَ آلامَكَ ، وَإِنْ كُنْتِ أَنْتِ نَفَخْتِ الرُّوحَ فِي بَدَنِكَ وَجَلَبْتِ الْحَيَاةَ الَّتِي تُمَسِّكُكَ ، فَادْفَعِي الْمَوْتَ إِذَا حَلَّ بِكَ ، وَأَبْقِي يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ حُضُورِ أَجَلِكَ . فَإِنَّ لَمْ تَقْدِرِي أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَيَّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَعَجَزْتِ عَنْهُ كُلَّهُ ، فَاعْلَمِي أَنَّكَ

2 / 4 تصوير الجنين في الرحم

حَقًّا مَخْلُوقٌ ، وَأَنْتِي أَنَا الْخَالِقُ ، وَأَنْتَ أَنْتَ الْعَاجِزُ ، وَأَنْتِي أَنَا الْقَوِيُّ الْقَادِرُ ، فَاعْرِفْنِي حِينَئِذٍ وَعَبُدْنِي حَقَّ عِبَادَتِي ، وَاشْكُرْ لِي نِعْمَتِي أَزِدْكَ مِنْهَا ، وَاسْتَعِذْ بِي مِنْ سُخْطِي أُعِدُّكَ مِنْهَا ؛ فَإِنِّي أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا أَعْبَأُ بِمَا أَحْلُقُ ، وَلَا أُنْعَبُ وَلَا أَنْصَبُ فِيمَا أَرْزُقُ ، وَلَا أَلْغَبُ ، إِنَّمَا أَمْرِي إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . (1)

2 / 4 تصوير الجنين في الرحم الكتاب «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» . (2)

«يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ» . (3)

«خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» . (4)

«اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» . (5)

«هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» . (6)

«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» . (7)

1- بحار الأنوار : ج 95 ص 454 نقلاً عن ابن متويه .

2- آل عمران : 6 .

3- الانقطار : 6 و 7 .

4- التغابن : 3 .

5- غافر : 64 .

6- الحشر : 24 .

7- البلد : 4 .

«مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» . (1)

«يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمٍ لَّيْلٍ ثَلَاثِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِي تُصْرَفُونَ» . (2)

الحديث للإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى : «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ» (3) : أما «خَلَقْنَاكُمْ» ؛ فَنُطِفَةٌ ثُمَّ عَلَقَةٌ ثُمَّ مُضْغَةٌ ، ثُمَّ عَظْمًا ثُمَّ لَحْمًا ، وأما «صَوَّرْنَاكُمْ» ؛ فَالْعَيْنَ وَالْأَنْفَ وَالْأُذُنِينَ وَالْفَمَ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ صَوَّرَ هَذَا وَنَحْوَهُ ، ثُمَّ جَعَلَ الدَّمِيمَ وَالْوَسِيمَ وَالطَّوِيلَ وَالْقَصِيرَ وَأَشْبَاهَ هَذَا . (4)

الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» يَعْنِي : مُتَّصِبًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، مَقَادِيمُهُ إِلَى مَقَادِيمِ أُمِّهِ ، وَمَاخِرُهُ إِلَى مَاخِرِ أُمِّهِ ، غِذَاؤُهُ مِمَّا تَأْكُلُ أُمُّهُ ، وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُ أُمُّهُ ، تَسْمُهُ (5) تَنْسِيمًا . (6)

علل الشرائع عن حماد بن عثمان : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّا نَرَى الدَّوَابَّ فِي بُطُونِ أَيْدِيهَا الرُّفَعَتَيْنِ مِثْلَ الكَيِّ ؛ فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ مَوْضِعُ مَنْخَرِيهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَابْنُ آدَمَ مُنْتَصِبٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي

1- نوح : 13 ، 14 .

2- الزمر : 6 .

3- الأعراف : 11 .

4- تفسير القمي : ج 1 ص 224 عن أبي الجارود ، بحار الأنوار : ج 60 ص 365 ح 60 .

5- تنسّم : تنفّس . وتسمّم النسيم : إذا تشمّمه (تاج العروس : ج 17 ص 685) .

6- المحاسن : ج 2 ص 14 ح 1085 عن محمد بن مسلم ، بحار الأنوار : ج 60 ص 342 ح 23 وراجع : المناقب لابن شهر آشوب : ج

4 ص 254 .

كَبِدٍ» وما سَوِيَ ابنِ آدَمَ فَرَأَسُهُ فِي ذُبُرِهِ وَيَدَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . (1)

تفسير القمّي : «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ» أي مُتَّصِبًا وَلَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهُ شَيْءٌ . (2)

تفسير ابن أبي حاتم عن أبي ذرّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِذَا مَكَثَ الْمَيِّتُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً أَتَاهُ مَلَكُ النَّفْسِ فَعَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّبِّ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَذْكَرٌ أَمْ أَثِي؟ فَيَقْضِي اللَّهُ مَا هُوَ قَاضٍ فَيَقُولُ: أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَكْتُبُ مَا هُوَ لَاقٍ . وَقَرَأَ أَبُو ذَرٍّ مِنْ فَاتِحَةِ التَّغَابُنِ خَمْسَ آيَاتٍ (3) إِلَى قَوْلِهِ: «وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» . (4)

الإمام الحسين عليه السلام: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيَّ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ... مَا أَوَّلُ نِعْمَةٍ بَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ بِهَا؟ قَالَ: أَنْ خَلَقَنِي - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - وَلَمْ أَكُ شَيْئًا مَذْكُورًا . قَالَ: صَدَقْتَ، فَمَا الثَّانِيَّةُ؟ قَالَ: أَنْ أَحْسَنَ بِي إِذْ خَلَقَنِي فَجَعَلَنِي حَيًّا لَا مَيِّتًا . قَالَ: صَدَقْتَ، فَمَا الثَّالِثَةُ؟ قَالَ: أَنْ أَنْشَأَنِي - فَلَهُ الْحَمْدُ - فِي أَحْسَنِ صُوْرَةٍ وَأَعَدَلَ تَرْكِيْبٍ .

1- .علل الشرائع : ص 495 ح 1 ، كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 2 ص 289 ح 2476 ليس فيه ذيله من «وابن آدم» ، بحار الأنوار : ج 64 ص 126 ح 8 .

2- .تفسير القمّي : ج 2 ص 422 ، بحار الأنوار : ج 9 ص 251 ح 157 .

3- .«يَسْبِغُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»

4- .تفسير ابن أبي حاتم : ج 10 ص 3358 ح 18902 ، تفسير الطبري : ج 14 الجزء 28 ص 119 من دون إسناد إلى المعصوم ، الدر المنثور : ج 8 ص 182 نقلاً عن عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ؛ بحار الأنوار : ج 60 ص 384 ح 114 .

قَالَ : صَدَقَتْ . (1)

الإمام الباقر عليه السلام : إِذَا وَقَعَتِ النَّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ اسْتَقَرَّتْ فِيهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَتَكُونُ عَلَاقَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَتَكُونُ مُضْغَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكَينِ خَلَاقِينَ فَيَقَالُ لَهُمَا : أَخْلُقَا كَمَا يُرِيدُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى ، صَوِّرَاهُ وَاكَتُبَا أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَمَنْبَتَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ، وَاكَتُبَا لِلَّهِ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِ فِي الذَّرِّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَإِذَا دَنَا خُرُوجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًَا يُقَالُ لَهُ زَاجِرٌ فَيَرْجُرُهُ ، فَيَفْرَعُ فَرَعًا فَيَنْسِي الْمِيثَاقَ وَيَعُودُ إِلَى الْأَرْضِ يَبْكِي مِنْ زَجْرَةِ الْمَلَكِ . (2)

عنه عليه السلام في ذكر أطوار الخلق :- ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكَينِ خَلَاقِينَ يَخْلُقَانِ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ ، فَيَقْتَحِمَانِ فِي بَطْنِ الْمَرْأَةِ مِنْ فَمِ الْمَرْأَةِ فَيَصِلَانِ إِلَى الرَّحِمِ ، وَفِيهَا الرُّوحُ الْقَدِيمَةُ الْمَنْقُولَةُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، فَيَنْفُخَانِ فِيهَا رُوحَ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ ، وَيَسْتَقِمَانِ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَجَمِيعَ الْجَوَارِحِ وَجَمِيعَ مَا فِي الْبَطْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، ثُمَّ يُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَينِ : اكَتُبَا عَلَيْهِ قَضَائِي وَقَدْرِي وَنَافِذَ أَمْرِي ، وَاشْتَرِطَا لِي الْبَدَاءَ فِيمَا تَكْتُبَانِ ، فَيَقُولَانِ : يَا رَبِّ مَا نَكْتُبُ ؟ فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِمَا أَنْ ارْفَعَا رُؤُوسَهُمَا كَمَا إِلَيَّ رَأْسُ أُمِّهِ ، فَيَرْفَعَانِ رُؤُوسَهُمَا ، فَإِذَا اللَّوْحُ يَقْرَعُ جِبْهَةَ أُمِّهِ ، فَيَنْطَرَانِ فِيهِ ، فَيَجِدَانِ فِي اللَّوْحِ صُورَتَهُ وَزِينَتَهُ وَأَجَلَهُ وَمِثَاقَهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا وَجَمِيعَ شَأْنِهِ . قَالَ : فَيَمْلِي أَحَدُهُمَا عَلَيَّ صَاحِبِهِ فَيَكْتُبَانِ جَمِيعَ مَا فِي اللَّوْحِ وَيَشْتَرِطَانِ الْبَدَاءَ فِيمَا يَكْتُبَانِ . (3)

الإمام الصادق عليه السلام في بيان كيفية نشوء الأبدان :- أَوَّلُ ذَلِكَ تَصَوِيرُ الْجَنِينِ فِي

-
- 1- الأماشي للطوسي : ص 492 ح 1077 عن عمر بن علي عن الإمام الباقر عن آبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار : ج 70 ص 21 ح 17 .
 - 2- الكافي : ج 6 ص 16 ح 7 عن زرارة بن أعين ، بحار الأنوار : ج 60 ص 364 ح 58 .
 - 3- الكافي : ج 6 ص 14 ح 4 عن زرارة ، بحار الأنوار : ج 60 ص 344 ح 31 .

الرَّحِمِ حَيْثُ لَا تَرَاهُ عَيْنٌ وَلَا تَنَالُهُ يَدٌ، وَيُدَبِّرُهُ حَتَّى يَخْرُجَ سَوِيًّا مُسْتَوْفِيًا جَمِيعَ مَا فِيهِ قِوَامُهُ وَصَلَاحُهُ مِنَ الْأَحْشَاءِ وَالْجَوَارِحِ وَالْعَوَامِلِ، إِلَى مَا فِي تَرْكِيبِ أَعْضَائِهِ مِنَ الْعِظَامِ وَاللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَالْمُخِّ وَالْعَصَبِ وَالْعُرُوقِ وَالْغَضَارِيْفِ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَى الْعَالَمِ تَرَاهُ كَيْفَ يَنْمِي بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ، وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَيَّ شَكْلٍ وَهَيْئَةٍ لَا تَتَزَايَدُ وَلَا تَنْقُصُ، إِلَيَّ أَنْ يَبْلُغَ أَشَدَّهُ، إِنْ مَدَّ فِي عُمُرِهِ أَوْ يَسْتَوْفِي مُدَّتَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، هَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ لَطِيفِ التَّدْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ؟ (1)

عنه عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا جَمَعَ كُلَّ صُورَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ، ثُمَّ خَلَقَهُ عَلَيَّ صُورَةَ إِحْدَاهُنَّ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ لَوْلَدِهِ هَذَا لَا يُشْبِهُنِي وَلَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ آبَائِي. (2)

عنه عليه السلام - لِلْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ - : نَبَتْ يَدِي - يَا مُفَضَّلُ - بِذِكْرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فَاعْتَبِرْ بِهِ؛ فَأَوَّلُ ذَلِكَ مَا يُدَبَّرُ بِهِ الْجَنِينَ فِي الرَّحِمِ، وَهُوَ مُحْجُوبٌ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ: ظُلْمَةِ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةِ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةِ الْمَشِيمَةِ، حَيْثُ لَا حِيلَةَ عِنْدَهُ فَيَطْلُبُ غِذَاءً وَلَا دَفْعَ أَذْيٍ، وَلَا اسْتِجْلَابَ مَنفَعَةٍ وَلَا دَفْعَ مَضَرَّةٍ؛ فَإِنَّهُ يَجْرِي إِلَيْهِ مِنْ دَمِ الْحَيْضِ مَا يَغْذُوهُ كَمَا يَغْذُو الْمَاءُ النَّبَاتَ، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ غِذَاؤَهُ حَتَّى إِذَا كَمُلَ خَلْقُهُ، وَاسْتَحْكَمَ بَدَنُهُ، وَقَوِيَ أَدِيمُهُ عَلَيَّ مُبَاشَرَةَ الْهَوَاءِ، وَبَصَرُهُ عَلَيَّ مُلَاقَاةَ الضِّيَاءِ، هَاجَ الطَّلُقُ بِأُمِّهِ فَازْعَجَهُ أَشَدَّ إِزْعَاجٍ وَأَعْنَقَهُ حَتَّى يُولَدَ، وَإِذَا وُلِدَ صُرِفَ ذَلِكَ الدَّمُ الَّذِي كَانَ يَغْذُوهُ مِنْ دَمِ أُمِّهِ إِلَيَّ تَدْيِيهَا، فَانْقَلَبَ الطَّعْمُ وَاللَّوْنُ إِلَيَّ صَدْرًا آخَرَ مِنَ الْغِذَاءِ، وَهُوَ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِلْمَوْلُودِ مِنَ الدَّمِ، فَيُوفِيهِ فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، فَحِينَ يُولَدُ قَدْ تَلَمَّظَ وَحَرَكَ شَفْتَيْهِ طَلْبًا لِلرِّضَاعِ فَهُوَ يَجِدُ تَدْيِي أُمِّهِ كَالِإِدَاوَتَيْنِ (3) الْمُعَلَّقَتَيْنِ

1- بحار الأنوار: ج 3 ص 68 عن المفصل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفصل .

2- كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 3 ص 484 ح 4709، علل الشرائع: ص 103 ح 1، مكارم الأخلاق: ج 1 ص 475 ح 1636، عوالي اللآلي: ج 3 ص 309 ح 131، بحار الأنوار: ج 104 ص 93 ح 29 .

3- الإداوتان: مثني إداوة؛ وهي - بالكسر - إناء صغير من جلد يتخذ للماء (النهاية: ج 1 ص 33) .

لِحاجَتِهِ إِلَيْهِ ، فَلَا يَزَالُ يَغْتَذِي بِاللَّبَنِ مَا دَامَ رَطَبَ الْبَدَنِ ، رَقِيقَ الْأَمْعَاءِ ، لَيْنَ الْأَعْضَاءِ ، حَتَّى إِذَا تَحَرَّكَ وَاحْتَاجَ إِلَى غِذَاءٍ فِيهِ صَدْلَابَةٌ لَيْسَتْ تَدَّ وَيَقْوِي بَدَنَهُ طَلَعَتْ لَهُ الطَّوَاخُنُ مِنَ الْأَسْنَانِ وَالْأَضْرَاسِ ، لِيَمْضَغَ بِهِ الطَّعَامَ فَيَلِينَ عَلَيْهِ وَيَسْهَلُ لَهُ إِسَاعَتُهُ ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُدْرِكَ ، فَإِذَا أَدْرَكَ وَكَانَ ذَكَرًا طَلَعَ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً الذَّكَرِ وَعِزَّ الرَّجُلِ الَّذِي يَخْرُجُ بِهِ مِنْ حَدِّ الصَّبَا وَشَبَهَ النِّسَاءِ ، وَإِنْ كَانَتْ أَنْثَى يَبْقَى وَجْهَهَا نَقِيًّا مِنَ الشَّعْرِ ، لِتَبْقَى لَهَا الْبَهْجَةُ وَالنَّضَارَةُ الَّتِي تُحَرِّكُ الرَّجَالَ لِمَا فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَبِقَاؤُهُ . إِعْتَبِرْ - يَا مُفَضَّلُ - فِيمَا يُدَبَّرُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ ، هَلْ تَرَى يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ بِالْإِهْمَالِ ؟ أَفَرَأَيْتَ لَوْ لَمْ يَجِرْ إِلَيْهِ ذَلِكَ الدَّمُ وَهُوَ فِي الرَّحِمِ ؛ أَلَمْ يَكُنْ سَيِّدِي (1) وَيَجِفُّ كَمَا يَجِفُّ النَّبَاتُ إِذَا فَقَدَ الْمَاءَ ؟ وَلَوْ لَمْ يُزِعْجُهُ الْمَخَاضُ عِنْدَ اسْتِحْكَامِهِ ؛ أَلَمْ يَكُنْ سَيِّقِي فِي الرَّحِمِ كَالْمَوْوُودِ فِي الْأَرْضِ ؟ وَلَوْ لَمْ يُوَافِقْهُ اللَّبَنُ مَعَ وِلَادَتِهِ ؛ أَلَمْ يَكُنْ سَيِّمُوتُ جَوْعًا ، أَوْ يَغْتَذِي بِغِذَاءٍ لَا يُلَانِمُهُ وَلَا يَصْلَحُ عَلَيْهِ بَدَنُهُ ؟ وَلَوْ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِ الْأَسْنَانُ فِي وَقْتِهَا ؛ أَلَمْ يَكُنْ سَيِّمْتَعُ عَلَيْهِ مَضْغُ الطَّعَامِ وَإِسَاعَتُهُ ، أَوْ يَقِيمُهُ عَلَيَّ الرُّضَاعِ فَلَا يَشُدُّ بَدَنَهُ ، وَلَا يَصْلَحُ لِعَمَلٍ ؟ ثُمَّ كَانَ تَشْتَغِلُ أُمُّهُ بِنَفْسِهِ عَنْ تَرْبِيَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلَادِ ، وَلَوْ لَمْ يَخْرُجِ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ فِي وَقْتِهِ ؛ أَلَمْ يَكُنْ سَيِّقِي فِي هَيْئَةِ الصَّبِيَانِ وَالنِّسَاءِ ؛ فَلَا تَرَى لَهُ جَلَالَتَهُ وَلَا وَقَارًا ؟ فَإِنْ كَانَ الْإِهْمَالُ يَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا التَّدْبِيرِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَمْدُ وَالتَّقْدِيرُ يَأْتِيَانِ بِالْخَطَا وَالْمُحَالِ ؛ لِأَنَّهُمَا ضِدُّ الْإِهْمَالِ ، وَهَذَا فَطِيعٌ مِنَ الْقَوْلِ ، وَجَهْلٌ مِنْ قَائِلِهِ ؛ لِأَنَّ الْإِهْمَالَ لَا يَأْتِي بِالصَّوَابِ ، وَالتَّضَادُّ لَا يَأْتِي بِالنِّظَامِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُلْحِدُونَ عُلوًّا كَبِيرًا . (2)

1- ذوي يدوي ذيا : هو أن لا يصيب النبات والحشيش ريّه (العين : 290) .

2- بحار الأنوار : ج 3 ص 62 عن المفصل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفصل .

2 / 5 نفخ الروح في الجنين

2 / 5 نفخ الروح في الجنين الكتاب «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْـلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظًا مَّا فَكَّسْنَا الْعِظَ لِحَمًّا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ . (1)

«كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . (2)

راجع : الحج : 66 ، الجاثية : 26 ، 56 .

الحديث الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى : «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» : هُوَ نَفْخُ الرُّوحِ فِيهِ . (3)

عنه عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ النُّطْفَةَ الَّتِي مِمَّا أَخَذَ عَلَيْهَا الْمِيثَاقَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَوْ مَا يَبْدُو لَهُ فِيهِ وَيَجْعَلُهَا فِي الرَّحِمِ حَرَكَ الرَّجُلَ لِلْجِمَاعِ ، وَأَوْحِي إِلَيَّ الرَّحِمَ أَنْ افْتَحِي بَابَكَ حَتَّى يَدْخِكَ خَلْقِي وَقَضَائِي التَّافِذُ وَقَدْرِي ، فَتَفْتَحُ الرَّحِمُ بَابَهَا ، فَتَصِلُ النُّطْفَةُ إِلَيَّ الرَّحِمِ ، فَتَرَدُّ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ تَصِيرُ عَلَقَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ تَصِيرُ مُضْغَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ تَصِيرُ لِحْمًا تَجْرِي فِيهِ عُرُوقٌ مُشْتَبِكَةٌ . ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَائِكَةً خَلَّاقِينَ يَخْلُقَانِ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ ، فَيَقْتَحِمَانِ فِي بَطْنِ الْمَرْأَةِ مِنْ فَمِ الْمَرْأَةِ ، فَيَصِيدَانِ إِلَيَّ الرَّحِمِ فِيهَا الرُّوحَ الْقَدِيمَةَ الْمَنْقُولَةَ فِي أَصْلَابِ

1- المؤمنون : 12 _ 14 .

2- البقرة : 28 .

3- تفسير القمّي : ج 2 ص 91 عن أبي الجارود ، بحار الأنوار : ج 60 ص 369 ح 75 وراجع الكافي : ج 7 ص 348 ح 1 وتهذيب الأحكام : ج 10 ص 271 ح 1065 .

2 / 6 اختلاف الألسنة والألوان

الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، فَيَنْفُخَانِ فِيهَا رُوحَ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ ، وَيَشْفِقَانِ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَجَمِيعَ الْجَوَارِحِ وَجَمِيعَ مَا فِي الْبَطْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ . (1)

الإمام الصادق عليه السلام في الجنين -: إذا بلغ أربعة أشهر فقد صارت فيه الحياة ، وقد استوجب الدية . (2)

2 / 6 اختلاف الألسنة والألوان الكتاب «(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَّوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَلَدِ لَكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» . (3)

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» . (4)

الحديث مجمع الزوائد عن ابن عباس : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : أيصغ ربك ؟ فقال : نعم ، ص باغا لا ينفص ؛ أحمر وأصفر وأبيض . (5)

الإمام الصادق عليه السلام - لِلْمُفْضَلِ بْنِ عَمْرٍ -: تَأَمَّلْ - يَا مُفْضَلُ - مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ

1- الكافي : ج 6 ص 13 ح 4 عن زرارة ، بحار الأنوار : ج 60 ص 344 ح 31 .

2- تفسير القمي : ج 2 ص 91 عن سليمان بن خالد وراجع الكافي : ج 7 ص 346 ح 11 وتهذيب الأحكام : ج 10 ص 284 ح 1105 وبحار الأنوار : ج 60 ص 355 ح 39 .

3- الروم : 22 .

4- فاطر : 27 ، 28 .

5- مجمع الزوائد : ج 5 ص 225 ح 8556 ، الدر المنثور : ج 7 ص 19 كلاهما نقلاً عن البزار .

2 / 7 الرزق

بِهِ عَلَيِ الْإِنْسَانِ ، مِنْ هَذَا النُّطْقِ الَّذِي يُعَبِّرُ بِهِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ ، وَمَا يَخْطُرُ بِقَلْبِهِ ، وَنَتِيجَةَ فِكْرِهِ ، وَبِهِ يَفْهَمُ عَنْ غَيْرِهِ مَا فِي نَفْسِهِ ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ الْمُهْمَلَةِ ، الَّتِي لَا تُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهَا بِشَيْءٍ ، وَلَا تَفْهَمُ عَنْ مُخْبِرِ شَيْئًا . (1)

2 / 7 الرزق الكتاب «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَتَّقُونَ» . (2)

«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شَرِكَاكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَنَعْلَمُ لِي عَمَّا يُشْرِكُونَ» . (3)

«قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ» . (4)

«قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» . (5)

«أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» . (6)

1- .بحار الأنوار : ج 3 ص 82 عن المفصل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفصل .

2- .فاطر : 3 .

3- .الروم : 40 .

4- .سبأ : 24 .

5- .يونس : 31 .

6- .النمل : 64 .

«أَمَّنْ عَـ ذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ» . (1)

راجع: الأنفال : 26 ، النحل : 72 ، غافر : 64 ، البقرة : 22 و 172 ، الجاثية : 5 ، إبراهيم : 32 ، الذاريات : 58 .

الحديث للإمام زين العابدين عليه السلام : قَالَ عز وجل : «فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ» يعني : مِمَّا يُخْرِجُهُ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقًا لَكُمْ ، «فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا» أي : أشباها وأمثالاَ مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَيَّ شَيْءٍ ، «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (2) أَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَيَّ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ _ تَبَارَكَ وَتَعَالَى _ . (3)

الإمام علي عليه السلام : تَمَوَّرُ فِي بَطْنِ أُمَّكَ جَنِينًا ، لَا تُحِيرُ دُعَاءٌ وَلَا تَسْمَعُ زِيْدَاءً ، ثُمَّ أَخْرَجْتَ مِنْ مَقْرَكَ إِلَيَّ دَارًا لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا ؛ فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدِي أُمَّكَ ، وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ ؟ (4)

الإمام الحسين عليه السلام _ مِنْ دُعَائِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ _ : أَنْتَ الَّذِي رَزَقْتَ ، أَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ . (5)

الإمام الصادق عليه السلام : مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ يَأْتِي عَلَيْهِ سَبْعُونَ سَنَةً ، أَوْ ثَمَانُونَ سَنَةً ، يَعِيشُ فِي مُلْكِ اللَّهِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ نِعْمِهِ ، لَا يَعْرِفُ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ . (6)

بحار الأنوار عن صُحْفِ إِدْرِيسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، أَنْظِرْ وَتَدَبَّرْ ، وَاعْقِلْ وَتَفَكَّرْ ، هَلْ

1- .الملك : 21 .

2- .البقرة : 22 .

3- .عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 138 ح 36 ، التوحيد : ص 404 ح 11 كلاهما عن محمد بن زياد ومحمد بن سيّار عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام ، الاحتجاج : ج 2 ص 507 ح 336 عن الإمام العسكري عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 3 ص 35 ح 10 .

4- .نهج البلاغة : الخطبة 163 ، تنبيه الخواطر : ج 1 ص 71 نحوه ، بحار الأنوار : ج 60 ص 347 ح 34 .

5- .الإقبال : ج 2 ص 82 ، البلد الأمين : ص 255 ، بحار الأنوار : ج 98 ص 221 ح 3 .

6- .كفاية الأثر : ص 256 عن هشام ، بحار الأنوار : ج 36 ص 406 ح 16 .

لَاكَ رَازِقٌ سِوَايَ يَرْزُقُكَ؟ أَوْ مُنْعِمٌ غَيْرِي يُنْعِمُ عَلَيْكَ؟ أَلَمْ أُخْرِجِكَ مِنْ ضَيْقِ مَكَانِكَ فِي الرَّحِمِ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنَ النَّعْمِ؟ أَمْ أُخْرِجُكَ مِنَ الضَّيْقِ إِلَى السَّعَةِ، وَمِنَ التَّعَبِ إِلَى الدَّعَةِ، وَمِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ، ثُمَّ عَرَفْتُ صَدِّعَكَ عَمَّا يُقِيمُكَ، وَعَجَزَكَ عَمَّا يَقْوِتُكَ، فَأَدْرَرْتُ لَكَ مِنْ صَدْرِي أُمَّكَ عَيْنَيْنِ مِنْهُمَا طَعَامُكَ وَشَرَابُكَ، وَفِيهِمَا غِذَاؤُكَ وَنَمَاؤُكَ، ثُمَّ عَطَفْتُ بِقَلْبِي عَلَيْكَ، وَصَرَفْتُ بُؤْدهَا إِلَيْكَ، كَيْ لَا تَتَبَرَّمَ بِكَ مَعَ إِذْنَانِكَ لَهَا، وَلَا تَطْرَحَكَ مَعَ إِضْجَارِكَ إِيَّاهَا، وَلَا تَقْزِرَكَ مَعَ كَثْرَةِ عَاهَاتِكَ، وَلَا تَسْتَقْدِرَكَ مَعَ تَوَالِي آفَاتِكَ وَقَادُورَاتِكَ، تَجُوعٌ لِيُشْبِعَكَ، وَتَظْمَأٌ لِيُتْرِيكَ، وَتَسَهَرٌ لِيُتْرَقِدَكَ، وَتَنْصَبُ لِيُتْرِيحَكَ، وَتَتَعَبُ لِيُتْرَفِدَكَ، وَتَتَقَدَّرُ لِيُنْظَفَكَ، لَوْلَا مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَحَبَّةِ لَكَ لَأَلْقَيْتُكَ فِي أَوَّلِ أَذْيٍ يَلْحَقُهَا مِنْكَ، فَضْلاً عَنِّ أَنْ تُؤْتِرَكَ فِي كُلِّ حَالٍ، وَلَا تُخْلِيكَ لَهَا مِنْ بَالٍ، وَلَوْ وَكَلْتَنِي إِلَى وَكْدِكَ (1)، وَجَعَلْتُ قُوَّتَكَ وَقِوَامَكَ مِنْ جُهْدِكَ، لَمُتَّ سَرِيعاً، وَفُتَّ ضَانِعاً. هَذِهِ عَادَتِي فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ، وَالرَّحْمَةِ لَكَ، إِلَيَّ أَنْ تَبْلُغَ أَشَدَّكَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ إِلَيَّ مُنْتَهَى أَجْلِكَ، أَهْيَيْ لَكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ عُمْرِكَ مَا فِيهِ صَدِّاحٌ أَمْرِكَ مِنْ زِيَادَةٍ فِي خَلْقِكَ، وَتَيْسِيرٍ لِرِزْقِكَ، أَقْدَرُ مَدَّةَ حَيَاتِكَ قَدَرَ كِفَايَتِكَ مَا لَا تَتَجَاوَزُهُ وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنَ التَّعَبِ، وَلَا يَقْوِتُكَ وَإِنْ قَصَّرْتَ فِي الطَّلَبِ؛ فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّكَ الْجَالِبُ لِرِزْقِكَ، فَمَا لَكَ تَرُومٌ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ وَلَا تَقْدِرَ؟ أَمْ مَا لَكَ تَتَعَبُ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ فَلَسْتَ تَنَالُهُ، وَيَأْتِيكَ غَيْرُهُ عَفْواً مِمَّا لَا تَتَفَكَّرُ فِيهِ، وَلَا تَتَعَبُ لَهُ، أَمْ مَا لَكَ تَرِي مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْكَ عَقْلاً وَأَكْثَرُ طَلَباً مَحْرُوماً مَجْدُوداً؟ وَمَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْكَ عَقْلاً وَأَقَلُّ طَلَباً مَحْرُوماً مَجْدُوداً؟ أَتَرَاكَ أَنْتَ الَّذِي هَيَّأْتَ لِمَشْرَبِكَ وَمَطْعَمِكَ سِقَاءَيْنِ فِي صَدْرِ أُمَّكَ؟ أَمْ

1- وكذ فلان أمرا يكده وكذا: إذا قصده وطلبه. تقول: ما زال ذلك وكدي؛ أي دأبي وقصدي (النهاية: ج 5 ص 219).

2 / 8 الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

تَرَكَ سَدَّ لَطَمَتِ عَلِي نَفْسِكَ وَقَتَ السَّلَامَةِ الدَّاءِ ، أَوْ جَلَبَتَ لَهَا وَقَتَ السُّقْمِ الشِّفَاءَ ؟ أَلَا تَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ الَّتِي تَعْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا ؟ أَلَهَا زَرْعٌ تَزْرَعُهُ ، أَوْ مَالٌ تَجْمَعُهُ ، أَوْ كَسْبٌ تَسْعِي فِيهِ ، أَوْ احْتِيَالٌ تَتَوَسَّمُ بِتَعَاطِيهِ ؟ إِعْلَمِ أَيُّهَا الْغَافِلُ ، أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِتَقْدِيرِي ، لَا أُنَادُ وَلَا أُضَادُّ فِي تَدْبِيرِي ، وَلَا يَنْقُصُ وَلَا يَزَادُ مِنْ تَقْدِيرِي ؛ ذَلِكَ أَنِّي أَنَا اللَّهُ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ . (1)

2 / 8 الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ الْكِتَابِ «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (2)

«يَ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» . (3)

راجع : البقرة : 57 ، الأعراف : 32 و 160 ، الأنفال : 26 ، النحل : 72 ، الإسراء : 70 ، طه : 81 ، المؤمنون : 51 .

الحديث للإمام زين العابدين عليه السلام من دعاء له في التَّحْمِيدِ لِلَّهِ عِزِّ وَ جَلِّ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ ، وَأَجْرِي عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ ، وَجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلِي جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَكُلُّ خَلِيقَتِهِ مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ ، وَصَابِرَةٌ إِلَيَّ طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ . (4)

1- .بحار الأنوار : ج 95 ص 455 نقلاً عن ابن متويه .

2- .غافر : 64 .

3- .البقرة : 172 .

4- .الصحيفة السجّادية : ص 21 الدعاء 1 .

2 / 9 شهوة الأكل

2 / 10 وصول الغذاء إلي البدن

2 / 9 شهوة الأكل الكافي عن عبد الله بن بكير عن رجل: أمر أبو عبد الله عليه السلام بلحم فبرّد، ثم أتى به من بعد، فقال: الحمد لله الذي جعلني أشتهيه. (1)

الإمام الصادق عليه السلام - للمفضل بن عمر -: فكر - يا مفضل - في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعام والنوم والجماع وما دبر فيها؛ فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرّك يقتضيه ويستحث به . . . ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام لمعرفة حاجته بدنه إليه، ولم يجد من طباعه شيئاً يضطره إلى ذلك؛ كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالتثقل والكسل، حتى ينحلّ بدنه فيهلك. (2)

2 / 10 وصول الغذاء إلي البدن الإمام الصادق عليه السلام - للمفضل بن عمر -: فكر - يا مفضل - في وصول الغذاء إلي البدن وما فيه من التدبير؛ فإن الطعام يصير إلي المعدة فتطبخه، وتبعث بصّفه إلي الكبد في عروق رقاقٍ واشجة (3) بينها، قد جعلت كالمصفي للغذاء، لكيلا يصل إلي الكبد منه شيء فينكأها، وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثم إن الكبد تقبله، فيستحيل بلطف التدبير دماً، وينفذ إلي البدن كلاً في مجاري مهياة لذلك، بمنزلة

1- الكافي: ج 6 ص 296 ح 24، المحاسن: ج 2 ص 172 ح 1479 عن عبد الله بن بكر، بحار الأنوار: ج 66 ص 59 ح 11.

2- بحار الأنوار: ج 3 ص 78 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

3- وشجت العروق والأغصان: اشتبكت، وكل شيء يشيبك فقد وشج؛ أي تداخل و تشابك والتفت (تاج العروس: ج 3 ص 509).

المَجَارِي الَّتِي تُهَيَّبُ لِلْمَاءِ حَتَّى يَطْرُدَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَيَنْفُذُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الْخَبَثِ وَالْفُضُولِ إِلَى مَفَاضٍ قَدْ أُعِدَّتْ لِذَلِكَ، فَمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ جِنْسِ الْمِرَّةِ الصَّفْرَاءِ جَرِي إِلَى الْمَرَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ جِنْسِ السَّوْدَاءِ جَرِي إِلَى الطَّحَالِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْبُلَّةِ وَالرُّطُوبَةِ جَرِي إِلَى الْمَثَاةِ. فَتَأْمَلْ حِكْمَةَ التَّيْبِيرِ فِي تَرْكِيبِ الْبَدَنِ، وَوَضْعِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مِنْهُ مَوَاضِعَهَا، وَإِعْدَادِ هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فِيهِ لِتَحْمِلَ تِلْكَ الْفُضُولَ، لِئَلَّا تَنْتَشِرَ فِي الْبَدَنِ فَتُسْقِمَهُ وَتَنْهَكُهُ، فَتَبَارَكَ مَنْ أَحْسَنَ التَّقْدِيرَ وَأَحْكَمَ التَّيْبِيرَ، وَلَهُ الْحَمْدُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَمُسْتَحِقُّهُ. (1)

11 / 2 النّوم الكتاب «وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ». (2)

«أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ». (3)

راجع : الفرقان : 47، النبأ : 9، الزمر : 42 .

الحديث للإمام الصادق عليه السلام _ لِلْمَفْضَلِ بْنِ عُمَرَ _ : فَكَّرَ _ يَا مَفْضَلُ _ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي جُعِلَتْ فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الطَّعْمِ وَالنَّوْمِ . . . لَوْ كَانَ إِنَّمَا يَصِيرُ إِلَى النَّوْمِ بِالتَّفَكُّرِ فِي حَاجَتِهِ إِلَى رَاحَةِ الْبَدَنِ وَإِجْمَامِ قُوَاهُ كَانَ عَسَى أَنْ يَتَنَاقَلَ عَنْ ذَلِكَ فَيَدْمَعُهُ حَتَّى يَنْهَكَ بَدَنُهُ. (4)

1- .بحار الأنوار : ج 3 ص 67 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .

2- .الروم : 23 .

3- .النمل : 86 .

4- .بحار الأنوار : ج 3 ص 78 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .

2 / 12 اللباس

12 / 2 اللباس الكتاب «يَبْنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ» . (1)

«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًّا لَأَوْ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَ بِيَلٍ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَ بِيَلٍ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ» . (2)

«وَسَتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلِيَةً تَلْبَسُونَهَا» . (3)

راجع: فاطر: 12 .

الحديث للإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «يَبْنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا...»: «فَأَمَّا اللَّبَاسُ فَالثِّيَابُ الَّتِي يَلْبَسُونَ، وَأَمَّا الرِّيشُ فَالْمَتَاعُ وَالْمَالُ، وَأَمَّا لِبَاسُ التَّقْوَى فَالْعَفَافُ؛ لِأَنَّ الْعَفِيفَ لَا تَبْدُو لَهُ عَوْرَةٌ وَإِنْ كَانَ عَارِيًا مِنَ الثِّيَابِ، وَالْفَاجِرُ بَادِي الْعَوْرَةِ وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا مِنَ الثِّيَابِ، يَقُولُ: «وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ» يَقُولُ: الْعَفَافُ خَيْرٌ «ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ» . (4)

1- الأعراف: 26 .

2- النحل: 81 .

3- النحل: 14 .

4- تفسير القمي: ج 1 ص 225 عن أبي الجارود، بحار الأنوار: ج 71 ص 271 ح 15 .

2 / 13 البيت

2 / 14 الزوج

2 / 13 البيت الكتاب «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْتًا وَمَتَعَا إِلَى حِينٍ» . (1)

الحديث بالإمام الباقر عليه السلام في قول الله : «لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ» : لَمْ يَعْلَمُوا صَنْعَةَ الْبُيُوتِ . (2)

2 / 14 الزوج الكتاب «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» . (3)

«فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» . (4)

«وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» . (5)

راجع : الأعراف : 189 ، النحل : 72 ، النجم : 45 ، القيامة : 39 ، النبأ : 8 ، الليل : 3 .

1- النحل : 80 .

2- تفسير العياشي : ج 2 ص 350 ح 84 عن أبي بصير ، المحاسن : ج 2 ص 448 ح 2543 عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 12 ص 206 ح 32 .

3- الروم : 21 .

4- الشوري : 11 .

5- فاطر : 11 .

2 / 15 أداة التعلّم

الحديثاً لإمام الصادق عليه السلام لِلْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ: لَوْ رَأَيْتَ فَرْدًا مِنْ مِصْرَاعَيْنِ فِيهِ كَلُوبٌ (1) أَكُنْتَ تَتَوَهَّمُ أَنَّهُ جُعِلَ كَذَلِكَ بِلا مَعْنَى؟ بَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ ضَرُورَةَ أَنَّهُ مَصْنُوعٌ يَلْقَى فَرْدًا آخَرَ، فَتَبَرُّرُهُ لِيَكُونَ فِي اجْتِمَاعِهِمَا ضَرْبٌ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَهَكَذَا تَجِدُ الذَّكَرَ مِنَ الْحَيَوَانِ كَأَنَّهُ فَرْدٌ مِنْ زَوْجٍ مُهَيَّأٌ مِنْ فَرْدٍ أُثْنِي، فَيَلْتَقِيَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ دَوَامِ النَّسْلِ وَبَقَائِهِ، فَتَبًا وَخَيْبَةً وَتَعَسَا لِمُنْتَحِلِي الْفَلَسَفَةِ! كَيْفَ عَمِيَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ هَذِهِ الْخِلْقَةِ الْعَجَبِيَّةِ حَتَّى أَنْكَرُوا التَّدْبِيرَ وَالْعَمَدَ فِيهَا؟! (2)

2 / 15 أداة التعلّم الكتاب «الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» . (3)

«وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّةٍ تَكُمُ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» . (4)

الحديث تفسير القمّي: «اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» قَالَ: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْكِتَابَةَ الَّتِي بِهَا تَتِمُّ أُمُورُ الدُّنْيَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . (5)

- 1- الكلوب _ بالتشديد _ : حديدة معوجة الرأس (النهاية: ج 4 ص 195) . وفي بعض النسخ «كلون» وهو فارسي .
- 2- بحار الأنوار: ج 3 ص 75 عن المفصل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفصل .
- 3- العلق: 4 و 5 .
- 4- النحل: 78 .
- 5- تفسير القمّي: ج 2 ص 430، بحار الأنوار: ج 9 ص 252 ح 158 .

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الإنسان

1 . خلق الإنسان من تراب

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الإنسان من وجهة النظر القرآنية في خلق الإنسان آيات بيّنات ودلالات واضحات تقوده إلي معرفة الله سبحانه ، وهذا يعني أن الإنسان لا- يمكن أن يرى نفسه دون أن يرى ربه ، أو يكون عارفا بنفسه وغير عارفٍ بربه ، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن هذا الموضوع ، يمكن تقسيمها موضوعيا إلي تسعة أقسام ، فيما يلي توضيح موجز (1) حول هذه الآيات :

1 . خلق الإنسان من ترابٍ الباحث في كيفية السير التكاملي للتراب والتفاعلات التي تحدث في هذه المادة الجامدة حتّي تصير إنسانا ، يلاحظ مدي النظم والحكمة والتدبير ، بالقدر الذي لو كان يتحلّي بأدني حدٍّ من الإنصاف فليس له إلا الاعتراف بالخالق الحكيم والإذعان للمدبّر العالم القادر . فالقرآن الكريم يتضمّن نظريات دقيقة تلفت النظر حول المواد الأولية التي

1- . لأجل المزيد من الاطلاع حول توضيح هذه الآيات ، راجع كتابنا مباني خدائنا (بالفارسية) وسائر كتب التفسير .

2. تصوير الجنين

تشكّل النواة الأولى لخلق الإنسان ، وقد أذعن التطور العلمي بصحّتها وصحّة ارتباط هذا الكتاب السماوي بمصدر الوحي الإلهي . إنّ التراب (1) من وجهة النظر القرآنية عبارة عن عصارة الطين (2) والماء (3) والعلق (4) والنطفة (5) ، وتلك مبادئ خلق الإنسان التي تجعل من العقل حين يتأمّلها ويتأمّل السير التكاملي للتراب حتّى يصير إنساناً كاملاً ، لا مناص له إلا الاعتراف بالخالق القادر الحكيم ، وممّا يجدر ذكره أنّه قبل أربعة عشر قرناً وفي الأجواء التي كان الناس يعتقدون فيها بأن المرأة هي مجرد وعاء لخلق الإنسان وليس لها أي دور في وجوده ، إنّ القرآن الكريم يصرّح بواضح العبارة بأنّ النواة الأولى في خلق الإنسان مزيجٌ من نطفة الرجل والمرأة ، قال تعالى : «إِنَّا خَلَقْنَا الْأَنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ» (6) . (7)

2. تصوير الجنين بعد تكميل المواد اللازمة لإنشاء البدن وتهيئتها لأجل تصوير الجنين ، يفصل الخالق العالم القادر خلايا الدماغ والعين والأذن والقلب واليد والرّجل وسائر الأعضاء بعضها عن بعض ، وتتعرف كلّ واحدة علي واجبتها ، ثمّ يصوّره وفق ما توجهه حكمته البالغة ، قال تعالى : «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

1- راجع : ص 133 «خلق الإنسان من التراب» .

2- «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ» . المؤمنون : 12 .

3- «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا» . الفرقان : 54 .

4- «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» . العلق : 2 .

5- راجع : ص 134 «خلق الإنسان من النطفة» .

6- الدهر : 2 .

7- راجع : ص 139 ح 3550 .

3 . إيجاد الحياة

4 . النوم

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (1) .

3 . إيجاد الحياة إنّ القرآن الكريم يوعز في موارد متعددة (2) ظاهرة الحياة العجيبة إلي خالق الكون القادر علي كل شيء ، ويعتبر ذلك واحدة من الآيات الإلهية والأدلة التي لا تقبل الإنكار علي وجود الله تعالى ، فبناءً علي هذه الحقيقة يتوجه أحياناً باللوم إلي المنكرين ، قال تعالى : «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ» (3) .

4 . النوم والنوم هو الأساس لتجديد القوي المنهكة ورمزٌ للنشاط والحيوية ، وهو يستهلك نحو ثلث عمر الإنسان ، وقد ثبت أن قلة النوم والأرق يؤديان إلي سلب النشاط والحيوية ، فضلاً عن تلف الأعصاب وإنهاك القوي وضعف جهاز التفكير ، كما أنّ إدامة الأرق يؤدي إلي الموت المحقق ، حتّي أنه قيل : «إنّه من الممكن بقاء الإنسان حيّاً بدون غذاء إلي ستّة أسابيع ، ولكنه سيموت إذا لم ينم عشرة أيام بلياليها» (4) ، بناءً علي ما تقدّم فإنّ تدبير النوم لحياة الإنسان واحدة من الدلالات التي تشير إلي معرفة الخالق _ جل وعلا _ ، قال تعالى : «وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِعَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» (5) .

-
- 1- راجع : ص 137 «تصوير الجنين في الرحم» .
 - 2- راجع : البقرة : 28 ، 258 ، النجم : 44 ، الحج : 66 ، ق : 43 ، الأعراف : 158 ، التوبة : 116 ، يونس : 31 ، 56 ، المؤمنون : 80 ، غافر : 68 ، الدخان : 8 ، الحديد : 2 ، الجاثية : 26 ، الأنعام : 95 ، آل عمران : 27 .
 - 3- راجع : ص 143 «نفخ الروح في الجنين» .
 - 4- دانستنيهاي جهان علم (بالفارسية) : ص 250 .
 - 5- راجع : ص 150 «النوم» .

5. الرزق**6. الزوج****7. اللباس**

5. الرزق إنّ توفير مصادر التغذية التي يحتاج إليها الإنسان ، وكلّ الأحياء الأخرى والتوفيق بين حاجات الإنسان الغذائية وبين سعيه وجهده الطبيعي ، دليل آخر علي التوحيد ومعرفة الله سبحانه ، قال تعالى : «هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَآتَى تُؤفِكُونَ» (1)!

6. الزوج لو فرضنا جدلاً أنّ رجلاً قد خلق عن طريق الصدّف المتواليّة ، فهل يمكن التصديق بخلق موجود آخر من نفس الجنس باسم المرأة وعن طريق الصدفة أيضاً ، وبعث الطمأنينة في الحياة المشتركة بينهما علي أساس العشق والمحبة لأجل الحفاظ علي النسل؟! أليس هذا البرهان كافياً لئن يُثبت أنّ وراء عالم الوجود خالفاً حكيماً وقادراً ؟ بلي ، قال تعالى : «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (2).

7. اللباس إنّ وجود مصادر اللباس في الأرض مثل وجود مصادر الغذاء والماء ، يثبت أنّ العالم وُجد وفق خطة حكيمة وحسابات دقيقة لم تخفَ فيها عن النظر الثاقب لموجدها حتّى أبسط المسائل الجزئية مادامت ضرورية لإدامة الحياة ، إنه يعلم أنّ الإنسان لا يمتلك المقاومة إزاء الحرّ والبرد مثل باقي الحيوانات ، فضلاً عن أنّ رعاية شؤون العفة والحفاظ علي القيم الأخلاقية لا يتيسران بدون وجود اللباس ،

1- راجع : ص 145 «الرزق» .

2- راجع : ص 152 «الزوج» .

8 . أدوات استيعاب العلم

من هنا وقر الخالق للإنسان المصارد التي يحتاج إليها لأجل تهيئة اللباس والمسكن ، كما وقر له المواد اللازمة لصناعة الملابس التي يحتاج إليها للزينة أو تلك التي ضرورية في الحرب ، قال تعالى : « وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ... » وقال : « قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تَكُمُ » وقال : « وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَيبًا قَيِّمًا الْحَرَّ وَ سَرَيبًا قَيِّمًا بِأَسْكُمْ » وقال : « تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا » (1) .

8 . أدوات استيعاب العلمين تدارك الأدوات الداخلية والخارجية لاستيعاب العلم آية أخرى تضاف إلي آيات خلق الإنسان ، ودليل آخر يضاف إلي إثبات التوحيد ومعرفة الخالق . لقد وقر الخالق الحكيم من ناحية أدوات استيعاب العلم في بواطن وجود الإنسان ، قال تعالى : « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَرَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (2) . ومن ناحية أخرى وقر له أنواع اللوازم والآلات الضرورية الخارجية للقراءة والكتابة ودراسة العلم . إنَّ النقطة التي تجدر الإشارة إليها هي أن القرآن الكريم أقسم بالقلم والكتاب من بين أدوات التعليم والتعلم ، قال تعالى : « ن وَ الْقَلَمَ وَ مَا يَسْطُرُونَ » وذلك لأنَّ القلم والكتاب يعدان مصدرين خارجيين لكلِّ العلوم والمعارف الإنسانية ، ومن هنا فإنَّ هذا الكتاب السماوي يعتبر القلم والكتابة من الآيات الإلهية التي تشير إلي وجود الشعور والتدبير في نظام الوجود ، قال تعالى : « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ

1- .راجع : ص 151 « اللباس » .

2- .النحل : 78 .

9. اختلاف اللغات والصور

يَعْلَمُ» (1).

9. اختلاف اللغات والصور إنَّ اختلاف لغات الناس وصورهم وألوانهم واحدة أُخري من دلائل معرفة الخالق _ جَلَّ وعلا _ ، فإذا كان الصانع مجرداً من الشعور حاله حال المصانع الانتاجية الأُخري فإنَّ إنتاجه سيكون بلا شكَّ علي وتيرة واحدة ونمطٍ واحدٍ . ومن جهة أُخري فإنَّ الحياة الاجتماعية لا يمكن أن تيسَّر دون تهيئة الأسباب التي تؤدي إلي معرفة الناس بعضهم لبعض ، فلو فرضنا أنَّ كَلَّ النَّاسِ في مجتمع ما قد خُلِّقوا علي شكل واحد ، وقيافة واحدة ، ولون واحد ، ونبرة صوتية واحدة بحيث لا يمكن التمييز بين شخص وآخر؛ الوالد عن الولد ، والزوجة عن غيرها ، والمجرم عن البريء ، والأمر عن المأمور ، والرئيس عن المرؤوس ، الدائن عن المدين ، والصديق عن العدو ، فكيف يمكن تصوُّر العيش في مثل مجتمع هكذا؟ وفي هذا الاتجاه يؤكد القرآن الكريم : «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكِ وَالْأَنْزُلِ وَالْخَيْلِ فَاسْتَبْتِكُمْ وَأَلْوَنَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَالِمِينَ» (2) .

1- راجع : ص 153 «أداة التعلُّم» .

2- راجع : ص 144 «اختلاف الألسنة والألوان» . وقد فسَّرت الألوان في الآية بمعنيين ، الأول : اختلاف الصور ، والثاني : اختلاف الألوان ، وكلاهما صحيحان ، فإنَّ اختلاف الألوان في كلا المعنيين من أدلة التوحيد ومعرفة الله سبحانه . راجع : مفردات الراغب ، مادة «لون» ، التفسير الكبير ج 25 : ص 92 ، تفسير الجواهر ج 15 : ص 499 ، التفسير الأمثل (ذيل الآية) وغيرها .

الباب الثالث: خلق الحيوان

إشاره

الباب الثالث: خلق الحيوان الكتاب «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» . (1)

«وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ» . (2)

«أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَمْلُوكُونَ * وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَالرُّسُلِ وَهُم لَمَّا عَمِلُوا الشُّرُكَاءَ مُشْرِكُونَ» . (3)

«وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ» . (4)

«وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ» . (5)

1- الجاثية : 4 .

2- النحل : 68 .

3- يس : 71 _ 73 .

4- المؤمنون : 21 و 22 .

5- الزخرف : 12 و 13 .

«وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» . (1)

«وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ» . (2)

«أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» . (3)

«قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» . (4)

الحديث بالإمام علي عليه السلام: لَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيَّةٌ، وَالْبَصَائِرُ مَدْحُولَةٌ. أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَدِّغٍ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَسْطَ؟! أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِدْعِ جُحْتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلِحْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَيَّ أَرْضِهَا، وَصَدَّبَتْ (صَدَّبَتْ) عَلَيَّ رِزْقَهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتَعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِتَبْرِدَهَا، وَفِي وِرْدِهَا لِصَدْرِهَا، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوَقْفِهَا، لَا يُغْفَلُهَا الْمَمَانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيفٍ

1- النحل : 5 .

2- النحل : 66 .

3- النحل : 79 .

4- طه : 49 و 50 .

بطنها، وما في الرأس من عينيها وأذنيها، لقصبت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعبا! فتعالى الذي أقامها علي قوائمها، وبناها علي دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يُعنه علي خلقها قادر. ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غايته، ما دلتك الدلالة إلا علي أن فاطر النملة هو فاطر النحلة (النحلة)؛ لدقيق تفصيل كل شيء، وغامض اختلاف كل شيء (شيء)، وما الجليل واللطيف والثقل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء... فالويل لمن أنكر المقدّر وحده المدبر! زعموا أنهم كالنبات ما لهم زرع، ولا لاختلاف صورهم صنيع، ولم يلجؤوا إلي حجة فيما ادّعوا، ولا تحقيق لما ادّعوا؛ وهل يكون بناء من غير بان، أو حناية من غير جان؟! وإن شئت قلت في الجراد، إذ خلق لها عيني حمراوين، وأمرج لها حدقتين قمرأوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونايين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض. يرهبها الزراع في زرعهم، ولا يستطيعون دّبها ولو أجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كُله لا يكون إصبعا مستدقة. فتبارك الله الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعا وكرها، ويعفر له حدا ووجها، ويُلقي إليه بالطاعة سلما وصدعفا، ويعطي له القيادة رهبة وخوفا، فالطير مسخرة لأمره، أحصي عدد الريش منها والنفس، وأرسي قوائمها علي الندي والبيس، وقدّر أقاتها، وأحصي أجناسها؛ فهذا غراب وهذا عقاب، وهذا حمام وهذا نعام، دعا كل طائر باسمه، وكفل له برزقه. (1)

جامع الأخبار: سُئِلَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الدَّلِيلُ عَلَي صَانِعِ الْعَالَمِ، قَالَ: لَقِيتُ حِصْنَآ مَزَلَقَا أَمْلَسَ لَا فُرْجَةَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ، ظَاهِرُهُ مِنْ فِضَّةٍ مَائِعَةٍ، وَبَاطِنُهُ مِنْ ذَهَبٍ مَائِعٍ، انْفَلَقَ مِنْهُ طَاوُوسٌ وَغُرَابٌ وَسُرٌّ وَعُصْفُورٌ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لِلْخَلْقِ صَانِعًا. (1)

الكافي عن محمد بن إسحاق: أتى [عبد الله الديباني] باب أبي عبد الله فاستأذن عليه فأذن له، فلما قعد، قال له: يا جعفر بن محمد، دُلّني علي معبودي... فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اجلس، وإذا غلامٌ له صَغيرٌ في كَفِّهِ بَيْضَةٌ يَلْعَبُ بِهَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ناولني _ يا غلامُ _ البَيْضَةَ، فَنَاوَلَهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ديباني، هذا حِصْنٌ مَكْنُونٌ، لَهُ جِلْدٌ غَلِيظٌ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الْغَلِيظِ جِلْدٌ رَقِيقٌ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الرَّقِيقِ ذَهَبَةٌ مَائِعَةٌ وَفِضَّةٌ ذَائِبَةٌ، فَلَا الذَّهَبَةُ الْمَائِعَةُ تَخْتَلِطُ بِالْفِضَّةِ الذَائِبَةِ، وَلَا الْفِضَّةُ الذَائِبَةُ تَخْتَلِطُ بِالذَّهَبَةِ الْمَائِعَةِ، فَهِيَ عَلَي حَالِهَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا خَارِجٌ مُصْلِحٌ فَيُخَبِّرَ عَن صَلَاحِهَا، وَلَا دَخَلَ فِيهَا مُفْسِدٌ فَيُخَبِّرَ عَن فِسَادِهَا، لَا يُدْرِي لِلذَّكْرِ خُلِقَتْ أَمْ لِلْأُنْثَى، تَنْفَلِقُ عَن مِثْلِ الْوَانِ الطَّوَاوِسِ، أَتَرِي لَهَا مُدْبِرًا؟ قَالَ: فَاطَّرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ إِمَامٌ وَحُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَي خَلْقِهِ، وَأَنَا تَائِبٌ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ. (2)

الإمام الصادق عليه السلام _ لِلْمُفَضَّلِ بْنِ عَمْرٍ -: تَأَمَّلْ _ يَا مُفَضَّلُ _ جِسْمَ الطَّائِرِ وَخِلْقَتَهُ؛ فَإِنَّهُ حِينَ قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ طَائِرًا فِي الْجَوِّ خُفِّفَ جِسْمُهُ وَأُدْمِجَ خَلْقُهُ، فَاقْتَصِرَ بِهِ مِنَ الْقَوَائِمِ الْأَرْبَعِ عَلَي اثْنَتَيْنِ، وَمِنَ الْأَصَابِعِ الْخَمْسِ عَلَي أَرْبَعٍ، وَمِنَ مَنَفَذَيْنِ لِلزَّبْلِ وَالْبَوْلِ عَلَي

-
- 1- . جامع الأخبار : ص 35 ح 15 ، روضة الواعظين : ص 39 وفيه «بم عرفت ربك» بدل «ما الدليل علي صانع العالم» .
 - 2- . الكافي : ج 1 ص 80 ح 4 ، التوحيد : ص 124 ح 1 ، الاحتجاج : ج 2 ص 201 ح 215 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 31 ح 5 .

واحدٍ يجمعُهُما، ثُمَّ خَلَقَ ذَا جُجُؤٍ مُحَدَّدٍ لِيَسْهَلَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرِقَ الْهَوَاءَ كَيْفَ مَا أَخَذَ فِيهِ، كَمَا جُعِلَ السَّفِينَةُ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ لِتَشُقَّ الْمَاءَ وَتَنْفَدَ فِيهِ، وَجُعِلَ فِي جَنَاحِيهِ وَذَنَبِهِ رِيشَاتٌ طَوِيلٌ مَتَانٌ لِيَنْهَضَ بِهَا لِلطَّيْرَانِ، وَكَسِيَتْ كُلُّهُ الرِّيشَ لِيُدَاخِلَهُ الْهَوَاءَ فَيَقِلَّهُ. وَلَمَّا قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ طَعْمُهُ الْحَبَّ وَاللَّحْمَ يَبْلَعُهُ بِلَعَا بِلَا مَضْغٍ؛ نَقَصَ مِنْ خَلْقِهِ الْأَسْنَانَ، وَخَلَقَ لَهُ مِنْقَارًا صُلْبًا جَاسٍ يَتَنَاوَلُ بِهِ طَعْمَهُ فَلَا يَنْسَجِحُ مِنْ لَقَطِ الْحَبِّ، وَلَا يَتَقَصَّفُ مِنْ نَهَشِ اللَّحْمِ. وَلَمَّا عَدِمَ الْأَسْنَانَ وَصَارَ يَزْدَرِدُ الْحَبَّ صَحِيحًا وَاللَّحْمَ غَرِيضًا، أُعِينَ بِفَضْلِ حَرَارَةِ فِي الْجَوْفِ تَطْحَنُ لَهُ الطَّعْمَ طَحْنًا يَسْتَعْنِي بِهِ عَنِ الْمَضْغِ؛ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ بِأَنَّ عَجَمَ الْعَنْبِ وَغَيْرِهِ يَخْرُجُ مِنْ أَجْوَافِ الْإِنْسِ صَحِيحًا، وَيُطْحَنُ فِي أَجْوَافِ الطَّيْرِ لَا يُرَى لَهُ أَثَرٌ! ثُمَّ جُعِلَ مِمَّا يَبْيَضُ بِيضًا وَلَا يَلِدُ وَلَا دَاةٌ؛ لِكَيْلَا يَثْقُلَ عَنِ الطَّيْرَانِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَتِ الْفِرَاخُ فِي جَوْفِهِ تَمَكُّتُ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ لِأَثْقَلَتْهُ وَعَاقَتْهُ عَنِ النَّهْوِضِ وَالطَّيْرَانِ. فَجَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ مُشَاكِلًا لِلْأَمْرِ الَّذِي قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ (1).

تفسير القمّي في قوله تعالى: «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيَشًا وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ» (2) - قال: لِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ الْحَيَوَانِ قَدَّرْنَا شَيْئًا مُقَدَّرًا. (3)

راجع: بحار الأنوار: ج 3 ص 90 _ 109 .

- 1- بحار الأنوار: ج 3 ص 103 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .
- 2- الحجر: 19، 20 .
- 3- تفسير القمّي: ج 1 ص 374 .

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الحيوان

1 . أنواع الحيوان

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الحيوانات الحكمة التي أُشير لها في صدد خلق الإنسان غالباً ما تصدق علي خلق الحيوان كذلك ، فضلاً عن أنّ هناك نصوص إسلامية خاصة بخلق الحيوان تؤكد ذكر الأدلة والإشارات الخاصة بمعرفة الله تعالى ، سنشير هنا باختصار إلي عدد منها :

1 . أنواع الحيوانات القرآن الكريم قد ذكر الدليل علي معرفة الله سبحانه من خلال تنوع الحيوانات في أربعة مواضع ، وهي : قوله تعالى : «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَّوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ» (1) وقوله تعالى : «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (2) وقوله تعالى : «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» (3) وقوله تعالى : «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَّوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي

1- .الشوري : 29 .

2- .الجاثية : 4 .

3- .لقمان : 10 .

2 . حكمة صغر الحشرات**3 . ميزات كل حيوان**

فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصَوَّرَ رِيْفَ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِأَيِّتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (1) . يقول الأستاذ «ميكستر» أستاذ علم الحيوان في «كالج وتن»: «إن أنواع الحيوانات كثيرة جدًا ، إذا أردنا إحصاءها فإنها ستكون بعدد النجوم ... ومع وجود هذا التنوع فإن هناك نظاما وترتيبًا خاصًا لكل نوع من هذه الأنواع (2) .

2 . حكمة صغر الحشرات يقول العالم الرومي «بيني»: «إذا كان للزنبور هيبة العقاب وللخنفساء قوة الأسد ، فإنّ عالمنا سيكون سوقا للفوضى! لكن الحكمة البالغة لخالق العالم جعلت كل شيء متناسبا مع النظام العام السائد علي العالم ، قال تعالي : «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» (3) .

3 . ميزات كل حيوانٍ أحد الدلائل الإلهية الكبرى في خلق الحيوانات هو أنّ لكل نوع منها ميزات معينة تنطبق علي ظروف حياته ، ولو فقدت تلك الميزات فلا يمكنها إدامة الحياة ، والاستدلال بهذا البرهان كان واحدا من أدلة نبيّ الله موسى عليه السلام لأجل إثبات التوحيد لفرعون حينما قال فرعون له ولأخيه هارون : «فَمَنْ رَبُّكُمَا

1- البقرة : 164 .

2- راجع : اثبات وجود خدا (بالفارسية) : ص 111 .

3- راجع : ص 162 ح 3576 و ج 5 ص 43 «الفصل الثاني والخمسون : القادر، القدير» و ج 5 ص 215 «الفصل السابع والسبعون : الْمُقَدَّر» .

4 . الشعور الفطري للحيوانات

5 . دور الحيوانات في حياة الإنسان

يـ مُوسَى» (1) فقال موسى مجيباً : «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ» (2) . (3) أي : أن لكل شيء في نظام الخلق ميزات متعلقة به تنطبق علي حاجاته ، وهذا التوافق دليل واضح علي أن الخالق الحكيم القادر هو المدبّر لعالم الوجود . يقول الإمام الصادق عليه السلام في بيانه للميزات التي تحتاج إليها الطيور مشيراً إلي هذه الحكمة المهمة في نظام الخلق : «فَجَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ مُشَاكِلاً لِأَمْرِ الَّذِي قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ» (4) .

4 . الشعور الفطري للحيوانات يقول «كرسي موريسن» في أدلته السبعة علي إثبات وجود الله تعالى : إن دليلي الثالث هو سلوك الحيوانات الذي يقودنا بكل صراحة إلي وجود الخالق الرحيم ، الله الذي وهب لها الشعور الفطري ، ولو كانت محرومة من مثل هذا الشعور لما استطاعت أداء أي دور (5) . إن الاستدلال بالشعور الفطري كان الدليل الثاني لنبي الله موسى عليه السلام علي إثبات التوحيد لفرعون : «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» .

5 . دور الحيوانات في حياة الإنسان تعرض القرآن الكريم إلي ذكر دور الحيوانات في حياة الإنسان في آيات عديدة ،

1- طه : 49 .

2- طه : 50 .

3- راجع : ص 161 «الباب الثالث : خلق الحيوان» .

4- راجع : ص 164 ح 3579 .

5- دانستيهاي جهان علم (بالفارسية) : ص 4 .

6. خضوع الحيوانات للإنسان

ويعتبر ذلك من أدلة التوحيد ، لأنه يحكي عن إحاطة علم الخالق بحاجات الإنسان وضمائها له ، قال تعالى : «وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» (1) إلى آخر الآية .

6 . خضوع الحيوانات للإنسان والحيوانات وسائر الموجودات خاضعة للإنسان ، كما أن عددا منها مسخرٌ لخدمة البشر ، هذا مع أنها ليست أقل من البشر من حيث العدد ولا هي عاجزة من حيث القوة ، فمن ذلّلها إذا وجعلها خاضعة للإنسان وفي خدمته؟ يقول القرآن الكريم في جوابه علي هذا السؤال : «وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ» (2) ، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام في بيان سبب خضوع الحيوانات للإنسان : «ثُمَّ مُنِعَتِ الدَّهْنَ وَالْعَقْلَ لِتَذِلَّ لِلْإِنْسَانِ فَلَا تَمْتَنِعُ عَلَيْهِ» (3) . افرض أن الحيوانات وسائر الموجودات إذا كانت تتمتع بنعمة العقل واتخاذ القرار بالحرب والقتال ضد الإنسان ، فكيف سيكون مصير المجتمع البشري؟!

1- النحل : 68 .

2- يس : 72 .

3- بحار الأنوار : ج 3 ص 91 .

الباب الرابع: خلق النبات

إشاره

الباب الرابع: خلق النباتات الكتاب «وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَيَّ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» . (1)

«وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» . (2)

«وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيًّا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ» . (3)

«إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَانِّي تُؤفَكُونَ» . (4)

«أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَّا فَطَرَ لَكُمْ تَفَكَّهُونَ» . (5)

1- الأنعام : 99 .

2- فصلت : 39 .

3- الحجر : 19 .

4- الأنعام : 95 .

5- الواقعة : 63 _ 65 .

«أَفْرَعَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُسْهِونُونَ» . (1)

راجع: إبراهيم: 32، عبس: 26 و 27، النحل: 65، يس: 34.

الحديثالسنن الكبرى عن أبي هريرة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: زَرَعْتُ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: حَرَثْتُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَيَّ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «أَفْرَعَيْتُمُ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» . (2)

المستدرک علی الصحیحین عن حجر بن قیس المدري: بَيَّنَّ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَدَّ مَعْتَهُ وَهُوَ يُصَلِّي اللَّيْلَ يَقْرَأُ، فَمَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: «أَفْرَعَيْتُمُ مَا تُمْنُونَ * ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْآخِـلُونَ» (3)، قَالَ: بَلْ أَنْتَ يَا رَبِّ - ثَلَاثًا - ثُمَّ قَرَأَ: «أَفْرَعَيْتُمُ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»، قَالَ: بَلْ أَنْتَ يَا رَبِّ، بَلْ أَنْتَ يَا رَبِّ، بَلْ أَنْتَ يَا رَبِّ، ثُمَّ قَرَأَ: «أَفْرَعَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَسَّرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ» (4)، قَالَ: بَلْ أَنْتَ يَا رَبِّ - ثَلَاثًا - ثُمَّ قَرَأَ: «أَفْرَعَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُسْهِونُونَ» قَالَ: بَلْ أَنْتَ يَا رَبِّ - ثَلَاثًا - . (5)

1- الواقعة: 71 و 72 .

2- السنن الكبرى: ج 6 ص 228 ح 11752، شُعَبُ الْإِيمَانِ: ج 4 ص 311 ح 5217، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ: ج 8 ص 267، تفسیر الطبري: ج 13 / الجزء 27 ص 198؛ مجمع البيان: ج 9 ص 337 وليس فيه ذيله من «قال أبو هريرة» .

3- الواقعة: 58 و 59 .

4- الواقعة: 68 و 69 .

5- المستدرک علی الصحیحین: ج 2 ص 518 ح 3780، السنن الكبرى: ج 2 ص 440 ح 3695، كنز العمال: ج 2 ص 318 ح 4118 .

الإمام الصادق عليه السلام_ للمفضل بن عمر_ تأمل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات ؛ فإنها لما كانت تحتاج إلي الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ، ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ، ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء ، جعلت أصولها مركوزة في الأرض لتتنوع منها الغذاء فتؤدّي إلي الأغصان وما عليها من الورق والثمر ، فصارت الأرض كالأم المرية لها ، وصارت أصولها التي هي كالأفواه ملتقمة للأرض لتتنوع منها الغذاء كما يرضع أصناف الحيوان أمهاتها . (1)

1- .بحار الأنوار : ج 3 ص 130 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق النبات

1 . بعث الحياة في المواد الميتة

2 . التنظيم الدقيق الموزون للنباتات

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق النبات لقد لوحظ فيما مضى ، أن القرآن والأحاديث الإسلامية يدعوان الإنسان إلى التأمل والمطالعة في خلق شتى النباتات والحكم التي أخذت بعين الاعتبار فيها في طريق معرفة الله ، ومن وجهة نظر القرآن الكريم أن حياة النباتات من جهات مختلفة يمكن أن تقود المفكرين إلى خالق العالم الحكيم ، فيما يلي نشير إلى عددٍ منها :

1 . بعث الحياة في المواد الميتة إن النقطة الأولى الجديرة بالبحث هي التحقيق في كيفية بعث الحياة والنضارة في البذور الميتة والفروع الذابلة من النبات ، قال تعالى : «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (1) .

2 . التنظيم الدقيق الموزون للنباتات إن التنظيم الدقيق والتعقيد والجمال والتوازن العجيب في حياة عالم النبات ، حين يلاحظه العقل لا يتردد في الاعتراف والإذعان للخالق المدبر القادر الحكيم ، قال

1- .راجع : ص 171 «الباب الرابع : خلق النبات» .

3. أنواع النباتات

4. نظام الزوجية في النباتات

تعالى: «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ» (1).

3. أنواع النباتات كالحيوانات من حيث تعدد أنواعها التي يصعب احصاؤها، ولكل نوع من أنواع النبات مقررات وخصائص معينة في نظام الخلق، وكل منها يعد آية علي وجود الخالق المدبر، قال تعالى: «وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» (2).

4. نظام الزوجية في النباتات عندما أعلن شارل لينيه في أواسط القرن الثامن عشر عن اكتشاف كون النباتات تشتمل علي الجنسين الذكر والأنثى أيضا، أثار هذا الموضوع غضب الجهاز الديني المسيحي، فعدوا مؤلفاته من كتب الضلال، إلا أن القرآن الكريم صرح بهذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرنا معلنا قانون الزوجية في عالم النبات، وداعيا الناس إلي التفكر بهذه الدلالة التوحيدية علي طريق السير إلي معرفة الله سبحانه. قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» (3) وسيأتي (4) أنه يظهر من القرآن والأحاديث أن قانون الزوجية عام لكل موجودات العالم ولا يخص عالم النبات وحده.

1- الحجر: 19.

2- الحج: 5، 6. راجع الشعراء: 7، 8، لقمان: 10، ق: 7.

3- راجع: ص 177 «الباب الخامس: خلق الأزواج».

4- راجع: ص 181 «تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الأزواج».

الباب الخامس: خلق الأزواج

إشاره

الباب الخامس: خلق الأزواج الكتاب «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» . (1)

«سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» . (2)

«أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» . (3)

راجع: الرعد: 3، النحل: 72، طه: 53، الروم: 21، لقمان: 10، فاطر: 11، الزخرف: 12، الشوري: 11، ق: 7، الذاريات: 49، النجم: 45، الرحمن: 52، القيامة: 39، النبأ: 8، الليل: 3.

الحديث الإمام علي عليه السلام: مؤلف بين متعادياتها، ومُفرق بين مُتدانياتها، دالة بتفريقها علي مُفرقتها، وتآليفها علي مؤلفها، وذلك قوله تعالى: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ»

1- الذاريات: 49 .

2- يس: 36 .

3- الشعراء: 7، 8 .

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (1). (2)

رسول الله صلى الله عليه وآله في رده علي الدهرية الذين يقولون أن العالم قديم غير محدث -: هذا الذي تُشاهدونه من الأشياء بعضها إلي بعض يفتقر؛ لأنَّه لا قوام للبعض إلا بما يتصل لُ به، إلا- تزي البناء مُحتاجا بعض أجزاءه إلي بعض، وإلا لم يتسق ولم يستحكم، وكذلك سائر ما ترون. (3)

الإمام علي عليه السلام: ... وأما الجمادات فهو يُمسكها بقدرته، ويُمسك المُتصل منها أن يتهافت، ويُمسك المُتَهافت منها أن يتلاصق. (4)

عنه عليه السلام: أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم (5) بين مختلفاتها، وعرَّز غرائزها، وألزمها أشباحها. (6)

عنه عليه السلام: فأقام من الأشياء أودها (7)، ونهَج حدودها، ولاءم بقدرته بين متضادها،

1- الذاريات: 49.

2- الكافي: ج 1 ص 139 ح 4 عن الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص 308 ح 2 عن عبد الله بن يونس عن الإمام الصادق عنه عليهما السلام وص 37 ح 2، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 152 ح 51 كلاهما عن محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام والقاسم بن أيوب العلوي عن الإمام الرضا عليه السلام، الاحتجاج: ج 2 ص 363 ح 283 عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للمفيد: ص 256 ح 4 عن محمد بن زيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للطوسي: ص 23 ح 28 عن محمد بن يزيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام وكلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج 4 ص 229 ح 3.

3- الاحتجاج: ج 1 ص 37 ح 20، التفسير المنسوب إلي الإمام العسكري عليه السلام: ص 537 ح 323 كلاهما عن الإمام العسكري عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج 90 ص 262 ح 1.

4- عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 282 ح 30، علل الشرائع: ص 416 ح 3، بشارة المصطفى: ص 213 كلُّها عن محمد بن زياد ومحمد بن سيَّار عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام، التفسير المنسوب إلي الإمام العسكري عليه السلام: ص 30 ح 11، بحار الأنوار: ج 92 ص 224 ح 2.

5- يقال: لأم ولأثم بين الشيئين: إذا جمع بينهما (النهاية: ج 4 ص 220).

6- نهج البلاغة: الخطبة 1، الاحتجاج: ج 1 ص 474 ح 113، بحار الأنوار: ج 57 ص 177 ح 136.

7- الأود: العوج (لسان العرب: ج 3 ص 75).

وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَانِهَا . (1)

الإمام الرضا عليه السلام: وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا فَرَدًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ لِذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَي نَفْسِهِ ، وَإِثْبَاتِ وُجُودِهِ ، وَاللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَرَدٌ وَاحِدٌ ، لَا ثَانِي مَعَهُ يُقِيمُهُ ، وَلَا يَعْضُدُهُ وَلَا يُمَسِّكُهُ ، وَالْخَلْقُ يُمَسِّكُ بَعْضُهُ بَعْضًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ . (2)

-
- 1- نهج البلاغة : الخطبة 91 عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 77 ص 319 ح 17 .
 2- التوحيد : ص 439 ح 1 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 176 ح 1 كلاهما عن الحسن بن محمد النوفلي وفيه «ولا يكتنه» بدل «ولا يمسه» ، بحار الأنوار : ج 57 ص 52 ح 27 .

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الأزواج

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الأزواج قانون الزوجية العامة الذي يحكم عالم المادة ، هو أهم القوانين التكوينية لخلق العالم ؛ لأن وجود عالم المادة وبقائه رهناً بهذا القانون ، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن اكتشاف هذا القانون في الوقت الحاضر حصيلة لمساعٍ علميةٍ حثيثة استمرت لعدة قرون ، فحسباً لقول انشتاين : لقد أدرك البشر بعد مضي 2500 سنة من البحث والدراسة أسرار قلعة الذرة ، فتوصل إلى أن جميع العالم المادي يتكون من الذرة ، وأن الذرة تتكوّن من اتحاد الألكترون والبروتون ، وأن وجود المادة وبقائها رهناً بحالة الاتصال والتجاذب القائمة بين نوعين متضادين ، الأول موجب ، والآخر سالب ، بينما يظهر من القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً بأن خلق العالم قائم على أساس الزوجية . وأن حكمة قانون الزوجية العامة وفلسفته هو تذكير الإنسان ولفت انتباهه إلى الخالق الحكيم جلّت قدرته ، والتحرك في الاتجاه الذي رسمه لضمان سعادة البشر ، قال تعالي : « وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِيَّايَ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ » (1) .

1- .راجع : ص 177 «الباب الخامس : خلق الأزواج» .

وقد أكد الإمام الرضا عليه السلام على أنّ الحكمة من نظام الزوجية العامة هو إثبات وجود الله تعالى والدلالة على وحدانيته ، قال عليه السلام : «وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا فَرَدًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ لِذَلِكَ أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَإِثْبَاتِ وُجُودِهِ ، فَاللَّهُ _ تَبَارَكَ وَتَعَالَى _ فَرْدٌ وَاحِدٌ لَا ثَانِي مَعَهُ يُقِيمُهُ وَلَا يَعْضُدُهُ وَلَا يُمَسِدُ كُهُ ، وَالْخَلْقُ يُمَسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ» (1) . بناءً على هذه التأمّلات في قانون الزوجية العامة الذي يحكم هذا العالم ، وعلى ضوء ما جاء عن هذا القانون في القرآن والسنة ، يتبين لنا أنّه ليس دليلاً على التوحيد وحسب ، ولكنه برهان على النبوة والإمامة أيضا .

الباب السادس: خلق الأرض

إشاره

الباب السادس: خلق الأرض الكتاب «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ» . (1)

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» . (2)

«إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» . (3)

«قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ» . (4)

«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا» . (5)

«وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ» . (6)

1- الذاريات : 20 .

2- الروم : 25 .

3- فاطر : 41 .

4- فصلت : 9 و 10 .

5- النبأ : 6 _ 8 .

6- النحل : 13 .

«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتًا» . (1)

«اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ صَوَّرَكُمُ فَوَاحِشًا فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَ رَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» . (2)

راجع : البقرة : 22 ، آل عمران: 190 ، يونس: 6 ، الحجر : 19 ، طه : 53 ، الأنبياء : 31 ، الرعد : 3 و 4 ، إبراهيم : 32 ، النحل : 10 و 18 ، الكهف : 7 ، الشعراء : 7 و 8 و 149 ، النمل : 60 و 61 ، لقمان : 10 و 11 ، فاطر : 27 و 28 ، يس : 33 و 36 ، غافر: 57 ، فصلت : 39 ، الشوري : 29 ، الزخرف : 10 ، الجاثية : 13 ، ق : 7 و 8 ، الذاريات : 48 و 49 ، الرحمن : 10 و 13 ، الحديد : 17 ، الطلاق : 12 ، الملك : 15 ، نوح : 19 و 20 ، المرسلات : 27 ، الطارق : 12 ، الغاشية: 20، الشمس : 6 .

الحديثتفسير القمّي: نَظَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رُجُوعِهِ مِنْ صِفِّينَ إِلَى الْمَقَابِرِ فَقَالَ: هَذِهِ كِفَاتُ الْأَمْوَاتِ، أَي مَسَاكِنُهُمْ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى بُيُوتِ الْكُوفَةِ فَقَالَ: هَذِهِ كِفَاتُ الْأَحْيَاءِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتًا» . (3)

الإمام زين العابدين عليه السلام في قول الله عز و جل: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا» (4): جَعَلَهَا مُلَانِمَةً لِطَبَائِعِكُمْ، مُوَافِقَةً لِأَجْسَادِكُمْ، لَمْ يَجْعَلْهَا شَدِيدَةً الْحَمِي وَالْحَرَارَةَ فَتُحْرِقُكُمْ، وَلَا شَدِيدَةً الْبَرْدِ فَتُجَمِّدُكُمْ، وَلَا شَدِيدَةً طَيْبِ الرِّيحِ فَتُصَدِّعَ هَامَاتِكُمْ، وَلَا شَدِيدَةً النَّتَنِ فَتُعْطِبُكُمْ، وَلَا شَدِيدَةً اللَّيْنِ كَالْمَاءِ فَتُغْرِقُكُمْ، وَلَا شَدِيدَةً الصَّلَابَةِ فَتَمْتَنِعَ عَلَيْكُمْ فِي دَوْرِكُمْ وَأَبْنِيَّتِكُمْ وَقُبُورِ مَوْتَاكُمْ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَلَّ جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْمَتَانَةِ مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَتَتَمَاسَكُونَ وَتَتَمَاسِكُ عَلَيْهَا أَبْدَانُكُمْ وَبُنْيَانُكُمْ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا تَنْقَادُ بِهِ لِدَوْرِكُمْ

1- المرسلات : 25 و 26 .

2- غافر : 64 .

3- تفسير القمّي : ج 2 ص 400 ، معاني الأخبار: ص 342 ح 1 عن حمّاد بن عيسى عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه ، بحار الأنوار : ج 82 ص 34 ح 22 .

4- البقرة : 22 .

وَقُبُورِكُمْ وَكَثِيرٍ مِنْ مَنَافِعِكُمْ ، فَلِذَلِكَ جَعَلَ الْأَرْضَ فِرَاشًا لَكُمْ . (1)

تفسير القمّي : «أَتَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ» وَمَعْنِي يَوْمَيْنِ ، أَي وَقْتَيْنِ ، إِبْتِدَاءَ الْخَلْقِ وَانْقِضَاؤُهُ «وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَتَهَا» أَي لَا يَزُولُ وَيَبْقَى «فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلْسَّائِلِينَ» يَعْنِي فِي أَرْبَعَةِ أَوْقَاتٍ . (2)

رسول الله صلي الله عليه وآله في دُعَاءِ الْجَوْشَنِ الْكَبِيرِ : يَا مَنْ فِي السَّمَاءِ عَظَمْتُهُ ، يَا مَنْ فِي الْأَرْضِ آيَاتُهُ ، يَا مَنْ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَلِيلُهُ . .
يا مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ مِهَادًا . (3)

عنه صلي الله عليه وآله : إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ : أَوَّلَهُنَّ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَالْإِثْنَيْنِ ، وَالثَّلَاثَاءِ ، وَالْأَرْبَعَاءِ ، وَالْخَمِيسِ ، وَالْجُمُعَةِ ؛ خَلَقَ يَوْمَ الْأَحَدِ السَّمَاوَاتِ ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَخَلَقَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ دَوَابَّ الْبَحْرِ وَدَوَابَّ الْبَرِّ ، وَفَجَّرَ الْأَنْهَارَ وَقَوَّتَ الْأَقْوَاتَ وَخَلَقَ الْأَشْجَارَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ الْأَمْرَ يَوْمَ السَّبْتِ . (4)

عنه صلي الله عليه وآله : إِنَّ الْأَرْضَ بِكُمْ بَرَّةٌ ؛ تَتِيَّمُونَ مِنْهَا ، وَتُصَلِّونَ عَلَيْهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهِيَ لَكُمْ كِفَاتٌ فِي الْمَمَاتِ ، وَذَلِكَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ . (5)

1- التوحيد : ص 403 ح 11 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 137 ح 36 كلاهما عن محمد بن زياد ومحمد بن سيّار عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام ، الاحتجاج : ج 2 ص 506 ح 336 عن الإمام العسكري عليه السلام وفيه «حرثكم» بدل «دوركم» ، بحار الأنوار : ج 60 ص 82 ح 9 .

2- تفسير القمّي : ج 2 ص 262 ، بحار الأنوار : ج 57 ص 60 ح 31 .

3- البلد الأمين : ص 407 ، المصباح للكفعمي : ص 342 ، بحار الأنوار : ج 94 ص 391 .

4- العظمة : ص 300 ح 894 عن ابن عمر ؛ بحار الأنوار : ج 57 ص 212 ح 181 وفيه صدره إلي «والجمعة» .

5- دعائم الإسلام : ج 1 ص 178 عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار : ج 85 ص 156 ح 20 .

الإمام علي عليه السلام: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ المَرْفُوعِ . . . وَرَبَّ هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلأَنْعَامِ ، وَمَدْرَجًا لِلهَوَامِّ وَالأنْعَامِ ، وَمَا لَا يُحْصِي مِمَّا يُرِي وَمَا لَا يُرِي . (1)

عنه عليه السلام_ في الدعاء: سُبْحَانَكَ مَا أعْظَمَ شَأْنُكَ ، وَأَعْلَى مَكَانِكَ ، وَأَنْطَقَ بِالصِّدْقِ بُرْهَانُكَ ، وَأَنْفَذَ أَمْرُكَ ، وَأَحْسَنَ تَقْدِيرِكَ ، سَمَكْتَ السَّمَاءَ فَرَفَعْتَهَا ، وَمَهَّدْتَ الأَرْضَ فَفَرَشْتَهَا ، وَأَخْرَجْتَ مِنْهَا مَاءً نُجَاجًا (2) ، وَنَبَاتًا رَجْرَاجًا ، فَسَدَّ بِحَكِّ نَبَاتِهَا ، وَجَرَّتْ بِأَمْرِكَ مِيَاهُهَا ، وَقَامَا عَلَي مُسْتَقَرِّ المَشِيئَةِ كَمَا أَمَرْتَهُمَا . (3)

عنه عليه السلام_ أيضا: أَنْتَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَظَمْتُكَ ، وَفِي الأَرْضِ قُدْرَتُكَ وَعَجَائِبُكَ . (4)

عنه عليه السلام_ في تعظيم الله جلَّ وعلا: فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَي مَوْرِ المَاءِ أَرْضَكَ ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا ، وَسَمْعُهُ وَالِهَا ، وَفِكْرُهُ حَائِرًا . (5)

عنه عليه السلام_ في عَجِيبِ صَنَعَةِ الكَوْنِ: وَأَرْسِي أَرْضًا يَحْمِلُهَا الأَخْضَرُ المُتَعَنِّجُ (6) وَالقَمَقَامُ (7) المُسْحَرُ (المُسَجَّرُ) ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذَعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ الجَارِي مِنْهُ

-
- 1- نهج البلاغة: الخطبة 171 ، وقعة صفين : ص 232 عن زيد بن وهب وفيه «المحفوظ» بدل «المرفوع» ، بحار الأنوار : ج 32 ص 462 ح 402 .
 - 2- ماءٌ نُجَاجٌ : مصبوب ، ومطرٌ نُجَاجٌ : شديد الانصباب جدًا (تاج العروس : ج 3 ص 308) .
 - 3- البلد الأمين : ص 94 ، بحار الأنوار : ج 90 ص 141 ح 7 .
 - 4- الدرور الواقية : ص 202 ، بحار الأنوار : ج 97 ص 202 .
 - 5- نهج البلاغة : الخطبة 160 .
 - 6- المُتَعَنِّجُ : السَّيْلُ الكثير . والمُتَعَنِّجُ _ بفتح الجيم _ : وسط البحر ، وليس في البحر ما يشبهه كثرةً (تاج العروس : ج 6 ص 145) .
 - 7- القمقام : البحر كله (تاج العروس : ج 17 ص 588) .

لِحَشِيَّتِهِ، وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادَهَا، فَأَرَسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَالزَّمَهَا قَرَارَاتِهَا، فَمَصَّتْ رُؤُوسَهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سَهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِ دَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا، وَأَزْرَرَهَا فِيهَا أَوْتَادًا، فَسَدَّ كَنْتَ عَلِي حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحَمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا. فَسَدَّ بِحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجَمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَفِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا، وَبَسَّ طَهَا لَهُمْ فِرَاشًا، فَوْقَ بَحْرِ لُجِّيٍّ، رَاكِدٍ لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي، تَكَرَّرَهُ (1) الرِّيحُ الْعَوَاصِفُ وَتَمَخُّضُهُ الْغَمَامُ الدَّوَارِفُ، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشِي» (2). (3)

عنه عليه السلام_ في صِفَةِ الْأَرْضِ وَدَحْوِهَا عَلَي الْمَاءِ_-: كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَي مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحَلَةٍ، وَلَجَجَ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيَّ أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَادِفَاتُ أَتْبَاجِهَا، وَتَرْغُوزِبِدَا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثَقَلِ حَمْلِهَا، وَسَدَّ كَنْ هَيْجِ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكُلِّكَلِهَا وَذَلَّ (ظَلَّ) مُسْتَخْدِيًا إِذْ تَمَعَّكَتَ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا، وَفِي حِكْمَةِ الدُّلِّ مُنْقَادًا أَسِيرًا. وَسَدَّ كَنْتِ الْأَرْضِ مَدْحُوءَةً فِي لُجَّةِ تِيَارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلَانِهِ، وَشُدَّ مَوْخِ أَنْفِهِ وَسُدَّ مَوْ غُلْوَانِهِ، وَكَعَمَّتْهُ عَلَي كِطَّةِ جَرِيَّتِهِ، فَهَمَّ دَ بَعْدَ نَزْفَاتِهِ، وَلَبَّدَ بَعْدَ زَيْفَانِ وَثْبَاتِهِ. فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَفِهَا، وَحَمَلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ الْبُدْخِ

1- كَزَكَرَ الشَّيْءَ : جَمَعَهُ وَرَدَّهُ وَحَبَسَهُ (تَاجُ الْعُرُوسِ : ج 7 ص 442).

2- النَّازِعَاتُ : 26.

3- نَهَجُ الْبَلَاغَةِ : الْخُطْبَةُ 211، بَحَارُ الْأَنْوَارِ : ج 57 ص 38 ح 15.

عَلِي أَكْتَفِيهَا، فَجَرَّ يَنْبَيْعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينَ أَنْوْفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُدِّ هَوْبِ بِيَدِهَا وَأَخَادِيدِهَا، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيْبِ الشُّمِّ مِنْ صَدِّ يَأْخِيْدِهَا، فَسَكَتَتْ مِنَ الْمَيْدَانِ لِرِسْوَبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَدِيمِهَا، وَتَغْلُغْلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوَابِ حَيَاشِيمِهَا، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُدِّ هَوْلِ الْأَرْضِيْنَ وَجَرَائِمِهَا. وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنِهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلِي تَمَامِ مَرَاقِفِهَا، ثُمَّ لَمْ يَدَعِ جُرْرَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاءَ الْعُيُونِ عَنْ رَوَائِبِهَا، وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيْعَةً إِلَيْ بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِدَةً سَدَّ حَابِ تُحْيِي مَوَاتِنَهَا، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا. أَلْفَ غَمَامَةٍ بَعْدَ افْتِرَاقِ لُْمَعِ، وَتَبَائِنِ فَرْعِهِ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّصَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَالتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفْفِهِ، وَلَمْ يَنْمِ وَمِيضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ (1)، وَمُتْرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحَا مُتْدَارِكَا، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ، تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دَرَّرَ أَهَاضِيِيهِ وَدَفَعَ شَابِيِيهِ. فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ يَوَائِنِهَا، وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبَاءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنَ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وَتَرْدُهِ بِمَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِيْطِ أَزَاهِيرِهَا، وَحَلِيَّةِ مَا سَدَّ مِطَّتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنْامِ، وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلْسَّالِكِيْنَ عَلِي جَوَادِّ طُرُقِهَا. (2)

الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء: خَلَقْتَنَا بِقُدْرَتِكَ وَلَمْ نَكُ شَيْئًا، وَصَوَّرْتَنَا فِي الظُّلْمَاءِ بِكُنْهِ لُطْفِكَ، وَأَنْهَضْتَنَا إِلَيْ نَسِيمِ رَوْحِكَ، وَغَدَوْتَنَا بِطَيْبِ رِزْقِكَ، وَمَكَّنْتَ لَنَا

1- الكَنْهَوْرُ: الْعَظِيمُ مِنَ السَّحَابِ. وَالرَبَابُ: الْأَبْيَضُ مِنْهُ (النهاية: ج 4 ص 207).

2- نهج البلاغة: الخطبة 91 عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج 57 ص 111 ح 90.

في مهادِ أرضِكَ ، ودَعَوْتَنَا إِلَى طَاعَتِكَ . (1)

الإمام الصادق عليه السلام_ لِلْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ -: فَكَّرَ - يَا مُفَضَّلُ - فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْجَوَاهِرَ الْأَرْبَعَةَ لِيَتَّسِعَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهَا ، فَمِنْ ذَلِكَ سَعَةُ هَذِهِ الْأَرْضِ وَامْتِدَادُهَا ، فَلَوْلَا - ذَلِكَ كَيْفَ كَانَتْ تَتَّسِعُ لِمَسَاكِينِ النَّاسِ وَمَزَارِعِهِمْ وَمَرَاعِيهِمْ وَمَنَابِتِ أَخْشَابِهِمْ وَأَحْطَابِهِمْ ، وَالْعَقَاقِيرِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْمَعَادِنِ الْجَسِيمَةِ غَنَاؤُهَا ؟ وَلَعَلَّ مَنْ يُنْكِرُ هَذِهِ الْفَلَوَاتِ الْخَاوِيَةَ وَالْقِفَارَ الْمَوْحِشَةَ فَيَقُولُ : مَا الْمَنْفَعَةُ فِيهَا ؟ فَهِيَ مَأْوِي هَذِهِ الْوُحُوشِ وَمَحَالُّهَا وَمَرَاعَاهَا ، ثُمَّ فِيهَا بَعْدُ مُتَنَفِّسٌ وَمُضْطَرَبٌ لِلنَّاسِ إِذَا احتاجوا إِلَى الإِسْتِبْدَالِ بِأوطَانِهِمْ ؛ فَكَمْ بِيَدَاءِ وَكَمْ فَدْفِدٍ (2) حَالَتْ قُصُورًا وَحِنَانًا بِانْتِقَالِ النَّاسِ إِلَيْهَا وَحُلُولِهِمْ فِيهَا ، وَلَوْلَا سَعَةُ الْأَرْضِ وَفُسْحَتُهَا لَكَانَ النَّاسُ كَمَنْ هُوَ فِي حِصَارٍ ضَيِّقٍ لَا يَجِدُ مَنَدُوحَةً عَن وَطَنِهِ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ يَضْطَرُّهُ إِلَى الْإِنْتِقَالِ عَنْهُ . ثُمَّ فَكَّرَ فِي خَلْقِ هَذِهِ الْأَرْضِ - عَلِيٌّ مَا هِيَ عَلَيْهِ - حِينَ خُلِقَتْ رَاتِبَةً رَاكِنَةً ، فَتَكُونُ مَوْطِنًا مُسْتَقَرًّا لِلْأَشْيَاءِ ، فَيَتِمَّ كُنُ النَّاسِ مِنَ السَّعْيِ عَلَيْهَا فِي مَارِبِهِمْ ، وَالْجُلُوسِ عَلَيْهَا لِإِرَاحَتِهِمْ ، وَالنَّوْمِ لِهَدْيِهِمْ ، وَالْإِنْتِقَانِ لِأَعْمَالِهِمْ ؛ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ رَجْرَاجَةً مُتَكَفِّنَةً لَمْ يَكُونُوا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُبْنُوا الْبِنَاءَ وَالتَّجَارَةَ وَالصَّنَاعَةَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، بَلْ كَانُوا لَا يَتَهَنَّوْنَ بِالْعَيْشِ وَالْأَرْضِ تَرْتَجُّ مِنْ تَحْتِهِمْ . وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا يُصِيبُ النَّاسَ حِينَ الزَّلَازِلِ عَلَيَّ قَلَّةً مَكْتَبَهَا حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى تَرْكِ مَنَازِلِهِمْ وَالْهَرَبِ عَنْهَا . . . ثُمَّ إِنَّ الْأَرْضَ فِي طِبَاعِهَا الَّذِي طَبَعَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ وَكَذَلِكَ الْحِجَارَةُ ،

1- بحار الأنوار : ج 94 ص 124 ح 19 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي وراجع بحار الأنوار : ج 60 ص 51 وكنز العمّال : ج 6 ص 157 _ 175 .

2- الفدّقد : الفلاة التي لا شيء بها وقيل : هي الأرض الغليظة ذات الحصي . وقيل : المكان الصلب (لسان العرب : ج 3 ص 675) .

وإنَّما الفرقُ بَيْنَها وَبَيْنَ الحِجارَةِ فَضَّلُ يُسِّ فِي الحِجارَةِ ، أَفَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ اليُسَّ أَفَرَطَ عَلَيِ الأَرْضِ قَلِيلًا حَتَّى تَكُونَ حَجْرًا صَدِّ لَمَّا أَكَّانَتْ تُنْبِتُ هَذَا النَّبَاتَ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الحَيَوَانِ ؟ وَكَانَ يُمَكِّنُ بِها حَرْتًا أَوْ بِناءً ؟ أَفَلَا تَرى كَيْفَ تَنْصَبُ (1) مِنَ اليُسِّ الحِجارَةَ وَجُعِلَتْ عَلَيِ ما هِيَ عَلَيهِ مِنَ اللَّيْنِ وَالرَّخاوَةِ وَلِثُها لِإِلاَعْتِمادِ ؟ وَمِنَ تَدبِيرِ الحَكِيمِ _ جَلَّ وَعَلا _ فِي خِلْقَةِ الأَرْضِ أَنَّ مَهَبَّ الشَّمالِ أَرْفَعُ مِنَ مَهَبِّ الجَنوبِ ، فَلَمَّ جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كَذَلِكَ إِلا لِيُنحَدِرَ المِياهُ عَلَيِ وَجهِ الأَرْضِ فَتَسقِيها وَتُرَوِّياها ؟ ثُمَّ تَقِيضُ آخَرَ ذَلِكَ إِلى البَحْرِ ، فَكَانَما يَرْفَعُ أَحَدَ جانِبَيِ السَّطْحِ وَيَخفِضُ الأَخَرَ لِيُنحَدِرَ المِياهُ عَنْهُ وَلا يَقومَ عَلَيهِ ، كَذَلِكَ جَعَلَ مَهَبَّ الشَّمالِ أَرْفَعُ مِنَ مَهَبِّ الجَنوبِ لِهذِهِ العِلَّةِ بَعينِها ، وَلولا ذَلِكَ لَبَقِيَ المِياهُ مُتَحَيِّرًا عَلَيِ وَجهِ الأَرْضِ ، فَكانَ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنَ إِعمالِها ، وَيَقطَعُ الطَّرِيقَ وَالْمَسالِكَ . (2)

عنه عليه السلام - أيضا - : ففكر - يا مفضل - في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة ، مثل الجص والكلس والجبس والزرايخ والمرتك (3) والقونيا والزيت والنحاس والرصاص والفضة والذهب والزرجد والياقوت والزمرد وصدروب الحجارة ، وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا (4) والكبريت والتفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم . فهل يخفي علي ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض

1- .في نسخة : «نقصت» (هامش المصدر) .

2- .بحار الأنوار : ج 3 ص 121 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .

3- .المرتك : الرصاص ؛ أسوده أو أبيضه (لسان العرب : ج 10 ص 486) .

4- .الموميا : اسم دواء أعجمي نافع لوجع المفاصل والكبد ... واللؤلؤ وحصى أبيض يقال له : بصاق القمر (تاج العروس : ج 10 ص 352) .

لَيْسَتْ خَرِجَهَا فَيَسْتَعْمِلُهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا؟ ثُمَّ قَصَّ رَتَ حَيْلَةَ النَّاسِ عَمَّا حَاوَلُوا مِنْ صَدِّ نَعْتِهَا عَلَيَّ حَصْرِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُمْ لَوْ ظَفَرُوا بِمَا حَاوَلُوا مِنْ هَذَا الْعِلْمِ كَانَ لَا مَحَالَةَ سَهَّ يَظْهَرُ وَيَسْتَفِيضُ فِي الْعَالَمِ حَتَّى تَكْثُرَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَيَسْقُطَا عِنْدَ النَّاسِ فَلَا يَكُونُ لَهُمَا قِيَمَةٌ. (1)

الكافي عن هشام بن الحكم في خبر مُحَاجَّةِ الإِمامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِزَيْنَدِيقٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ، إِنَّ الَّذِي تَذَهَبُونَ إِلَيْهِ وَتَظُنُّونَ أَنَّهُ الدَّهْرُ إِنْ كَانَ الدَّهْرُ يَذْهَبُ بِهِمْ لِمَ لَا يَرُدُّهُمْ؟ وَإِنْ كَانَ يَرُدُّهُمْ لِمَ لَا يَذْهَبُ بِهِمْ؟ الْقَوْمُ مُضْطَرَّوْنَ. يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ، لِمَ السَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ، وَالْأَرْضُ مَوْضُوعَةٌ؟ لِمَ لَا تَسْقُطُ (2) السَّمَاءُ عَلَيَّ الْأَرْضِ؟ لِمَ لَا تَنْحَدِرُ الْأَرْضُ فَوْقَ طَبَاقِهَا وَلَا يَتِمَّاسَ كَانَ وَلَا يَتِمَّاسُكَ مِنْ عَلَيْهَا؟ قَالَ الزَّيْنَدِيقُ: أَمْسَكْهُمَا اللَّهُ رَبُّهُمَا وَسَدِّدْهُمَا. قَالَ: فَأَمَّنَ الزَّيْنَدِيقُ عَلَيَّ يَدِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (3)

1- بحار الأنوار: ج 3 ص 128 عن المفصل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفصل .

2- في الكافي «يسقط» والصحيح ما أثبتناه من التوحيد .

3- الكافي: ج 1 ص 73 ح 1 ، التوحيد: ص 295 ح 4 ، الاحتجاج: ج 2 ص 206 ح 217 نحوه وليس فيه من «لم لا- يردهم» إلي «مضطرون»، بحار الأنوار: ج 3 ص 52 ح 25 .

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الأرض

أولاً: حجم الأرض

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الأرض تُعدُّ واحدةً أُخري من الدلائل الواضحة علي التوحيد ومعرفة الخالق _ جلّ وعلا _ ، وقد أقسم الله تعالي بها في قوله : «وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا» (1) وأشار القرآن الكريم في أكثر من ثلاثين موضعاً إلي الخلق والنظم والتدبير السائد علي الأرض ، ودعا أتباعه إلي دراسة علم طبقات الأرض باعتباره أحد الطرق الموصلة إلي معرفة الله سبحانه . ومن وجهة نظر القرآن والأحاديث الإسلامية ، هناك المزيد من الدروس والعبر التي تدلنا علي التوحيد ومعرفة الله من خلال خلق الأرض ، نشير إلي أهمها :

أولاً : حجم الأرضين أول ما يطالعنا من دلائل التوحيد عند تأمل خلق الأرض ، هو مقدار حجمها الهائل ، فلو كانت الأرض بمقدار القمر ، وكان قطرها يعادل ربع قطرها الحالي ، فإنّ قوة الجاذبية لا تكفي لحفظ الماء والهواء علي الأرض ، فترتفع درجات الحرارة بشكل مهلك ، وبخلاف ذلك ، لو كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالي ، فإنّ سطح

ثانيا : استقرار الأرض في الفضاء

الأرض سيكون أربعة أضعاف سطحها الحالي ، وترتفع قوة جذبها إلي ضعفين عمّا هي عليه الآن ، كما تنخفض درجات الحرارة بشكل خطير ، ويرتفع ضغط الهواء من كيلو غرام علي السنتيمتر المربع الواحد إلي كيلو غرامين ، وكلّ هذه العوامل لها ردود فعل شديدة علي الحياة في الأرض . إنّ هذا لهو فعل الخالق الحكيم الذي جعل كلّ شيء في نظام الخلق بالمقدار الذي تقتضيه فلسفة خلقه ، قال تعالى : «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» (1) . (2)

ثانيا : استقرار الأرض في الفضاء إنّ الدرس الآخر المستفاد من تأمل خلق الأرض ، هو كون الأرض عائمة في الفضاء ، والسيطرة عليها عن طريق أعمدة غير مريئة تتمثل بقوة الجاذبية ، وهذا الأمر العجيب الجدير بالتأمل يعتبره القرآن الكريم إحدى آيات قدرة الخالق الحكيم وتدبيره ، فيصرّح بالقول : «وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ» (3) . إنّ لهذه الآية دلالة واضحة بأنّ الأرض وسائر الأجرام السماوية قائمة في الفضاء بدون أعمدة وأسس وروابط مادية محسوسة ، وليس ثمة شيء يقيمها غير أمر الله تعالى (4) ، وفي آية أُخري ، يؤكّد القرآن الكريم بأنّ الله تعالى وحده هو الذي يحفظ السّماء والأرض ويمنعهما من السقوط ، حيث يقول :

1- القمر : 49 وراجع : الطارق : 12 .

2- راجع : اثبات وجود خدا (بالفارسية) ، ص 21 .

3- الروم : 25 .

4- قال الشيخ الطوسي رحمه الله في تفسير الآية : بلادعامة تدعمها ولا علاقة تُعلّق بها ، بل لأنّ الله تعالى يسكنها حالا بعد حال ، لأعظم دلالة علي أنّه لا يقدر عليه سواه (التبيان في تفسير القرآن : ج 8 ص 243) .

«إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا» (1). علي ضوء آيات القرآن الكريم أشارت الأحاديث الإسلامية أيضا إلى مسألة كون الأرض عائمة في الفضاء بعبارات واضحة، مثل: «بَسَطَ الْأَرْضَ عَلَى الْهَوَاءِ بِغَيْرِ أَرْكَانٍ» (2) و«أَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ» (3) و«أَقَامَ الْأَرْضَ بِغَيْرِ سَدْنِدٍ» (4) و«اسْتَقَرَّتِ الْأَرْضُونَ بِأَوْتَادِهَا فَوْقَ الْمَاءِ» (5) وغيرها. والنقطة المهمة الأخرى الجديرة بالذكر هي كيفية إجراء الأمر الإلهي في إقامة الأرض والأجرام السماوية في الفضاء، وحفظها ضمن مداراتها الخاصة، وقد ذُكرت هذه المسألة بوضوح في آيتين أخريين، هما قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» (6). وقوله: «خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» (7). إن هاتين الآيتين توصَّحان الأمر والإمسك الإلهيين الواردين في الآيتين المتقدمتين آنفا، أي أن عدم سقوط السماوات والأرض بأمر الله سبحانه، وبواسطة

1- فاطر: 41 .

2- راجع: ج 4 ص 54 ح 4204 .

3- راجع: ج 5 ص 311 ح 5497 .

4- مصباح المتعجب: ص 307 ح 417، جمال الأسبوع: ص 184، بحار الأنوار: ج 91 ص 196 ح 3 .

5- بحار الأنوار: ج 57 ص 36 ح 9 نقلاً عن مهج الدعوات .

6- الرعد: 2 .

7- لقمان: 10 .

ثالثا : استقرار الأرض بأربع عشرة حركة

دعائم غير مرئية ، تسمي علميا اليوم قوة الجاذبية ، من هنا فإن أحد أصحاب الإمام الرضا عليه السلام واسمه حسين بن خالد حينما سأله عليه السلام عن قوله تعالى : «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ» (1) ، أجاب الإمام عليه السلام : «هِيَ مَحْبُوكَةٌ إِلَى الْأَرْضِ» وشبك بين أصابعه ، ثم تابع حسين ابن خالد السؤال مجددا : كيف هي محبوكة إلي الأرض ، والله يقول : «رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» ؟ فقال الإمام عليه السلام : «سُبْحَانَ اللَّهِ! أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ : «بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»؟!» قال حسين بن خالد : بلي . فقال الإمام عليه السلام : «ثُمَّ عَمَدٌ وَلَكِنَّ لَا تَرَوْنَهَا» (2) .

ثالثا : استقرار الأرض بأربع عشرة حركة الدرس الآخر في خلق الأرض هو كونها مستقرّة بشكل تام بواسطة أربعة عشر نوعا من أنواع الحركة (3) ، بيد أنها تبدو لساكنيها كأنها ثابتة وليس ثمة أي حركة ، وعندما نحاول إدراك الأهمية الفائقة لهذا الموضوع لابد أن نتصوّر بأن هذه السفينة الفضائية العظيمة التي اسمها الأرض ، تحمل اليوم نحو ستّة مليارات مسافر ، وتطير في الفضاء في حركتها الوضعية بسرعة تعادل «1440» كيلومتر في الساعة ، وفي حركتها التبعية بسرعة «000/70» كيلومتر ، وفي حركتها الانتقالية بسرعة «280/107» كيلومتر ، وهي مع هذا الوصف مستقرة استقرارا تاما ، وقد أكد القرآن

1- الذاريات : 7 .

2- راجع : تفسير علي بن إبراهيم القمي : ج 2 ص 328 .

3- الإسلام والهيئة : ص 218 .

رابعاً : توفير المعادن والفلزات

الكريم والحديث الشريف مكررا هذا الدرس البليغ باعتباره أحد الأدلة علي معرفة الله سبحانه ، ودعا النَّاسِ إلي التَّأَمُّلِ فيه ، قال تعالى :
«اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا» (1) . وقال : «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا» (2) .

رابعاً : توفير المعادن والفلزات لقد أودع الخالق الحكيم أنواعا متعددة من المعادن والفلزات في باطن الأرض ، كي يستفيد منها الإنسان ويوفّر حاجاته المختلفة ، وفي ذلك دليلٌ آخر علي معرفة الله سبحانه من خلال التأمّل في آفاق الأرض ، ولا ريب في أنّ وجود هذه المعادن والفلزات يعتبر من العوامل الأصيلية التي تسهم في تقدم الفنّ والعلم والحضارة البشريّة (3) . فضلاً عن جميع ما أشرنا إليه سابقاً ، فإنّ كلّ التدابير المتّخذة في نظام الخلق لجعل الأرض صالحَةً لحياة الإنسان _ وقد بحثنا بعضها في أبواب أُخري من هذه المجموعة _ تعتبر من آيات معرفة الله سبحانه في خلق الأرض .

راجع : موسوعة ميزان الحكمة : ج 2 (القسم الحادي عشر : الأرض) .

1- غافر : 64 .

2- النبأ : 6 .

3- راجع : ص 189 ح 3603 .

الباب السابع: خلق الجبال**إشاره**

الباب السابع: خلق الجبال الكتاب «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» (1).

«وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» (2).

«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَّ لَآءٍ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا» (3).

«وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» (4).

الحديث للإمام علي عليه السلام: الحمد لله الذي ... وَتَدَّ بِالصُّخُورِ مَيِّدَانَ (5) أَرْضِهِ (6).

1- النمل: 88 .

2- النبأ: 7 .

3- النحل: 81 .

4- لقمان: 10 .

5- الميِّدان: مصدر ماد يميِّد؛ إذا مالَ وتحركَ (النهاية: ج 4 ص 379) .

6- نهج البلاغة: الخطبة 1، الاحتجاج: ج 1 ص 473 ح 113، بحار الأنوار: ج 57 ص 176 ح 136 .

عنه عليه السلام_ في صِفَةِ الأَرْضِ -: وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيْبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا . (1)

عنه عليه السلام_ أَيضاً -: وَأَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الأَخْضَرُ ... وَجَبَلَ جَلَامِيدَها وَنُشِوزَ مُتُونِها وَأَطْوَادِها ، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا ، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا ، فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الهَوَاءِ ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي المَاءِ ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سَهْلِهَا ، وَأَسَاخَ قَوَاعِيدَها فِي مُتُونِ أَقْطَارِها وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِها ، فَأَشْهَقَ قِلَالَها ، وَأَطَالَ أَنْشَارَها ، وَجَعَلَهَا لِلأَرْضِ عِمَاداً ، وَأَرْزَاهَا فِيهَا أوتادا ، فَسَكَنَتْ عَلَي حَرَكَتِها مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِها ، أَوْ تَسِيخَ بِحَمْلِها ، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِها ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِها . (2)

عنه عليه السلام :اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ المَرْفُوعِ ، وَالجَوْ المَكْفُوفِ . . . وَرَبَّ الجِبَالِ الرَّوَاسِيِ الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أوتادا ، وَلِلخَلْقِ اعْتِمادا . (3)

الإمام الصادق عليه السلام_ لِلْمُفْضَلِ بْنِ عُمَرَ -: أَنْظِرْ - يا مُفْضَلُ - إِلَي هَذِهِ الجِبَالِ المَرْكُومَةِ مِنَ الطِّينِ وَالجِجَارَةِ الَّتِي يَحْسَدُ بِهَا الغَافِلُونَ فَضلاً لَا حَاجَةَ إِلَيها ، وَالمَنَافِعَ فِيها كَثِيرَةً ؛ فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيها التُّلُوحُ فَيَبْقَى (4) فِي قِلَالِها لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيها ، وَيَذُوبُ ما ذَابَ مِنْهُ فَتَجْرِي مِنْهُ العُيُونُ العَزِيْرَةُ الَّتِي تَجْتَمِعُ مِنْها الأَنْهَارُ العِظَامُ ، وَيَنْبُتُ فِيها ضُرُوبٌ مِنَ النَّبَاتِ وَالعَقَاقِيرِ الَّتِي لَا يَنْبُتُ مِثْلُها فِي السَّهْلِ ، وَيَكُونُ فِيها كُهُوفٌ وَمَقَائِلٌ لِلوُحُوشِ مِنَ السَّبَاعِ العَادِيَةِ ، وَيَتَّخِذُ مِنْها الحُصُونُ وَالقِلاعُ المَنِيعَةَ لِلتَّحَرُّزِ مِنَ الأَعْدَاءِ ، وَيُنْحَتُ مِنْها الجِجَارَةُ لِلبِنَاءِ وَالأَرْحَاءِ ، وَيُوجَدُ فِيها مَعَادِنٌ لُضْرُوبٍ مِنَ

1- نهج البلاغة : الخطبة 91 عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 57 ص 112 ح 90 .

2- نهج البلاغة : الخطبة 211 ، بحار الأنوار : ج 57 ص 38 ح 15 .

3- نهج البلاغة : الخطبة 171 ، وقعة صفين : ص 232 نحوه ، بحار الأنوار : ج 58 ص 94 ح 16 .

4- كذا في المتن والظاهر أن الصحيح : «فتبقى» .

الجواهر، وفيها خلالٌ أُخري لا يعرفها إلا المُقدِّر لها في سابقِ علمه . (1)

تفسير القمّي: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» قَالَ: فِعَلَ اللَّهُ الَّذِي أَحْكَمَ كُلَّ شَيْءٍ . (2)

1- بحار الأنوار: ج 3 ص 127 عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل .

2- تفسير القمّي: ج 2 ص 131 .

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الجبال

أولاً: نصب الجبال

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الجبال وأخيراً بتقدّم علم طبقات الأرض «الجيولوجيا» أثبت هذا العلم ضرورة وجود الجبال لغرض ضمان استقرار الأرض وصلاحياتها للحياة، لكن القرآن الكريم استطاع كشف هذا السرّ العلمي قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، حيث بين بصراحة بعض الأدوار التي تلعبها الجبال في حياة الإنسان، وقد استخدم هذا الكتاب السماوي اصطلاح «الجبال» تسعاً وثلاثين مرة، وعبر عنها بكلمة «الرواسي» في تسع مرات، كما دعا النَّاسُ إلى التأمّل والمطالعة لهذه الظاهرة العجيبة للسير في معرفة الله تعالى، وفيما يلي أهم الملاحظات المثيرة من خلال تأمل خلق الجبال:

أولاً: نصب الجبال إنّ الملاحظة الأولى الجديرة بالتأمّل التي دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التأمّل فيها، هي كيفية نصب الجبال في الأرض، قال تعالى: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ... إِيَّاءِ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ» (1). حقا من يستطيع أن ينصب هذه الجبال بهذا الحجم والوزن في قلب الأرض، وأن يربط جذورها بعضها ببعض غير الخالق القادر الحكيم؟ هل مثل هذا

ثانيا : دور الجبال في استقرار الأرض

العمل العظيم من صنع الصدفة الصّماء العمياء!؟

ثانيا : دور الجبال في استقرار الأرض تقع في معرض الاهتزاز والاضطراب الشديد والتلاشي من جهتين : 1 . الحركات السريعة المتعددة ، الوضعية والتبعية ، والانتقالية . 2 . استعداد الغازات المتراكمة في أعماق الأرض للانفجار بشدة متناهية . من هنا فإن الأرض تحتاج إلي روابط محكمة دائمة وأوتاد عظيمة تتناسب مع حجمها ووزنها ، لكي تربط طبقاتها المختلفة بعضها ببعض ، وتمنعها من الاهتزاز والتلاشي ، وقد أشارت التحقيقات العلمية إلي أنّ الروابط الدائمة والأوتاد المحكمة التي توجب استحكام الأرض واستقرارها ، هي الجبال بجذورها العميقة ووزنها الثقيل ، وقد بيّن القرآن الكريم في ثلاثة موارد فائدة الجبال في الحدّ من اضطراب الأرض وتزلزلها ، قال تعالى : «وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ» (1) . وقال : «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» (2) . وقال : «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (3) . وفي موضع آخر ذكر الجبال باعتبارها أوتادا للأرض حيث قال :

1- .الأنبياء : 31 .

2- .لقمان : 10 .

3- .النحل : 15 .

ثالثا : دور الجبال في حفظ الإنسان

رابعا : دور الجبال في تصفية المياه

«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» (1). وقد تقدّم كلام دقيق بديع لأئيرالمؤمنين علي عليه السلام في تفسير هذه الآيات وتبيينها في الباب السادس (2).

ثالثا : دور الجبال في حفظ الإنسان الجبال تحافظ علي الإنسان من جهات مختلفة _ فهي تقف كالسدّ العظيم والجدران الشاهقة بوجه الرياح الباردة التي تهبّ من المحيط المنجمد الشمالي _ ولولا تلك الأسوار الشوامخ والجدران الشواهد لاختلّت ظروف العيش في بيئة الحياة نتيجة تلك الرياح العاتية الباردة ، ثم إنّ الجبال تقف حائلاً أمام الرياح البحرية الرطبة التي تحمل الغيوم ، وبالنتيجة يتساقط المطر أو الثلج حول أطرافها . فضلاً عن ذلك فإنّ الجبال الشاهقة تغيّر درجات حرارة المناطق المجاورة لها فتخفّف من وطأة الحرارة الشديدة ، يقول تعالي في إشارة إلي واحدة من حكم خلق الجبال : «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًّا لِّأَنَّكُمْ لِكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَ نًّا» (3) .

رابعا : دور الجبال في تصفية المياه إنّ إحدى طرق تصفية المياه كما يلي : حينما تمرّ المياه خلال الطبقات المختلفة المترابطة بعضها فوق بعض ، فإنّ الشوائب والجراثيم تترسّب في ثنايا المنافذ ، ومن ثمّ يتخلّل الماء من تحتها رقراقاً عذبا ، كذلك تلعب الجبال دوراً مهماً في تصفية

1- النبأ: 6 و 7 .

2- راجع : ص 186 ح 3600 .

3- النحل : 81 .

خامسا : فوائد أخرى للجبال

المياه الثلجية وعذوبتها ؛ ذلك لأنّ الثلوج التي تُخترن في أعالي الجبال عند فصل الشتاء تذوب بالتدريج ، ويمرّ ماؤها متخللاً طبقات الجبال الصخرية ، فيصفي بشكل طبيعي ، ويجري من تحت الجبال علي شكل عيون وينايع رَقَاقَةٌ عذبة ، وكلّما ازداد ارتفاع الجبال ازدادت مياهها عذوبةً ونقاءً (1) ، وقد أشار القرآن الكريم إلي هذا الأمر باعتباره درسا في معرفة الله سبحانه ، حيث يقول : « وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ شِمْخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُمْ مَاءً فُرَاتًا » (2) .

خامسا : فوائد أخرى للجباللم تقتصر منافع الجبال وأدوارها في حياة الإنسان علي ما ذكرناه فحسب ، لذا فإنّ الإمام الصادق عليه السلام حينما يشير في حديثٍ له إلي فوائد الجبال المتعددة ومنها : خزن الثلوج ، وعيون الماء ، وأنواع الأعشاب الطبيعية ، وتوفير البيئة الصالحة لعيش الحيوانات البرية وغيرها ، يقول عليه السلام : « وفيها خِلالٌ أُخري لا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْمُقَدِّرُ لَهَا فِي سَابِقِ عِلْمِهِ » (3) .

1- اقتباس من كتاب أسرار الجبال .

2- المرسلات : 27 .

3- راجع : ص 200 ح 3610 .

الباب الثامن: خلق الماء

إشاره

الباب الثامن: خلق الماء الكتاب «أَفْرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ» . (1)

«أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» . (2)

«وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى» . (3)

راجع : النحل : 10 و 11 و 65 ، البقرة : 164 ، الحج : 63 ، النمل : 60 ، إبراهيم : 32 ، الفرقان : 48 ، الأنفال : 11 ، النور : 45 .

الحديث للإمام زين العابدين عليه السلام في قوله تعالى : «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» : - يَعْنِي الْمَطَرَ يُنْزَلُهُ مِنْ عَلْوٍ لِيَبْلُغَ قُلُلَ جِبَالِكُمْ وَتَلَالِكُمْ وَهَضَابِكُمْ وَأَوْهَادِكُمْ (4) ، ثُمَّ فَرَّقَهُ رِذَاذَا

1- الواقعة : 68 _ 70 .

2- الأنبياء : 30 .

3- طه : 53 .

4- الوهدة : الأرض المنخفضة ، والمطمئن من الأرض (تاج العروس : ج 5 ص 329).

ووابلاً (1) وهطلاً لَتَسَدَّ فَهُ أَرْضُكُمْ ، وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ الْمَطَرَ نَازِلاً عَلَيْكُمْ قِطْعَةً وَاحِدَةً ، فَيُفْسِدَ أَرْضِيكُمْ وَأَشْجَارَكُمْ وَزُرُوعَكُمْ وَثِمَارَكُمْ .
(2)

رسول الله صلى الله عليه وآله : لا- تَمْنَعُوا عِبَادَ اللَّهِ فَضْلَ الْمَاءِ وَالْكَالَةَ وَلَا نَارًا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا مَتَاعًا (3) لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَقُوَّةً لِلْمُسْتَضْعَفِينَ .
(4)

الإمام الصادق عليه السلام : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا شَرِبَ الْمَاءَ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَقَانَا عَذْبًا زُلْفًا ، وَلَمْ يَسْقِنَا مِلْحًا أُجَاجًا ، وَلَمْ يُؤَاخِذْنَا بِذُنُوبِنَا . (5)

عنه عليه السلام- وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ طَعْمِ الْمَاءِ- : سَلْ تَفَقُّهَا وَلَا تَسْأَلْ تَعَثُّهَا ! طَعْمُ الْمَاءِ طَعْمُ الْحَيَاةِ . (6)

- 1- الوابل: المطر الشديد الضخم القطر (القاموس المحيط: ج 4 ص 63).
- 2- عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 137 ح 36، التوحيد: ص 404 ح 11 كلاهما عن محمد بن زياد ومحمد بن سيّار عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام، الاحتجاج: ج 2 ص 507 ح 336 عن الإمام العسكري عليه السلام، بحار الأنوار: ج 60 ص 82 ح 9 وراجع المحاسن: ج 2 ص 34 ح 1107.
- 3- في المصدر: «مشاعا»، وهو تصحيف ظاهر.
- 4- المعجم الكبير: ج 22 ص 61 ح 145، مسند الشاميين: ج 4 ص 310 ح 3394، تاريخ دمشق: ج 33 ص 221 ح 6832 كلّها عن واثلة بن الأسقع، كنز العمال: ج 3 ص 900 ح 9104.
- 5- الكافي: ج 6 ص 384 ح 2 عن ابن القدّاح، المحاسن: ج 2 ص 406 ح 2420 عن ابن القدّاح عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، قرب الإسناد: ص 21 ح 71 عن عبد الله بن ميمون عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، دعائم الإسلام: ج 2 ص 130 ح 456 وليس فيهما «ولم يؤاخذنا»، بحار الأنوار: ج 16 ص 268 ح 78؛ شعب الإيمان: ج 4 ص 115 ح 4479 نحوه، حلية الأولياء: ج 8 ص 137 كلاهما عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام.
- 6- الكافي: ج 6 ص 381 ح 7، قرب الإسناد: ص 116 ح 405 وكلاهما عن الحسين بن علوان، مجمع البيان: ج 7 ص 72 عن الحسن بن علوان وكلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج 57 ص 15 وراجع تحف العقول: ص 370 وتفسير القمّي: ج 2 ص 239.

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الماء

1 . رمز الحياة

.

.

2 . زينة الأرض**3 . ضمان مصادر الغذاء**

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الماء إن القرآن الكريم يعتبر خلق الماء أحد الآيات والدلالات الكبرى علي معرفة الله سبحانه ، وهو الآية التي يتمكن الباحثون عن طريق البحث والمطالعة فيها التعرف علي الخالق الحكيم ، والنقاط التي أكدها هذا الكتاب السماوي في هذا الخصوص عبارة عن :

1 . رمز الحياة يعد الماء من وجهة نظر القرآن الكريم رمزا للحياة ، ودوره في إيجاد الأحياء وديمومة الحياة دليل واضح قاطع علي التوحيد ، من هذه الناحية يتوجه هذا الكتاب السماوي إلي أولئك الذين يصرون علي الكفر رغم مشاهدة هذا الدليل الواضح باللوم والتفريع ، قال تعالي : «أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» (1) . ويقول أيضا :

4. ضمان حاجة الشرب

5. أساس النظافة والطهارة

«وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» (1).

2. زينة الأرضين جمال الأرض وطراوتها ونضارتها لها علاقة مباشرة بالتدبير الحكيم في خلق الماء والسحاب والهواء والمطر ، قال تعالى : «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» (2) . وقد خاطب القرآن الكريم المشركين ودعاهم إلي التفكر في هذا التدبير ، وعبر هذا السبيل دعاهم إلي التوحيد ، قال تعالى : «اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ بِكُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ» (3) .

3. ضمان مصادر الغذاء إن التأمل في دور الماء في ضمان مصادر الغذاء يجعل الإنسان أيضا يتعرف علي الخالق الحكيم ، قال تعالى : «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْإِنْنَ» (4) .

1- النحل : 65 .

2- الحج : 63 .

3- النمل : 59 و 60 .

4- إبراهيم : 32 ، وراجع سورة عبس : 26 ، 27 .

4 . ضمان حاجة الشريان خلق الماء العذب السائغ إلي جانب الماء المالح الأجاج لضمان حاجات شرب الكائنات الحيّة يعتبر واحدا من دلائل التوحيد ومعرفة الله سبحانه ، وإذا لم يكن للماء أي دور سوي هذا فهو كافٍ لإثبات الحكمة والتدبير في الخلق ، وقد جاء في القرآن الكريم حول آية التوحيد هذه قوله : «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ» (1) وقوله : «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ» (2) .

5 . أساس النظافة والطهارة إنّ النظافة تعتبر واحدة من حِكَم خلق الماء ، وفي هذا المجال لا يمكن أن يحلّ محلّه أي شيء ، وهذه الحكمة لوحدها كافية لئن توضع هذا الأصل الحيوي في صفّ الآيات الإلهية العظمي والدلائل الكبرى لمعرفة الله تعالى ، وقد أشار القرآن الكريم إلي هذه الحكمة في موضعين كما يلي؛ قال تعالى : «وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» . (3) وقال تعالى : «وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ» (4) . وهناك نقاط مهمة أُخري في خلق الماء جديرة بالتأمل والمطالعة ، لكن لا مجال لشرحها وتوضيحها في هذا المقال (5)

1- .الواقعة : 68 _ 70 .

2- .الملك : 30 .

3- .الفرقان : 48 .

4- .الأنفال : 11 .

5- .راجع : إثبات وجود خدا (بالفارسية) : ص 81 ، 86 .

الباب التاسع: خلق البحر**إشاره**

الباب التاسع: خلق البحر الكتاب «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِيَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» . (1)

«وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَ حِجْرًا مَحْجُورًا» . (2)

راجع: الفرقان: 53، النمل: 61، الجاثية: 12، الطور: 6، الملك: 30، الرحمن: 19_22.

الحديثرسول الله صلي الله عليه و آله: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ . . . بِالْإِسْمِ الَّذِي اسْتَقَرَّتْ بِهِ الْأَرْضُونَ عَلَي قَرَارِهَا، وَالْجِبَالُ عَلَي أَمَاكِينِهَا، وَالْبِحَارُ عَلَي حُدُودِهَا . (3)

عنه صلي الله عليه و آله_ في دعاء الجوشن الكبير_ : يا مَنْ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَلَالَةٌ، يا مَنْ فِي

1- النحل: 14 .

2- الفرقان: 53 .

3- مهج الدعوات: ص 112، بحار الأنوار: ج 95 ص 370 ح 23 نقلاً عن الكتاب العتيق .

الْبَحَارِ عَجَائِبُهُ . (1)

الإمام عليّ عليه السلام: أنت الذي في السماء عَظَمْتُكَ ، وفي الأرضِ قُدْرَتُكَ ، وفي البحارِ عَجَائِبُكَ . (2)

بحار الأنوار عن سلمان الفارسي: رأيتُ عليّ حمائلٍ سيفِ أميرِ المؤمنين عليه السلام كتابَةً فَقُلْتُ : يا أميرَ المؤمنين ما هذه الكتابَةُ عليّ سيفِكَ؟ فقال: هذه إحدى عَشْرَةَ كَلِمَةً عَلَّمَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ... يا مَنْ الْبِحَارُ بِقُدْرَتِهِ مَجْرِيَةٌ . (3)

الإمام عليّ عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا مَقْنُوطَ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا مَخْلُوطٌ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَلَا مُؤَيَّسٌ مِنْ رَوْحِهِ ، وَلَا مُسْتَنَكَفٌ عَنْ عِبَادَتِهِ الَّذِي بِكَلِمَتِهِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ ، وَاسْتَقَرَّتِ الْأَرْضُ الْمِهَادُ ، وَثَبَّتَتِ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي ، وَجَرَّتِ الرِّيَّاحُ اللَّوَائِحُ ، وَسَارَ فِي جَوْ السَّمَاءِ السَّحَابُ ، وَقَامَتِ عَلَيَّ حُدُودُهَا الْبِحَارُ . (4)

فاطمة عليها السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ سَامِكِ (5) السَّمَاءِ ، وَسَاطِحِ الْأَرْضِ ، وَحَاصِرِ الْبِحَارِ . (6)

الإمام الحسن عليه السلام: اللَّهُمَّ يَا مَنْ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا وَبُرُوجًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا . (7)

-
- 1- البلد الأمين: ص 407 ، المصباح للكفعمي: ص 342 ، بحار الأنوار: ج 94 ص 391 .
 - 2- الدرور الواقية: ص 202 ، بحار الأنوار: ج 97 ص 202 .
 - 3- بحار الأنوار: ج 86 ص 192 ح 54 نقلاً عن اختيار ابن الباقي عن سلمان الفارسي .
 - 4- كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 514 ح 1482 ، مصباح المتهجد: ص 659 ح 728 عن عبد الله الأزدي وفيه «وقرت الأرضون السبع» بدل «واستقرت الأرض المهاد» .
 - 5- سامك: أي رافع؛ من سَمَكَ الشَّيْءُ يَسْمُكُهُ: إِذَا رَفَعَهُ (النهاية: ج 2 ص 403) .
 - 6- فلاح السائل: ص 440 ح 303 ، بحار الأنوار: ج 86 ص 115 ح 2 .
 - 7- مهج الدعوات: ص 355 ، مصباح المتهجد: ص 449 ح 555 عن الإمام الجواد عليه السلام وليس فيه «وبروجا وحجرا محجورا» .

الإمام الصادق عليه السلام: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ سَعَةَ حِكْمَةِ الْخَالِقِ ، وَقِصَرَ عِلْمِ الْمَخْلُوقِينَ ؛ فَانظُرْ إِلَى مَا فِي الْبِحَارِ مِنْ ضُرُوبِ السَّمَكِ ،
وَدَوَابِّ الْمَاءِ ، وَالْأَصْدَافِ وَالْأَصْنَافِ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعْرَفُ مَنَافِعُهَا إِلَّا الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ ، يُدْرِكُهُ النَّاسُ بِأَسْبَابٍ تُحَدِّثُ . (1)

الإمام الكاظم عليه السلام: سُبْحَانَ مَنْ أَلَجَّ الْبِحَارَ بِقُدْرَتِهِ . (2)

1- بحار الأنوار: ج 3 ص 109 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .

2- مهج الدعوات: ص 294 ، بحار الأنوار: ج 94 ص 330.

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق البحر

1 . دور البحار في ضمان مصادر الغذاء

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق البحار الخالق الحكيم جعل من البحار إحدى الآيات الكبرى لمعرفته ، لما تتضمنه تلك البحار من مصادر الحياة والثروة الدائمة التي سخرها الخالق لخدمة المجتمع الإنساني . ولقد تعرض القرآن الكريم والسنة الشريفة لذكر الدلائل الخفية في عالم البحار بشكل مكرر ، ودعا الإنسان إلي التأمل والمطالعة حول عجائب البحار وخفاياها المحيرة وبيان دورها في حياة الإنسان ، وفيما يلي نشير بشكل مجمل إلي النقاط الجديرة بالذكر في هذا المجال التي أكدتها النصوص الإسلامية :

1 . دور البحار في ضمان مصادر الغذاء لا ريب في أنّ البحر يوفّر قسماً لا بأس به من المواد الغذائية التي يحتاج إليها الإنسان ، وهذا من الوجهة القرآنية يُعدّ علامة من علامات التدبير في نظام الخلق ودليلاً واضحاً علي معرفة الله سبحانه ، قال تعالى : «هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا» (1) . إنّ أسماك البحر تلعب دوراً رئيساً في غذاء الإنسان ، كما أنّها مصدر لغذاء كثير

2. دور البحار في ضمان وسائل الزينة

3. دور البحر في الحمل والنقل

من أنواع الطيور ، فطبقاً للاحصاءات العلمية فإن الطيور البحرية لسواحل الجزر الصخرية والجبال الساحلية فقط تستهلك في كل عام 2/500/000 طن من الأسماك ، هذا فضلاً عن أن البحر يعتبر مصدراً دائماً للأملاح الضرورية في غذاء الإنسان .

2. دور البحار في ضمان وسائل الزينة إن البحر إضافة إلى توفيره قسماً من المواد الغذائية التي يحتاج إليها الإنسان ، يوفر له أيضاً قسماً من وسائل الزينة والحلي ، والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحكمة بقوله : « وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا » (1) وقوله : « مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُؤُ وَالْمَرْجَانُ » (2) . اللؤلؤ : درّ ثمين _ كلما كان أكبر ، كان أثمن _ ينشأ في بطن أنواع من الصدفيات في قاع البحار . والمرجان من الحيوانات البحرية الجميلة يستخدم للزينة وله فوائد طبية أيضاً .

3. دور البحر في الحمل والنقل أشار القرآن الكريم إلى دور البحر في الحمل والنقل باعتبارهما من آيات التدبير ومعرفة الخالق سبحانه ، قال تعالى : « وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ » (3) وحتي في الوقت الحاضر وعلي الرغم من تعدد وسائط النقل الجوي

1- النحل : 14 .

2- الرحمن : 19 _ 22 .

3- يس : 41 _ 43 .

4 . الحائل غير المرئي بين بحرين

والبري فإن السفن تؤدي دورا مهما في الحمل والنقل .

4 . الحائل غير المرئي بين بحرینتعرض القرآن الكريم في موضعين إلي ذكر ظاهرة مثيرة للعجب ؛ وهي جعل حاجز غير مرئي بين بحرين متلاصقين بحيث لا يلتبس أحدهما بالآخر ولا يغلب عليه ، وقد اعتبر ذلك آيةً من آيات التدبير في نظام الخلق ومن الأدلة علي معرفة الخالق _ جلّ وعلا _ . الموضع الأول : في سورة الفرقان : « وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هـ ذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَ هـ ذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَ حِجْرًا مَّحْجُورًا » (1) . البرزخ : هو الحجاب غير المرئي بين مائین أحدهما عذب والآخر ملح ، ولعلّه بسبب التفاوت بينهما في الكثافة والوزن الخاص لكلّ منهما بحيث لا يختلطان لمدة طويلة ، ولتوضیح هذا الأمر فإنّ كلّ الأنهار الكبرى للماء العذب التي تصبّ في البحر ، تدفع المياه المالحة إلي الخلف ، فيصير الماء في جانب الساحل عذبا ، ويستمر هذا الوضع لمدة طويلة ، ومما يجدر ذكره أنّه بمساعدة ظاهرة المدّ والجزر لمياه البحر تندفع المياه العذبة في الأنهار وهي صالحة للاستفادة منها لغرض الزراعة . الموضع الثاني : في سورة الرحمن : « مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ » علاوة علي ما تقدم من المعاني السابقة ، يمكن الإشارة في هذه الآية إلي أنّ الأنهار العظيمة التي تجري في المحيطات ، ومن أهمها ما يسمّي بـ «كلف استريم» ، هذه المياه بعضها يتحرك في المناطق التي بالقرب من خطّ الاستواء فهي حارّة ، حتّي أنّ لونها يغير أحيانا لون المياه المجاورة لها ، وقد يصل عرضها إلي «150» كيلومترا ، وعمقها إلي بضعة مئات من الأمتار ، وتصل سرعتها في بعض

5. عجائب البحار

6. الكشف التدريجي لمنافع البحر مع تقدّم العلم

المناطق خلال يوم واحدٍ إلي مئة وستين كيلومترا، ومما يجدر ذكره أنّ هذه الأنهار العظيمة لا تختلط مع المياه المجاورة لها إلا قليلاً (1).

5. عجائب البحار لا ريب في أنّ كلّ ما في عالم الخلق عجيب يشير إلي قدرة الخالق وحكمته، لكنّ بعض الظواهر أكثر إثارة من غيرها، وفي هذا الجانب يقول الرسول الأكرم صلي الله عليه وآله في بعض دعائه: «يا مَنْ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَلَالَةٌ، يا مَنْ فِي الْبَحْرِ عَجَائِبُهُ» (2). إنّ التأمّل في خلق عشرات آلاف الأنواع من الأحياء البحرية وكذلك التأمّل في حياتها لدليل علي هذا الكلام.

6. الكشف التدريجي لمنافع البحر مع تقدّم العلمين الذي تقدّم ممّا ذكرناه عن أدلّة معرفة الخالق من خلال خلق البحار ودورها في حياة الإنسان، عبارة عن ظواهر مفهومة للنّاس في عصر النزول وما تلاه من القرون، ومما لا ريب فيه أنّ منافع البحار ودلائل معرفة الله الخفية فيها، لا تقتصر علي التي ذكرناها، إذ أنّ للبحر منافع أُخري تدخل في حياة الإنسان، إنّ لم تكن أكثر وأهمّ من الفوائد التي ذكرناها فبلا شكّ أنّها ليست أقلّ منها، ومنها: نزول المطر، ولطافة الجو، وضمان رطوبة الأرض، فضلاً عن استخراج عناصر كثيرة من ماء البحر دخلت في صناعات الأدوية بعد تطور العلم، مثل: المغنيسيوم، والبوتاسيوم، وسلفات الصوديوم وغيرها. لقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلي الكشف التدريجي لمنافع البحر وإلي الفوائد

1- استفدناه من التفسير الأمثل: ج 23 ص 131، 132.

2- راجع: ص 213 ح 3617.

والأدلة التي لم تُعرف في تلك الأيام بقوله عليه السلام: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ سَعَةَ حِكْمَةِ الْخَالِقِ وَقِصَرَ عِلْمِ الْمَخْلُوقِينَ، فَانظُرْ إِلَى مَا فِي الْبِحَارِ مِنْ ضُرُوبِ السَّمَكِ وَدَوَابِّ الْمَاءِ وَالْأَصْدَافِ، وَالْأَصْنَافِ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعْرَفُ مَنَافِعُهَا إِلَّا الشَّيْءُ يُدْرِكُهُ النَّاسُ بِأَسْبَابٍ تَحْدُثُ» (1).

الباب العاشر: خلق الرياح والسحاب والمطر

إشاره

الباب العاشر: خلق الرياح والسحاب والمطر الكتاب «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ». (1)

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَتَّيَّرُ بِالرِّيحِ الْغَدِقِ يُخْرَجُ مِنْ خَلِّهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ». (2)

«وَاخْتَلَفَ فِي الْبَيْتِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ». (3)

راجع : البقرة: 164 ، الأعراف: 57 ، الحجر : 22 ، الإسراء : 69 ، الأنبياء : 81 ، الفرقان : 48 ، النمل : 63 ، الروم : 51 ، فاطر : 9 ، الذاريات : 1 ، القمر : 19 ، المرسلات : 1 ، 3 .

الحديث تفسير القمي : قوله : « وَ تَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » أي تجيء من كلِّ

1- الروم : 46 .

2- النور : 43 .

3- الجاثية : 5 .

- جانِبٍ ، وَرُبَّمَا كَانَتْ حَارَّةً ، وَرُبَّمَا كَانَتْ بَارِدَةً ، وَمِنْهَا مَا يُسَيِّرُ السَّحَابَ ، وَمِنْهَا مَا يَبْسُطُ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْهَا مَا يَلْقَحُ الشَّجَرَةَ . (1)
- نثر الدرّ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : لَا يَلْقَحُ السَّحَابُ إِلَّا مِنْ رِيحٍ ، وَمُصَدِّقُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : «وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا» (2) . (3)
- رسول الله صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ السَّحَابَ غَرَابِيلَ لِلْمَطَرِ ، هِيَ تَذِيبُ الْبَرْدِ (4) حَتَّى يَصِيرَ مَاءً لِكَيْلَا لَا يَضُرَّ بِهِ شَيْئًا يُصِيبُهُ . الَّذِي تَرَوْنَ فِيهِ مِنَ الْبَرْدِ وَالصَّوَاعِقِ نِقْمَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . (5)
- الإمام عليّ عليه السلام: السَّحَابُ غِرْبَالُ الْمَطَرِ ، لَوْلَا ذَلِكَ لَأَفْسَدَ كُلُّ شَيْءٍ وَقَعَ عَلَيْهِ . (6)
- الإمام الصادق عليه السلام: لَوْلَا السَّحَابُ لَخَرِبَتِ الْأَرْضُ ، فَمَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ السَّحَابَ فَيَغْرِيلُ الْمَاءَ ، فَيُنْزِلُ قَطْرًا ، وَأَنَّهُ أُرْسِلَ عَلَيَّ قَوْمٌ نَوْحٍ بَغَيْرِ سَحَابٍ . (7)

-
- 1- تفسير القمي: ج 2 ص 293 .
- 2- فاطر: 9 .
- 3- نثر الدرّ: ج 1 ص 196 ؛ المعجم الكبير: ج 11 ص 171 ح 11533 ، مسند أبي يعلى: ج 3 ص 49 ح 2450 كلاهما عن ابن عباس وفيهما قول رسول الله صلى الله عليه وآله فقط .
- 4- البرد: حُبُّ الغمام؛ وهو مطر جامد (تاج العروس: ج 4 ص 348) .
- 5- الكافي: ج 8 ص 240 ح 326 ، قرب الإسناد: ص 73 ح 236 وفيه «تُدبِّرُ البرد» بدل «تذيب البرد» وكلاهما عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عن أبيه عن الإمام عليّ عليهم السلام ، بحار الأنوار: ج 59 ص 381 ح 25 .
- 6- كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 525 ح 1495 ، قرب الإسناد: ص 136 ح 479 عن أبي البخترى عن الإمام الصادق عن أبيه عنه عليهم السلام ، بحار الأنوار: ج 59 ص 373 ح 5 .
- 7- المحاسن: ج 2 ص 34 ح 1107 ، بحار الأنوار: ج 59 ص 378 ح 16 .

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الرياح والسحاب والمطر

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الرياح والسحاب والمطر من جملة الدلالات الإلهية الكبرى التي ذكرها القرآن الكريم في كثير من آياته هي الهواء والسحاب والمطر ، فقد ورد ذكرها فيه نحو 105 مرة بأسمائها المتعددة وآثارها المختلفة ، معا أو متفرقةً ، ويمكن تأمل هذا المبحث كسائر المباحث القرآنية في الطبيعيات من جانبين : الأول : وجود النظام الخاص في إنشاء الهواء والسحاب والمطر ، والحكمة الجارية في خلقها . الثاني : الإعجاز القرآني وكيفية الاستنتاج في هذا المجال ، فضمن الآيات التي ورد فيها ذكر الهواء والسحاب والمطر والكيفيات المتعلقة بها ، تأتي بعض التعبيرات التي يُستنتج منها أنّها تنطبق انطباقا عجيبا دقيقا علي اكتشافات علم الأنواء الجوية والمعلومات والنظريات العلمية الحديثة ، مما يدلّ علي أن مُرسِل القرآن ومُنزله هو نفس مُرسِل الهواء ومنزل المطر ، هذا مع أنّ القرآن لا يريد تدوين أصول الفيزياء ، وقوانينه أو يعلمنا نظريات الأنواء الجوية ، كلاً لكن نريد أن نقول في هذا المجال أن القرآن الكريم تكلم عن الهواء والمطر بشكل لم يأت نظيره في أي كلام أو كتاب

بشري إلي ما قبل القرن الأخير ، وقد أُلّف في هذا الموضوع المهندس مهدي بازركان كتاباً مستقلاً (بالفارسية) تحت عنوان «باد و باران در قرآن» أي «الرياح والمطر في القرآن» أُوصي الراغبين بالاستزادة حول هذا الموضوع بمطالعة هذا الكتاب .

الباب الحادي عشر: خلق الليل والنهار

إشاره

الباب الحادي عشر: خلق الليل والنهار الكتاب «وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» . (1)

«وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» . (2)

«إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ» . (3)

«وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوِنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ» . (4)

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمِداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ» . (5)

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمِداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ

1- فضلت : 37 .

2- الأنبياء : 33 .

3- يونس : 6 .

4- الإسراء : 12 .

5- القصص : 71 .

تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» . (1)

راجع : آل عمران : 27 ، الأنعام: 96 ، الأعراف: 54 ، يونس : 67 ، الرعد : 3 ، إبراهيم : 33 ، الحج : 61 ، المؤمنون : 80 ، النور: 44 ، الفرقان: 47 و 62 ، النمل: 27 ، القصص : 73 ، الروم : 23 ، لقمان : 29 ، فاطر : 13 ، يس : 37 ، الزمر: 5 ، غافر: 61 ، الحديد: 6 ، النبأ : 10 و 11 ، الفجر : 1 و 4 .

الحديث للإمام زين العابدين عليه السلام _ من دُعَائِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ _ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ ، وَمَيَّرَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدًّا مَحْدُودًا ، وَأَمَدًا مَمْدُودًا ، يُولِجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ ، وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيهِ ، بِتَقْدِيرٍ مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِيمَا يَغْذُوهُمْ بِهِ ، وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ . فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ ، وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ (2) ، وَجَعَلَهُ لِبَاسًا لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاحَتِهِ وَمَنَامِهِ ، فَيَكُونَ ذَلِكَ لَهُمْ جَمَامًا وَقُوَّةً ، وَلِيُنَالُوا بِهِ لَذَّةً وَشَهْوَةً . وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهَارَ مُبْصِرًا لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ وَلِيَسْتَسَبِّبُوا إِلَيْهِ رِزْقَهُ وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ ، طَلَبًا لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ ، وَدَرْكُ الْآجِلِ فِي أُخْرَاهُمْ ، بِكُلِّ ذَلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ ، وَيَبْلُو أَخْبَارَهُمْ ، وَيَنْظُرُ كَيْفَ هُمْ فِي أَوْقَاتِ طَاعَتِهِ ، وَمَنَازِلِ فُرُوضِهِ ، وَمَوَاقِعِ أَحْكَامِهِ «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَـؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» (3) . اللَّهُمَّ فَالْكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ مَا فَالَقْتَ لَنَا مِنَ الْإِصْبَاحِ ، وَمَتَّعْتَنَا بِهِ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ، وَبَصَّرْتَنَا مِنْ مَطَالِبِ الْأَقْوَاتِ ، وَوَقَيْتَنَا فِيهِ مِنْ طَوَارِقِ الْآفَاتِ . (4)

1- القصص : 72 .

2- نَهَضَاتِ النَّصَبِ : المراد بها : الترددات البدنية الموجبة للنصب ؛ أعني التعب (مجمع البحرين : ج 3 ص 1840) .

3- النجم : 31 .

4- الصحيفة السجادية : ص 39 الدعاء 6 ، بحار الأنوار : ج 58 ص 199 ح 37 .

تأملات في آيات معرفة الله في خلق الليل والنهار

إشاره

تأملات في آيات معرفة الله في خلق الليل والنهار لقد دعا القرآن الكريم النَّاسَ في أكثر من ثلاثين موضعا إلى التأمل في الليل والنهار باعتبارهما آيتين تقودان إلى معرفة الله سبحانه وظاهرتين عجيبتين في نظام الخلق تحكيان عن حكمة الخالق وعظمته ، وقد عبّر القرآن الكريم عن هاتين الظاهرتين بتعبيرات عديدة : منها : ما يصرّح بأنّ الليل والنهار من آيات وجود الله تعالى ، حيث يقول : « وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ » . (1) ويقول : « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ » . (2) ومنها : ما يصرّح بأنّهما من خلق الله وكونهما مسخّرين للإنسان بأمره تعالى ، يقول : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » . (3)

1- فصلت : 37 .

2- الإسراء : 12 .

3- الأنبياء : 33 .

ويقول: «وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» (1). ومنها: ما يصرح بأنه تعالى هو الذي: «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» (2). وهناك تعبيرات أخرى تدعو العقلاء إلى التأمل والتفكير في ظاهرة الليل والنهار، ولعل أوضح تعبير يفهمه جلّ الناس عن حكمة توالي الليل والنهار، هو ما جاء في الآيات 71 _ 73 من سورة القصص، حيث يقول تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ». نشير هنا إلى أنّ الأرض لو كانت لا تدور حول محورها، وبقي نصفها غارقاً في ظلام سرمدي ونصفها الآخر في ضياءٍ دائم، فليس بالإمكان مطلقاً العيش عليها، وعلي ضوء هذا يمكن القول إنّ دوران الأرض المنظّم، وتوالي الليل والنهار بشكل دقيق محسوب، يحكي عن دقّة النظم والتدبير، ويدلّ على توحيد الخالق تعالى. ومما يجدر ذكره على ضوء ما جاء في القرآن الكريم أنّ الاستدلال بالليل والنهار على وجود الله لا يتيسّر لجميع الأفهام، بل أشارت الآيات القرآنية إلى فئات معينة تستطيع التأمل في ظاهرة الليل والنهار لغرض معرفة خالق الوجود والسير

1- إبراهيم: 33.

2- الحج: 61.

1 . أولو الأبصار

2 . أولو الأبواب

3 . أهل التقوي

4 . أهل الإيمان

علي صراط الحياة المستقيم ، وتلك الفئات كما يلي :

- 1 . أولو الأبصار قال تعالى : «يَقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» (1).
- 2 . أولو الأبواب قال تعالى : «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِزَاءِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ» (2).
- 3 . أهل التقوي قال تعالى : «إِنَّ فِي اجْتِزَاءِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَمُونَ» (3).
- 4 . أهل الإيمان قال تعالى : «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (4).

1- .النور : 44 .

2- .آل عمران : 190 .

3- .يونس : 6 .

4- .النمل : 86 .

وفي الواقع أنّ الشرط الأساسي للاستفادة من آيات معرفة الله سبحانه ودلائلها، هو التخلص من موانع المعرفة وحجبها (1)، لو حُجبت الرؤية العقلية عن الناس لسلب منهم إمكان إدراك الحقائق العقلية، ومن هنا فإنّ القرآن الكريم يعدّ الأشخاص من أولي الأبصار وأولي الأبواب وأهل التقوي والإيمان، إذا كانوا يستفيدون من رؤية عقولهم؛ لأجل إدراك الحقائق التي توصلهم إلى سلوك طريق الحياة الصحيح. بناءً على ذلك فإنّ أقلّ درجات التقوي، هي التقوي العقلية الضرورية إلى حدّ الوصول إلى أدنى درجات معرفة الله التي تسهم في إزالة موانع المعرفة شرط الاستفادة من التأمل في آيات معرفة الله، فإذا ارتقت التقوي العقلية بواسطة الإيمان إلى التقوي الشرعية، فإنّها تزيد من مراتب معرفة الإنسان إلى أعلى درجات التقوي حتّى يصل إلى قمة هرم المعرفة فلا يري في عالم الوجود شيئاً إلاّ الله سبحانه (2). علي ضوء ما تقدّم من التحليل نصل إلى نتيجة مفادها أنّ الآيات التي تعتبر جماعات خاصة - مثل: «أولي الأبواب» و«أولي الأبصار»... لفهم أدلة معرفة الله، تشير إلى شرطية رفع موانع المعرفة وحجبها للوصول إلى معرفة الله ودرجات تلك المعرفة، وأنّ كلّاً من تلك الآيات في الحقيقة مكملة للأخري.

1- راجع: ص 347 «الفصل العاشر: موانع معرفة الله».

2- راجع: ص 116 «القسم الرابع».

الباب الثاني عشر: خلق الشمس والقمر

إشاره

الباب الثاني عشر: خلق الشمس والقمر الكتاب (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) . (1)

«وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا لَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» . (2)

«الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» . (3)

«فَالِقُ الْأَمْصَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» . (4)

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا

1- فصلت: 37 .

2- يس: 38_40 .

3- الرحمن: 5 .

4- الأنعام: 96 .

خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» . (1)

راجع : البقرة : 189 ، الأعراف : 54 ، يونس : 6 ، الرعد : 2 ، إبراهيم : 33 ، النحل : 12 ، الإسراء : 12 ، الكهف : 86 و 90 ، الأنبياء : 33 ، المؤمنون : 80 ، الفرقان : 45 و 46 و 61 ، العنكبوت : 61 ، لقمان : 29 ، فاطر : 13 ، الصافات : 5 ، الزمر : 5 ، الرحمن : 17 ، المعارج : 40 ، نوح : 16 ، المدثر : 32 ، التكوير : 1 ، الفجر : 1 و 4 ، الشمس : 1 و 2 .

الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ عِنْدَ غُرُوبِهَا قَالَ : فِي نَارِ اللَّهِ الْحَامِيَةِ ، لَوْلَا مَا يَزَعُهَا (2) مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَأَهْلَكَتْ مَا عَلَيَّ الْأَرْضِ . (3)

الإمام علي عليه السلام من قوله عند رؤية الهلال : أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُطِيعُ ، الدَّائِبُ السَّرِيعُ ، الْمُتَرَدِّدُ فِي فَلَكَ التَّدْبِيرِ ، الْمُتَصَرِّفُ فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيرِ ، آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلْمَ ، وَأَضَاءَ بِكَ الْبُهْمَ ، وَجَعَلَكَ آيَةً مِنْ آيَاتِ سُلْطَانِهِ ، وَآمَتَهَنَكَ بِالزِّيَادَةِ وَالتَّقْصَانِ ، وَالتُّلُوعِ وَالأُفُولِ ، وَالإِنَارَةِ وَالكُسُوفِ ، فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ وَإِلَى إِرَادَتِهِ سَرِيعٌ ، سُبْحَانَهُ مَا أَحْسَنَ مَا دَبَّرَ وَأَتَقَنَ مَا صَنَعَ فِي مُلْكِهِ ! وَجَعَلَكَ اللَّهُ هِلَالَ شَهْرِ حَادِثٍ لِأَمْرِ حَادِثٍ ، جَعَلَكَ اللَّهُ هِلَالَ أَمْنٍ وَإِيمَانٍ ، وَسَلَامَةٍ وَإِسْلَامٍ ، هِلَالَ أَمْنَةٍ مِنْ الْعَاهَاتِ وَسَلَامَةٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا أَهْدَى مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَزْكَى مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ ، اللَّهُمَّ افْعَلْ بِي كَذَا وَكَذَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . (4)

1- . يونس : 5 .

2- . يَزَعُهَا: أي يمنعها . يقال : وَرَعَهُ يَزَعُهُ وَرُوعًا فَهُوَ وَازِعٌ : إِذَا كَفَّهُ وَمَنَعَهُ (النهاية : ج 5 ص 180) .

3- . مسند ابن حنبل : ج 2 ص 656 ح 6951 ، تفسير الطبري : ج 9 الجزء 16 ص 12 ، تفسير الطبري : ج 11 ص 49 وفيهما «الأحرق» بدل «لأهلكت» وكلها عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

4- . كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 2 ص 101 ح 1847 ، الصحيفة السجادية : ص 163 الدعاء 43 ، مصباح المتهجد : ص 541 ح 628 كلاهما عن الإمام زين العابدين عليه السلام نحوه ، بحار الأنوار : ج 58 ص 178 ح 36 .

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الشمس والقمر

أولاً: نظام الشمس والقمر

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الشمس والقمر تعتبر الشمس والقمر في وجهة نظر القرآن دليلين واضحين علي الخالق القادر الحكيم ، وقد دعا القرآن الكريم المجتمع البشري نحو سبع عشرة مرة بأساليب متباينة إلي التأمل في هاتين الظاهرتين العجيبتين في عالم الخلق ، كما قال سبحانه وتعالى : «وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» (1). إن الدروس التي تستعرض خَلْقَ الشَّمْسِ والقمر في مسير معرفة الله يمكن إجمالها في العناوين (2) التالية :

أولاً: نظام الشمس والقمر قال تعالى : «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسَدِّ تَقَرَّرَ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا مَدَائِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ

1- فصلت : 37 .

2- إن شرح هذه العناوين يحتاج إلي الكتب المتخصصة بها ، لذا ندعو الإخوة القراء الذين يرغبون في معرفة التفاصيل إلي مراجعة المصادر المستقلة التي كُتبت في هذا المجال .

ثانيا : حركة الشمس والقمر**ثالثا : سجود الشمس والقمر لله**

وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» (1).

ثانيا : حركة الشمس والقمر رغم أنّ الشمس تعتبر مركز المنظومة الشمسية ، والأرض تدور حولها ، إلا أنّها ليست ساكنة ، فلها حركات وضعية باتجاه الشمال ، وتدور حول مركز المجرة ، وللقمر كذلك حركات انتقاله ووضعية ، فهو يدور حول الأرض ، ويدور مع المجموعة الشمسية . وقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة ترشد إلي معرفة الله من خلال التأمل في الحركة المنظمة للشمس والقمر ، منها قوله تعالى : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (2) . ومنها قوله تعالى : « وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى » (3) .

ثالثا : سجود الشمس والقمر للهِ المقصود من سجود الشمس والقمر لله سبحانه هو نهاية الخضوع والطاعة والتسليم التكويني له تعالى ، بحيث إنّهما لم يقصدا في أداء ما أمرهما به في نظام الخلق منذ ملايين السنين ، ولم يتجاوزا مدارهما المعين لهما ولو بمقدار ذرة واحدة ، قال تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ... » (4) .

1- يس : 38_40 .

2- روضات الجنّات 3 : 383 ، وعنه في غاية المراد 1 : 298 مقدّمة التحقيق .

3- الأنبياء : 33 .

4- الحجّ : 18 .

رابعا : تسخير الشمس والقمر للإنسان

خامسا : دور الشمس في توفير الضوء والحياة

رابعا : تسخير الشمس والقمر للإنسانانَّ النقطة الأهمَّ الجديرة بالتأمل في طريق معرفة الله من خلال خلق الشمس والقمر ، هي أنَّ الشمس بحجمها الذي يفوق حجم الأرض بمليون وثلاثمئة وواحدٍ وتسعين ألف مرة (1) ، والقمر بحجمه الذي يعادل 491 من حجم الأرض 2 ، كلاهما أزاء أمر الخالق ساجدان وخاضعان ، ومسخران لخدمة حياة الإنسان ، وقد تكرَّر ذكر هذا الأمر في القرآن الكريم ، فقال : «وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» (2) . وقد يتبادر إلي الذهن هذا السؤال : أي ربح يجنيه الإنسان من تسخير الشمس والقمر؟ وبعبارة أخرى : ما دور الشمس والقمر في حياة الإنسان؟ للإجابة علي هذا السؤال لاحظ العنوان الخامس والسادس فيما يلي .

خامسا : دور الشمس في توفير الضوء والحياة إنَّ وجود الحياة علي سطح الكرة الأرضية يرتبط ارتباطا وثيقا لا انفصام له بضوء الشمس ، بناءً علي ذلك فإنَّ خلق الشمس وتسخيرها للإنسان هو في الحقيقة مقدمة لخلق الإنسان واستمرار حياته «وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا» (3) وحينما ينطفئ هذا

-
- 1- غاية المراد 1 : 299 _ 300 مقدّمة التحقيق . والكتاب المذكور طبع ضمن الدرّ المنثور ج 2 ، من ص 149 _ 198 ، ومن المؤسف أنّه ناقص ولم يظفر مؤلّف كتاب الدرّ المنثور علي تتمّته .
 - 2- .خالق العالم : ص 265 .
 - 3- .النبأ : 13 .

سادسا : دور الشمس والقمر في تقويم التاريخ

السراج الوهاج سيحلّ الظلام والبرد القاتل ، ويخيم علي كل أطراف الأرض ، فلا يهب نسيم ، ولا هناك سحاب ، ولا مطر أو ثلج و تنضب العيون ، وتتوقف الأنهار والشلالات ، ولا- تنمو النباتات ، ولن يبقئ أي مصدر من مصادر الغذاء ، وتغطي كتل الثلوج العظيمة سطح الأرض ، وبالتالي يخمد سراج الحياة علي وجه الأرض . ومما يجدر ذكره أنّ مصادر الضوء والذخائر المعدنية الموجودة الآن في بواطن الأرض ، مثل : النفط والفحم والذهب والفضة وغيرها هي أيضا رهنٌ لضوء الشمس .

سادسا : دور الشمس والقمر في تقويم التاريخ حساب الزمان يعتبر واحدا من الأركان الأساسية في حياة الإنسان ، والشمس والقمر علاوة علي ما يلعبانه من أدوار مهمّة في حياة الإنسان ، فهما وسيلتان لحساب الزمان ومعرفة التاريخ ، إنهما علي الرغم من حجمهما ووزنهما الهائلين ، ساعتان دقيقتان تعملان بنظم ودقة متناهية ، بحيث إنهما تعملان ملايين السنين ولم يقصّرا أو يزودا حتئ ثانية واحدة أو أقل من الثانية ، وهذا واحد من الدروس علي طريق معرفة الله سبحانه ، قال تعالي : «فَالْقُلُوبُ الْأَعْيُنُ بَاحٍ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» (1) .

الباب الثالث عشر: خلق السماوات

اشاره

الباب الثالث عشر: خلق السماوات والكتاب «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ» . (1)

«لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» . (2)

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَيَّ جَمْعُهُمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» . (3)

«إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ» . (4)

«قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالتُّدْرُوعُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» . (5)

«وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ» . (6)

«وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًُا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ» . (7)

1- آل عمران : 190 .

2- غافر : 57 .

3- الشوري : 29 .

4- الجاثية : 3 .

5- يونس : 101 .

6- يوسف : 105 .

7- الأنبياء : 32 .

«الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ» . (1)

راجع : البقرة : 22 ، آل عمران : 191 ، يونس : 6 ، ق : 6 .

الحديث للإمام زين العابدين عليه السلام في قوله تعالى : «وَالسَّمَاءِ بَنَاءً» (2) : سَقَفًا مِنْ فَوْقِكُمْ مَحْفُوظًا ، يُدِيرُ فِيهَا شَمْسَهَا وَقَمَرَهَا وَنُجُومَهَا لِمَنَافِعِكُمْ . (3)

تفسير القمّي : «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا» (4) قال : بَعْضُهُمَا طَبَقٌ لِبَعْضٍ «مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ» (5) قال : يَعْنِي مِنْ فَسَادٍ «فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ» أَي مِنْ عَيْبٍ «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ» قَالَ : أَنْظِرْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ «كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ» (6) ، أَي يَقْصُرُ وَهُوَ حَسِيرٌ ، أَي مُنْقَطِعٌ . قَوْلُهُ : «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَـبِيحٍ» (7) قَالَ : بِالنُّجُومِ . (8)

تفسير القمّي : قوله : «وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

1- .الملك : 3 و4 .

2- .البقرة : 22 .

3- .عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 137 ح 36 ، التوحيد : ص 404 ح 11 كلاهما عن محمد بن زياد ومحمد بن سيار عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام ، الاحتجاج : ج 2 ص 507 ح 336 عن الإمام العسكري عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 60 ص 82 ح 9 .

4- .الملك : 2 و3 .

5- .الملك : 3 .

6- .الملك : 4 .

7- .الملك : 5 .

8- .تفسير القمّي : ج 2 ص 378 .

مُعْرُضُونَ» (1) قَالَ : الْكُسُوفُ وَالرَّزَلَّةُ وَالصَّوَاعِقُ . (2)

رسول الله صلي الله عليه وآله : بَيْنَا رَجُلٌ مُسْتَلْقٍ عَلَيَّ ظَهْرُهُ يَنْظُرُ إِلَيَّ السَّمَاءِ وَإِلَى التُّجُومِ وَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنَّ لَكَ لَرَبًّا هُوَ خَالِقُكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي _ قَالَ : _ فَنَظَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ ، فَغَفَرَ لَهُ . (3)

الإمام علي عليه السلام في تمجيد الله عز وجل _ : سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرِي مِنْ خَلْقِكَ ، وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرِي مِنْ مَلَكُوتِكَ ، وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ ! (4)

عنه عليه السلام _ أَيْضًا _ : وَمَا الَّذِي نَرِي مِنْ خَلْقِكَ ، وَنَعَجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَنَصِيْفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَقَصَّرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَأَنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سَتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ . فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ؛ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَافَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَيَّ مَوْرَ الْمَاءِ أَرْضَكَ ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا ، وَسَمْعُهُ وَإِلْهَامُهُ ، وَفِكْرُهُ حَائِرًا . (5)

عنه عليه السلام : فَمِنْ سَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ مُوْطِدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُدْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّنَاتٍ وَلَا مُبْطِنَاتٍ ، وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَإِدْعَائُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكِنًا لِمَلَائِكَتِهِ ،

1- يوسف : 105 .

2- تفسير القمي : ج 1 ص 358 ، تفسير نور الثقلين : ج 2 ص 474 ح 227 .

3- التوحيد : ص 26 ح 25 عن أبي هريرة ، بحار الأنوار : ج 3 ص 9 ح 19 ؛ حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا : ص 87 ح 107 ، تفسير القرطبي : ج 4 ص 314 كلاهما عن أبي هريرة نحوه .

4- نهج البلاغة : الخطبة 109 ، بحار الأنوار : ج 4 ص 318 ح 43 .

5- نهج البلاغة : الخطبة 160 .

ولا- مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ. جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ. لَمْ يَمْنَعِ ضَوْءُ نُورِهَا ادْلِهَامًا سُجْفٍ (1) اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتِطَاعَتِ جَلَابِيبِ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ. (2)

عنه عليه السلام :وَنَظَّمَ بِهَا- تَعْلِيقَ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا ، وَلا حَمَّ صَدُوعِ انْفِرَاجِهَا ، وَوَشَّحَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا ، وَذَلَّلَ لِلهَا بَطِينِ بَأْمَرِهِ وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُرُوزَةَ مِعْرَاجِهَا ، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ، فَالْتَحَمَتْ عُرِي أَشْرَاجِهَا ، وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِقَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا ، وَأَقَامَ رَصْدًا مِنْ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَيَّ بِقَابِهَا ، وَأَمَسَّ كَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرَقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِ ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقْفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا ، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا ، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَبِيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا ، وَيُعْلِمَ عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَرِهَا فَلَكَهَا ، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا ، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا ، وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا ، وَزَمِي مُسْتَرَفِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا ، وَأَجْرَاهَا عَلَيَّ إِذْ لَالَ تَسْخِيرُهَا ، مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهَبُوطِهَا وَصُعُودِهَا ، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا. (3)

1- سُجْفٌ : جمع سَجْفٍ ، وهو الستر (النهاية : ج 2 ص 343) .

2- نهج البلاغة : الخطبة 182 عن نوف البكالي ، بحار الأنوار : ج 4 ص 314 ح 40 .

3- نهج البلاغة : الخطبة 91 عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 57 ص 108 ح 90 .

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق السماء

إشاره

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق السماء إنّ كلمة «السَّمَاء» مشتقة في اللغة من الجذر «سمو» بمعنى كلِّ عالٍ مطلق، من هنا يطلق لفظ السَّمَاء علي سقف البيت (1)، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم «313» مرّة بصورة مفرد أو جمع، وعبرت عن معانٍ مختلفة، كما يلي: 1. الجهة العليا المجاورة للأرض، كما في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» (2). 2. المنطقة البعيدة عن سطح الأرض «محلّ السحاب»، كما في قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا» (3). 3. الطبقة الجوية المتراكمة في أطراف الأرض، كما في قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَدًّا مَحْفُوظًا» (4). 4. الأجرام السماوية، كما في قوله تعالى: «رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا».

1- مقاييس اللغة: ج3 ص 98.

2- إبراهيم: 24.

3- ق: 9.

4- الأنبياء: 32.

أولاً: سعة السماء

5. ما يحيط بجميع الأجرام السماوية، كما في قوله تعالى: «وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصِّ بِيحٍ» (1). 6. مقام القرب الإلهي الذي ينتهي إليه زمام جميع الأمور، كما في قوله تعالى: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» (2). أما الدروس المستقاة من خلق السماوات علي طريق معرفة الخالق - جلّ وعلا -، التي أشار إليها القرآن الكريم، فهي تتعلق بالمعني الثالث والرابع والخامس من المعاني المتقدمة، من هنا فإنّ المحاور الجديدة بالتأمل والبحث هي، كما يلي:

أولاً: سعة السماء إنّ الملاحظة الأولى الحرّية بالتأمل عند مشاهدة السماء، هي سعتها المحيرة التي تفوق التصور، فوفقاً للحسابات العلمية إنّنا لو سافرنا في طائرة مفترضة تسير بسرعة الضوء - أي أنّها تقطع في كل ثانية ثلاثمئة ألف كيلومتر - فإنّنا سنصل إلى الشمس بعد ثماني دقائق وعشرين ثانية، ونصل إلى الجدي بعد خمسين سنة، وإلى العيوق بعد تسعين سنة، وإذا أردنا أن نساغر إلى أول مجرة وبنفس السرعة المتقدمة، فإنّ رحلتنا تستغرق سبعمئة ألف سنة ضوئية، ولقطع المسافة من طرف المجرة إلى طرفها الآخر نحتاج إلى مئتي سنة ضوئية، وعلي أساس مايقوله علماء النجوم: هناك في الكون ما لا يقلّ عن مئة ألف مجرة مثل مجرتنا، ومما يزيد من الحيرة والعجب هو أنّ كلّ ما ذكرناه عن سفرنا الكونيّ الذهني يعتبر في وجهة النظر القرآنية منحصرًا في سماء واحدة، هي السماء الأولى أو الدنيا (3).

1- فصلت: 12 .

2- السجدة: 5 .

3- قال تعالى: «وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصِّ بِيحٍ» فصلت: 12 وراجع: الملك: 5 .

ثانيا : مصابيح السماء

ثالثا : السقف المحفوظ

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ مَشِيْرًا إِلَى هَذِهِ الْعِظْمَةِ الَّتِي لَا تُوصَفُ ، وَذَلِكَ فِي مَعْرُضِ دَعَائِهِ مَخَاطَبًا الْخَالِقِ الْقَادِرِ الْحَكِيمِ : سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرِي مِنْ خَلْقِكَ! وَمَا أَصْغَرَ كَمَلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرِي مِنْ مَلَكُوتِكَ! وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيْمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ! (1)

ثانيا : مصابيح السماء من جهة أُخري يدعو القرآن الكريم في آيات عديدة بالنظر إلى السماء والنجوم التي فيها باعتبارها مصابيح مضيئة جميلة ، جعلها أحسن الخالقين دليلاً علي علمه وقدرته وحكمته قال سبحانه وتعالى : «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا» (2) . فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ رَبِّمَا يَفُوقُ فَضْلاً عَلَي كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ ، كَمَا يَسْتَفَادُ ذَلِكَ مِنْ سَلُوكِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قُرَّبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَهْرُهُ فِي يَوْمِ وِرْدِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ لِيَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ ، ثُمَّ جَعَلَ يُفَكِّرُ فِي خَلْقِهَا ، حَتَّى أَصْبَحَ وَأَذَّنَ الْمُؤَدِّنُ وَيَدُهُ فِي الْإِنَاءِ (3) .

ثالثا : السقف المحفوظ لقد أشرنا في معاني السماء الواردة في القرآن الكريم ، إلى أن أحدها يعني الجو المحيط في أطراف الأرض ، يقول «فرانك آلن» أستاذ الفيزياء الحيويّة : إن الغلاف

1- راجع : ص 239 ح 3637 وح 3638 .

2- بق: 6 ، راجع : الحجر : 16 ، الملك : 5 ، فصلت : 12 .

3- ربيع الأبرار : ج 1 ص 108 ح 94 .

الغازي المتكوّن من عدّة غازات يحافظ علي الحياة علي سطح الأرض ، حيث يبلغ سَمَكُه نحو «800» كيلومتر ، بحيث يستطيع أن يقف كالدرع الواقي للأرض ويحفظها من شرّ النيازك والشهب ومختلف الأحجار السّماوية المُميّتة التي تصطدم به ، وهي تنزل بمقدار عشرين مليون حجر في اليوم ، وتبلغ سرعتها في الفضاء ، نحو خمسين كيلومتر في الثانية . كما يحافظ الغلاف الغازي علي درجة الحرارة عند سطح الأرض في الحدود المناسبة للحياة ، ويدّخر مقدارا كبيرا من الماء والبخار اللازمين للحياة وينقلهما من المحيطات إلي اليابسة . كما أنّ سَمَك الغلاف الغازي المحيط بالأرض يجعل الأشعة الكونية النافذة عبره إلي أطراف الأرض بمعدلٍ كافٍ لنموّ النباتات ، وخلال ذلك يقوم الغلاف الغازي بإتلاف كلّ الجراثيم المضرّة ويوجِد الفيتامينات المفيدة (1) . إنّ هذه التحقيقات في الواقع تفسير لهذا الدرس في معرفة الله ، الذي يقول فيه القرآن : «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَدَقًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ» . وقوله تعالى : «أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأُ نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيْهِم كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّتَّبِعٍ» (2) .

1- شرح البداية : 9 المقدمة ، بتحقيق عبد الحسين محمّد علي البقال .

2- راز آفرينش انسان (بالفارسية) : ص 34 ، 35 .

رابعاً : استقرار الأجرام السماوية في الفضاء

رابعاً : استقرار الأجرام السماوية في الفضاء استقرار الأجرام السماوية في الفضاء بدون عمد ولا دعامة والسيطرة عليها بواسطة قوة الجاذبية التي عبّر عنها القرآن الكريم بالعمد غير المرئية ، هو درس آخر من دروس التوحيد ومعرفة الله تعالى ، من وجهة نظر القرآن الكريم ، وقد أشار إلي ذلك في موضعين : قوله تعالى : «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» . وقوله تعالى : «خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» (1) . علي ضوء هاتين الآيتين وحديث الإمام الرضا عليه السلام الذي قدمناه في الفقرة الثانية من دروس معرفة الله من خلال خلق الأرض ، يُرْفَعُ الستار عن حقيقة علمية لم يكن يعرفها أحد في زمان النزول ، إذ كانت هيئة «بطليموس» هي السائدة آنذاك علي المحافل العلمية وأفكار الناس ، حيث تقول : إنّ السّماء تتكون من عدّة كرات متداخلة بعضها فوق بعض كطبقات البصل ، وإنّ أياً من تلك الكرات ليست حرّة عائمة في الفضاء بدون أعمدة ، بل كلّ منها تعتمد علي الأخرى وتتكيء عليها ، هذه هي فحوي نظرية بطليموس ، التي توصل العلم والمعرفة البشرية إلي كونها موهومة وليس لها أي واقعية ، وذلك بعد نحو ألف سنة من عصر النزول ، حيث أثبت العلم بأنّ كلّ واحد من الأجرام السماوية عائم في مكانه ومستقرّ في مداره بدون أن يعتمد علي شيء أو يتكيء عليه ، والشيء الوحيد الذي يُقرّها في مواضعها ضمن مداراتها هو تعادل قوة الجذب والدفع ، حيث إنّ إحدَي القوتين ترتبط بوزن

خامسا : النظام الدقيق السائد علي الأجرام السماوية

سادسا : الاهتداء بالنجوم

الكوكب والثانية ترتبط بحركته ، وذلك التعادل بصورة عمود غير مرئي يحافظ علي الأجرام السماوية في مواضعها .

خامسا : النظام الدقيق السائد علي الأجرام السماوية إن الحركة المنظمة الدقيقة للأجرام السماوية في مداراتها الخاصة درس آخر للتوحيد ، فإن النظام السائد علي الأجرام السماوية لا يضمن عدم اصطدام بعضها ببعض فحسب ، بل يساعد علي التنبؤ بالنسبة إلي الأحداث السماوية ، فهل يمكن التصديق بالقول : إن الصدفة العمياء ، هي التي جعلت مليارات الأجرام السماوية التي أكثرها أكبر حجما من الأرض بآلاف المرات ، تتحرك ملايين السنين بسرعة فائقة بدون أدنى انحراف عن مداراتها؟ إن القرآن الكريم قد بين هذا الدرس عن معرفة الله سبحانه في قوله : «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» (1) . وفي قوله تعالي : «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (2) .

سادسا : الاهتداء بالنجوم إن الدرس الحكيم الآخر في خلق السماء الذي أشار إليه القرآن هو الاهتداء بالنجوم ، الذي يعتبر أحد بركات النظام المهيم علي السماء ، فلو كانت حركة

1- فاطر : 41 .

2- الحجج : 65 .

النجوم غير منظمة ومداراتها غير معينة، كيف يستطيع الإنسان أن يهتدي إلى طريقه وهو في عرض البحار أو مفازات الصحاري الجرداء أو الطرق المجهولة في السماء؟ إنها النجوم التي تساعد في تعيين جهته، ومداراتها التي تُعينه على الاهتداء إلى طريقه (1)، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الدرس التوحيدي بقوله: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (2). ولكن يشترط هنا الأخذ بنظر الاعتبار توضيحنا المتقدم (3)، وهو أن الذين يستطيعون الاستفادة من هذه الدروس في مسير التوحيد ومعرفة الله، هم أولئك الذين أزالوا حُجُب المعرفة عن أبصار عقولهم وفهمهم فحسب، كما في قوله تعالى: «قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ». هؤلاء هم الذين كلما ازدادت معرفتهم بأسرار السماء وما فيها من الآيات، ازدادوا إيماناً و يقيناً، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ اِزْدَادَ بِهِ اِيْمَانًا وَيَقِيْنًا، ثُمَّ تَلَا: «إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ» (4). (5)

-
- 1- راجع: ص 239 ح 3639، إثبات وجود خدا (بالفارسية): ص 261.
 - 2- الأنعام: 97.
 - 3- راجع: ص 227 «تأملات في آيات معرفة الله في خلق الليل والنهار».
 - 4- يونس: 6.
 - 5- ربيع الأبرار: ج 1 ص 100 ح 73.

الفصل السادس : طرق الوصول إلي أسمي مراتب معرفة الله

6 / 1 ذكر الله

الفصل السادس : طرق الوصول إلي أسمي مراتب معرفة الله 6 / 1 ذكر الله الكتاب «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» (1).

الحديثعدّة الداعي :في بعض الأحاديث القدسيّة : أيما عبدٍ اطّلع علي قلبه فرأيتُ الغالبَ عليه التمسكُ بذكرِي تولّيتُ سياستهُ ، وكُنْتُ جليسهُ ومُحادثهُ وأيسهُ . (2)

رسول الله صلي الله عليه وآله : يقولُ اللهُ تعالي : إذا كانَ الغالبُ علي عبدي الاشتغالَ بي جعلتُ نعيمهُ ولذّتهُ في ذكرِي ، فإذا جعلتُ نعيمهُ ولذّتهُ في ذكرِي عشقتُني وعشقتُهُ ، فإذا عشقتُني وعشقتُهُ رفعتُ الحجابَ فيما بيني وبينه ، وصرتُ معالما بين عينيهِ ،

1- .الأحزاب : 41 _ 43 .

2- .عدّة الداعي : ص 235 ، بحار الأنوار : ج 93 ص 162 ح 42 .

لا يسهو إذا سَهَا النَّاسُ ، أُولَئِكَ كَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَنْبِيَاءِ . (1)

الإمام عليّ عليه السلام : ذَكَرَ اللَّهُ قُوَّةَ النَّفُوسِ ، وَمُجَالَسَةَ الْمَحْبُوبِ . (2)

عنه عليه السلام : ذَاكِرُ اللَّهِ مُؤَانِسُهُ . (3)

عنه عليه السلام_ في مُنَاجَاتِهِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ_- : (أَسَأَلُكَ) أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلِيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تَجْعَلَ لِي مِمَّنْ يَدِينُ بِذِكْرِكَ وَلَا يَنْقُضُ عَهْدَكَ . (4)

مصباح الشريعة_ فيما نَسَبَهُ إِلَى الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَام_- : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى بِالتَّعْظِيمِ خَالِصًا ارْتَفَعَ كُلُّ حِجَابٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ . . . وَإِذَا غَفَلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ كَيْفَ تَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَوْقُوفًا مَحْجُوبًا قَدْ قَسَا وَأَظْلَمَ مُنْذُ فَارَقَ نُورَ التَّعْظِيمِ . (5)

2 / 6 الصَّلَاةُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرَائِعِ الدِّينِ ، وَفِيهَا مَرْضَاةُ الرَّبِّ عِزٌّ وَجَلٌّ ، وَهِيَ مِنْهَاجُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلِلْمُصَلِّي حُجُبُ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُدًى وَإِيمَانٌ ، وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ . (6)

عنه صلى الله عليه وآله : صَلَاةُ اللَّيْلِ مَرْضَاةُ الرَّبِّ ، وَحُجُبُ الْمَلَائِكَةِ ، وَسُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ ،

- 1- . حلية الأولياء : ج 6 ص 165 عن الحسن ، كنز العمال : ج 1 ص 433 ح 1872 وفيه «بغيته» بدل «نعيمه» في كلا الموضعين .
- 2- . غرر الحكم : ح 5166 وح 322 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 62 ح 1600 وفيهما «الذكر مجالسة المحبوب» .
- 3- . غرر الحكم : ح 5160 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 256 ح 4741 .
- 4- . الإقبال : ج 3 ص 299 ، بحار الأنوار : ج 94 ص 99 ح 13 نقلًا عن الكتاب العتيق الغروي كلاهما عن ابن خالويه .
- 5- . مصباح الشريعة : ص 22 و 23 .
- 6- . النخصال : ص 522 ح 11 عن ضمرة بن حبيب ، بحار الأنوار : ج 82 ص 231 ح 56 .

6 / 3 الجوع والصوم

وأصلُ الإيمانِ . (1)

الإمام عليّ عليه السلام في تفسيرِ مقاطعِ الأذانِ والإقامةِ_-: ومعني «قَد قامتِ الصَّلَاةُ» في الإقامةِ ، أي حانَ وَقْتُ الزِّيَارَةِ وَالْمُنَاجَاةِ ، وَقَضَاءِ الْحَوَائِجِ ، وَدَرْكِ الْمُنَى ، وَالْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِلَى كَرَامَتِهِ وَغُفْرَانِهِ وَعَفْوِهِ وَرِضْوَانِهِ . (2)

3 / 6 الْجَوْعُ وَالصَّوْمُ الإمام عليّ عليه السلام في ذِكْرِ حَدِيثِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -: قَالَ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] : يَا رَبِّ مَا مِيرَاثُ (3) الْجَوْعِ؟ قَالَ : الْحِكْمَةُ ، وَحِفْظُ الْقَلْبِ ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيَّ ، وَالْحَزَنُ الدَّائِمُ ، وَخِفَّةُ الْمُؤْمِنَةِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَقَوْلُ الْحَقِّ ، وَلَا يُبَالِي عَاشٍ بِسُرِّ أَمْ بِعُسْرٍ الصَّوْمُ يُورِثُ الْحِكْمَةَ ، وَالْحِكْمَةُ تُورِثُ الْمَعْرِفَةَ ، وَالْمَعْرِفَةُ تُورِثُ الْيَقِينَ يَا أَحْمَدُ ، إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ وَحَفِظَ لِسَانَهُ عَلِمَتْهُ الْحِكْمَةُ ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا تَكُونُ حِكْمَتُهُ حُجَّةً عَلَيْهِ وَوَبَالًا ، وَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَكُونُ حِكْمَتُهُ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَشِفَاءً وَرَحْمَةً ؛ فَيَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ وَيُبْصِرُ مَا لَمْ يَكُنْ يُبْصِرُ ، فَأَوَّلُ مَا أَبْصَرَهُ عُيُوبَ نَفْسِهِ حَتَّى يُشْغَلَ بِهَا عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ ، وَأَبْصَرَهُ دَقَائِقَ الْعِلْمِ حَتَّى لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ . (4)

1- إرشاد القلوب : ص 191 عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار : ج 87 ص 161 ح 52.

2- التوحيد : ص 241 ح 1 ، معاني الأخبار : ص 41 ح 1 كلاهما عن يزيد بن الحسن عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار : ج 84 ص 134 ح 24 .

3- في المصدر : «ميزات» ، والتصويب من بحار الأنوار .

4- إرشاد القلوب : ص 200 و ص 203 و ص 205 ، بحار الأنوار : ج 77 ص 21 ح 6 .

4 / 6 محبة الرسول الله صلي الله عليه وآله: المحبة أساس المعرفة. (1)

الإمام علي عليه السلام في ذكر حديث معراج النبي صلي الله عليه وآله: قال الله تعالى: ... أمّا الحياة الباقية، فهي التي يعمل لنفسه حتى تهون عليه الدنيا، وتصغر في عينيه، وتعظم الآخرة عنده... فإذا فعل ذلك أسكنت في قلبه حبا حتى أجعل قلبه لي، وفراغه واشتغاله وهمه وحديثه من النعمة التي أنعمت بها علي أهل محبتي من خلقي، وأفتح عين قلبه وسامعه حتى يسمع بقلبه، وينظر بقلبه إلي جلالتي وعظمتي. (2)

عنه عليه السلام في الحكيم المنسوبة إليه: من اشتاق خدام، ومن خدم اتصل، ومن اتصل وصل، ومن وصل عرف. (3)

الإمام زين العابدين عليه السلام: إلهي فاجعلنا من الذين توشحت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم... وقرت بالنظر إلي محبوبهم أعينهم. (4)

الإمام الصادق عليه السلام: وهب [الله] لأهل محبته القوة علي معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهلها. (5)

مختصر بصائر الدرجات عن يونس بن زبيان عن الصادق عليه السلام: إنما أولو الألباب الذين عملوا بالفكرة حتى ورثوا منه حب الله؛ فإن حب الله إذا ورثه القلب استضاء وأسرع

1- المواعظ العددية: ص 144 .

2- إرشاد القلوب: ص 199 و ص 204 عن الإمام علي عليه السلام، بحار الأنوار: ج 77 ص 28 ح 6 .

3- شرح نهج البلاغة: ج 20 ص 342 ح 933 .

4- بحار الأنوار: ج 94 ص 150 .

5- الكافي: ج 1 ص 153 ح 2، التوحيد: ص 354 ح 1، بحار الأنوار: ج 5 ص 156 ح 8 .

إِلَيْهِ اللَّطْفُ ، فَإِذَا نَزَلَ مَنْزِلَةَ اللَّطْفِ صَارَ مِنْ أَهْلِ الْفَوَائِدِ ، [فَإِذَا صَارَ مِنْ أَهْلِ الْفَوَائِدِ] (1) تَكَلَّمَ بِالْحِكْمَةِ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالْحِكْمَةِ صَارَ صَاحِبَ فِطْنَةٍ ، فَإِذَا نَزَلَ مَنْزِلَةَ الْفِطْنَةِ عَمِلَ بِهَا فِي الْقُدْرَةِ ، فَإِذَا عَمِلَ بِهَا فِي الْقُدْرَةِ عَرَفَ الْأَطْبَاقَ السَّبْعَةَ ، فَإِذَا بَلَغَ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ صَارَ يَتَقَلَّبُ فِكْرَهُ بِالطُّفِ وَحِكْمَةٍ وَبَيَانٍ ، فَإِذَا بَلَغَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ جَعَلَ شَهْوَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ فِي خَالِقِهِ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ نَزَلَ الْمَنْزِلَةَ الْكُبْرَى ، فَعَايَنَ رَبَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَوَرِثَ الْحِكْمَةَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَهُ الْحُكَمَاءُ ، وَوَرِثَ الْعِلْمَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَهُ الْعُلَمَاءُ ، وَوَرِثَ الصِّدْقَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَهُ الصِّدِّيقُونَ . إِنَّ الْحُكَمَاءَ وَرِثُوا الْحِكْمَةَ بِالصَّمْتِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرِثُوا الْعِلْمَ بِالطَّلَبِ ، وَإِنَّ الصِّدِّيقِينَ وَرِثُوا الصِّدْقَ بِالْخُشُوعِ وَطُولِ الْعِبَادَةِ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِمَّا أَنْ يُسْفَلَ أَوْ يُرْفَعَ ، وَأَكْثَرُهُمْ يُسْفَلَ وَلَا يُرْفَعُ إِذَا لَمْ يَرِعَ حَقَّ اللَّهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمَرَ بِهِ فَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَمْ يُحِبَّهُ حَقَّ مَحَبَّتِهِ ، فَلَا تُغَرِّتُكَ صِدْقَاتُهُمْ وَوَرَايَاتُهُمْ وَكَلَامُهُمْ وَعُلُومُهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ . ثُمَّ قَالَ : يَا يُونُسُ ، إِذَا أَرَدْتَ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ فَعِنْدَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ ؛ فَإِنَّا وَرِثْنَا ، وَأُوتِينَا شَرَعَ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ . (2)

حلية الأولياء عن إبراهيم بن أدهم : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : يَا يَحْيَى إِنَّي قَضَيْتُ عَلَيَّ نَفْسِي أَلَّا يُجِيبَنِي عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانُهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَقَلْبُهُ الَّذِي يَقَهُمْ بِهِ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بَعَّضْتُ إِلَيْهِ الْأَشْتَغَالَ بِغَيْرِي ، وَأَدَمْتُ فِكْرَتَهُ ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَهُ ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارَهُ .

1- ما بين المعقوفين سقط من المصدر، وأثبتناه من كفاية الأثر وبحار الأنوار إذ لا يصح السياق بدونه .

2- مختصر بصائر الدرجات: ص 122، كفاية الأثر: ص 257 (وقد وقع تصحيف في رقم الصفحة طبعت 253) نحوه وكلاهما عن يونس بن ظبيان، بحار الأنوار: ج 70 ص 25 ح 26.

تعليق

يا يحيى، أنا جليس قلبه وغاية أمنيته وأمله، أهب له كل يوم وساعة؛ فيتقرب مني وأتقرب منه، أسمع كلامه وأجيب تصدّعه، فوعزّتي وجلالي لأبعثه مبعثاً يغبطه به النبيون والمرسلون، ثم أمر مُنادياً يُنادي: هذا فلان بن فلان، وليّ الله وصفيّه، وخيرته من خلقه، دعاه إليّ زيارته ليشفي صدره من النظر إليّ وجهه الكريم. (1)

المحبّة البيضاء: في أخبار داوود عليه السلام: إن الله عز وجل أوحى إليه: ... يا داوود، إني خلقت قلوب المُشتاقين من رضواني، ونعمتها بنور وجهي... فقال داوود: يا ربّ، بم نالوا منك هذا؟ قال: بحسن الظنّ، والكفّ عن الدنيا وأهلها، والخلاوات بي ومناجاتهم لي، وإنّ هذا منزل لا يناله إلا من رَفَضَ الدنيا وأهلها، ولم يشتغل بشيءٍ من ذكرها، وفرغ قلبه لي، واختارني عليّ جميع خلقي، فعند ذلك أعطف عليه، فأفرغ نفسه له، وأكشفت الحجاب فيما بيني وبينه، حتّى ينظر إليّ نظر الناظر بعينه إليّ الشيء. (2)

راجع: المحبّة في الكتاب والسنة: (القسم الثاني / الفصل السابع / لقاء الله).

تعليق: إنّ حبّ الله سبحانه أحد الطرق إليّ بلوغ كمال معرفته، كما جاء في أحاديث هذا الفصل، من جهة أخرى نقرأ في الفصل السابع أنّ أول أثر لمعرفة الله - جلّ شأنه - هو حبّه، فكيف يمكن أن يكون حبّ الله طريقاً لبلوغ معرفته، ونتيجة ومحصلة لذلك في آن واحد؟

1- حلية الأولياء: ج 10 ص 82.

2- احياء علوم الدين: ج 4 ص 470 و 471؛ المحبّة البيضاء: ج 8 ص 59 و 60.

6 / 5 الانقطاع إلى الله

الجواب هو أنه لا- مرآء في أن حبه تعالي ثمره لمعرفة ؛ لأنّ الإنسان لا يمكن أن يحب من لا- يعرفه ، لكنّ حبّ الله بدوره مقدّمة لنيل درجات أعلي من معرفة الله . بتعبير آخر : كلّ درجة من المعرفة ممهّدة لحبّ أكثر ، وكلّ درجة من الحبّ مقدّمة لمعرفة أوفر ، حتّى يظفر السالك بأعلي درجات المعرفة الشهوديّة ، وهذا هو معني «المحبّة أساس المعرفة» .

6 / 5 الانقطاع إلى الله رسول الله صلي الله عليه وآله في الدعاء : إلهي من ذا الذي انقطع إليك فلم تصله؟! (1)

عنه صلي الله عليه وآله : إنّ العبد . . . إذا توجّه إلي مُصَلِّةً لِيُصَلِّ لِي ، قال الله عز وجل لِمَلَايِكَتِهِ : يَا مَلَايِكَتِي مَا تَرَوْنَ هَذَا عَبْدِي كَيْفَ قَدِ انْقَطَعَ عَنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ إِلَيَّ ، وَأَمَلَّ رَحْمَتِي وَجُودِي وَرَأْفَتِي ؟ أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أَخْتَصُّهُ بِرَحْمَتِي وَكَرَامَاتِي . (2)

الإمام عليّ عليه السلام - من مُنَاجَاتِهِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ - : إلهي هب لي كَمَالِ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ ، وَأَنْزِرْ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِيَاءِ نَظَرِهَا إِلَيْكَ ، حَتَّى تَخْرُقَ أَبْصَارَ الْقُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ ، فَتَصِلَ إِلَيَّ مَعْدِنِ الْعِظْمَةِ ، وَتَصِيرَ أَرْوَاحُنَا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ . (3)

عنه عليه السلام : الوُصْلَةُ بِاللَّهِ فِي الْإِنْقِطَاعِ عَنِ النَّاسِ . (4)

عنه عليه السلام : لَنْ تَتَّصِلَ بِالْخَالِقِ حَتَّى تَنْقَطِعَ عَنِ الْخَلْقِ . (5)

1- بحار الأنوار : ج 90 ص 342 ح 54 نقلاً عن اختيار ابن الباقي .

2- التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ص 521 و 522 ، بحار الأنوار : ج 82 ص 221 ح 42 .

3- الإقبال : ج 3 ص 299 ، بحار الأنوار : ج 94 ص 99 ح 13 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي وكلاهما عن ابن خالويه .

4- غرر الحكم : ح 1750 .

5- غرر الحكم : ح 7429 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 407 ح 6899 نحوه .

6 / 6 ولاية أهل البيت

الإمام زين العابدين عليه السلام من دُعائه يوم الجمعة: اللَّهُمَّ وَجِّدْ لِي وَصْلَةَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ ، وَاصْدُدْ قُوِي سَبَبِي عَنْ سِوَاكَ ، حَتَّى أَفِرَّ عَنْ مَصَارِعِ الْهَلَكَاتِ إِلَيْكَ ، وَأَحْتِ الرَّحْلَةَ إِلَيَّ إِثَارَكَ بِاسْتِظْهَارِ الْيَقِينِ فِيكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا عُذْرَ لِمَنْ جَهَلَكَ بَعْدَ اسْتِعْلَاءِ الشَّنَاءِ عَلَيْكَ ، وَلَا حُجَّةَ لِمَنْ اخْتَرَلَ عَنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ بِكَ مَعَ إِزَاحَةِ الْيَقِينِ مَوَاقِعَ الشُّكِّ فِيكَ ، وَلَا يَبْلُغُ إِلَيَّ فَضَائِلِ الْقِسْمِ إِلَّا بِتَأْيِيدِكَ وَتَسْيِيدِكَ ، فَتَوَلَّنِي بِتَأْيِيدٍ مِنْ عَوْنِكَ ، وَكَافَنِي عَلَيْهِ بِجَزِيلِ عَطَائِكَ . (1)

6 / 6 ولاية أهل البيت رسول الله صلي الله عليه وآله: نَحْنُ الْوَسِيلَةُ إِلَى اللَّهِ ، وَالْوَصْلَةُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ ، وَلَنَا الْعِصْمَةُ وَالْخِلَافَةُ وَالْهُدَايَةُ ، وَفِينَا التُّبُوَّةُ وَالْوِلَايَةُ وَالْإِمَامَةُ ، وَنَحْنُ مَعْدِنُ الْحِكْمَةِ وَبَابُ الرَّحْمَةِ وَشَجَرَةُ الْعِصْمَةِ ، وَنَحْنُ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى وَالْحُجَّةُ الْعُظْمَى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا نَجَا . (2)

الإمام علي عليه السلام: تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَةِ مَنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُطِيعُوهُ ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ (3) . (4)

- 1- . مصباح المتهجد : ص 396 ح 519 ، جمال الأسبوع : ص 285 كلاهما عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام ، البلد الأمين: ص 77 ، بحار الأنوار: ج 90 ص 79 ح 2 .
- 2- . بحار الأنوار : ج 25 ص 23 ح 38 نقلاً عن رياض الجنان عن جابر بن عبد الله .
- 3- . العِصْمُ : جمع عِصْمَةٍ ؛ وهي المَنْعَةُ . والكُوفَرُ : النساء الكفَّرة ؛ أي عقد نكاحهنَّ (النهاية : ج 3 ص 249) وهو كناية عن كل ما يلزم الإنسان من عقد وغيره تجاه الكافر وتجاه من لا يرضاه الله .
- 4- . مصباح المتهجد : ص 756 ح 843 ، مصباح الزائر : ص 158 ، الإقبال : ج 2 ص 258 كلَّها عن الفيض بن محمَّد بن عمر عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار : ج 97 ص 116 ح 8 .

عنه عليه السلام: نَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِي لَا يُعْرَفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا . . . إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَوْ شَاءَ لَعَرَّفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَا أَبْوَابَهُ وَصِدْرَاطَهُ وَسَبِيلَهُ وَالْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ ، فَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَا يَتَنَا أَوْ فَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَإِنَّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (1) . فَلَا سِوَاءَ مَنْ اعْتَصَمَ النَّاسُ بِهِ وَلَا سِوَاءَ ، حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونِ كَدِرَةِ يَفْرُغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونِ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا ، لَا تَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ . (2)

الإمام الباقر عليه السلام - في وصف الأئمة عليهم السلام - : هُمُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، هُمُ السَّبِيلُ الْأَقْوَمُ . . . أَمِنْ لِمَنْ التَّجَأَ إِلَيْهِمْ ، وَأَمَانٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِمْ ، إِلَيَّ اللَّهُ يَدْعُونَ . (3)

الإمام الصادق عليه السلام : إِذَا نَظَرْتَ إِلَى السَّمَاءِ فَقُلْ : سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَجَعَلَ فِيهَا سِدْرًا وَجَاعًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ، وَجَعَلَ لَنَا نُجُومًا قَبْلَةً نَهْتَدِي بِهَا إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، اللَّهُمَّ كَمَا هَدَيْتَنَا إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَيْكَ إِلَى (4) قِبَلَتِكَ الْمَنْصُوبَةِ لِخَلْقِكَ ، فَاهْدِنَا إِلَى نُجُومِكَ الَّتِي جَعَلْتَهَا أَمَانًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَلِأَهْلِ السَّمَاءِ حَتَّى تَتَوَجَّهَ بِهِمْ إِلَيْكَ ، فَلَا يَتَوَجَّهَ الْمُتَوَجِّهُونَ إِلَيْكَ إِلَّا بِهِمْ ، وَلَا يَسْلُكُ الطَّرِيقَ إِلَيْكَ مَنْ سَلَكَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَلَا لَزِمَ الْمَحَجَّةَ مَنْ لَمْ يَلْزَمْهُمْ ، اسْتَمْسَكْتُ بِعُرْوَةِ اللَّهِ الْوُثْقِيِّ ، وَاعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ . (5)

1- إشارة إلى الآية 74 من سورة «المؤمنون».

2- الكافي : ج 1 ص 184 ح 9 ، مختصر بصائر الدرجات : ص 55 ، بصائر الدرجات : ص 497 ح 8 وليس فيهما صدره إلي «معرفتنا» وكلها عن مقرر عن الإمام الصادق عليه السلام ، تفسير فرات : ص 143 ح 174 ، الاحتجاج : ج 1 ص 541 ح 129 ، تأويل الآيات الظاهرة : ج 1 ص 86 ح 71 وفيهما صدره إلي «لناكبون» وكلها عن الأصمغ بن نباتة نحوه ، بحار الأنوار : ج 24 ص 249 ح 2 .

3- اليقين : ص 319 ، تفسير فرات : ص 396 ح 527 كلاهما عن زياد بن المنذر ، بحار الأنوار : ج 23 ص 246 ح 16 .

4- في بحار الأنوار : «وإلي» .

5- الأصول الستة عشر : ص 56 عن زيد النرسي ، بحار الأنوار : ج 87 ص 186 ح 1 .

6 / 7 الاستعانة من الله

عنه عليه السلام في كتابه إلی الْمُفْضَلِ: ... وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِنَّمَا أَحَبُّ أَنْ يُعْرَفَ بِالرِّجَالِ وَأَنْ يُطَاعَ بِطَاعَتِهِمْ ، فَجَعَلَهُمْ سَبِيلَهُ وَوَجْهَهُ الَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ ، لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرَ ذَلِكَ «لَا يُسْ-ثَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْ-ثَلُّونَ» (1) . (2)

الإمام الرضا عليه السلام: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ حِجَابٍ ، وَيَنْظُرَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِغَيْرِ حِجَابٍ فَلْيَتَوَلَّ آلَ مُحَمَّدٍ ، وَلْيَتَّبِعْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَلْيَأْتَمَّ بِإِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِغَيْرِ حِجَابٍ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ اللَّهُ بِغَيْرِ حِجَابٍ . (3)

الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة: مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدَأَ بِكُمْ ، وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبِلَ عَنْكُمْ ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ (4) .

راجع: ص 40 (أهل البيت).

6 / 7 الاستعانة بالله الإمام علي عليه السلام من مُنَاجَاتِهِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ: إِلَهِي وَالْحَقْنِي بِنُورِ عَزِّكَ الْأَبْهَجِ ؛ فَأَكُونَ لَكَ عَارِفًا وَعَنْ سِوَاكَ مُنْحَرِفًا ، وَمِنْكَ خَائِفًا مُرَاقِبًا ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . (5)

1- الأنبياء: 23.

2- مختصر بصائر الدرجات: ص 83 ، بصائر الدرجات: ص 531 ح 1 كلاهما عن المفصل بن عمر ، بحار الأنوار: ج 24 ص 292 ح 1.

3- المحاسن: ج 1 ص 133 ح 165 عن بكر بن صالح ، بحار الأنوار: ج 27 ص 90 ح 42 وراجع: قرب الإسناد: ص 351 ح 1260 والأصول الستة عشر: ص 60 .

4- كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 615 ح 3213 ، تهذيب الأحكام: ج 6 ص 99 كلاهما عن موسى بن عبد الله النخعي ، عيون أخبار الرضا: ج 2 ص 276 ، المزار الكبير: ص 532 كلاهما عن موسى بن عمران النخعي ، بحار الأنوار: ج 102 ح 131 .

5- الإقبال: ج 3 ص 299 ، بحار الأنوار: ج 94 ص 99 ح 13 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي وفيه «أتحنني» بدل «ألحقني» وكلاهما عن ابن خالويه .

عنه عليه السلام من دعاء علمه نوحا البكالي: - أسألك باسمك الذي ظهرت به لخاصة أوليائك ، فوحدوك وعرفوك فعبودك بحقيقتك ، أن تُعرفني نفسك لأقرب لك برؤيتك علي حقيقة الإيمان بك ، ولا تجعلني يا إلهي ممن يعبد الاسم دون المعنى ، والحظني بلحظة من لحظاتك تُنور بها قلبي بمعرفتك خاصة ومعرفة أوليائك ، إنك علي كل شيء قدير . (1)

الإمام الحسين عليه السلام من دعائه يوم عرفة: - إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار ، فأجمعني عليك بخدمة توصلني إليك ، كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مُفتقر إليك ؟ أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ! متي غبت حتى تحتاج إلي دليل يدل عليك ! . . . وبك أستدل عليك ، فأهديني بنورك إليك . (2)

الإمام زين العابدين عليه السلام: اللهم اجعلني من الذين جدوا في قصدك فلم ينكوا ، وسلكوا الطريق إليك فلم يعدلوا ، واعتمدوا عليك في الوصول حتى وصلوا . (3)

عنه عليه السلام: اللهم صل علي محمد وآل محمد ، واجعلنا من الذين فتقت لهم رتق عظيم غواشي جفون حديق عيون القلوب ، حتى نظروا إلي تدبير حكمتك ، وشاهد حجاج بيناتك ، فعرفوك بمحصول فطن القلوب ، وأنت في غوامض سُترات حجب القلوب . فسبحانك أيعين تقوم بها نصب نورك ، أم ترقأ إلي نور ضياء قدسك ، أو أي فهم يفهم ما دون ذلك إلا الأبصار التي كشفت عنها حجب العمية ، فرقت أرواحهم علي أجنحة الملائكة ، فسماهم أهل الملكوت زوارا ، وأسماهم أهل الجبروت عمارا ،

1- بحار الأنوار : ج 94 ص 96 ح 12 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي عن نوح البكالي .

2- الإقبال (طبعة دار الكتب الإسلامية) : ص 348 ، بحار الأنوار : ج 98 ص 225 .

3- بحار الأنوار : ج 94 ص 156 ح 22 نقلاً عن أنيس العابدين .

فَتَرَدَّدُوا فِي مَصَافِّ الْمُسَدِّبِينَ ، وَتَعَلَّقُوا بِحِجَابِ الْقُدْرَةِ ، وَنَاجُوا رَبَّهُمْ عِنْدَ كُلِّ شَهْوَةٍ ، فَحَرَّقَتْ (1) قُلُوبَهُمْ حُجْبَ النُّورِ ، حَتَّى نَظَرُوا بَعِينَ الْقُلُوبِ إِلَى عِزِّ الْجَلَالِ فِي عِظَمِ الْمَلَكُوتِ ، فَرَجَعَتِ الْقُلُوبُ إِلَى الصُّدُورِ عَلَى النَّيَاتِ بِمَعْرِفَةِ تَوْحِيدِكَ ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، تَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُومًا كَبِيرًا . (2)

عنه عليه السلام : لِقَاؤُكَ فُرْةٌ عَيْنِي ، وَوَصْلُكَ مُنَى نَفْسِي ، وَإِلَيْكَ شَوْقِي ، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَلَهْيِي ، وَإِلَى هَوَاكَ صَبَابَتِي ، وَرِضَاكَ بُعْيَتِي ، وَرُؤْيُتَكَ حَاجَتِي . (3)

عنه عليه السلام : إِلَهِي فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوَلَايَتِكَ ، وَأَخْلَصْتَهُ لِدُوكَ وَمَحَبَّتِكَ ، وَشَوَّقْتَهُ إِلَيَّ لِقَانِكَ ، وَرَضَّيْتَهُ بِقَضَائِكَ ، وَمَنْحَتَهُ بِالنَّظَرِ إِلَيَّ وَجْهَكَ . . . وَخَصَّصْتَهُ بِمَعْرِفَتِكَ . . . وَآمَنُ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ عَلَيَّ . (4)

عنه عليه السلام : أَسَأَلُكَ بِسُبُحَاتِ (5) وَجْهِكَ ، وَبِأَنْوَارِ قُدْسِكَ ، وَأَبْتَهْلِ إِلَيْكَ بِعَوَاطِفِ رَحْمَتِكَ ، وَلَطَائِفِ بَرِّكَ ، أَنْ تُحَقِّقَ ظَنِّي بِمَا أَوْمَلْتُهُ مِنْ جَزِيلِ إِكْرَامِكَ ، وَجَمِيلِ إِنْعَامِكَ ، فِي الْقُرْبِيِّ مِنْكَ ، وَالزُّلْفِيِّ لَدَيْكَ ، وَالتَّمَتُّعِ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ . (6)

عنه عليه السلام : إِلَهِي فَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ تَوَشَّحَتْ أَشْجَارُ الشُّوقِ إِلَيْكَ فِي حَدَائِقِ صُدُورِهِمْ ، وَأَخَذَتْ لَوْعَةً مَحَبَّتِكَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ ، فَهَمُّهُمُ إِلَى أَوْكَارِ الْأَفْكَارِ يَاوُونَ ، وَفِي رِيَاضِ الْقُرْبِ وَالْمُكَاشَفَةِ يَرْتَعُونَ . . . قَدْ كُشِفَ الْعِطَاءُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ . . . وَانْشَرَحَتْ

1- كذا في المصدر وهو تصحيف : «فخرقت» .

2- بحار الأنوار : ج 94 ص 128 ح 19 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي .

3- بحار الأنوار : ج 94 ص 148 .

4- بحار الأنوار : ج 94 ص 148 .

5- سُبُحَاتُ وَجْهِ رَبَّنَا : جلاله و عظمته . وقيل : نوره . والمراد بالوجه : الذات (مجمع البحرين : ج 1 ص 807) .

6- بحار الأنوار : ج 94 ص 145 .

بِتَحْقِيقِ الْمَعْرِفَةِ صُدُورُهُمْ . . . وَقَرَّتْ بِالنَّظَرِ إِلَيَّ مَحْبُوبِهِمْ أَعْيُنُهُمْ . . . وَاجْعَلْنَا مِنْ أَخْصِ عَارِفِيكَ . (1)

الإمام الصادق عليه السلام_ مِنْ دُعَاءِ عَلَمُهُ زُرَّارَةَ_-: اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي . (2)

الإمام الرضا عليه السلام_ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» (3)_: اسْتِرْشَادٌ لِأَدْبِهِ ، وَاعْتِصَامٌ بِحَبْلِهِ ، وَاسْتِزَادَةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ بِرَبِّهِ وَبِعَظَمَتِهِ وَبِكِبْرِيائِهِ . (4)

راجع : ص 433 ح 4009 .

1- بحار الأنوار : ج 94 ص 150 نقلاً عن بعض كتب الأصحاب .

2- الكافي : ج 1 ص 337 ح 5 ، الغيبة للطوسي : ص 334 ح 279 ، كمال الدين : ص 342 ح 24 ، الغيبة للنعماني : ص 166 ح 6
كلها عن زرارة ، بحار الأنوار : ج 95 ص 326 ح 2 .

3- الفاتحة : 6 .

4- عيون أخبار الرضا : ج 2 ص 107 ح 1 ، علل الشرائع : ص 260 ح 9 وفيه «معتصما» بدل «اعتصام» ، كتاب من لا يحضره الفقيه :
ج 1 ص 310 ح 926 نحوه وكلها عن الفضل بن شاذان ، بحار الأنوار : ج 85 ص 54 ح 46 .

تحليل حول طرق الوصول إلي أسمي درجات معرفة الله

أولاً: ذكر الله

إشاره

تحليل حول طرق الوصول إلي أسمي درجات معرفة اللّهانّ مامرّ من النصوص تحت عنوان «طرق الوصول إلي أسمي مراتب معرفة الله (1)» يعدّ من أهمّ التعاليم في السير والسلوك إلي الله وأقومها وأضمنها ، وهو ما أُشير إليه في النصوص الإسلاميّة ، ولا يتسنّى العبور من منازل السلوك وبلوغ ذروة اليقين والمعرفة الشهوديّة إلا بالعمل بها ، وعلي هذا المنوال تبدأ حركة الإنسان نحو الكمال المطلق حقّاً وموجز القول في بيان هذه الطرق ، كما يلي :

أولاً: ذكر اللّهالاً بذكر الله سبحانه تبدأ أوّل خطوة في السير والسلوك إلي الله ، قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن تأثير ذكر الله في بناء الإنسان : «أصل صّلاح القلب اشتغاله بذكر الله» . (2) إنّ ذكر الله في الحقيقة مفتاح تزكية النفس ، ذلك أنّه يُفرغ المرء من بهيميّته ويطهر قلبه من الرذائل الأخلاقيّة ، ويُعيدّه لتلقّي نور اليقين تدريجاً ، وقد اهتمّت النصوص الإسلاميّة بالتأثير المصيريّ الحاسم لذكر الله في بناء الإنسان مفصّلاً ،

1- .راجع : ص 249 .

2- .منتقى الجمال 1 : 3 .

نشير هنا _ علي سبيل المثال _ إلي ثلاثة أقسام منها : القسم الأول : الأحاديث التي تؤكد تأثير الذكر في تهذيب القلب ووقايته من الأمراض ، كالذي نُقل عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ قال : «ذَكَرَ اللَّهُ مَطْرَدَةً لِلشَّيْطَانِ» . (1) «ذَكَرَ اللَّهُ رَأْسَ مَالٍ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَرَبْحَهُ السَّلَامَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ» . (2) «ذَكَرَ اللَّهُ دَوَاءَ أَعْلَالِ النَّفْسِ» . (3) «يَا مَنْ اسْمُهُ دَوَاءٌ وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ» . (4) القسم الثاني : الأحاديث التي تري أنّ ذكر الله تعالى يُفضي إلي شرح الصدر وتنوير القلب والفكر ، وبعث الحياة وإيجاد الحواس الباطنيّة ، والنضج والتكامل المعنويّ ككلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال : «إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ» . (5) وكلامه عليه السلام : «دَوَامُ الذِّكْرِ يُنِيرُ الْقَلْبَ وَالْفِكَرَ» . (6) وكلامه عليه السلام : «مُدَاوَمَةُ الذِّكْرِ قُوَّةُ الْأَرْوَاحِ وَمِفْتَاحُ الصَّلَاحِ» . (7)

-
- 1- .غرر الحكم : ح 3083 .
 - 2- .غرر الحكم : ح 5162 .
 - 3- .غرر الحكم : ح 5171 .
 - 4- .غرر الحكم : ح 5169 .
 - 5- .مصباح المتهدّد : ص 361 .
 - 6- .نهج البلاغة : الخطبة 222 .
 - 7- .غرر الحكم : ح 5144 .

القسم الثالث : الأحاديث التي تنصّ علي أنّ ثمرة ذكر الله هي معرفة الله ، والأنس به ومحبته ، كالمأثور عن النبيّ صلي الله عليه وآله ، قال : «مَنْ أَكثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّهُ اللَّهُ» . (1) وقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «الذِّكْرُ مِفْتَاحُ الْأُنْسِ» . (2) إنّ جميع الأحاديث التي مرّت في الباب الأوّل والثاني من هذا الفصل أيضا ، وفي هذا الضوء ، ذكر الله في الخطوة الأولي من خطوات السلوك يصقل مرآة القلب من صدأ الأخلاق الرديئة وسيئات الأعمال ، وفي الخطوة الثانية يمهد الأرضية لانعكاس المعارف الشهوديّة فيه بعد تنويره ، ومن ثمّ الظفر بمعرفة الله ومحبته . وبالنظر إلي عطيات ذكر الله وبركاته وتأثيره الهامّ في بناء الإنسان والمجتمع التوحديّ ، أكّد القرآن الكريم والأحاديث المأثورة كثرة الذكر ، بل استمراره وديمومته مرارا ، قال تعالي : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (3) . وقال سبحانه : «فَإِذَا فَصَّيْتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِي مَا وَقَعْتُمْ وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ» (4) . وقال جلّ شأنه :

-
- 1- .غرر الحكم : ح 9832 .
 - 2- .الكافي : ج 2 ص 500 ح 3 عن داوود بن سرحان عن الإمام الصادق عليه السلام ، الزهد للحسين بن سعيد : ص 55 ح 148 عن عبدالرحمن بن الحجاج عن الإمام الصادق عليه السلام عنه صلي الله عليه وآله ، بحار الأنوار : ج 93 ص 160 ح 39 .
 - 3- .غرر الحكم : ح 541 .
 - 4- .الأحزاب : 41 .

1. استمرار الذكر وديمومته

«الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ» (1). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلا وله حدٌّ ينتهي إليه، إلا الذكر فليس له حدٌّ ينتهي إليه... ثم تلا قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (2). ومن الضروري الالتفات إلى النقاط الآتية فيما يتعلق بتأثير الذكر في بناء الإنسان:

1. استمرار الذكر وديمومته إن ما يُفضي إلى ظهور معطيات الذكر في تخلية القلب وتجليه وبلوغ المعرفة الشهودية هو استمرار الذكر وديمومته، كما صرح به عدد من النصوص المتقدمة، ولعلّ الخروج من الظلمات والدخول إلى عالم النور في الآية الثانية والأربعين من سورة الأحزاب بعد الأمر بكثرة الذكر يعود إلى هذا السبب، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» (3). من هنا، فإنّ الذكر الذي لا ديمومة له ولا يتمكن من القلب يتعدّر عليه أن يقوم بدور في مسير المعرفة الشهودية. لقد قدم الفقيه والمحدث الكبير المرحوم الفيض الكاشاني رحمه الله خمسة وعشرين تعليماً في رسالة «زاد السالك» أجاب فيها عن رسالة أحد العلماء، وقد سأله عن

1- النساء: 103.

2- آل عمران: 191.

3- الأحزاب: 41_43.

2. أتم مصاديق الذكر

كيفية سلوك طريق الحق، حيث قال في التعليم الثامن عشر: إن الانشغال بقدر من الأذكار والأوراد في أوقات معينة، ولا سيما بعد فريضة الصلاة، وترويض اللسان علي ذكر الحق تعالي في أغلب الأحيان ما أمكن، ولو كانت الجوارح منهمكة بأمرٍ أُخري، فتلك سعادة نعيمًا وأثر عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أن لسانه كان مترطبًا بالكلمة الطيبة المتمثلة بالتهليل؛ قول: «لا إله إلا الله»؛ وذلك عند أكله، وكلامه، ومشيه، وما شابهها (1). إذ إن هذا ممدد لكلّ سالك وعون قويّ له، وإذا اقترن الذكر القلبيّ بالذكر اللسانيّ، فستفتح له الأبواب وتُقبل عليه البركات خلال مدّة قليلة، وعليه أن يسعي في ذكر الحقّ دوماً وأبداً ما استطاع إلي ذلك سبيلاً؛ لئلا يغفل عن الله سبحانه، إذ إن أيّ عمل لا يقوم مقام الذكر الدائم في السلوك، وهذا مدد قويّ في ترك مخالفة الحقّ سبحانه في ارتكاب المعاصي (2).

2. أتم مصاديق الذكر الصلاة أتم مصاديق الذكر، والآية الكريمة «أقم الصلوة لذكرى» (3) تشير إلي هذه النقطة الدقيقة، وإذا أُقيمت الصلاة بأدابها وشروطها بخاصة حضور القلب، فإنّها في الخطوة الأولى تُبعد جميع الرذائل والأدناس عن الإنسان، وتجعله متّصفاً بصفة التقوي. وفي الخطوة الثانية، توصل السالك إلي بساط المعرفة الشهودية والقرب وحبّ

1- ومتن الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، كما يأتي: «كان أبي كثير الذكر. لقد كنتُ أمشي معه وإنّه ليذكر الله، وأكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله. وكنتُ أري لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله». الكافي: ج 2 ص 498.

2- دة رساله (بالفارسية) للفيض الكاشاني، إعداد: رسول جعفریان: ص 86.

3- عدّة الأصول 1: 337 _ 338.

3 . حقيقة الذكر

4 . شرط الانتفاع بالذكر

اللَّهِ ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَدَّ «نور المعرفة» (1) من بركات الصلاة ، وشبَّهها الإمام عليّ عليه السلام بمعراج الروحِ إلي «الوصولِ إلي الله» (2) وزيارته .

3 . حقيقة الذكر النقطة الأخرى هي أنّ حقيقة الذكر ، هي الشعور بالحضور في رحاب الله _ جلّ جلاله _ ، من هنا فإنّ الذكر اللفظي بلا توجه قلبي لا يؤثر في تنوير القلب تأثيراً يذكر . وآية التوجّه القلبيّ إلي خالق الكون الشعور بالمسؤوليّة في جميع المجالات ، والذكر بهذا المعني بخاصّة استمراره وديمومته صعب مستصعب ، كما قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه : «ألا أخبرُكَ بأشدّ ما فرضَ اللهُ عز و جل عليّ خلقه [ثلاث] ؟ قُلْتُ : بلي . قال : إنصافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، ومُؤاساتُكَ أَخاكَ ، وذكُرُ اللهِ في كُلِّ مَوْطِنٍ . أما إنّي لا أقولُ : سُبْحانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، ولا إلهَ إِلا اللهُ ، واللهُ أَكْبَرُ ، وإن كانَ هذا مِن ذاك ، ولَكِنْ ذكُرُ اللهِ _ جَلَّ وَعَزَّ _ في كُلِّ مَوْطِنٍ إذا هَجَمْتَ علي طاعةٍ أو علي مَعْصِيَةٍ» (3) .

4 . شرط الانتفاع بالذكران من الشروط المهمّة لقبول الصلاة والاستمتاع ببركاتها التي أكّدها النصوص الإسلامية هي الزكاة ، من هنا يدعو القرآن الكريم النَّاسَ إلي إيتاء الزكاة مع إقامة الصلاة ، لقد قال الإمام الرضا عليه السلام في هذا الشأن :

1- طه : 14 .

2- راجع : ص 250 ح 3647 .

3- الكافي : ج 2 ص 145 ح 8 عن الحسن البزاز .

ثانيا : رعاية آداب الطعام

اشاره

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِثَلَاثَةٍ مَقْرُونٍ بِهَا ثَلَاثَةٌ أُخْرَى : أَمَرَ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يُزَكِّ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلَاتُهُ...» (1) . وبلغ إيتاء الزكاة من التأثير في الإفادة من معطيات الصلاة مبلغاً أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال فيه : «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا زَكَاةَ لَهُ» (2) . ومن الحرّيّ بالذكر أنّ الزكاة في مفهومها العام تشمل مطلق الحقوق الماليّة الواجبة والمستحبّة ، لذلك حينما سئل الإمام الصادق عليه السلام : في كم تجب الزكاة من المال؟ قال : «الزَّكَاةُ الظَّاهِرَةُ أَمْ الْبَاطِنَةُ تُرِيدُ؟» قال : أُرِيدُهُمَا جَمِيعًا ، فَقَالَ : «أَمَّا الظَّاهِرَةُ فَفِي كُلِّ أَلْفٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَلَا تَسْتَأْثِرُ عَلَيَّ أَخِيكَ بِمَا هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ (3) مِنْكَ» (4) . من هنا ، يتسنّى لنا أن نقول : إنّ مطلق الإحسان إلى النّاس ، وحلّ معضلاتهم لوجه الله تعالى شرط للانتفاع التام ببركات مطلق الذكر ، وعلي رأسها الصلاة .

ثانيا : رعاية آداب الطعام لقد أشرنا إلى أنّ ذكر الله عز و جل غذاء الروح ، وكلّما ازداد هذا الغذاء فيها زادت قوتها ، وعظم صفاء القلب ونورانيته ، وعلي العكس من ذلك الأغذية الماديّة ، فكلّما أكثر الإنسان منها تضاعف ضررها علي جسمه وروحه ، والاكتفاء بالمقدار الضروريّ

- 1- . معرفة علوم الحديث : 2 .
- 2- . بحار الأنوار : ج 96 ص 12 ح 17 .
- 3- . مشكاة الأنوار : ص 96 ح 212 .
- 4- . في المصدر : «إليك» ، وهو تصحيف .

1 . الطَّعام الحلال وصفاء القلب

2 . قلة الطعام وتنوير القلب

من الزاد يضمن صحّة الإنسان جسما وروحا . ويمكن أن نقسّم الأحاديث المأثورة عن تأثير الأكل علي السير والسلوك والمعرفة إلي أربعة أقسام :

1 . الطَّعام الحلال وصفاء القلبالقسم الأوّل : الأحاديث التي تنصّ علي أنّ تناول الغذاء الحلال يُفضي إلي صفاء القلب واستنارته ، كما رُوي عن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم : «مَنْ أَكَلَ مِنْ الْحَلَالِ صَفَا قَلْبُهُ وَرَقَّ» (1) . «مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَأَجْرِي يَنْبِيعَ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَي لِسَانِهِ» (2) .

2 . قلة الطعام وتنوير القلبالقسم الثاني : الأحاديث التي تذهب إلي أنّ قلة الطعام والجوع باعثان علي تنوير القلب ، كالذي أُثر عن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم . قال : «إِذَا أَقَلَّ الرَّجُلُ الطُّعْمَ مُلِيَ جَوْفُهُ نَوْرًا» (3) . وقال : «نَوَّرَ الْحِكْمَةَ الْجُوعُ» (4) .

1- .معرفة علوم الحديث : به ، مقدّمة المصحح .

2- .مجمع البحرين : ج 1 ص 447 .

3- .الفردوس : ج 1 ص 290 ح 1138 عن أبي هريرة ، وراجع المعجم الأوسط : ج 5 ص 229 ح 5165 وتنبيه الخواطر : ج 2 ص 229 والدعوات : ص 77 ح 187 .

4- .تاريخ دمشق : ج 19 ص 447 ح 4546 ، الفردوس : ج 4 ص 247 ح 6730 كلاهما عن أبي هريرة ، إحياء علوم الدين : ج 3 ص 129 ؛ مكارم الأخلاق : ج 1 ص 320 ح 1024 ، جامع الأخبار : ص 515 ح 1452 ، روضة الواعظين : ص 500 وفيه «الحكمة والمعرفة» .

3 . تأثير الصيام في المعرفة الشهودية

4 . الحافظ الرباني علي الأكل واستنارة القلب

3 . تأثير الصيام في المعرفة الشهودية القسم الثالث : الأحاديث التي تری أنّ الصيام سبب في وصول الإنسان إلي درجة اليقين ، كما جاء في حديث المعراج : « الصوم يورث الحكمة ، والحكمة تورث المعرفة ، والمعرفة تورث اليقين » (1) . جدير بالذكر أنّ اليقين أعلى مراتب الإيمان ، وهو المعرفة الشهودية نفسها .

4 . الحافظ الرباني علي الأكل واستنارة القلب القسم الرابع : الأحاديث التي توصي بامتلاك دافع رباني في كلّ عمل ، ومنها الأكل ، كالذي نقل عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم قوله في وصيته لأبي ذرّ : « يا أبا ذرّ ليكن لك في كلّ شيء نيةً صالحةً ، حتّي في النّوم والأكل » (2) . إنّ ثمره الإخلاص في جميع الأعمال استنارة البصيرة ، كما زوي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « عند تحقّق الإخلاص تستنير البصائر » (3) . وهذه الدرجة من الإخلاص إذا تواصلت أربعين يوماً ، فإنّ القلب يستنير ويظفر بالمعارف الحقيقية الأصيلة حتّي تجري ينابيع الحكمة علي لسان صاحبه . قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم :

1- . توضيح الأفكار 1 : 38 _ 39 مقدّمة التحقيق .

2- . مكارم الأخلاق : ج 2 ص 370 ح 2661 ، بحار الأنوار : ج 77 ص 82 ح 3 .

3- . غرر الحكم : ح 6211 .

ثالثا : ولاية أهل البيت

1 . تأثير أهل البيت في معرفة الله

«ما أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ صَبَّاحًا إِلَّا جَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَيَّ لِسَانِهِ» (1) . وإذا كان السالك صائما في هذه الأيام الأربعين ، فلا ريب في أن بلوغ المقصد سيكون أقرب ، كما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله : «مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَّاحًا ، يَأْكُلُ الْحَلَالَ ، صَائِمًا نَهَارَهُ ، قَائِمًا لَيْلَهُ ، أَجْرِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَيَّ لِسَانِهِ» (2) .

ثالثا : ولاية أهل البيت طريق التوحيد والسلوك إلى المعرفة الشهودية والكمال المطلق صعب مستصعب ، وفيه قُطَاعٍ طَرِيقٍ كَثِيرُونَ ، فقطعه بلا توجيه وإرشاد ومؤازرة من القادة الربانيين الذين بلغوا الهدف وعصموا من الزلل _ وهم رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام _ عمل خَطِرٌ مُوَبَّقٌ ، بل مُحَالٌ ، فمن المهم هنا الالتفات إلى ثلاث نقاط وهي ، كما يأتي :

1 . تأثير أهل البيت في معرفة الله في ضوء الأحاديث الملحوظة ، إن أهل البيت هم أبواب معرفة الله وسبل الوصول إلى رضوانه ، أي : إنهم وحدهم المحيطون بالمعارف الإسلامية الأصيلة ، وهم الذين يستطيعون أن يعرفوا الناس بخالقهم الحقيقي ، ويهدونهم حتى بلوغ أسمى مراتب التوحيد علي أساس تعاليم الوحي ، كما نخطبهم بذلك في الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام :

1- . عيون أخبار الرضا : ج 2 ص 69 ح 321 عن دارم بن قبيصة النهشلي عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام ، عدّة الداعي : ص 218 ، بحار الأنوار : ج 70 ص 242 ح 10 ؛ الزهد لابن المبارك : ص 359 ح 1014 ، عيون الأخبار لابن قتيبة : ج 2 ص 119 ، حلية الأولياء : ج 10 ص 70 كلّها عن مكحول وج 5 ص 189 عن أبي أيوب الأنصاري ، مسند الشهاب : ج 1 ص 285 ح 466 عن ابن عباس وكلّها نحوه .

2- . مسند زيد : ص 384 عن زيد بن عليّ عن أبيه عن جدّه عليهما السلام .

2. تأثير أهل البيت في الهداية الباطنية للإنسان

«بِمُؤَالَاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا» (1).

2. تأثير أهل البيت في الهداية الباطنية للإنسان دراسة دقيقة للنصوص الإسلامية الماثورة في الإمامة والقيادة تدلّ على أنّ تأثير أهل البيت، وبعمامة الكُمَّل في كلّ عصر الذين يسمّون الأئمّة في هداية الناس هو أكثر من إراءة الطريق إلي الكمال المطلق، بل يضاف إلي الهداية العامة، إنّ الإمام يرافق المستعدين ويمدّهم في قطع الطريق وبلوغ الهدف أيضا، أي: إنّ نفوس أولئك المستعدين تترّبي بقبس الأنوار الباطنية للإمام تكوينيا، وتسير صوب الكمال المطلق. لقد نقل المرحوم الكليني - رضوان الله عليه - في باب «الأئمّة نور الله» من كتابه الجليل «الكافي» ستّ روايات فسّرت فيها كلمة «النور» في عدد من الآيات القرآنية بأئمّة أهل البيت، منها رواية نقلها أبو خالد الكابلي، فقال: سألت أبا جعفر [الإمام الباقر عليه السلام] عن قوله تعالى: «فَـثَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا» (2) فقال: «النورُ وَاللَّهُ الْأَيْمَةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ وَاللَّهُ نُورُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ، وَهُمْ وَاللَّهُ نُورُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ لِنُورِ الْإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنْ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ؛ وَهُمْ وَاللَّهُ يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَحْجُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ فَتُظْلِمُ قُلُوبُهُمْ؛ وَاللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ لَا يُحِبُّنَا عَبْدٌ وَيَتَوَلَّانَا حَتَّى يُطَهَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ...» (3). فمن وحي هذا الكلام نعرف أنّ الإمام كالشمس الساطعة تشعّ على الباطن

1- تهذيب: الأحكام: ج 6 ص 100 ح 177؛ كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 616 ح 3213 كلاهما عن موسى بن عبد الله النخعي.

2- التنغابن: 8.

3- الكافي: ج 1 ص 194 ح 1.

الخافي للعالم أكثر ممّا تشعّه الشمس المحسوسة، وتُتبر ملكوت السّموات والأرض وسرائر المؤمنين . وهذا النور لا يُبين طريق السير والسلوك لهم فحسب، بل يرافقهم حتّى بلوغ الهدف . بعبارة أُخري: كما أنّ الشمس المحسوسة _ فضلاً عن إضاءتها _ تؤثر في التكامل المادّي للإنسان تكوينيّاً، فإنّ الشمس المعنويّة للإمام _ مضافاً إليّ إرشادها التشريعيّ _ تؤثر في التكامل المعنويّ للإنسان تكوينيّاً أيضاً . إنّ العلامة الطباطبائيّ _ رضوان الله عليه _ يقول في هذا الشأن: «أطلق القرآن الكريم كلمة الإمام عليّ من له درجات القرب، وكان أميراً لقافلة أهل الولاية، وحافظاً لارتباط الإنسانية بهذه الحقيقة، فالإمام هو الذي اصطفاه الله سبحانه للسير بصراط الولاية قدماً، وهو الذي أمسك بزمام الهداية المعنوية، وعندما تشعّ الولاية في قلوب العباد فإنّها أشعة وخطوط ضوئيّة من منبع النور الذي عنده، والمواهب المتفرّقة روافد متصلة ببحره اللامتناهي» (1) . «وبالجمله فالإمام هادٍ يهدي بأمر ملكوتيّ بصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للنّاس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إليهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد إراءة الطريق الذي هو شأن النبيّ والرسول وكلّ مؤمن يهدي إليّ الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة» (2) . بكلام آخر: إنّ الهداية الباطنيّة النورانيّة التي تنهياً للإنسان إثر قيامه بالواجبات الإلهيّة تُفّاض عليه بواسطة الإنسان الكامل والإمام (3)، من هنا، لا تفعل الأعمال الصالحة في تكامل الإنسان فعلها بلاصلة معنويّة به، ولهذا عدّت ولاية أهل البيت

1- .خلافت وولايت (بالفارسية): ص 380 .

2- .الميزان في تفسير القرآن: ج 1 ص 272 .

3- .لمزيد من التوضيح راجع: القيادة في الإسلام: ص 73 (القيادة الباطنيّة) .

3. التأثير المتبادل لمعرفة الله ومعرفة أهل البيت

شرطاً لقبول الأعمال ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَقِيَ اللَّهَ بِعَمَلٍ سَبْعِينَ نَبِيًّا ثُمَّ لَمْ يَأْتِ بِوَلَايَةِ أَوْلِي الْأَمْرِ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» . (1) ونقرأ في الزيارة الجامعة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام : «وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ ، وَلَكُمْ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ» . (2) أجل ، ببركة ولاية أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم يستطيع السالك أن يظفر بأعلي مراتب التوحيد والمعرفة الشهودية ، كما قال الإمام الرضا عليه السلام : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ اللَّهُ بِغَيْرِ حِجَابٍ ، وَيَنْظُرَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِغَيْرِ حِجَابٍ فَلْيَتَوَلَّ آلَ مُحَمَّدٍ ، وَلْيَتَّبِرْ مِنْ عَدُوِّهِمْ» . (3)

3 . التأثير المتبادل لمعرفة الله ومعرفة أهل البيتالمنقطة الأخرى اللافتة للنظر فيما يخص تأثير أهل البيت في معرفة الله هي تأكيد عدد من الروايات _ كما لوحظ (4) _ أن معرفة الله عز وجل لا تيسر إلا عن طريق معرفة أهل البيت عليهم السلام ، ومن جهة أخرى ، جاء في بعض الروايات أن معرفة أهل البيت متأخرة عن معرفة الله ، ونقرأ في دعاء علمه الإمام الصادق عليه السلام زيارته قوله : «اللَّهُمَّ عَرَّفَنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ ، اللَّهُمَّ عَرَّفَنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ ، اللَّهُمَّ عَرَّفَنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي» . (5)

1- .الأمالى للمفيد : ص 115 ح 8 عن مرآزم عن الإمام الصادق عليه السلام .

2- .تهذيب الأحكام : ج 6 ص 99 ح 177 ؛ كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 2 ص 616 ح 3213 كلاهما عن موسى بن عبد الله النخعي

3- .راجع : ص 258 ح 3672 .

4- .راجع : ص 40 «أهل البيت» و 256 «ولاية أهل البيت» .

5- .راجع : ص 261 ح 3682 .

رابعا: الاستعانة بالله

إشاره

وأبَيَّنْ من هذا الكلام ، حين سأل رئيس النصاري أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً : عرفتَ الله بمحمدٍ ، أم عرفتَ محمدًا بالله ؟ فقال عليه السلام : « ما عَرَفْتُ الله بِمُحَمَّدٍ صلي الله عليه وآله وسلم ، وَلَكِنْ عَرَفْتُ مُحَمَّدًا صلي الله عليه وآله وسلم بِاللَّهِ ... » . (1) فكيف يمكن الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات؟ الجواب هو أن هذه الأحاديث تعبر عن التأثير المتبادل لمعرفة الله ومعرفة أهل البيت ، فمن جهة معرفة النبي صلي الله عليه وآله وأهل بيته ، كما جاء في الحديث أعلاه فرع من معرفة الله ، ذلك أن النبوة لا تكتسب معناها إلا بعد إثبات وجود الله ، ومن جهة أُخري ، ما لم يدعُ الأنبياءُ النَّاسَ إلي معرفة الله ، وما لم يهيئوا أرضية التفكير في براهين التوحيد بين ظهراني النَّاسِ ، لا يتوجه أحد صوب معرفة الله عز وجل ، حينئذٍ _ كما بيَّنا _ لا يتسنى نيل الدرجات العليا من معرفة الله إلا عن طريق تعليمات النبي صلي الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وإرشاداتهم . علي هذا الأساس لا تعارض بين الطائفتين من الروايات المشار إليها ، أي : في البداية يدعو الأنبياءُ وأوصياؤهم النَّاسَ إلي معرفة الله علي أساس البرهان ، وبعد أن عرفوا الله سبحانه تدعوهم عقولهم إلي اتباع رسل الله والقادة الربانيين ، ويمهد أئمة الدين الأرضية لتعالى الإنسان وبلوغ الدرجات العليا من مراتب معرفة الله .

رابعا : الاستعانة باللّهانّ التعليم الرابع في السلوك إلي الله هو التصرّع إلي الله _ جلّ شأنه _ والاستعانة به ، وللدعاء في إيصال السالك إلي الهدف طريقيّة وموضوعيّة ، وتعود طريقيّته إلي أنّه مصدر توفيق الإنسان للقيام بسائر برامج السلوك ، أمّا موضوعيّته فتؤول إلي أنّه لُبُّ

1. الدعاء مع السعي

العبادة (1). بل يمكن أن نقول إذا تحققت شروط الدعاء فإنه من أقرب طرق الوصول إلي الهدف ، بل هو نفسه الطريق الأقرب إلي ذلك ، كما قال تعالى : «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسِّرْ لِي وَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» (2) . من هنا ، يعبر الأنبياء وأولياء الله أهمية خاصة للدعاء ومناجاة الله سبحانه ، وكانوا يستمدونه قبل غيرهم . قال الإمام الباقر عليه السلام _ في تفسير قوله تعالى : «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» _ : «الأوَّاهُ هُوَ الدَّعَاءُ» (3) . قال الإمام الصادق عليه السلام في جدّه أمير المؤمنين عليه السلام : «كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا دَعَاءً» (4) . وما ورد في الباب السابع من هذا الفصل ، نموذج من أدعية أهل البيت عليهم السلام التي ترشدنا إلي الحصول علي مراتب عالية من معرفة الله _ جلّ شأنه _ . وبشأن هذا الأمر نقطتان جديرتان بالاهتمام ، هما :

1 . الدعاء مع السعي النقطة الأولى هي أنّ الدعاء يُثمر إذا رافقه السعي وبذل غاية الجهد للقيام بسائر التعاليم المشار إليها ، بل لا تتحقّق حقيقة الدعاء إلا بالمجاهدة ، لذا قال الإمام

1- . كما روي عن النبيّ صلي الله عليه و آله : «الدعاء معّ العبادة» ، بحار الأنوار : ج 93 ص 300 .

2- . البقرة : 186 .

3- . الكافي ج 2 ص 466 ح 1 عن زرارة .

4- . الكافي : ج 2 ص 468 ح 8 عن ابن القدّاح .

2. أهم شروط الدعاء

خامسا : إحياء العقل وإماتة النفس

الرضا عليه السلام في حديث عنه : «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَلَمْ يَجْتَهِدْ فَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِنَفْسِهِ» (1) . 2 . أهم شروط الدعاء لاستجابة الدعاء شروط فصّلتها الأحاديث والروايات المأثورة (2) ، لكن أهمها الإخلاص ، وموافقة القلب للسان بخاصة الانقطاع (3) عن الأسباب والتوجه التام إلي المولي الحقّ عظم شأنه ، بل إنّ سائر الشروط مقدّمة لتحقيق هذه الحالة عند المتضرّع الداعي ، كما نقل عن النبيّ صلي الله عليه وآله أنّه قال في جواب من طلب منه الاسم الأعظم حتّي يُستجاب دعاؤه : «كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ، فَفَرَّغْ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَادْعُهُ بِأَيِّ اسْمٍ شِئْتِ» . (4) إنّ أفضل عامل للانقطاع عن غير الله عشقه ومحبّته سبحانه. وإكسیر المحبّة يستقطب السالك إلي الله استقطابا يقطع آصرة روحه عن كلّ ما سواه ، وكلّما زاد الحبّ زادت حالة الانقطاع عن غير الله وتضاعف الاتّصال بمعدن العظمة .

خامسا : إحياء العقل وإماتة النفس تنامي القوي العقلية للسالك إلي الله تدريجا بتطبيقه التعاليم الأربعة التي مرّ شرحها ، وتموت فيه الأهواء البهيمية إلي أن يبلغ نقطة يقول إمام العارفين وأمير المؤمنين _ صلوات الله وسلامه عليه _ في وصفه لها : «قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ ، وَلَطْفَ غَلِيظُهُ ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرٌ

1- . كنز الفوائد : ج 1 ص 330 عن أيّوب بن نوح ، بحار الأنوار : ج 78 ص 356 ح 11 .

2- . راجع : نهج الدعاء : «الباب الثاني : شروط الإجابة» و ميزان الحكمة : ج 3 «باب 1205 شرائط استجابة الدعاء» .

3- . راجع : ص 438 ح 4025 .

4- . راجع : ص 462 ح 4072 .

البرقِ ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَدَّ لَكَ بِهِ السَّبِيلَ ، وَتَدَا فَعَتُهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ ، وَدَارِ الْإِقَامَةِ ، وَثَبَّتَ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ ، وَأَرْضَى رَبَّهُ» (1) . إلهي أيها المَنَّانُ بالجسيمِ الرحمنِ الرحيمِ بحرمةِ أنبيائكِ وأوليائكِ وبحقِّ محمَّدٍ وأهلِ بيتهِ _ صلواتكِ عليه وعليهم _ أن تمنَّ عليّ ذِي القلمِ الكسيرِ عبدكِ البائسِ المتهتِكُ بالتوفيقِ للسلوكِ نحوكِ ، وتُذيقه حلاوةِ معرفتكِ الحقيقيَّةِ ، وتصونه من شديدِ اللومِ الذي تخاطبُ به عبادكِ بقولكِ : «لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» ، ولا تفضحه في الدارينِ . اللَّهُمَّ اجعلني من الذين جدّوا في قصدكِ فلم يَنكَلوا ، وسلَكوا الطريقِ إليكِ فلم يعدلوا ، واعتمدوا عليكِ في الوصولِ حتّي وصلوا فرويت قلوبهم من محبَّتِكِ ، وأنست نفوسهم بمعرفتكِ فلم يقطعهم عنك قاطع ، ولا منعهم عن بلوغِ ما أمّلوهُ لديكِ مانع ، فهم فيما اشتتت أنفُسهم خالِدون ولا يحزنهم الفزعُ الأكبرُ وتلقّاهم الملائكةُ هذا يومكم الذي كنتم توعدون .

الفصل السابع: آثار معرفة الله

7 / 1 محبة الله

الفصل السابع: آثار معرفة الله 7 / 1 محبة الله الكتاب «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» . (1)

الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله في دعاء الجوشن الكبير: يا مَنْ هُوَ غَايَةُ مُرَادِ الْمُرِيدِينَ ، يَأْمَنُ هُوَ مُنْتَهَى هِمَمِ الْعَارِفِينَ ، يَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى طَلَبِ الطَّالِبِينَ . (2)

الإمام علي عليه السلام في الدعاء: يا أَمَلَ الْعَارِفِينَ ، وَرَجَاءَ الْأَمِلِينَ . (3)

عنه عليه السلام: الشَّوْقُ خُلْصَانُ الْعَارِفِينَ . (4)

1- البقرة: 165 .

2- البلد الأمين: ص 411 ، المصباح للكفعمي: ص 348 ، بحار الأنوار: ج 94 ص 397 .

3- بحار الأنوار: ج 87 ص 242 ح 51 ، مستدرک الوسائل: ج 6 ص 341 ح 6958 كلاهما نقلاً عن مصباح السيّد ابن الباقي .

4- غرر الحكم: ح 855 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 40 ح 923 .

عنه عليه السلام_ في خُطْبَةٍ لَهُ فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ_- وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَّهِ (1) إِلَيْهِ ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَدَّ رِبْوَا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ (2) قُلُوبِهِمْ وَشَيْجَةِ (3) خَيْفَتِهِ . (4)

عنه عليه السلام : الشُّوقُ شَيْمَةٌ الْمُوقِنِينَ (5) .

عنه عليه السلام_ فِي دُعَائِهِ_- : يَا غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَعِيثِينَ ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ (6) .

الإمام الحسن عليه السلام : مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَحَبَّهُ (7) .

الإمام زين العابدين عليه السلام : إلهي ما أَلَذَّ خَوَاطِرَ الْإِلَهَامِ بِذِكْرِكَ عَلَيَّ الْقُلُوبِ! وما أَحْلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكَ بِالْأَوْهَامِ فِي مَسَالِكِ الْغُيُوبِ! وما أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ! وما أَعَذَّبَ شِرْبَ قُرْبِكَ! فَأَعِزَّنَا مِنْ طَرْدِكَ وَإِعَادِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَخْصِ عَارِفِكَ. (8)

مصباح الشريعة_ فيما نسب إلى الإمام الصادق عليه السلام_- نَجْوَى الْعَارِفِينَ تَدْوُرُ عَلَيَّ

1- الوَلَّه : ذهاب العقل ، والتحيّر من شدة الوجد (النهاية : ج 5 ص 227) .

2- سويداء القلب : حَبَّتِهِ (لسان العرب: ج 3 ص 227) .

3- الوُشَيْجَةُ : عرق الشجرة في الأصل ، وتُستعار للمبالغة في الخوف (مجمع البحرين : ج 3 ص 1938) .

4- نهج البلاغة : الخطبة 91 عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 57 ص 110 ح 90 .

5- غرر الحكم : ح 663 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 32 ح 547 وفيه «المؤمنين» بدل «الموقنين» .

6- مصباح المتهجد: ص 847 ، إقبال الأعمال: ج 3 ص 335 كلاهما عن كميل بن زياد النخعي ، البلد الأمين: ص 190 .

7- تنبيه الخواطر : ج 1 ص 52 .

8- بحار الأنوار : ج 94 ص 151 نقلاً عن بعض كتب الأصحاب .

ثَلَاثَةٌ أُصُولٌ : الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالْحُبُّ ؛ فَالْخَوْفُ فَرْعُ الْعِلْمِ ، وَالرَّجَاءُ فَرْعُ الْيَقِينِ ، وَالْحُبُّ فَرْعُ الْمَعْرِفَةِ (1) ؛ فَدَلِيلُ الْخَوْفِ الْهَرَبُ ، وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ الطَّلَبُ ، وَدَلِيلُ الْحُبِّ إِثَارُ الْمَحْبُوبِ عَلَيَّ مَا سِوَاهُ ؛ فَإِذَا تَحَقَّقَ الْعِلْمُ فِي الصَّدْرِ خَافَ ، وَإِذَا صَحَّ الْخَوْفُ هَرَبَ ، وَإِذَا هَرَبَ نَجَا وَإِذَا أَشْرَقَ نَوْرُ الْيَقِينِ فِي الْقَلْبِ شَاهَدَ الْفَضْلَ ، وَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُ رَجَا ، وَإِذَا وَجَدَ حَلَاوَةَ الرَّجَاءِ طَلَبَ ، وَإِذَا وُفِّقَ لِلطَّلَبِ وَجَدَ ، وَإِذَا تَجَلَّى ضِيَاءُ الْمَعْرِفَةِ فِي الْفُؤَادِ هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ ، وَإِذَا هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ اسْتَأْنَسَ فِي ظِلَالِ الْمَحْبُوبِ ، وَأَثَرَ الْمَحْبُوبِ عَلَيَّ مَا سِوَاهُ . (2)

مصباح الشريعة_ فيما نسب إلي الإمام الصادق عليه السلام_ : العارفُ شَخْصُهُ مَعَ الْخَلْقِ وَقَلْبُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَوْ سَهَا قَلْبُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرْفَةً عَيْنٍ لَمَاتَ شَوْقًا إِلَيْهِ ، وَالْعَارِفُ أَمِينٌ وَدَائِعُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَنَزُ أَسْرَارِهِ ، وَمَعْدِنُ نَوْرِهِ ، وَدَلِيلُ رَحْمَتِهِ عَلَيَّ خَلْقِهِ ، وَمَطِيئَةُ عُلُومِهِ ، وَمِيزَانُ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ ، وَقَدْ غَنِيَّ عَنِ الْخَلْقِ وَالْمُرَادِ وَالْدُنْيَا ؛ فَلَا مُؤْنَسَ لَهُ سِوَى اللَّهِ ، وَلَا نُطْقَ وَلَا إِشَارَةَ وَلَا نَفْسَ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى وَلِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَمَعَ اللَّهِ ، فَهُوَ فِي رِيَاضِ قُدْسِهِ مُتَرَدِّدٌ ، وَمِنَ لَطَائِفِ فَضْلِهِ مُتَزَوِّدٌ ، وَالْمَعْرِفَةُ أَصْلُ فَرْعُهُ الْإِيمَانُ . (3)

1- .تقدّم في الصفحة 249 في بيان «طرق الوصول إلي أسمى مراتب معرفة الله» أنّ المحبّة تعتبر من مبادئ معرفة الله وأسبابها ، وفي هذا الحديث دلالة علي أنّ المحبّة من آثار معرفة الله سبحانه ، وليس ثمة تعارض بين هذه الأحاديث ؛ إذ يوجد بين المحبّة والمعرفة ارتباط ثنائي ؛ فبعد معرفة الله ، تدخل محبته تعالي في قلب العارف ، وهذه المحبّة بدورها باعث لازدياد المعرفة (راجع : المحبّة في الكتاب والسنة : ص 218 _ 223 و ص 337 _ 341) .

2- .مصباح الشريعة : ص 8 ، بحار الأنوار : ج 70 ص 22 ح 22 .

3- .مصباح الشريعة : ص 519 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 14 ح 35 .

7 / 2 خشية الله

2 / 7 خَشْيَةُ اللَّهِ الْكِتَابُ «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» . (1)

الحديثسنن الدارمي عن عطاء: قَالَ مُوسَى : ... يَا رَبِّ ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحْشَى لَكَ ؟ قَالَ : أَعْلَمُهُمْ بِي . (2)

رسول الله صلي الله عليه وآله : مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخْوَفَ . (3)

الإمام عليّ عليه السلام : أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ أَكْثَرُهُمْ خَشِيَةً لَهُ . (4)

عنه عليه السلام : أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ أَخْوَفُهُمْ مِنْهُ . (5)

عنه عليه السلام : عَجِبْتُ لِمَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَيْفَ لَا يَشْتَدُّ خَوْفُهُ ؟ ! (6)

عنه عليه السلام : الْخَوْفُ جِلْبَابُ الْعَارِفِينَ . (7)

عنه عليه السلام : الْبُكَاءُ مِنَ خِيفَةِ اللَّهِ لِلْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ عِبَادَةَ الْعَارِفِينَ . (8)

1- فاطر : 28 .

2- سنن الدارمي : ج 1 ص 108 ح 368 ، الزهد لابن المبارك : ص 75 ح 223 وص 188 ح 533 ، تاريخ دمشق : ج 61 ص 140 .

3- جامع الأخبار : ص 258 ح 682 ، بحار الأنوار : ج 70 ص 393 ح 64 نقلاً عن روضة الواعظين .

4- غرر الحكم : ح 3157 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 111 ح 2418 .

5- غرر الحكم : ح 3121 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 121 ح 2762 .

6- غرر الحكم : ح 6261 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 329 ح 5646 .

7- غرر الحكم : ح 664 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 24 ح 242 .

8- غرر الحكم : ح 1791 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 53 ح 1386 .

عنه عليه السلام: يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَلَّا يَخْلُقَ قَلْبُهُ مِنْ رَجَائِهِ وَخَوْفِهِ . (1)

عنه عليه السلام_ مِنْ دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ بَعْدَ رَكَعَتَيْ الْفَجْرِ_ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَيَحْمَدُكَ! مَنْ ذَا يَعْرِفُ قَدْرَكَ فَلَا يَخَافُكَ ، وَمَنْ ذَا يَعْلَمُ مَا أَنْتَ فَلَا يَهَابُكَ؟! (2)

الإمام زين العابدين عليه السلام_ فِي تَمْجِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ_ : سُبْحَانَكَ ، عَجَبًا لِمَنْ (3) عَرَفَكَ كَيْفَ لَا يَخَافُكَ؟! (4)

عنه عليه السلام: مَا الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ إِلَّا الْإِفَانِ مُؤْتَلِفَانِ ؛ فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَهُ . (5)

عنه عليه السلام_ مِنْ دُعَائِهِ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ_ : اللَّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ وَالْهَيْهَ ، ... وَأَفْنِدَةَ الْعَارِفِينَ مِنْكَ فَازِعَةً (6) .

الإمام الباقر عليه السلام: فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُودَ : ... يَا ابْنَ آدَمَ ، أَصْبَحَ قَلْبُكَ قَاسِيَا وَأَنْتَ لِعَظْمَةِ اللَّهِ نَاسِيَا ؛ فَلَوْ كُنْتَ بِاللَّهِ عَالِمًا ، وَبِعَظَمَتِهِ عَارِفًا لَمْ تَزَلْ مِنْهُ خَائِفًا ، وَلِوَعْدِهِ رَاجِيًا ، وَيَحْكَ ، كَيْفَ لَا تَذْكُرُ لِحَدِّكَ ، وَأَنْفِرَادَكَ فِيهِ وَحَدِّكَ؟! (7)

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ _ تَبَارَكَ وَتَعَالَى _ أَوْحَى إِلَيَّ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ... مَا لِي أَرَاكَ سَاكِتًا ؟

1- غرر الحكم : ح 10926 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 551 ح 10167 .

2- بحار الأنوار : ج 87 ص 341 ح 19 وج 94 ص 245 ح 11 كلاهما نقلًا عن اختيار السيّد ابن الباقي .

3- في المصدر : «من» ، والتصويب من بحار الأنوار .

4- رجال الكشي : ج 1 ص 335 ح 188 عن سعيد بن المسيّب ، بحار الأنوار : ج 86 ص 227 ح 46 .

5- الكافي : ج 8 ص 16 ح 2 ، تنبيه الخواطر : ج 2 ص 38 ، الأمالي للمفيد : ص 202 ح 33 كلّها عن أبي حمزة ، تحف العقول : ص 254 وفيهما بزيادة «بطاعته» بعد «العمل» ، بحار الأنوار : ج 78 ص 150 ح 11 .

6- كامل الزيارات : ص 92 ح 93 عن مهدي بن صدقة الرقي عن الإمام الرضا عن أبيه عن جدّه الإمام الباقر عليهم السلام ، مصباح المتهجّد: ص 738 ح 830 عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عنه عليهما السلام، بحار الأنوار: ج 100 ص 264 ح 2 .

7- الأمالي للطوسي : ص 203 ح 346 عن سعد بن زياد العبدي عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 14 ص 36 ح 10 .

7 / 3 الرغبة فيما عند الله

7 / 4 طاعة الله

قال : خَشِيْتُكَ أَسْكَنْتَنِي . (1)

7 / 3 الرغبة فيما عند الله رسول الله صلى الله عليه وآله : قال داود عليه السلام : يا رَبِّ! حَقُّ لِمَنْ عَرَفَكَ أَلَّا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْكَ . (2)

الإمام علي عليه السلام : يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَرْغَبَ فِيهِ لَدَيْهِ . (3)

عنه عليه السلام : عَجِبْتُ لِمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ كَيْفَ لَا يَسْعَى لِدَارِ الْبَقَاءِ! (4)

عوالي اللآلي : فِي الْحَدِيثِ أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَا رَبِّ ، مَا يَحْمِلُ (5) لِمَنْ عَرَفَكَ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْكَ . (6)

7 / 4 طاعة الله الإمام زين العابدين عليه السلام : مَا الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ إِلَّا الْفَانِ مُؤْتَلِفَانِ ؛ فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَهُ

-
- 1- . الأما لي للصدوق : ص 263 ح 280 ، قصص الأنبياء : ص 199 ح 254 كلاهما عن يونس بن ظبيان ، مشكاة الأنوار : ص 400 ح 1326 ، بحار الأنوار : ج 14 ص 34 ح 3 .
 - 2- . قرب الإسناد : ص 119 ح 417 عن الحسين بن علوان عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام ، الكافي : ج 2 ص 189 ح 5 ، الأما لي للصدوق : ص 701 ح 955 كلاهما عن عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام ، ثواب الأعمال : ص 163 ح 1 عن ابن سنان عن رجل عن الإمام الصادق عليه السلام ، معاني الأخبار : ص 374 ح 1 عن داود بن سليمان عن الإمام الرضا عن الإمام الصادق عليهما السلام ، بحار الأنوار : ج 74 ص 283 ح 1 .
 - 3- . غرر الحكم : ح 10935 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 549 ح 10131 .
 - 4- . غرر الحكم : ح 6265 ، عيون الحكم والمواعظ : ص 329 ح 5648 .
 - 5- . كذا في المصدر ، ولعلّ الصحيح «يجمل» .
 - 6- . عوالي اللآلي : ج 4 ص 116 ح 184 ، الأما لي للطوسي : ص 107 ح 162 عن وهب بن منبه ، بحار الأنوار : ج 14 ص 36 وفيهما «إلهي كذلك لا ينبغي لمن...» .

7 / 5 اجتناب المحارم

وَحَتَّةَ الْخَوْفِ عَلَيَّ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَإِنْ أَرَبَابَ الْعِلْمِ وَأَتْبَاعَهُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا اللَّهَ فَعَمِلُوا لَهُ وَرَغِبُوا إِلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (1).

7 / 5 اجتناب المحارم رسول الله صلي الله عليه وآله: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَظَّمَهُ مَنَعَ فَاهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَبَطَنَهُ مِنَ الطَّعَامِ، وَعَفَا (2) نَفْسَهُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ. (3).

الإمام علي عليه السلام: مَنْ عَرَفَ كَفَّ. (4).

الإمام الرضا عليه السلام: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ أُمِرَ الْخَلْقُ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَحُجَّتِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ؟ قِيلَ: لِجَلَلِ كَثِيرَةٍ مِنْهَا: أَنْ مَنْ لَمْ يُقَرِّ بِاللَّهِ لَمْ يَتَجَنَّبْ مَعَاصِيَهُ، وَلَمْ يَنْتَهَ عَنِ ارْتِكَابِ الْكِبَائِرِ، وَلَمْ يُرَاقِبْ أَحَدًا فِيمَا يَشْتَهِي وَيَسْتَلِدُّ مِنَ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ، وَإِذَا فَعَلَ النَّاسُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ

1- الكافي: ج 8 ص 16 ح 2، الأمالي للمفيد: ص 202 ح 33 كلاهما عن أبي حمزة، تحف العقول: ص 254 وفيهما بزيادة «بطاعته» بعد «العمل»، بحار الأنوار: ج 70 ص 344.

2- قال العلامة المجلسي قدس سره: «وعفا» كذا، وفي بعض النسخ «فعفي»؛ أي جعلها صافية خالصة، أو جعلها مندرسة ذليلة خاضعة، أو وفر كمالاتها. قال في النهاية: أصل العفو المحو والطمس، وعفت الريح الأثر: محته وطمسته... وعفا الشيء: كثر وزاد، يقال: أعففته وعففته، وعفا الشيء: صفا وخلص، انتهى. وأقول: الأظهر مافي المجالس وغيره وأكثر نسخ الكتاب: «عني» أي أتعب، والعنا - بالفتح والمد - : التعب (مرآة العقول: ج 9 ص 254).

3- الكافي: ج 2 ص 237 ح 25، أعلام الدين: 112 وفيه «عز» بدل «عفا» وكلاهما عن عيسى النهري عن الإمام الصادق عليه السلام، الأمالي للصدوق: ص 380 ح 482 عن عيسى النهري عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه صلي الله عليه وآله، تنبيه الخواطر: ج 1 ص 66، روضة الواعظين: ص 320 وفيها «عني» بدل «عفا»، بحار الأنوار: ج 69 ص 288 ح 23.

4- غرر الحكم: ح 7645، عيون الحكم والمواعظ: ص 428 ح 7269.

وَارْتَكَبَ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا يَشْتَهِي وَيَهْوَاهُ مِنْ غَيْرِ مُرَاقَبَةٍ لِأَحَدٍ كَانَ فِي ذَلِكَ فَسَادُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، وَوُثِبَ بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٍ ، فَغَصَبُوا الْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ ، وَأَبَاحُوا الدَّمَاءَ وَالسَّبِيَّ ، وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ غَيْرِ حَقٍّ وَلَا جُرْمٍ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ خَرَابُ الدُّنْيَا ، وَهَلَاكُ الْخَلْقِ ، وَفَسَادُ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ . وَمِنْهَا : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ ، وَلَا يَكُونُ الْحَكِيمُ وَلَا يُوصَفُ بِالْحِكْمَةِ إِلَّا الَّذِي يَحْظُرُ الْفَسَادَ وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاحِ وَيَزْجُرُ عَنِ الظُّلْمِ وَيَنْهَى عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَلَا يَكُونُ حَظْرُ الْفَسَادِ وَالْأَمْرُ بِالصَّلَاحِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْفَوَاحِشِ إِلَّا بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ وَمَعْرِفَةِ الْأَمْرِ وَالنَّاهِي ؛ فَلَوْ تَرَكَ النَّاسُ بَغَيْرِ إِقْرَارٍ بِاللَّهِ وَلَا مَعْرِفَةٍ لَمْ يَثْبُتْ أَمْرٌ بِصَدَاحٍ ، وَلَا نَهْيٌ عَنِ فَسَادٍ ؛ إِذْ لَا أَمْرَ وَلَا نَاهِي . وَمِنْهَا : أَنَّا قَدْ وَجَدْنَا الْخَلْقَ قَدْ يَفْسُدُونَ بِأُمُورٍ بَاطِنَةٍ مَسْتُورَةٍ عَنِ الْخَلْقِ ، فَلَوْلَا الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ وَخَشْيَتُهُ بِالْغَيْبِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ إِذَا خَلَا بِشَهْوَتِهِ وَإِرَادَتِهِ يُرَاقِبُ أَحَدًا فِي تَرْكِ مَعْصِيَةٍ وَانْتِهَاكِ حُرْمَةٍ وَارْتِكَابِ كَبِيرٍ (1) ، إِذَا كَانَ فَعَلُهُ ذَلِكَ مَسْتُورًا عَنِ الْخَلْقِ بَغَيْرِ مُرَاقَبٍ لِأَحَدٍ فَكَانَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ هَلَاكُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، فَلَمْ يَكُنْ قِوَامُ الْخَلْقِ وَصَدِّ لِحُكْمِهِمْ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ مِنْهُمْ بِعَلِيمٍ خَبِيرٍ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، أَمْرًا بِالصَّلَاحِ ، نَاهٍ عَنِ الْفَسَادِ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ؛ لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ انْزِجَارٌ لَهُمْ يَخْلُونَ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ . (2)

1- .في عيون أخبار الرضا و بحار الأنوار : «وارتكاب كبيرة» .

2- .علل الشرائع : ص 252 ح 9 ، عيون أخبار الرضا : ج 2 ص 99 ح 1 وكلاهما عن الفضل بن شاذان ، بحار الأنوار : ج 3 ص 10 ح

6 / 7 الزهد في الدنيا

6 / 7 الزهد في الدنيا الإمام علي عليه السلام: يَسِيرُ الْمَعْرِفَةَ يُوَجِبُ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا . (1)

عنه عليه السلام: مَنْ صَحَّتْ مَعْرِفَتُهُ انصَرَفَتْ عَنِ الْعَالَمِ الْفَانِي نَفْسُهُ وَهَمَّتُهُ . (2)

عنه عليه السلام: ثَمَرَةُ الْمَعْرِفَةِ الْعُرُوفُ عَنِ دَارِ الْفَنَاءِ . (3)

عنه عليه السلام: كُلُّ عَارِفٍ عَائِفٌ . (4)

الإمام زين العابدين عليه السلام: إِنَّ جَمِيعَ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، بَحْرَهَا وَبَرِّهَا وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا عِنْدَ وَلِيِّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِحَقِّ اللَّهِ كَفِيَ الظَّلَالِ . (5)

الإمام الصادق عليه السلام: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَ اللَّهَ ، وَمَنْ خَافَ اللَّهَ سَخَتْ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا . (6)

عنه عليه السلام: إِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِاللَّهِ أَخْوَفُهُمْ لِلَّهِ ، وَأَخْوَفُهُمْ لَهُ أَعْلَمُهُمْ بِهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِهِ أَزْهَدُهُمْ فِيهَا (7) . (8)

-
- 1- .غرر الحكم : ح 10984 .
 - 2- .غرر الحكم : ح 9142 .
 - 3- .غرر الحكم : ح 4651 .
 - 4- .غرر الحكم : ح 6829 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 376 ح 6343 .
 - 5- .تحف العقول : ص 391 عن الإمام الكاظم عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 78 ص 306 .
 - 6- .الكافي : ج 2 ص 68 ح 4 ، تنبيه الخواطر : ج 2 ص 185 كلاهما عن أبي حمزة ، تحف العقول : ص 362 ، مشكاة الأنوار : ص 211 ح 572 ، بحار الأنوار : ج 78 ص 244 ح 53 .
 - 7- .أي في الدنيا .
 - 8- .تفسير القمّي : ج 2 ص 146 عن حفص بن غياث ، بحار الأنوار : ج 70 ص 311 ح 8 .

7 / 7 التَّقْوِي

8 / 7 التَّوْحُد

7 / 7 التَّقْوِي رسول الله صلي الله عليه وآله: لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ، وَمَعْدِنُ التَّقْوِي قُلُوبُ الْعَارِفِينَ . (1)

الإمام علي عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلْهَمَ بِفَوَاتِحِ عِلْمِهِ النَّاطِقِينَ، وَأَنَارَ بِشَوَاقِبِ (2) عَظَمَتِهِ قُلُوبَ الْمُتَّقِينَ . (3)

مصباح الشريعة_ فيما نسب إلى الإمام الصادق عليه السلام_: التَّقْوِي مَاءٌ يَنْفَجِرُ مِنْ عَيْنِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ، وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى تَصْحِيحِ الْمَعْرِفَةِ بِالْخُمُودِ تَحْتَ هَيْبَةِ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ . (4)

8 / 7 التَّوْحُدُ الإمام علي عليه السلام: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَوَحَّدَ . (5)

عنه عليه السلام: مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ لَمْ يَعْتَدَّ بِالْخَلْقِ . (6)

-
- 1- المعجم الكبير: ج 12 ص 234 ح 13185 عن سالم بن عبد الله عن أبيه، مسند الشهاب: ج 2 ص 129 ح 1033، تاريخ بغداد: ج 4 ص 11 الرقم 1594 وفيه «العاملين» بدل «العارفين» وكلاهما عن عمر بن الخطاب، كنز العمال: ج 3 ص 9 ح 5638؛ مشكاة الأنوار: ص 447 ح 1501، المواعظ العددية: ص 44.
 - 2- الثَّقَابُ: المضيء (النهاية: ج 1 ص 216).
 - 3- دلائل الإمامة: ص 90 ح 24 عن الليث عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام عن جابر، بحار الأنوار: ج 103 ص 270 ح 21.
 - 4- مصباح الشريعة: ص 377، بحار الأنوار: ج 70 ص 294 ح 40.
 - 5- غرر الحكم: ح 7829، عيون الحكم والمواعظ: ص 452 ح 8101.
 - 6- سجع الحمام: ص 408 ح 612 نقلاً عن أسرار البلاغة للعالمي.

7 / 9 التَّوَاضُّعُ لِلَّهِ

7 / 10 التَّسْلِيمُ لِقَضَاءِ اللَّهِ

7 / 11 الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ

7 / 9 التَّوَاضُّعُ لِلَّهِ إِمَامٍ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ؛ فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَهُ اللَّهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ. (1)

7 / 10 التَّسْلِيمُ لِقَضَاءِ اللَّهِ إِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يُسَلَّمَ لِمَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. (2)

الإمام الصادق عليه السلام - لسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ - يَا سُفْيَانُ، ثِقْ بِاللَّهِ تَكُنْ عَارِفاً. (3)

7 / 11 الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلَامَةُ مَعْرِفَتِي فِي قُلُوبِ عِبَادِي حُسْنُ مَوْجِعِ قَدْرِي أَلَّا أُشْتَكِيَ وَلَا أُسْتَبْطَى وَلَا أُسْتَخْفَى. (4)

الإمام زين العابدين عليه السلام - مِنْ دُعَاءِ نُسَبِ إِلَيْهِ -: كَيْفَ أَحْزَنُ وَقَدْ عَرَفْتُكَ؟! (5)

-
- 1- الكافي : ج 8 ص 390 ح 586 عن محمد بن الحسين عن أبيه عن جدّه عن أبيه ، نهج البلاغة : الخطبة 147 ، تحف العقول : ص 227 عن الإمام الحسن عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 77 ص 369 ح 34 .
 - 2- الكافي : ج 2 ص 62 ح 9 عن عبد الله بن محمد الجعفي ، مشكاة الأنوار : ص 51 ح 42 ، تنبيه الخواطر : ج 2 ص 185 ، التمهيد : ص 62 ح 141 نحوه ، بحار الأنوار : ج 72 ص 332 ح 16 .
 - 3- تحف العقول : ص 376 عن سفیان الثوري ، بحار الأنوار : ج 78 ص 261 ح 160 .
 - 4- كنز العمال : ج 1 ص 129 ح 606 نقلاً عن الديلمي عن أبي هريرة .
 - 5- بحار الأنوار : ج 94 ص 139 .

7 / 12 استبشار الوجه وحزن القلب

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِاللَّهِ أَرْضَاهُمْ بِقَضَاءِ اللَّهِ عِزُّهُ وَجَلُّهُ. (1)

مصباح الشريعة_ فيما نسب إلى الإمام الصادق عليه السلام_: صِفَةُ الرِّضَا أَنْ يَرْضَى الْمَحْبُوبَ وَالْمَكْرُوهَ، وَالرِّضَا شِعَاعُ نُورِ الْمَعْرِفَةِ. (2)

موسي عليه السلام_ في خطابه للباري جَلَّ وَعَلَا_: يَا رَبِّ، حَقُّ لِمَنْ عَرَفَكَ أَنْ يَرْضَى بِمَا صَنَعْتَ. (3)

7 / 12 استبشار الوجه وحزن القلب الإمام علي عليه السلام: العارف وجهه مستبشر مبسّم، وقلبه وجل محزون. (4)

عنه عليه السلام: كُلُّ عَارِفٍ مَهْمُومٌ. (5)

تعليق: تقدّم سابقاً نفي الحزن عن العارف، بيد أنّ في هذا الحديث قد جاء اعتبار الحزن من خصائصه، وفي الجمع بين الحديتين يمكن القول: إنّ العارف مسرور من جهة ومحزون من جهة أخرى؛ فهو من ناحية مترع بالأمل والسرور حينما ينظر إلى رحمة الله وصفاته الجمالية، ومن ناحية أخرى محزون حينما يفكر بغضب الله

- 1- الكافي: ج 2 ص 60 ح 2 عن ليث المرادي، الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ص 359، مسكن الفؤاد: ص 82، مشكاة الأنوار: ص 73 ح 133، غرر الحكم: ح 3130، بحار الأنوار: ج 72 ص 333 ح 19.
- 2- مصباح الشريعة: ص 483، بحار الأنوار: ج 71 ص 149 ح 45.
- 3- المؤمن: ص 19 ح 14 عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه، مشكاة الأنوار: ص 502 ح 1682 عن الإمام الصادق عنه عليهما السلام، بحار الأنوار: ج 13 ص 350 ح 38.
- 4- غرر الحكم: ح 1985، عيون الحكم والمواعظ: ص 60 ح 1515.
- 5- غرر الحكم: ح 6827، عيون الحكم والمواعظ: ص 376 ح 6341.

7 / 13 الغني عن خلق الله**7 / 14 السَّهْرُ بِذِكْرِ اللَّهِ****7 / 15 كثرة الدُّعَاءِ**

سبحانه وصفاته الجلالية ، ويمكن القول أيضا : إنّ العارف يصبح مسرورا حينما يتجلّي الخالق تعالى لقلبه ، ويضحى حزينا في غير ذلك لفقدانه تلك الحال ، أو أنّ العارف مسرور بالدرجات العُلي التي وصل إليها في معرفة الحقّ تعالى ، وحزين حينما يكون فاقدا لتلك الدرجات .

7 / 13 الغني عن خلق الله الإمام عليّ عليه السلام : مَنْ سَكَنَ قَلْبُهُ الْعِلْمُ بِاللَّهِ سَكَنَهُ الْغِنْيُ عَنِ خَلْقِ اللَّهِ . (1)

7 / 14 السَّهْرُ بِذِكْرِ اللَّهِ الإمام عليّ عليه السلام : سَهَّرَ الْعُيُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ خُلَصَانُ الْعَارِفِينَ ، وَحُلْوَانُ الْمُقَرَّبِينَ . (2)

إرشاد القلوب : كَانَ مِمَّا نَاجَى بِهِ الْبَارِي تَعَالَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ... يَا دَاوُدُ ، إِنَّ الْعَارِفِينَ كَحَلْوَانِ أَعْيُنِهِمْ بِمِرْوَدِ (3) السَّهْرِ ، وَقَامُوا لَيْلَهُمْ يَسْهَرُونَ يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ مَرْضَاتِي . (4)

7 / 15 كثرة الدُّعَاءِ الإمام عليّ عليه السلام : أَعْلَمَ النَّاسِ بِاللَّهِ أَكْثَرُهُمْ لَهُ مَسْأَلَةٌ . (5)

1- . غرر الحكم : ح 8896 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 463 ح 8415 .

2- . غرر الحكم : ح 5612 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 286 ح 5163 وفيه «ودأب» بدل «وحلوان» .

3- . المِرْوَدُ : المِيلُ الَّذِي يُكْتَحَلُ بِهِ (تاج العروس : ج 4 ص 466).

4- . إرشاد القلوب : ص 86 .

5- . غرر الحكم : ح 3260 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 122 ح 2795 .

عنه عليه السلام_ مِنْ دُعَائِهِ -: إِلَهِي كَيْفَ أَدْعُوكَ وَقَدْ عَصَيْتُكَ؟! وَكَيْفَ لَا أَدْعُوكَ وَقَدْ عَرَفْتُكَ؟! (1)

الإمام زين العابدين عليه السلام: يَا مَنْ أَنْسَ الْعَارِفِينَ بِطِيبِ مُنَاجَاتِهِ . (2)

16 / 7 استجابة الدعاء رسول الله صلي الله عليه وآله : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ أَرَصَدَ لِمُحَارَبَتِي . وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، إِنْ دَعَانِيَابَجْتُهُ ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ . (3)

عنه صلي الله عليه وآله : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ . وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ . وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ . (4)

1- .المزار للشهيد الأول: ص 270 عن ميثم ، بحار الأنوار: ج 94 ص 121 ح 19 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام .

2- .بحار الأنوار: ج 94 ص 157 ح 22 نقلاً عن أنيس العابدين .

3- .الكافي: ج 2 ص 352 ح 7 عن حماد بن بشير عن الإمام الصادق عليه السلام وح 8 عن أبان بن تغلب عن الإمام الباقر عليه السلام عنه صلي الله عليه وآله ، التوحيد: ص 399 ح 1 ، علل الشرائع: ص 12 ح 7 كلاهما عن أنس ، المؤمن: ص 32 ح 61 عن الإمام الصادق عليه السلام عنه صلي الله عليه وآله ، المحاسن: ج 1 ص 454 ح 1047 عن حنان بن سدير عن الإمام الصادق عليه السلام عنه صلي الله عليه وآله ، وكلها نحوه ، بحار الأنوار: ج 70 ص 22 ح 21 .

4- .صحيح البخاري: ج 5 ص 2385 ح 6137 ، السنن الكبرى: ج 10 ص 370 ح 20980 كلاهما عن أبي هريرة ، مسند ابن حنبل: ج 10 ص 112 ح 26253 عن عائشة نحوه ، كنز العمال: ج 1 ص 230 ح 1157 .

عنه صلي الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَأَكُونُ أَنَا سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَقَلْبَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ، فَإِذَا دَعَا أَحَبَّهُ، وَإِذَا سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ. (1)

عنه صلي الله عليه وآله: لَوْ عَرَفْتُمْ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَزَالَتْ بِدُعَائِكُمُ الْجِبَالُ! (2)

عنه صلي الله عليه وآله: لَوْ عَرَفْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَمَسَّ يَتِيمَ عَلِيِّ الْبُحُورِ، وَلَزَالَتْ بِدُعَائِكُمُ الْجِبَالُ. وَلَوْ خِفْتُمْ اللَّهَ حَقَّ خَوْفِهِ لَعَلِمْتُمْ الْعِلْمَ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ جَهْلٌ، وَمَا بَلَغَ ذَلِكَ أَحَدٌ وَلَا آتِي، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَبْلُغَ أَحَدٌ أَمْرَهُ كُلَّهُ! (3)

17/7 الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ لِإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَشَقَّ أَبَدًا. (4)

بحار الأنوار عن صُحُفِ إِدْرِيسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَارَ يَا أَخْنُوخَ مَنْ عَرَفَنِي، وَهَلَكَ مَنْ أَنْكَرَنِي، عَجَبًا لِمَنْ ضَلَّ عَنِّي وَلَيْسَ يَخْلُو فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مِنِّي، كَيْفَ يَخْلُو وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ، وَأَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ؟ (5)

راجع: ص 361، ح 3900.

- 1- المعجم الكبير: ج 8 ص 206 ح 7833 و ص 222 ح 7880 نحوه وكلاهما عن أبي أمامة، كنز العمال: ج 1 ص 229 ح 1155.
- 2- نوادر الأصول: ج 2 ص 132 عن معاذ بن جبل، حلية الأولياء: ج 8 ص 156 عن وهيب المكي، كنز العمال: ج 3 ص 142 ح 5881؛ عوالي اللآلي: ج 4 ص 132 ح 225 وفيه «لزاليت بدعائكم الجبال الراسيات».
- 3- الفردوس: ج 3 ص 370 ح 5123، المغني عن حمل الأسفار: ج 2 ص 1023 ح 3723 و ص 1129 ح 4086 وفيه صدره إلي «الجبال»، كنز العمال: ج 3 ص 144 ح 5893 نقلاً عن ابن السني وكلها عن معاذ.
- 4- غرر الحكم: ح 8954، عيون الحكم والمواعظ: ص 463 ح 8427.
- 5- بحار الأنوار: ج 95 ص 454 نقلاً عن ابن متويه.

7 / 18 المجتمع الأمثل لكتاب «مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» (1).

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (2).

الحديث للإمام علي عليه السلام في كتابه إلى مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ وَأَهْلِ مِصْرَ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا تَجْمَعُ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَجْمَعُ غَيْرُهَا، وَيُدْرِكُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَدْرِكُ بِغَيْرِهَا؛ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَخَيْرِ الْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ» (3). اَعْلَمُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْمَلُ لِثَلَاثٍ مِنَ الثَّوَابِ: إِمَّا لِخَيْرِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُهُ بِعَمَلِهِ فِي دُنْيَاهُ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» (4)، فَمَنْ عَمِلَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ أَعْطَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَفَاهُ الْمُهْمَ فِيهِمَا. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا عِبَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّالِحِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (5)،

1- النساء: 134 .

2- الأعراف: 96 .

3- النحل: 30 .

4- العنكبوت: 27 .

5- الزمر: 10 .

فَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يُحَاسِبْ بِهِمْ فِي الآخِرَةِ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ» (1) ، فَالْحُسْنَىٰ هِيَ الْجَنَّةُ ، وَالزِّيَادَةُ هِيَ الدُّنْيَا . وَإِنَّمَا لِخَيْرِ الآخِرَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُكَفِّرُ بِكُلِّ حَسَنَةٍ سَيِّئَةً ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ بِهَا السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ» (2) ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسِبَتْ لَهُمْ حَسَنَاتُهُمْ ، ثُمَّ أُعْطَاهُمْ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا» (3) ، وَقَالَ : «أُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ» (4) . فَارْغَبُوا فِي هَذَا _ رَحِمَكُمُ اللَّهُ _ وَعَمَلُوا لَهُ ، وَتَحَاضُّوا (5) عَلَيْهِ . وَعَلِمُوا _ يَا عِبَادَ اللَّهِ _ أَنَّ الْمُتَّقِينَ حَازُوا عَاجِلَ الْخَيْرِ وَأَجَلَهُ ؛ شَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ ؛ أَبَاحَهُمُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَفَاهُمْ وَبِهِ أَغْنَاهُمْ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (6) . سَدَّ كُنُوزَ الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَدَّ كُنُوزَ الآخِرَةِ ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ ؛ شَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، فَأَكَلُوا مَعَهُمْ مِنَ طَيِّبَاتِ مَا يَأْكُلُونَ ، وَشَرَبُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا يَشْرَبُونَ ، وَلَبَسُوا

1- الزمر : 10 .

2- هود: 114 .

3- النبأ: 36 .

4- سبأ: 37 .

5- الحَصَّ عَلِي الشَّيْءِ : الْحَثُّ عَلِي الشَّيْءِ (النهاية : ج 1 ص 400) .

6- الأعراف : 32 .

مِنَ أَفْضَلِ مَا يَلْبَسُونَ ، وَسَكَنُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَسْكُنُونَ ، وَتَزَوَّجُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَتَزَوَّجُونَ ، وَرَكَبُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَرَكَبُونَ ؛ أَصَابُوا لَذَّةَ الدُّنْيَا مَعَ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ غَدَا جِيرَانُ اللَّهِ ، يَتَمَنَّوْنَ عَلَيْهِ فَيُعْطِيهِمْ مَا تَمَنَّوْهُ ، وَلَا يَرُدُّ لَهُمْ دَعْوَةً ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبًا مِنَ اللَّذَّةِ . فَإِلَى هَذَا _ يَا عِبَادَ اللَّهِ _ يَشْتَأِقُ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ ، وَيَعْمَلُ لَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . (1)

راجع : ص 17 (الفصل الأول : قيمة معرفة الله) و 359 (الفصل الأول : قيمة التوحيد) ، التنمية الاقتصادية في الكتاب والسنة : القسم الأول / الفصل الأول / سعادة الدنيا والآخرة و القسم الأول / الفصل الثاني / قوام الدين والدنيا.

1- .الأمالى للمفيد : ص 261 ح 3 ، الأمالى للطوسى : ص 25 ح 31 كلاهما عن أبى إسحاق الهمدانى ، بحار الأنوار : ج 33 ص 543 ح 720 وراجع : الغارات : ج 1 ص 234 .

تلخيص ما مرّ من دور معرفة الله

1 . دور معرفة الله في الحياة الفردية

تلخيص ما مرّ من دور معرفة الله يمكن أن نلخص ما مرّ من معطيات معرفة الله وبركاتها ودورها في حياة الإنسان في قسمين:

1 . دور معرفة الله في الحياة الفردية إن أهمّ بركات معرفة الله في الحياة الفردية، حبّ الله تعالى والأنس به، إذ إنّ الإنسان يعشق الجمال فطرياً، ولما كان الله سبحانه جامعاً لكلّ ضروب الجمال، وكان جمال أولي الجمال مستمدّاً منه، فإنّ المرء لا يمكن أن يعرف الله ولا يحبه! فقد قال الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَحَبَّهُ» (1). وكلّما زادت معرفة الإنسان بخالقه زاد حبه له إلى أن يصبح في مقام «التأمّن في محبة الله» (2). إنّ المحبة التي تنبثق عن المعرفة بالنظر إلى أوامر الله ونواهيه، وما وعد الله

1- راجع: ص 280 ح 3690 .

2- المحبة في الكتاب والسنة: «القسم الثاني / الفصل الأوّل / التأمّن في محبة الله» .

2. دور معرفة الله في الحياة الاجتماعية

سبحانه في ثواب من عمل بأوامره وجزاء من خالف نواهيه، تقترن بالخشية والرغبة، وتدعو المرء إلي جميع القيم العقيدية، والأخلاقية، والعملية السامية، وترك المفاهيم التي تضاد القيم.

2. دور معرفة الله في الحياة الاجتماعية لما كانت معرفة الله هي الأساس للقيم العقيدية والأخلاقية والعملية فهي أعرف قواعد المجتمع الإنساني المثالي أصالةً أيضاً، من هنا لا يمكن أن نتوقع من مجتمع لا يعتقد بالله مراعاة القيم الإنسانية وعلي رأسها العدالة الاجتماعية، لذا قال الإمام الرضا عليه السلام في فلسفة عبادة الله: «لِعَلِّ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا أَنْ مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَتَجَنَّبْ مَعَاصِيَهُ، وَلَمْ يَنْتَهَ عَنِ ارْتِكَابِ الْكِبَائِرِ وَلَمْ يُرَاقِبْ أَحَدًا فِيمَا يَشْتَهِي وَيَسْتَلِدُّ مِنَ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ...» (1). لا ريب في أن استقرار القيم الأخلاقية في المجتمع لا يتيسر بلا أساس ديني ولا اعتقاد بالله، ولو كان العالم عبثاً وبلا شعور، وتساوي العادل والظالم، والمحسن والمسيء في بلوغ نقطة واحدة بعد الموت، فبأي دليل يمكن أن ندعو المجتمع إلي رعاية القيم الإنسانية السامية، أي: العدالة، والإيثار، ومكافحة الظلم والجريمة؟ ولأي سبب يضحّي الإنسان نفسه للآخرين ولا يضحّي الآخرون أنفسهم له؟! من هنا ينبغي أن نقول: إن المادية تقتضي إلغاء القيم الأخلاقية، وتبني القيم الأخلاقية يستلزم إلغاء المادية. وعلي العكس من ذلك فإن الاعتقاد بالله وهدفية عالم الوجود ممهدان للمجتمع

الأمثل والتكامل المادّي والمعنوي للإنسان ، كما قال خالق الوجود _ جلّ شأنه _ : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (1) . وإذا قُدِّرَ للمجتمع البشريّ يوماً أن يرسّخ صلته بخالق الكون ، كما ينبغي فإنّه يمهدّ لنفسه أفضل أنواع الحياة ، علي أمل ذلك اليوم المنشود إن شاء الله (2) .

1- النساء : 134 .

2- راجع: التنمية الاقتصادية في الكتاب والسنة : «القسم الأوّل / الفصل الخامس : التنمية الموعودة في الإسلام» .

الفصل الثامن: آفاق معرفة الله

8 / 1 حقُّ معرفة الله وحدها

الفصل الثامن: آفاق معرفة الله 8 / 1 حقُّ معرفة الله وحدها التوحيد عن ابن عباس: جاء أعرابيُّ إلي النَّبيِّ صلي الله عليه وآله ، فقال : يا رسولَ الله علِّمني من غرائبِ العلمِ . قال : ما صنعتَ في رأسِ العلمِ حتَّى تسألَ عن غريبِهِ؟! قال الرَّجُلُ : ما رأسُ العلمِ يا رسولَ الله؟ قال : معرفةُ الله حقَّ معرفتِهِ . قال الأعرابيُّ : وما معرفةُ الله حقَّ معرفتِهِ؟ قال : تعرفُهُ بلا مثلٍ ولا شبهٍ ولا ندٍّ ، وأنتَ واحدٌ أحدٌ ، ظاهرٌ باطنٌ ، أوَّلٌ آخِرٌ ، لا كُفُولُهُ ولا نظيرَ ، فذلك حقُّ معرفتِهِ . (1)

1- .التوحيد : ص 284 ح 5 ، منية المرید : ص 366 ، مشكاة الأنوار : ص 40 ح 10 ، جامع الأخبار : ص 36 ح 17 نحوه ، بحار الأنوار : ج 3 ص 269 ح 4 .

الإمام الكاظم عليه السلام: أَوَّلُ الدِّيانَةِ بِهِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ . (1)

التوحيد عن طاهر بن حاتم بن ماهويه: كَتَبْتُ إِلي الطَّيِّبِ _ يَعْنِي أبا الحَسَنِ موسى عليه السلام _ : ما الَّذي لا تُجْزئُ مَعْرِفَةَ الخالِقِ بِدُونِهِ؟ فَكَتَبَ : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَلَمْ يَزَلْ سَمِيعًا وَعَلِيمًا وَبَصِيرًا ، وَهُوَ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ . (2)

الإمام الرضا عليه السلام _ لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَدْنَى المَعْرِفَةِ _ : الإِقْرارُ بِأَنَّهُ لا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَلا شِبْهَ لَهُ وَلا نَظِيرَ ، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ مُثَبَّتٌ مَوْجودٌ غَيْرُ فَقِيدٍ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . (3)

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ أَفْضَلَ الفَرائِضِ وَأَوْجَبَها عَلَي الإنسانِ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ وَالإِقْرارُ لَهُ بِالْعُبودِيَّةِ ، وَحَدُّ المَعْرِفَةِ أَنَّهُ لا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلا شَبِيهَ لَهُ وَلا نَظِيرَ لَهُ ، وَأَنَّهُ يُعْرَفُ أَنَّهُ قَدِيمٌ مُثَبَّتٌ بِوُجودٍ غَيْرِ فَقِيدٍ ، مَوْصوفٌ مِنْ غَيْرِ شَبِيهٍ وَلا مُبْطَلٍ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ . (4)

الإمام الرضا عليه السلام _ فِي الفِقهِ المَنسُوبِ إِليهِ _ : أروى أَنَّ المَعْرِفَةَ التَّصْديقُ وَالتَّسْلِيمُ وَالإِخْلاصُ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَّةِ ، وَأروى أَنَّ حَقَّ المَعْرِفَةِ أَنْ يُطِيعَ وَلا يَعْصِي ، وَيَشْكُرَ وَلا يَكْفُرُ . (5)

1- الكافي : ج 1 ص 140 ح 6 عن فتح بن عبد الله مولي بني هاشم ، التوحيد : ص 57 ح 14 عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 57 ص 166 ح 106 .

2- التوحيد : ص 284 ح 4 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 269 ح 5 وراجع : الكافي : ج 1 ص 86 ح 2 .

3- الكافي : ج 1 ص 86 ح 1 ، التوحيد : ص 283 ح 1 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 133 ح 29 كلَّها عن الفتح بن يزيد ، بحار الأنوار : ج 3 ص 267 ح 1 .

4- كفاية الأثر : ص 258 عن هشام ، بحار الأنوار : ج 4 ص 55 ح 34 .

5- الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام : ص 65 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 14 ح 34 .

8 / 2 لا تدركه الأبصار

8 / 2 لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ الْكِتَابِ «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» . (1)

«يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ» . (2)

«وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» . (3)

الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: فوق كل شيء علا، ومن كل شيء دنا، فتجلى لخلق من غير أن يكون يري، وهو بالمنظر الأعلى . (4)

الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» -: إحاطة الوهم ... الله أعظم من أن يري بالعين . (5)

1- الأنعام : 103 .

2- النساء : 153 .

3- الأعراف : 143 .

4- التوحيد : ص 45 ح 4 عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، علل الشرائع : ص 119 ح 1 عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عليه السلام، كفاية الأثر : ص 161 عن هشام بن محمد عن أبيه عن الإمام الحسن عليه السلام، بحار الأنوار : ج 11 ص 38 ح 35 .

5- الكافي : ج 1 ص 98 ح 9، التوحيد : ص 112 ح 10، الاحتجاج : ج 2 ص 211 ح 222 كلها عن عبد الله بن سنان، بحار الأنوار : ج 4 ص 33 ح 11 .

الإمام الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل : «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» : لا تُدْرِكُهُ أَوْهَامُ الْقُلُوبِ ، فَكَيْفَ تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الْعُيُونِ! (1)

المحاسن عن أبي هاشم الجعفري: أَخْبَرَنِي الْأَشْعَثُ بْنُ حَاتِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ ، فَقَالَ : أَلَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : اقْرَأْ : «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» ، فَقَرَأْتُ . فَقَالَ : مَا الْأَبْصَارُ ؟ قُلْتُ : أَبْصَارُ الْعَيْنِ . قَالَ : لَا ، إِنَّمَا عَنِيَ الْأَوْهَامُ ؛ لَا تُدْرِكُ الْأَوْهَامُ كَيْفِيَّتَهُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ كُلَّ فَهْمٍ . (2)

الكافي عن أبي هاشم الجعفري: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ (3) : «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا هَاشِمٍ ، أَوْهَامُ الْقُلُوبِ أَدَقُّ مِنَ أَبْصَارِ الْعُيُونِ ، أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السَّنَدَ وَالْهِنْدَ وَالْبُلْدَانَ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْهَا وَلَا تُدْرِكُهَا بِبَصَرِكَ ، وَأَوْهَامُ الْقُلُوبِ لَا تُدْرِكُهُ فَكَيْفَ أَبْصَارُ الْعُيُونِ؟! (4)

التوحيد عن صفوان بن يحيى: سَأَلَنِي أَبُو قُرَّةَ الْمُحَدِّثُ أَنْ أُدْخِلَهُ عَلَيَّ أَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَأْذَنَنِي فِي ذَلِكَ فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلَ عَلَيَّ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ

-
- 1- .الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ : ص 494 ح 673 عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيْعٍ ، التَّوْحِيدِ : ص 113 ح 12 عن أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ عَنِ الْإِمَامِ الْجَوَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحْوَهُ ، رَوْضَةُ الْوَاعِظِينَ : ص 42 ، بَحَارُ الْأَنْوَارِ : ج 4 ص 39 ح 17 .
 - 2- .المحاسن : ج 1 ص 372 ح 815 ، بَحَارُ الْأَنْوَارِ : ج 3 ص 308 ح 46 وراجع : التَّوْحِيدِ : ص 112 ح 11 .
 - 3- .المراد من أبي جعفر هنا هو الإمام الجواد عليه السلام .
 - 4- .الكافي : ج 1 ص 99 ح 11 ، التَّوْحِيدِ : ص 113 ح 12 ، الاحتجاج : ج 2 ص 465 ح 319 ، بَحَارُ الْأَنْوَارِ : ج 4 ص 39 ح 17 .

وَالْأَحْكَامِ حَتَّى بَلَغَ سُؤَالُهُ التَّوْحِيدَ ، فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ : إِنَّا رَوَيْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَلَسَ الرُّؤْيَةَ وَالْكَلامَ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، فَقَسَمَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكَلَامَ وَلِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الرُّؤْيَةَ . فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَنْ الْمُبَلَّغُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ : «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» (1) «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» (2) و«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (3) أَلَيْسَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ قَالَ : بَلِي ؟ قَالَ : فَكَيْفَ يَجِيءُ رَجُلٌ إِلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ جَاءَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَيَقُولُ : «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» و«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي ، وَأَحْطْتُ بِهِ عِلْمًا وَهُوَ عَلِيٌّ صُورَةَ الْبَشَرِ ، أَمَا تَسْتَحْيُونَ؟! مَا قَدَرْتَ الرَّنَادِقَةَ أَنْ تَرْمِيَهُ بِهَذَا ؛ أَنْ يَكُونَ يَأْتِي عَنِ اللَّهِ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ يَأْتِي بِخِلَافِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ!! قَالَ أَبُو قُرَّةَ : فَإِنَّهُ يَقُولُ : «وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَلَهُ أُخْرَى» (4) ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَيَّ مَا رَأَيْ ، حَيْثُ قَالَ : «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» (5) يَقُولُ : مَا كَذَبَ فُؤَادُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا رَأَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَا رَأَى فَقَالَ : «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» (6) ، فَآيَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ قَالَ : «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» 7 فَإِذَا رَأَتْهُ الْأَبْصَارُ فَقَدْ أَحْطَتْ بِهِ الْعِلْمُ وَوَقَعَتِ الْمَعْرِفَةُ .

1- الأنعام : 103 .

2- طه : 110 .

3- الشورى : 11 .

4- النجم : 13 .

5- النجم : 11 .

6- النجم : 18 .

فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَتَكْذَبُ بِالرَّوَايَاتِ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كَانَتْ الرَّوَايَاتُ مُخَالَفَةً لِلْقُرْآنِ كَذَّبْتُ بِهَا، وَمَا أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمٌ (1) وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. (2)

الإمام عليّ عليه السلام: ظاهرٌ لا يتأويل المباشرة، مُتَجَلِّ لا باستهلال رؤية. (3)

عنه عليه السلام: الرَّادِعُ أَنَسِيَّ (4) الْأَبْصَارِ عَنِ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ. (5)

عنه عليه السلام: فِي تَمَجِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظْرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ. أَدْرَكَتْ الْأَبْصَارُ، وَأَحْصَيْتِ الْأَعْمَالَ (الأعمار). (6)

عنه عليه السلام: لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ فَتَقْدِرْهُ شَيْئًا مَائِلًا، وَلَمْ تُدْرِكْهُ الْأَبْصَارُ فَيَكُونَ بَعْدَ انْتِقَالِهَا حَائِلًا... كَلَّتْ (7) عَنِ إِدْرَاكِهِ طُرُوفُ الْعُيُونِ، وَقَصُرَتْ دُونَ بُلُوغِ صِفَتِهِ أَوْهَامُ الْخَلَائِقِ. (8)

1- هكذا في النسخ والظاهر أنه اشتباه من النسخ، والصواب «لا يحاط بعلم» (هامش المصدر) أو «لا يُحيط به علم».

2- التوحيد: ص 111 ح 9، الاحتجاج: ج 2 ص 373 ح 285 نحوه، بحار الأنوار: ج 4 ص 36 ح 14.

3- الكافي: ج 1 ص 138 ح 4 عن الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص 308 ح 2 عن عبد الله بن يونس عن الإمام الصادق عنه عليهما السلام وص 37 ح 2، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 151 ح 51 كلاهما عن محمد بن يحيى وأحمد بن عبد الله العلوي عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للمفيد: ص 255 ح 4 عن محمد بن زيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للطوسي: ص 23 ح 28 عن محمد بن يزيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام، بحار الأنوار: ج 4 ص 304 ح 34.

4- أناسي: جمع إنسان؛ وهو المثل الذي يُرى في السواد (لسان العرب: ج 6 ص 13).

5- نهج البلاغة: الخطبة 91 عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج 57 ص 106 ح 90.

6- نهج البلاغة: الخطبة 160 وراجع: بحار الأنوار: ج 95 ص 424.

7- طرفٌ كليلٌ: إذا لم يحقق المنظور. وقال بعضهم: كَلَّ بَصَرُهُ كَلُولًا: نَبَا. والأصل من كَلَّ عنه؛ أي نبا وضعف (لسان العرب: ج 11 ص 591).

8- الكافي: ج 1 ص 141 ح 7، التوحيد: ص 31 ح 1 كلاهما عن الحارث الأعور، بحار الأنوار: ج 4 ص 265 ح 14.

عنه عليه السلام: مَنْ جازَ عَلَيْهِ البَصَرُ والرُّؤْيَةُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، ولا بُدَّ لِلْمَخْلُوقِ مِنَ الخالِقِ . (1)

عنه عليه السلام: لا تَنالُهُ الأبصارُ مِنْ مَجْدِ جَبْرُوتِهِ؛ إِذِ حَجَبَهَا بِحُجْبٍ لا تَنفُذُ في ثِخَنِ كِثافَتِهِ، ولا تَخْرِقُ إِلي ذِي العَرشِ مِثانَةَ خِصائِصِ سُرَّتائِهِ، الَّذي صَدَرَتِ الأُمُورُ عَن مَشِيئَتِهِ . (2)

عنه عليه السلام: الحَمْدُ لِلَّهِ . . . المُمْتَنِعَةِ مِنَ الصِّفَاتِ ذاتِهِ، وَمِنَ الأبصارِ رُؤْيَتِهِ، وَمِنَ الأوهامِ الإحاطَةَ بِهِ . (3)

عنه عليه السلام: قَدْ حَسَرَ (4) كُنْهَهُ نَوافِذَ الأبصارِ، وَقَمَعَ وُجُودَهُ جَوائِلَ (5) الأوهامِ . (6)

فاطمة عليها السلام: المُمْتَنِعُ مِنَ الأبصارِ رُؤْيَتَهُ، وَمِنَ الألسُنِ صِفَتَهُ، وَمِنَ الأوهامِ كِيفِيَّتَهُ . (7)

الإمام الحسين عليه السلام- في وِترِهِ -: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرِي ولا- تُرِي، وَأَنْتَ بِالْمَنْظَرِ الأَعْلِيِّ، وَإِنَّ إِلَيْكَ الرُّجْعِي، وَإِنَّ لَكَ الآخِرَةَ والأُولَى، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزِي . (8)

الإمام زين العابدين عليه السلام: الحَمْدُ لِلَّهِ الأَوَّلِ بِلا أَوَّلٍ كانَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكُونُ

-
- 1- كفاية الأثر: ص 257 عن هشام عن الإمام الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج 4 ص 54 ح 34 .
 - 2- التوحيد: ص 52 ح 13 عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج 4 ص 276 ح 16 .
 - 3- الكافي: ج 1 ص 139 ح 5 عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص 56 ح 14 عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا عليه السلام، بحار الأنوار: ج 4 ص 284 ح 17 .
 - 4- الحَسْرُ والحَسَرُ: الإعياء والتعب (لسان العرب: ج 4 ص 188) .
 - 5- الجائل: الزائل عن مكانه (لسان العرب: ج 11 ص 131) .
 - 6- الكافي: ج 1 ص 140 ح 5 عن إسماعيل بن قتيبة، التوحيد: ص 57 ح 14 عن فتح بن يزيد عن الإمام الرضا عليه السلام وفيه بزيادة «دون» قبل «كنهه»، بحار الأنوار: ج 4 ص 285 ح 17 .
 - 7- الاحتجاج: ج 1 ص 255 عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جدّه الإمام الحسن عليه السلام، بحار الأنوار: ج 29 ص 221 ح 8 .
 - 8- المصنّف لابن أبي شيبة: ج 2 ص 200 ح 3 عن منصور عن شيخ يكتني أبا محمّد، الفردوس: ج 1 ص 442 ح 1802 عن ابن عبّاس، كنز العمّال: ج 2 ص 207 ح 3782؛ فلاح السائل: ص 416، من دون إسنادٍ إلي المعصوم، بحار الأنوار: ج 87 ص 92 ح 11 .

بَعْدَهُ، الَّذِي فَصَّرَتْ عَنْ رُؤْيَيْتِهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ. (1)

الإمام الصادق عليه السلام: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَكَلَ قَلْبَكَ طَائِرٌ لَمْ يُشْبِعْهُ، وَبَصَرَكَ لَوْ وُضِعَ عَلَيْهِ خَرْقٌ إِبْرَةَ لَغَطَّاهُ، تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ بِهِمَا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟! إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَهَذِهِ الشَّمْسُ خَلَقَتْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَمَلَأَ عَيْنَيْكَ مِنْهَا فَهُوَ كَمَا تَقُولُ. (2)

الأمالي عن إبراهيم الكرخي: قُلْتُ لِلصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ رَجُلًا رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَنَامِهِ، فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: ذَلِكَ رَجُلٌ لَا دِينَ لَهُ، إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَا يُرِي فِي اليَقَظَةِ وَلَا فِي المَنَامِ، وَلَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ. (3)

الأمالي عن إسماعيل بن الفضل: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - هَلْ يُرَى فِي المَعَادِ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوقًا كَبِيرًا! يَا ابْنَ الفَضْلِ، إِنَّ الأَبْصَارَ لَا تُدْرِكُ إِلَّا مَا لَهُ لَوْنٌ وَكَيْفِيَّةٌ، وَاللَّهُ خَالِقُ الأَلْوَانِ وَالكَيْفِيَّةِ. (4)

الإمام الرضا عليه السلام: إِنَّ أَوْهَامَ القُلُوبِ أَكْبَرُ مِنْ أَبْصَارِ العُيُونِ، فَهُوَ لَا تُدْرِكُهُ الأَوْهَامُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَوْهَامَ. (5)

التوحيد عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام: دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ (6) عَلَي الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ... قَالَ [الرَّجُلُ]: فَلِمَ لَا تُدْرِكُهُ حَاسَّةُ البَصْرِ؟ قَالَ:

1- . الصحيفة السجادية: ص 19 الدعاء 1 .

2- . الكافي: ج 1 ص 93 ح 8، التوحيد: ص 455 ح 5 عن فضيل بن يسار، الاعتقادات: ص 42.

3- . الأمالي للصدوق: ص 708 ح 974، روضة الواعظين: ص 42، بحار الأنوار: ج 4 ص 32 ح 7.

4- . الأمالي للصدوق: ص 495 ح 674، روضة الواعظين: ص 42، بحار الأنوار: ج 4 ص 31 ح 5.

5- . الكافي: ج 1 ص 99 ح 10، التوحيد: ص 113 ح 11 وفيه «أكثر» بدل «أكبر» وكلاهما عن أبي هاشم الجعفري، بحار الأنوار: ج

4 ص 39 ح 16 .

6- . الزنادقة: جمع زنديق؛ وهو القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب (لسان العرب: ج 10 ص 147).

لِلْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمْ حَاسَّةُ الْأَبْصَارِ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ هُوَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُدْرِكَهُ بَصَرٌ، أَوْ يُحِيطَ بِهِ وَهَمٌّ، أَوْ يَضْبُطَهُ عَقْلٌ. (1)

الكافي عن أحمد بن إسحاق: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِثِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْأَلُهُ عَنِ الرَّؤْيِيَّةِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ، فَكَتَبَ: لَا تَجُوزُ الرَّؤْيِيَّةُ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّائِيِّ وَالْمَرْتَبِيِّ هَوَاءٌ يَنْفُذُهُ الْبَصَرُ، فَإِذَا انْقَطَعَ الْهَوَاءُ (2) عَنِ الرَّائِيِّ وَالْمَرْتَبِيِّ لَمْ تَصِحَّ الرَّؤْيِيَّةُ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْإِشْتِبَاهُ؛ لِأَنَّ الرَّائِيَّ مَتَى سَاوَى الْمَرْتَبِيَّ فِي السَّبَبِ الْمَوْجِبِ بَيْنَهُمَا فِي الرَّؤْيِيَّةِ وَجَبَ الْإِشْتِبَاهُ وَكَانَ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ؛ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ لِأَبَدٍ مِنْ اتِّصَالِهَا بِالْمَسَبِّبَاتِ. (3)

الكافي عن محمد بن عبيد: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْأَلُهُ عَنِ الرَّؤْيِيَّةِ وَمَا تَرْوِيهِ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَشْرَحَ لِي ذَلِكَ، فَكَتَبَ بِخَطِّهِ: اتَّفَقَ الْجَمِيعُ لَا تَمَانَعُ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنْ جِهَةِ الرَّؤْيِيَّةِ ضَرْوْرَةٌ، فَإِذَا جَازَ أَنْ يُرَى اللَّهُ بِالْعَيْنِ وَقَعَتِ الْمَعْرِفَةُ ضَرْوْرَةً، ثُمَّ لَمْ تَحُلْ تِلْكَ الْمَعْرِفَةُ مِنْ أَنْ تَكُونَ إِيمَانًا أَوْ لَيْسَتْ بِإِيمَانٍ؛ فَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْمَعْرِفَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّؤْيِيَّةِ إِيمَانًا، فَالْمَعْرِفَةُ الَّتِي فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ الْإِكْتِسَابِ لَيْسَتْ بِإِيمَانٍ؛ لِأَنَّهَا ضِدُّهُ، فَلَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا اللَّهَ

-
- 1- التوحيد: ص 250 ح 3، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 132 ح 28، علل الشرائع: ص 119 ح 1، الاحتجاج: ج 2 ص 355 ح 281، بحار الأنوار: ج 3 ص 15 ح 1.
 - 2- في التوحيد: «إِذَا انْقَطَعَ الْهَوَاءُ وَعُدِمَ الضِّيَاءُ بَيْنَ الرَّائِيِّ وَالْمَرْتَبِيِّ لَمْ تَصِحَّ الرَّؤْيِيَّةُ».
 - 3- الكافي: ج 1 ص 97 ح 4، التوحيد: ص 109 ح 7 بزيادة «عُدِمَ الضِّيَاءُ» بعد «انْقَطَعَ الْهَوَاءُ» وراجع الاحتجاج: ج 2 ص 486.

عَزَّ ذِكْرُهُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي مِنْ جِهَةِ الرُّؤْيَةِ إِيمَانًا، لَمْ تَخُلْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي مِنْ جِهَةِ الْإِكْتِسَابِ أَنْ تَزُولَ، وَلَا تَزُولَ فِي الْمَعَادِ. فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِي بِالْعَيْنِ؛ إِذِ الْعَيْنُ تُؤَدِّي إِلَيَّ مَا وَصَفْنَاهُ. (1)

1- الكافي: ج 1 ص 96 ح 3، التوحيد: ص 109 ح 8 عن محمد بن عبيدة، بحار الأنوار: ج 4 ص 56 ح 34 وراجع في معني الحديث والأقوال فيه: بحار الأنوار: ج 4 ص 56.

كلام في بطلان القول بجواز رؤية الله بالبصر

إشاره

كلام في بطلان القول بجواز رؤية الله بالبصر يعتقد أتباع مدرسة أهل البيت بامتناع الرؤية الحسّية لله تعالى علي أساس تعاليم الكتاب والسنة والحكم القطعي للعقل والبرهان ، ومثلهم في هذه العقيدة أتباع مدرسة المعتزلة من أهل السنة ، أمّا الأشاعرة وطائفة من أهل الحديث الذين يُدعون المشبهة أو الحشوية ، فإنهم يقولون بإمكان الرؤية الحسّية إلا أنّ الحشويّ يقولون : بأنّ الله سبحانه وتعالى جسمٌ ، والأشاعرة _ علي ما نقل القاضي الإيجي _ «معتقدون أنّ الله ليس جسماً ولا في جهةٍ ، ولذا يستحيل مواجهته وتقليب العين إليه وأمثال ذلك ، مع ذلك يصحّ أن ينكشف لعباده انكشاف القمر ليلة البدر ، كما ورد في الأحاديث» . (1) والفرق الآخر بين الأشاعرة والحشوية أنّ الحشوية يقولون : إنّ الله يُرى في الدنيا والآخرة . (2) أمّا الأشاعرة فيذهبون إلي أنّ الله لا يُرى بالعين إلا في الآخرة ، ولكن رؤيته لا تستلزم كونه جسماً ، ولا تشبيهاً للخالق بالمخلوق .

1- .شرح المواقف : ج 8 ص 115 ، 116 .

2- .الملل والنحل للشهرستاني : ج 1 ص 150 .

الدليل العقلي للقائلين بجواز الرؤية

الدليل النقلي للقائلين بجواز الرؤية

الدليل العقلي للقائلين بجواز الرؤية علي الرغم من أنّ القائلين بإمكان رؤية الله بالعين يزعمون أنّ لهم دليلاً عقلياً وآخر نقلياً ، لكنّ بطلان دليلهم العقلي من الوضوح بمكان أنّه لا يحتاج إلي نقاش ، نحو : صـِرف وجود الأشياء يقتضي إمكان رؤيتها (1) ، أو قول ابن تيمية : «فإنّ الرؤية وجود محض ، وهي إنّما تتعلّق بوجود لا-بمعدوم ، فما كان أكمل وجود ، بل كان وجوده واجبا فهو أحقّ بها ممّا يلازمه من العدم...» . (2) والجواب عن هذا الكلام هو : أوّلاً : إنّ إثبات هذا الزعم بأنّ صرف الوجود يقتضي إمكان الرؤية ، أو أنّ ما كان أكمل وجودا ، فهو أحقّ بالرؤية يحتاج إلي دليل . ثانيا : دلّت التجربة علي أنّ كثيرا من الأشياء تتعدّر رؤيته الحسيّة ، فهل استطاع أحد أن يري قوّة التفكّر بالعين لحدّ الآن؟! ثالثا : كما لوحظ في الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام ، فإنّ العين لا تستطيع أن تري إلّا ما كان له لون وكيفيّة ، ومثل هذا الشيء لا يمكن أن يكون خالقا غير محدود .

الدليل النقلي للقائلين بجواز الرؤية أمّا دليلهم النقلي الذي وصفه القاضي الإيجيّ بأنّه الدليل الأصليّ لإثبات إمكان الرؤية فهو الأحاديث التي نشير إلي عدد منها فيما يأتي : 1 . عن ابن عمر ، عن النبيّ صلي الله عليه وآله في قوله تعالى : «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ...» (3)

1- .اللمع للأشعريّ : ص 32؛ شرح المقاصد للفتازانيّ : ج 4 ص 189 .

2- .الردّ علي المنطقيين : ص 238 .

3- .القيامة : 22 .

«من البهاء والحسن ، ناظرة في وجه الله تعالى» (1) . 2 . وعنه أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إِنَّ أَدْنِي أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لَمَنْ يَرِي فِي مُلْكِهِ أَلْفِي سَنَةٍ ، وَإِنْ أَفْضَلَ لَهُمْ مَنْزِلَةٌ لَمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ تَلَا : «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ» قَالَ : الْبَيَاضُ وَالصَّفَاءُ «إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» (2) قَالَ : يَنْظُرُ كُلُّ يَوْمٍ فِي وَجْهِ اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ» . (3) 3 . وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله : «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ _ تَبَارَكَ وَتَعَالَى _ : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عِزُّ وَجَلُّ» . (4) وجواب ما استندوا إليه كدليل نقلي علي إمكان الرؤية بالبصر هو : علي فرض أن تقبل زعم أهل الحديث صحّة الأحاديث المذكورة ، نقول : أوّلاً : للرؤية في هذه الروايات قابلية الانطباق علي الرؤية القلبية بالتفسير الصحيح الذي سيأتي .

1- الفردوس : ج 4 ص 409 ح 7190 عن ابن عمر .

2- القيامة : 23 .

3- المستدرک علي الصحيحين: ج 2 ص 553 ح 3880 ، تفسير الطبري: ج 14 الجزء 29 ص 193 ، كنز العمال : ج 14 ص 465 ح 39281 وراجع : سنن الترمذي : ج 4 ص 688 ح 2553 وج 5 ص 431 ح 3330 و مسند ابن حنبل : ج 2 ص 340 ح 5317 .

4- صحيح مسلم : ج 1 ص 163 ح 297 ، سنن الترمذي : ج 4 ص 687 ح 2552 وج 5 ص 286 ح 3105 ، سنن ابن ماجة : ج 1 ص 67 ح 187 ، مسند ابن حنبل : ج 6 ص 505 ح 18963 كلّها عن صهيب نحوه ، كنز العمال : ج 14 ص 447 ح 39204 .

ثانيا : نظرا إلي أنّ القرآن والبرهان فـدّا إمكان الرؤية الحسيّة ، فلو أنّ روايةً لا تقبل التوجيه ، فهي مرفوضة قطعاً ، لذا قال الإمام الرضا عليه السلام في جواب أبي قرّة حين سأله : فتكذّب بالروايات؟ : «إذا كانتِ الرّواياتُ مُخالفةً للقرآنِ كذّبتُ بها» (1) . كذلك لا يصحّ الاستدلال بقوله تعالى : «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَيَّ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» علي إمكان الرؤية الحسيّة ؛ لأنّ الجمع بين هذه الآية وسائر الآيات التي تدلّ علي عدم إمكان الرؤية الحسيّة نحو قوله تعالى : «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» (2) يقتضي أنّ الرؤية الحسيّة غير مقصودة ، كما فسّرت الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام النظر إلي الله في الآية المذكورة بالنظر إلي رحمة الله ، أو ثوابه ، أو النظر إلي وجه الأنبياء والأولياء (3) . ومن الجدير بالذكر أنّ ماورد في هذه الروايات نماذج من مصاديق تفسير النظر إلي وجه الله ، والنموذج الأمثل الأسطع هو رؤية الله القلبيّة التي سيأتي تفسيرها (4) ، ولم يُشر إلي هذا المعني في الروايات المذكورة للحيلولة دون استغلاله في ما لا ينبغي .

1- راجع : ص 304 ، ح 3763 .

2- الأنعام : 103 .

3- راجع : ص 303 «لا تدركه الأبصار» .

4- راجع : ص 76 «معني رؤية الله بالقلب» .

8 / 3 لا تحسُّه الحواسُّ

8 / 3 لا تحسُّه الحواسُّ إلا ما عليه السلام: لا تلمسُهُ لا مِسَّةً، ولا تُحِسُّه حاسَّةً. (1)

الكافي عن علي بن عتبة: سئل أمير المؤمنين عليه السلام: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِمَا عَرَفَنِي نَفْسُهُ. قِيلَ: وَكَيْفَ عَرَفَكَ نَفْسُهُ؟ قَالَ: لَا يُشْبِهُهُ صَوْرَةٌ، وَلَا يُحَسُّ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ. (2)

الإمام الصادق عليه السلام: فِي تَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: سُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا يُحَدُّ وَلَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ (3)، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا الْحَوَاسُّ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ، وَلَا جِسْمٌ وَلَا صَوْرَةٌ وَلَا تَخْطِيطٌ (4) وَلَا تَحْدِيدٌ. (5)

عنه عليه السلام: كَانَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ وَلَا يُمَسُّ، وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ الْحَمْسِ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْوَهْمُ، وَلَا تَصِفُهُ الْأَلْسُنُ، وَكُلُّ شَيْءٍ حَسَّتَهُ الْحَوَاسُّ أَوْ لَمَسَتْهُ الْأَيْدِي فَهُوَ مَخْلُوقٌ. (6)

- 1- الكافي: ج 1 ص 142 ح 7، التوحيد: ص 33 ح 1 كلاهما عن الحارث الأعور، بحار الأنوار: ج 4 ص 266 ح 14.
- 2- الكافي: ج 1 ص 85 ح 2، التوحيد: ص 285 ح 2، المحاسن: ج 1 ص 373 ح 818 وفيه «بالقياس» بدل «بالناس»، بحار الأنوار: ج 3 ص 370 ح 8 وراجع: التوحيد: ص 80 ح 35.
- 3- الجس: هو اللمس باليد (لسان العرب: ج 6 ص 38).
- 4- في كنز الفوائد: «ولا هو جسم ولا صورة، ولا بذئ تخطيط ولا تحديد».
- 5- الكافي: ج 1 ص 104 ح 1، التوحيد: ص 98 ح 4 وفيه «ولا يُمس» بعد «ولا يُجس» وكلاهما عن علي بن أبي حمزة، كنز الفوائد: ج 2 ص 41، بحار الأنوار: ج 3 ص 290 ح 5.
- 6- التوحيد: ص 75 ح 29 و ص 59 ح 17 كلاهما عن عبد الله بن جرير العبدي، بحار الأنوار: ج 3 ص 300 ح 31.

عنه عليه السلام لِرَندِيقٍ قَالَ لَهُ : فَمَا هُوَ ؟ : لا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ ، لا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ ولا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ ولا تُعَيِّرُهُ الْأَزْمَانُ . (1)

عنه عليه السلام : غَيْرُ مَحْسُوسٍ وَلَا مَجْسُوسٍ ، لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ . (2)

عنه عليه السلام : كُلُّ مَوْهُومٍ بِالْحَوَاسِّ مُدْرِكٌ بِهِ تَحْدُهُ الْحَوَاسُّ وَتُمَثِّلُهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ . (3)

عنه عليه السلام في مُنَازَرَتِهِ لِلطَّيِّبِ الْهِنْدِيِّ : قُلْتُ : إِنَّهُ لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسُّكَ عَنِ إِدْرَاكِ اللَّهِ أَنْكَرْتَهُ ، وَأَنَا لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسِّي عَنِ إِدْرَاكِ اللَّهِ تَعَالَى صَدَّقْتُ بِهِ . قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ جَرِي فِيهِ أَثَرٌ تَرْكِيْبٍ لِجِسْمٍ ، أَوْ وَقَعَ عَلَيْهِ بَصَرٌ لِلْوَنِّ ، فَمَا أَدْرَاكَتَهُ الْأَبْصَارُ وَنَالَتَهُ الْحَوَاسُّ فَهوَ وَغَيْرُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُشْبِهُ الْخَلْقَ ، وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ يَنْتَقِلُ بِتَغْيِيرِ وَزَوَالٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَشْبَهَ التَّغْيِيرَ وَالزَّوَالَ فَهُوَ مِثْلُهُ ، وَلَيْسَ الْمَخْلُوقُ كَالْخَالِقِ ، وَلَا الْمُحَدَّثُ كَالْمُحَدِّثِ . (4)

الإمام الرضا عليه السلام لِلرَّندِيقِ الَّذِي سَأَلَ : كَيْفَ هُوَ وَأَيْنَ هُوَ ؟ : وَيَدَاكَ ! إِنَّ الَّذِي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ غَلَطٌ . هُوَ أَيْنَ الْأَيْنِ بِلا أَيْنٍ ، وَكَيْفَ الْكَيْفِ بِلا كَيْفٍ ، فَلَا يُعْرَفُ بِالْكِفَوفِيَّةِ ، وَلَا بِأَيْنُونِيَّةِ ، وَلَا يُدْرِكُ بِحَاسَّةٍ ، وَلَا يُقَاسُ بِشَيْءٍ . (5)

- 1- الكافي : ج 1 ص 81 ح 5 ، التوحيد : ص 245 ح 1 ، الاحتجاج : ج 2 ص 197 ح 213 كلُّها عن هشام بن الحكم ، بحار الأنوار : ج 3 ص 258 ح 2 .
- 2- الكافي : ج 1 ص 91 ح 2 ، التوحيد : ص 58 ح 15 كلاهما عن حماد بن عمرو النصيبي ، بحار الأنوار : ج 4 ص 286 ح 18 .
- 3- الكافي : ج 1 ص 84 ح 6 ، التوحيد : ص 246 ح 1 وفيه «فما تجده» بدل «به تحده» ، الاحتجاج : ج 2 ص 198 ح 213 نحوه وكلُّها عن هشام بن الحكم ، بحار الأنوار : ج 3 ص 29 ح 3 .
- 4- بحار الأنوار : ج 3 ص 154 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .
- 5- الكافي : ج 1 ص 78 ح 3 ، التوحيد : ص 251 ح 3 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 131 ح 28 ، الاحتجاج : ج 2 ص 354 ح 281 كلُّها عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 3 ص 36 ح 12 .

8 / 4 لا يبلغ أحد كنه معرفته

8 / 4 لا يبلغ أحد كنه معرفته رسول الله صلى الله عليه وآله في الدعاء: يا من لا يعلم ما هو إلا هو. (1)

عنه صلى الله عليه وآله في تنزيه الله سبحانه: سبحانك ما عرفناك حق معرفتك. (2)

عوالي اللآلي: روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا يبلغ أحد كنه (3) معرفته. فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، الله أعلي وأجل أن يطالع أحد علي كنه معرفته. (4)

الإمام علي عليه السلام: الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل (5) العقول من عجائب قدرته، وردع خطرات همائم (6) النفوس عن عرفان كنه صفتيه. (7)

عنه عليه السلام: الحمد لله... الظاهر بعجائب تدبيره للتأطرين، والباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين. (8)

عنه عليه السلام: الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول أن تتخيل

-
- 1- عوالي اللآلي: ج 4 ص 132 ح 226، المصباح للكفعمي: ص 349 عن الإمام الحسين عن الإمام علي عليه السلام، البلد الأمين: ص 340 عنهم عليهم السلام، بحار الأنوار: ج 86 ص 334 ح 72.
 - 2- عوالي اللآلي: ج 4 ص 132 ح 227، بحار الأنوار: ج 71 ص 23.
 - 3- كنه الأمر: حقيقته. وقيل: وقته وقدره. وقيل: غايته (النهاية: ج 4 ص 206).
 - 4- عوالي اللآلي: ج 4 ص 132 ح 225.
 - 5- المقل: جمع مقلعة - كغرفة - وهي شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها. تستعار لقوة العقل باعتبار إدراكها (مجمع البحرين: ج 3 ص 1709).
 - 6- الهمايم: الهموم. وهمايم النفوس: أفكارها، وماتهم به عند الريبة في الأمر (تاج العروس: ج 17 ص 767).
 - 7- نهج البلاغة: الخطبة 195، بحار الأنوار: ج 77 ص 314 ح 15.
 - 8- نهج البلاغة: الخطبة 213، بحار الأنوار: ج 4 ص 319 ح 45.

ذاتُه؛ لا مِتْناعِها مِنَ الشَّبهِ وَالشَّائِئِ . (1)

عنه عليه السلام: لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدِ فَيْكُونَ مُشَبَّهًا ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرِ فَيْكُونَ مُمَثَّلًا . (2)

عنه عليه السلام: مَنْ اعْتَمَدَ عَلَيِ الرَّايِ وَالْقِياسِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ ، ضَلَّ وَتَشَعَّبَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ . (3)

عنه عليه السلام: تَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ . (4)

عنه عليه السلام: تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ ، لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا . (5)

عنه عليه السلام: فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَنْنَأْ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيِّفًا ، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ حَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُودًا مُصَرَّفًا (6) . (7)

عنه عليه السلام: عَظُمَ عَنِّي أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ . (8)

- 1- الكافي: ج 8 ص 18 ح 4، التوحيد: ص 73 ح 27، الأمالي للصدوق: ص 399 ح 515 كلاهما نحوه وكلها عن جابر بن يزيد عن الإمام الباقر عليه السلام، تحف العقول: ص 92 وفيه «أعدم» بدل «منع»، بحار الأنوار: ج 70 ص 280 ح 1.
- 2- نهج البلاغة: الخطبة 155، بحار الأنوار: ج 4 ص 317 ح 42.
- 3- غرر الحكم: ح 9191، عيون الحكم والمواعظ: ص 433 ح 7463.
- 4- الكافي: ج 1 ص 135 ح 1 عن محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن يحيى جميعا رفعاه إلي الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص 42 ح 3 عن الحصين بن عبد الرحمن عن أبيه عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، نهج البلاغة: الخطبة 94 وفيه «حدس» بدل «غوص»، الاحتجاج: ج 1 ص 473 ح 113 نحوه، بحار الأنوار: ج 4 ص 269 ح 15.
- 5- نهج البلاغة: الخطبة 185، الاحتجاج: ج 1 ص 480 ح 117، أعلام الدين: ص 67، بحار الأنوار: ج 4 ص 261 ح 9.
- 6- أي مغيرًا. من تصريف الرياح؛ وهو تحويلها من وجه إلي وجه (القاموس المحيط: ج 3 ص 162).
- 7- نهج البلاغة: الخطبة 91، التوحيد: ص 54 ح 13 كلاهما عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، غرر الحكم: ح 7559 وفيه «محددا» بدل «فتكون محدودا»، بحار الأنوار: ج 77 ص 318.
- 8- نهج البلاغة: الكتاب 31، بحار الأنوار: ج 4 ص 317 ح 41.

عنه عليه السلام: لا تنالهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبَعِيضُ ، ولا تُحِيْطُ بِهِ الأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ . (1)

عنه عليه السلام_ في تَمَجِيدِ اللَّهِ عز و جل _ : فَلسنا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلا أَنّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لا تَأْخُذُكَ سِنَّةٌ ولا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظْرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ . (2)

عنه عليه السلام : مُحَرَّمٌ عَلَيَّ بِوَارِعِ ثاقِبَاتِ الفِطَنِ تَحْدِيدُهُ ، وَعَلَيَّ عَوامِقِ ناقِبَاتِ الفِكرِ تَكْيِيفُهُ . . . مُمْتَنِعٌ عَنِ الأوهامِ أَن تَكْتَنِبَهُ ، وَعَنِ الأَفْهَامِ أَن تَسْتَغْرِقَهُ ، وَعَنِ الأَذْهَانِ أَن تُمَثِّلَهُ . (3)

عنه عليه السلام_ في تَمَجِيدِ اللَّهِ عز و جل _ : كَلَّتِ الأوهامُ عَن تَقْسِيرِ صِدْفَتِكَ ، وَانْحَسَرَتِ العُقُولُ عَن كُنْهِ عَظَمَتِكَ . . . وَكَلَّ دُونَ ذَلِكَ تَحْيِيرُ (4) اللُّغَاتِ ، وَضَلَّ هُنَالِكَ التَّدْبِيرُ فِي تَصَارِيفِ الصِّفَاتِ ؛ فَمَنْ تَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ رَجَعَ طَرْفُهُ (5) إِلَيْهِ حَسِيرًا ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا ، وَتَفَكَّرَهُ مُتَحَيِّرًا . (6)

عنه عليه السلام : فَلَيْسَتْ لَهُ صِيفَةٌ تُنَالُ ، ولا حَدٌّ تُضْرَبُ لَهُ فِيهِ الأَمْثالُ ، كَلَّ دُونَ صِدْفَاتِهِ تَحْيِيرُ اللُّغَاتِ ، فَضَلَّ هُنَاكَ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ ، وَحَارَ فِي مَلَكُوتِهِ عَمِيقَاتِ مَذَاهِبِ التَّفَكِيرِ ، وَانْقَطَعَ دُونَ الرُّسُوخِ فِي عِلْمِهِ جَوامِعُ التَّفْسِيرِ ، وَحَالَ دُونَ غَيْبِهِ المَكْنُونِ حُجُبٌ مِنَ الغُيُوبِ تَأَهَّتْ فِي أَدْنَى أَدْنِيهَا طامِحَاتُ (7) العُقُولِ فِي

1- نهج البلاغة : الخطبة 85 ، بحار الأنوار : ج 4 ص 319 ح 45 .

2- نهج البلاغة : الخطبة 160 .

3- التوحيد : ص 70 ح 26 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 121 ح 15 كلاهما عن الهيثم بن عبد الله الرماني عن الإمام الرضا عن آباءه عليهم السلام ، البلد الأمين : ص 92 ، بحار الأنوار : ج 90 ص 138 ح 7 .

4- حَبَّرْتُ الشَّعْرَ وَالكَلامَ : حَسَّنْتُهُ (لسان العرب : ج 4 ص 157) .

5- الطَّرْفُ : العَيْنُ (القاموس المحيط : ج 3 ص 166) .

6- مهج الدعوات : ص 140 عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر ، بحار الأنوار : ج 95 ص 243 ح 31 .

7- طمَّحَ بَصْرِيٌّ إِلَيْهِ : امْتَدَّ وَعَلَا (لسان العرب : ج 2 ص 534) .

لَطِيفَاتِ الْأُمُورِ . (1)

عنه عليه السلام: أزلُّه نُهيَةً لِمَجَاوِلِ الْأَفْكَارِ ، ودَوَامُهُ رَدْعٌ لِطَامِحَاتِ الْعُقُولِ . (2)

عنه عليه السلام- كَانَ يَقُولُ إِذَا سَبَّحَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَجَّدَهُ -: سُبْحَانَهُ مَنْ إِذَا تَنَاهَتْ (3) الْعُقُولُ فِي وَصْفِهِ كَانَتْ حَائِزَةً عَنِ دَرْكِ السَّبِيلِ إِلَيْهِ ، وَتَبَارَكَ مَنْ إِذَا غَرَقَتِ الْفِطْنُ (4) فِي تَكْيِيفِهِ لَمْ يَكُنْ لَهَا طَرِيقٌ إِلَيْهِ غَيْرَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ . (5)

عنه عليه السلام : تَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِي فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ ، وَغَمَصَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَتَنَاوَلَ عِلْمَ ذَاتِهِ ، رَدَعَهَا (6) وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي سُدْفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ . (7)

عنه عليه السلام : الْعَجْزُ عَنِ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ . (8)

عنه عليه السلام- فِي الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ -: كَيْفِيَّةُ الْمَرءِ لَيْسَ الْمَرءُ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةِ الْجَبَّارِ فِي الْقِدَمِ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْأَشْيَاءَ مُبْتَدِعًا فَكَيْفَ يُدْرِكُهُ مُسْتَحْدَثُ النَّسَمِ (9)

-
- 1- .الكافي : ج 1 ص 134 ح 1 عن محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن يحيى جميعا رفعاه إلى الإمام الصادق عليه السلام ، التوحيد : ص 41 ح 3 عن الحصين بن عبد الرحمن عن أبيه عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار : ج 4 ص 269 ح 15 .
 - 2- .الكافي : ج 1 ص 140 ح 5 عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 57 ح 287 .
 - 3- .تتاهي : بلغ نهايته (القاموس المحيط: ج 4 ص 398) .
 - 4- .الْفِطْنَةُ : كالفهم ، والفتنة: ضد الغباوة (لسان العرب: ج 13 ص 323) .
 - 5- .كنز الفوائد : ج 2 ص 107 ، إرشاد القلوب : ص 169 نحوه .
 - 6- .رَدَعَتْهُ: مَنَعَتْهُ وَزَجَرَتْهُ (المصباح المنير: ص 224) .
 - 7- .نهج البلاغة: الخطبة 91 ، التوحيد : ص 51 ح 13 نحوه وكلاهما عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 4 ص 275 ح 16 .
 - 8- .إحياء علوم الدين : ج 4 ص 443 ، المحجّة البيضاء : ج 8 ص 24 .
 - 9- .الديوان المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام : ص 518 الرقم 390 .

فاطمة عليها السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي احْتَجَبَ عَن كُلِّ مَخْلُوقٍ يَرَاهُ بِحَقِيقَةِ الرَّبُوبِيَّةِ وَقُدْرَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ، فَلَمْ تُدْرِكْهُ الْأَبْصَارُ. (1)

الإمام الحسن عليه السلام: لا تُدْرِكُ الْعُقُولُ وَأَوْهَامُهَا، وَلَا الْفِكْرُ وَخَطَرَاتُهَا، وَلَا الْأَلْبَابُ وَأَذْهَانُهَا صِدْقَهُ فَتَقُولُ: مَتِي؟ وَلَا بُدِيَّ مِمَّا؟ وَلَا ظَاهِرٌ عَلَيَّ مَا؟ وَلَا بَاطِنٌ فِيمَا؟ وَلَا تَارِكٌ فَهَلَا (2)؟ (3)

الإمام الحسين عليه السلام: احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ، كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ. (4)

الإمام زين العابدين عليه السلام: مِنْ دُعَائِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ: أَنْتَ الَّذِي قَصَّ رَتِ الْأَوْهَامِ عَنِ ذَاتِيكَ، وَعَجَزَتِ الْأَفْهَامُ عَنِ كَيْفِيَّتِكَ، وَلَمْ تُدْرِكِ الْأَبْصَارُ مَوْضِعَ أَيْنِيَّتِكَ. (5)

عنه عليه السلام: مِنْ دُعَائِهِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ: ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ، وَتَسَّخَتْ دُونَكَ التُّعُوثُ، وَحَارَتْ فِي كِبْرِيَائِكَ لَطَائِفُ الْأَوْهَامِ. (6)

عنه عليه السلام: مِنْ دُعَائِهِ فِي الْقَنُوتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي دَعَوْتُكَ دُعَاءَ مَنْ عَرَفَكَ وَسَدَّ بَلَّ (7) إِلَيْكَ، وَأَلَّ بِجَمِيعِ بَدَنِهِ إِلَيْكَ، سُدَّ بِحَانِكَ! طَوَّتِ الْأَبْصَارُ فِي صَنْعَتِكَ مَدِيدَتَهَا، وَثَبَّتِ الْأَلْبَابُ عَن كُنْهِكَ أَعْتَتَهَا، فَأَنْتَ الْمُدْرِكُ غَيْرَ الْمُدْرِكِ، وَالْمُحِيطُ غَيْرَ الْمُحَاطِ. (8)

1- فلاح السائل: ص 358 ح 241، بحار الأنوار: ج 86 ص 85 ح 11.

2- أي: ولا هو تارك ما ينبغي خلقه فيقال: هلا تركه.

3- التوحيد: ص 45 ح 5، بحار الأنوار: ج 4 ص 289 ح 20.

4- تحف العقول: ص 245، بحار الأنوار: ج 4 ص 301 ح 29.

5- الصحيفة السجادية: ص 187 الدعاء 47 وراجع بحار الأنوار: ج 94 ص 150.

6- الصحيفة السجادية: ص 129 الدعاء 32، مصباح المتهجد: ص 188 ح 272؛ شرح نهج البلاغة: ج 6 ص 183.

7- يقال: سدَّ بَلَّهُ تسبيلاً: أي أباحه وجعله فيسبيل الله (تاج العروس: ج 14 ص 329). والمعني: انقطع إليك، وجعل نفسه وقفا في طاعتك.

8- مهج الدعوات: ص 71، بحار الأنوار: ج 85 ص 216.

الإمام الباقر عليه السلام: إِنَّمَا يُعْقَلُ مَا كَانَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ، وَلَيْسَ اللَّهُ كَذَلِكَ. (1)

عنه عليه السلام_ لِجَابِرِ الْجَعْفِيِّ -: يَا جَابِرُ، إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ، تَعَالَى عَنِ صِفَةِ الْوَاصِدِينَ، وَجَلَّ عَنِ أَوْهَامِ الْمُتَوَهِّمِينَ، وَاحْتَجَبَ عَنِ أَعْيُنِ النَّاطِرِينَ، لَا يَزُولُ مَعَ الزَّائِلِينَ، وَلَا يَأْفُلُ مَعَ الْآفِلِينَ، لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (2)

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَا تُقَدَّرُ قُدْرَتُهُ، وَلَا يَقْدَرُ الْعِبَادُ عَلَيَّ صِفَتِهِ، وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَ عِلْمِهِ وَلَا مَبْلَغَ عَظَمَتِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ، هُوَ نُورٌ لَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ، وَصِدْقٌ لَيْسَ فِيهِ كِذْبٌ، وَعَدْلٌ لَيْسَ فِيهِ جَوْرٌ، وَحَقٌّ لَيْسَ فِيهِ بَاطِلٌ، كَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ أَبَدَ الْأَبَدِينَ. (3)

الإمام الكاظم عليه السلام: إِنَّهُ لَا تُقَدَّرُهُ الْعُقُولُ، وَلَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ. (4)

الإمام الرضا عليه السلام: لَا تَضْبُطُهُ الْعُقُولُ، وَلَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ مِقْدَارٌ. عَجَزَتِ دُونَهُ الْعِبَارَةُ، وَكَلَّتِ دُونَهُ الْأَبْصَارُ، وَضَلَّ فِيهِ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ. اِحْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ، وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتَوْرٍ، عُرِفَ بِغَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَوُصِفَ بِغَيْرِ صُورَةٍ. (5)

-
- 1- الكافي: ج 1 ص 108 ح 1، الاحتجاج: ج 2 ص 168 ح 196، التوحيد: ص 144 ح 9 كلها عن محمد بن مسلم، بحار الأنوار: ج 4 ص 69 ح 14.
 - 2- التوحيد: ص 179 ح 13، تفسير العياشي: ج 1 ص 59 ح 94 كلاهما عن جابر الجعفي، بحار الأنوار: ج 3 ص 329 ح 31.
 - 3- التوحيد: ص 128 ح 8 عن المفصل بن عمر، بحار الأنوار: ج 3 ص 306 ح 44.
 - 4- التوحيد: ص 76 ح 32 عن محمد بن أبي عمير وص 79 ح 34 عن أبي المعتمر مسلم بن أوس عن الإمام علي عليه السلام، بحار الأنوار: ج 4 ص 296 ح 23.
 - 5- الكافي: ج 1 ص 105 ح 3، التوحيد: ص 98 ح 5، علل الشرائع: ص 9 ح 3 كلها عن محمد بن زيد، بحار الأنوار: ج 4 ص 263 ح 11.

8 / 5 النهي عن التفكر في ذاته

عنه عليه السلام: ما تَوَهَّمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَوَهَّمُوا اللَّهَ غَيْرَهُ . (1)

الإمام الجواد عليه السلام: رَبُّنَا _ تَبَارَكَ وَتَعَالَى _ لَا شِبَهَ لَهُ وَلَا ضِدَّ وَلَا نِدَّ ، وَلَا كَيْفَ وَلَا نِهَائَةَ وَلَا تَبْصَارَ بَصَرٍ ، وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ الْقُلُوبِ أَنْ تُمَثِّلَهُ ، وَعَلَيَّ الْأَوْهَامِ أَنْ تَحُدَّهُ ، وَعَلَيَّ الضَّمَائِرِ أَنْ تُكَوِّنَهُ ، جَلَّ وَعَزَّ عَنْ أَدَاةِ خَلْقِهِ وَسِمَاتِ بَرِيَّتِهِ ، وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوقًا كَبِيرًا . (2)

الإمام الهادي عليه السلام: إلهي تاهت أوهام المتوهَّمين ، وقصرت طرف الطارفين ، وتلاشت أوصاف الواصفين ، وأضمحت أفاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك ، أو الوقوع بالبلوغ إلي علوك . (3)

8 / 5 النهي عن التفكر في ذاته رسول الله صلي الله عليه وآله في قوله تعالى: «وَأَنْ إِلَيَّ رُبُّكَ الْمُنتَهَى» (4) -: لا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ . (5)

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «وَأَنْ إِلَيَّ رُبُّكَ الْمُنتَهَى» ، فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَيَّ اللَّهُ فَأَمْسِكُوا . (6)

1- .الكافي : ج 1 ص 101 ح 3 ، التوحيد : ص 114 ح 13 كلاهما عن إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين ، بحار الأنوار : ج 4 ص 40 ح 18 .

2- .الكافي : ج 1 ص 117 ح 7 ، التوحيد : ص 194 ح 7 وفيه «أفطار» بدل «تبصار بصر» و«تكيّفه» بدل «تكوّنه» ، الاحتجاج : ج 2 ص 468 ح 321 نحوه وكلّها عن أبي هاشم الجعفري ، بحار الأنوار : ج 4 ص 154 ح 1 .

3- .التوحيد: ص 66 ح 19 عن سهل بن زياد ، الاحتجاج : ج 2 ص 485 ح 325 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 298 ح 27 .

4- .النجم : 42 .

5- .تفسير القرطبي : ج 17 ص 115 ، تفسير البغوي : ج 4 ص 255 كلاهما عن أبي بن كعب ، الدر المنثور: ج 7 ص 662 نقلاً عن الدارقطني في الأفراد ، كنز العمال : ج 3 ص 696 ح 8491 .

6- .الكافي : ج 1 ص 92 ح 2 ، التوحيد : ص 456 ح 9 ، المحاسن : ج 1 ص 370 ح 806 كلّها عن سليمان بن خالد ، روضة الواعظين : ص 45 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 259 ح 6 .

رسول الله صلي الله عليه وآله: تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا. (1)

عنه صلي الله عليه وآله: تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ. (2)

عنه صلي الله عليه وآله: تَفَكَّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ تَعَالَى. (3)

تنبيه الخواطر عن ابن عباس: إِنَّ قَوْمًا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تُقَدِّرُوا قَدْرَهُ. (4)

العظمة عن ابن عباس: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ حَلَقٌ ، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فِيمَ أَنْتُمْ ؟ قُلْنَا: نَتَفَكَّرُ فِي الشَّمْسِ كَيْفَ طَلَعَتْ ، وَكَيْفَ غَرَبَتْ . قَالَ: أَحْسَنْتُمْ! كُونُوا هَكَذَا، تَفَكَّرُوا فِي الْمَخْلُوقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ. (5)

الإمام علي عليه السلام: مَنْ تَفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَحَدًا. (6)

عنه عليه السلام: مَنْ أَفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَزَنَّدَقَ (7). (8)

-
- 1- العظمة: ص 18 ح 4 عن أبي ذرٍّ، كنز العمال: ج 3 ص 106 ح 5705.
 - 2- المعجم الأوسط: ج 6 ص 250 ح 6319، شعب الإيمان: ج 1 ص 136 ح 120، العظمة: ص 17 ح 1 كلها عن ابن عمر، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج 4 ص 395 ح 1788، كنز العمال: ج 3 ص 106 ح 5707.
 - 3- العظمة: ص 18 ح 3 عن ابن عباس، كنز العمال: ج 3 ص 106 ح 5704؛ التوحيد: ص 455 ح 2 عن أبي عبيدة عن الإمام الباقر عليه السلام، الكافي: ج 1 ص 92 ذيل ح 1 عن حريز من دون إسنادٍ إلي المعصوم وفيهما «تكلّموا» بدل «تفكّروا» في كلا الموضوعين.
 - 4- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 250؛ العظمة: ص 18 ح 5 وفيه «الخالق» بدل «الله»، كنز العمال: ج 3 ص 106 ح 5706.
 - 5- العظمة: ص 348 ح 993 وراجع ص 325 ح 960 وبحار الأنوار: ج 57 ص 348 ح 44.
 - 6- غرر الحكم: ح 8487، عيون الحكم والمواعظ: ص 449 ح 7976.
 - 7- أفكر في الشيء وفكر فيه وتفكر بمعنيي، وتزندق: أي صار زنديقا، ويطلق الزنديق علي الثنوي وعلي المنكر للصانع وعلي كل ملحد كافر (مرآة العقول: ج 25 ص 48).
 - 8- الكافي: ج 8 ص 22 ح 4 عن جابر بن يزيد عن الإمام الباقر عليه السلام، تحف العقول: ص 96 وفيه «فكر» بدل «أفكر»، غرر الحكم: ح 8503 وفيه «تفكر» بدل «أفكر»، بحار الأنوار: ج 77 ص 285 ح 1.

الإمام الباقر عليه السلام: إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى عَظَمَتِهِ فَانظُرُوا إِلَى عَظِيمِ خَلْقِهِ . (1)

عنه عليه السلام: تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ ؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزِدَادُ صَاحِبُهُ إِلَّا تَحِيْرًا . (2)

عنه عليه السلام: تَكَلَّمُوا فِيَمَا دُونَ الْعَرْشِ وَلَا تَكَلَّمُوا فِيَمَا فَوْقَ الْعَرْشِ ؛ فَإِنَّ قَوْمًا تَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَاهُوا حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يُنَادِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيَجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَيُنَادِي مِنْ خَلْفِهِ فَيَجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ . (3)

عنه عليه السلام: أَذْكُرُوا مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ مَا سِنْتُمْ وَلَا تَذْكُرُوا ذَاتَهُ ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَذْكُرُونَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ . (4)

عنه عليه السلام: دَعُوا التَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ ؛ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ لَا يَزِيدُ إِلَّا تَيْهًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا تَبْلُغُهُ الْأَخْبَارُ . (5)

الإمام الصادق عليه السلام: إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ ؛ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ لَا يَزِيدُ إِلَّا تَيْهًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا يَوْصَفُ بِمِقْدَارٍ . (6)

-
- 1- الكافي: ج 1 ص 93 ح 7، التوحيد: ص 458 ح 20 كلاهما عن محمد بن مسلم، وسائل الشيعة: ج 11 ص 453 ح 4.
 - 2- الكافي: ج 1 ص 92 ح 1، التوحيد: ص 454 ح 1 كلاهما عن أبي بصير، روضة الواعظين: ص 45 وراجع: التوحيد: ص 457 ح 17.
 - 3- التوحيد: ص 455 ح 7، المحاسن: ج 1 ص 371 ح 811، وليس فيه ذيله من «وينادي من خلفه» وكلاهما عن محمد بن مسلم، تفسير القمي: ج 1 ص 25 عن جميل عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه، بحار الأنوار: ج 3 ص 259 ح 6 وراجع: الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ص 384.
 - 4- التوحيد: ص 455 ح 3 عن ضريس الكناسي، وسائل الشيعة: ج 11 ص 455 ح 14؛ سير أعلام النبلاء: ج 4 ص 406، تاريخ دمشق: ج 54 ص 282 كلاهما عن المنهال بن عمرو وليس فيهما «لا تذكروا ذاته فإنكم».
 - 5- التوحيد: ص 457 ح 13 عن أبي الجارود.
 - 6- التوحيد: ص 457 ح 14، الأمالي للصدوق: ص 503 ح 690 كلاهما عن سليمان بن خالد، روضة الواعظين: ص 44، بحار الأنوار: ج 3 ص 259 ح 4.

8 / 6 النهي عن التعمق في صفته

اشاره

عنه عليه السلام: مَنْ نَظَرَ فِي اللَّهِ كَيْفَ هُوَ هَلَكَ . (1)

راجع : ص 375 ح 3934 .

8 / 6 النهي عن التعمق في صفتها لإمام علي عليه السلام: أَنْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ؛ فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضَى بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَيْمَّةِ الْهُدَى أَثْرُهُ، فَكَلِّ عِلْمَهُ إِلَيَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِقْرَازُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَّحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنِ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكُهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفُهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا. فَاقْتَصِرْ عَلَيَّ ذَلِكَ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ قَدْرَ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . (2)

عنه عليه السلام: الْكُفْرُ عَلَيَّ أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَيَّ التَّعَمُّقِ، وَالتَّنَازُعِ، وَالزَّيْغِ، وَالشَّقَاقِ؛ فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُبْ إِِلَى الْحَقِّ... (3).

- 1- الكافي: ج 1 ص 93 ح 5، المحاسن: ج 1 ص 371 ح 808 كلاهما عن حسين بن ميثاق عن أبيه، بحار الأنوار: ج 3 ص 264 ح 24.
- 2- نهج البلاغة: الخطبة 91، التوحيد: ص 55 ح 13، تفسير العياشي: ج 1 ص 163 ح 5 كلها عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، تيسير المطالب: ص 203 كلها نحوه، بحار الأنوار: ج 57 ص 107 ح 90.
- 3- نهج البلاغة: الحكمة 31، الكافي: ج 2 ص 392 ح 1 عن سليم بن قيس الهلالي نحوه، الخصال: ص 232 ح 74 عن الأصبع بن نباتة وفيه «العتو» بدل «الكفر»، تحف العقول: ص 166 وفيه «الغلو» بدل «الكفر»، بحار الأنوار: ج 68 ص 348 ح 17.

الإمام زين العابدين عليه السلام كان إذا قرأ هذه الآية: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا» (1) يقول: سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ نِعْمِهِ إِلَّا الْمَعْرِفَةَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا، كَمَا لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ إِدْرَاكِهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُهُ، فَشَكَرَ - جَلَّ وَعَزَّ - مَعْرِفَةَ الْعَارِفِينَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَةِ شُكْرِهِ فَجَعَلَ مَعْرِفَتَهُمْ بِالتَّقْصِيرِ شُكْرًا، كَمَا عَلِمَ عِلْمَ الْعَالَمِينَ أَنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَهُ فَجَعَلَهُ إِيمَانًا، عِلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ وَسَّعَ الْعِبَادَ فَلَا يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ. (2)

الكافي عن عاصم بن حميد: سَدَّ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (3) وَالآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَى قَوْلِهِ: «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (4)، فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ. (5)

1- إبراهيم: 34.

2- الكافي: ج 8 ص 394 ح 592، تحف العقول: ص 283 وفيه «قَدْ وَسَّعَ الْعِبَادَ فَلَا يُجَاوِزُونَ ذَلِكَ» بدل «قَدْ وَسَّعَ الْعِبَادَ فَلَا يَتَجَاوَزُونَ ذَلِكَ»، بحار الأنوار: ج 78 ص 141 ح 36.

3- الإخلاص: 1.

4- الحديد: 6.

5- الكافي: ج 1 ص 91 ح 3، التوحيد: ص 283 ح 2، بحار الأنوار: ج 3 ص 264 ح 21.

كلام حول معني «التعمق» في معرفة الله

اشاره

كلام حول معني «التعمق» في معرفة اللّهوهم عدد من كبار أولي العرفان في تفسير الحديث الذي نقله المرحوم الكليني رحمه الله عن الإمام زين العابدين عليه السلام حول «التعمق» غافلين عن معناه في اللغة والأحاديث المأثورة، فقد فسروا كلامه عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» وَالآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَى قَوْلِهِ: «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»، فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ» (1). بأنه لما كان الله تعالى يعلم بأن أناسا سوف يأتون في آخر الزمان يستقصون و يتمعنون، أنزل سورة التوحيد والآيات الأولى من سورة الحديد، وبهذا البيان استخرجوا مدح أهل العرفان في آخر الزمان و طبقتوا الحديث المذكور علي ما فهموه من التوحيد، بيد أن مراجعة المصادر الأصيلة في اللغة والحديث التي وردت فيها كلمة «التعمق»، والتدقيق في ذيل كلامه عليه السلام يجعلان الباحث يوقن بأن فهمهم للحديث المذكور غير سديد قطعاً، وتوضيح ذلك

1. «التعمق» في اللغة

2. الأحاديث التي تناولت كلمة «التعمق»

أ_ مدح ترك التعمق في صفات الله

فيما يلي :

1. «التعمق» في اللغة قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «المتعمق: المبالغ في الأمر المشدد فيه ، الذي يطلب أقصى غايته»، (1) ومثله عن ابن منظور في لسان العرب. (2) وفي ضوء ذلك نلاحظ أنّ غاية الجهد لبلوغ العمق وأقصى الشيء يُسمّى في اللغة تعمّقا .

2. الأحاديث التي تناولت كلمة «التعمق» إنّ التنقيب في مواضع استعمال كلمة «التعمق» في الأحاديث المنقولة في مصادر الفريقين لا يُريب الباحث في أنّ القصد من هذه الكلمة في الثقافة الإسلامية هو الإفراط ، والتطرف ، والخروج من حدّ الاعتدال ، ويمكن أن نقسّم هذه الأحاديث إلى أربعة أقسام :

أ_ مدح ترك التعمق في صفات اللّه الطائفة الأولى : الأحاديث التي تصف الراسخين في العلم وتُثني علي تركهم التعمق في صفات اللّه ، بل في جميع القضايا الغيبية ، مثل قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : «فَمَدَحَ اللّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَن تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا ، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفُهُمُ البَحْثَ عَن كُنْهِهِ رُسُوخًا» (3) .

1- .كتاب العين: ص 579 «عمق» .

2- .لسان العرب : ج 10 ص 271 «عمق» ؛ النهاية : ج 3 ص 299 «عمق» .

3- .راجع : ص 326 ح 3843 .

ب _ خطر مطلق التعمق**ج _ التحذير من التعمق في الدين**

ولهذه الأحاديث أهميّة خاصّة في هذا المبحث لا تساقها والقرآن الكريم .

ب _ خطر مطلق التعمق الطائفة الثانية : الأحاديث التي تصف مطلق التعمق بالخطر كالذي أثار عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من عدّه التعمق دعامة من دعائم الكفر: «الكُفْرُ عَلَيَّ أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَيَّ التَّعَمُّقُ ... فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُبِ إِِلَى الْحَقِّ». (1)

ج _ التحذير من التعمق في الدين الطائفة الثالثة : الأحاديث التي حذرت من التطرف في قضايا الدين الفرعية نحو قوله صلي الله عليه وآله : «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ فِي الدِّينِ ! فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَهُ سَهْلًا ، فَخُذُوا مِنْهُ مَا تُطِيقُونَ ...» (2) . وقول الإمام الكاظم عليه السلام : « لا تَعَمَّقْ فِي الوُضوءِ » (3) . وقال العلامة المجلسي في بيان هذه الرواية : «أي : يكثر الماء ، أو بالمبالغة كثيرا في إيصال الماء زائدا عن الإسباغ المطلوب» (4) .

-
- 1- نهج البلاغة : الحكمة 31، الكافي : ج 2 ص 392 ح 1 عن سليم بن قيس الهلالي نحوه ، الخصال : ص 232 ح 74 عن الأصبغ بن نباتة وفيه «العتوّ» بدل «الكفر» ، تحف العقول : ص 166 وفيه «الغلوّ» بدل «الكفر» ، بحار الأنوار : ج 68 ص 348 ح 17 .
 - 2- كنز العمال : ج 3 ص 35 ح 5348 نقلاً عن أبي القاسم بن بشران في أماليه .
 - 3- راجع: وسائل الشيعة : ج 1 ص 334 باب «استحباب صفق الوجه بالماء قليلاً عند الوضوء ، وكراهة المبالغة في الضرب ، والتعمق في الوضوء» .
 - 4- بحار الأنوار : ج 80 ص 258 .

د _ عاقبة التعمق في الدين

د _ عاقبة التعمق في الدين الطائفة الرابعة : الأحاديث التي تري أنّ عاقبة التطرف والإفراط الديني هي الخروج من الدين ، كما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «إِنَّ أَقْوَامًا يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ يَمْرُقُونَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» . (1) ونلاحظ في ضوء ما تقدّم أنّ التعمق في معرفة الله والشؤون الدينية ، كما تفيد ثقافة الحديث في الإسلام ليس فحسب ، بل محظورٌ مذمومٌ أيضاً . وما ورد في كلام الإمام زين العابدين عليه السلام «إِنَّ أَقْوَامًا سَيَتَعَمَّقُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ» يعبر عن انحرافهم العقيدي ، إذ أنّ الله تعالى أنزل سورة التوحيد والآيات الأُولي من سورة الحديد لتلاّ يعلم انحرافهم . إنّ ما جاء في ذيل كلام الإمام عليه السلام إذ قال: «فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ هَلْكَ» يدلّ علي أنّ المسلمين يجب أن يكتفوا في معرفة صفات الله ، بما ورد في هذه الآيات وما وصّحه أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال ، ولا يسبروا الغور في المباحث التي لا يبلغ عمقها فكرهم (2) ، فلا عاقبة للتعمق في ذات الله سبحانه وصفاته إلاّ الهلاك .

راجع : ج 2 ص 158 (خطر التعمق) .

-
- 1- .مسند ابن حنبل : ج 4 ص 318 ح 12615 عن أنس بن مالك؛ كنز العمال : ج 11 ص 288 ح 31543 نقلاً عن ابن جرير وراجع: موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 6 ص 261 . «التطرف الديني في اصطلاح الحديث» .
- 2- .راجع : ص 323 «النّهْي عن التّفكّر في ذاته» و 326 «النّهْي عن التعمق في صفته» .

الفصل التاسع: ما ورد في حجب الله

9 / 1 لا حجاب بين الله وبين خلقه

الفصل التاسع: ما ورد في حجب الله 9 / 1 لا حجاب بين الله وبين خلقها لإمام علي عليه السلام في صفة الخالق جلّ وعلا: لا شبح فينقصي، ولا محجوب فيحوي. (1)

عنه عليه السلام في جواب من قال له كيف رأيت ربك: بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له... حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه. (2)

التوحيد عن الحارث الأعور عن الإمام علي عليه السلام: أنه دخل السوق، فإذا هو برجل مؤلّيه ظهره يقول: لا والذي احتجب بالسبع. فضرب علي عليه السلام ظهره، ثم قال: من الذي احتجب بالسبع؟ قال: الله يا أمير المؤمنين.

1- نهج البلاغة: الخطبة 163، بحار الأنوار: ج 77 ص 306 ح 11؛ كنز العمال: ج 1 ص 408 ح 1737 نقلاً عن حلية الأولياء عن النعمان بن سعد.

2- الكافي: ج 1 ص 139 ح 4 عن الإمام الصادق عليه السلام.

قَالَ : أَخْطَأْتُ ثُكَلْتِكَ أَثْمُكَ ! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ حِجَابٌ ؛ لِأَنَّهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا . قَالَ : مَا كَفَّارَةُ مَا قُلْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
قَالَ : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُ كُنْتَ . قَالَ : أَطْعِمُ الْمَسَاكِينَ ؟ قَالَ : لَا ، إِنَّمَا حَلَفْتَ بِغَيْرِ رَبِّكَ . (1)

الإمام الصادق عليه السلام : مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بِحِجَابٍ أَوْ بِصُورَةٍ أَوْ بِمِثَالٍ فَهُوَ مُشْرِكٌ ؛ لِأَنَّ حِجَابَهُ وَمِثَالَهُ وَصُورَتَهُ غَيْرُهُ . (2)

الكافي عن ابن أبي العوجاء : قُلْتُ لَهُ [أَيُّ الإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ] : ... وَلِمَ احْتَجَبَ عَنْهُمْ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ ؟ وَلَوْ بَاشَرَهُمْ بِنَفْسِهِ
كَانَ أَقْرَبَ إِلَيَّ الْإِيمَانِ بِهِ ؟ فَقَالَ لِي : وَيَلَيْكَ ! وَكَيْفَ احْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَرَاكَ قُدْرَتَهُ فِي نَفْسِكَ ؛ نُشُوءَكَ وَلَمْ تَكُنْ ، وَكِبْرَكَ بَعْدَ صِغَرِكَ ، وَقُوَّتَكَ
بَعْدَ ضَعْفِكَ وَضَعْفَكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ ، وَسَقَمَكَ بَعْدَ صِحَّتِكَ وَصِدْحَتَكَ بَعْدَ سَقَمِكَ ، وَرِضَاكَ بَعْدَ غَضَبِكَ وَغَضَبَكَ بَعْدَ رِضَاكَ ، وَحُزْنَكَ بَعْدَ
فَرَحِكَ وَفَرَحَكَ بَعْدَ حُزْنِكَ ، وَحُبَّكَ بَعْدَ بُغْضِكَ وَبُغْضَكَ بَعْدَ حُبِّكَ ، وَعَزَمَكَ بَعْدَ أُنَاتِكَ وَأُنَاتَكَ بَعْدَ عَزَمِكَ ، وَسَدَّ هَوْتَكَ بَعْدَ كِرَاهِيَتِكَ
وَكِرَاهِيَتَكَ بَعْدَ هَوْتِكَ ، وَرَغْبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ وَرَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ ، وَرَجَاءَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ وَيَأْسَكَ بَعْدَ رَجَائِكَ ، وَخَاطِرَكَ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي
وَهْمِكَ ، وَعُزُوبَ مَا أَنْتَ مُعْتَقِدُهُ عَنْ ذَهْنِكَ ، وَمَا زَالَ يُعَدُّ عَلَيَّ قُدْرَتُهُ الَّتِي هِيَ فِي

1- التوحيد : ص 184 ح 21 ، الغارات : ج 1 ص 112 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 330 ح 34 .

2- الكافي : ج 1 ص 114 ح 4 ، التوحيد : ص 143 ح 7 وص 192 ح 6 كلَّها عن عبد الأعلى ، بحار الأنوار : ج 4 ص 160 ح 6 .

9 / 2 محجوب بغير حجاب

9 / 3 لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه

نَفْسِي الَّتِي لَا أَدْفَعُهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ فِيهَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ . (1)

9 / 2 محجوب بغير حجاب الإمام الكاظم عليه السلام: لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ حِجَابٌ غَيْرُ خَلْقِهِ ، اِحْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ ، وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرِ مَسْتَوٍ . (2)

الإمام الرضا عليه السلام: اِحْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ ، وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرِ مَسْتَوٍ . (3)

9 / 3 لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه الإمام علي عليه السلام: فِي جَوَابِ مَنْ قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ : بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنَّ لَا قَرِينَ لَهُ . . . حَجَبَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ ، لِيُعْلَمَ أَنَّ لَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ غَيْرَ خَلْقِهِ . (4)

عنه عليه السلام: لَا- تَشْمَلُهُ الْمَشَاعِرُ ، وَلَا- تَحْجُبُهُ الْحُجُبُ ، وَالْحِجَابُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ خَلْقُهُ إِيَّاهُمْ ؛ لِامْتِنَاعِهِ مِمَّا يُمَكِّنُ فِي ذَوَاتِهِمْ ، وَلَا مَكَانٍ مِمَّا يَمْتَنِعُ مِنْهُ ، وَلَا فِتْرَاقِ الصَّانِعِ

1- الكافي: ج 1 ص 75 ح 2 ، التوحيد: ص 127 ح 4 وفيه «إبانك» بدل «أناك» ، بحار الأنوار: ج 3 ص 43 ح 18 .

2- التوحيد: ص 179 ح 12 عن يعقوب بن جعفر الجعفري ، بحار الأنوار: ج 3 ص 327 ح 27 .

3- الكافي: ج 1 ص 105 ح 3 ، علل الشرائع: ص 10 ح 3 ، التوحيد: ص 98 ح 5 كلها عن محمد بن زيد ، بحار الأنوار: ج 4 ص 263 ح 11 .

4- التوحيد: ص 308 ح 2 عن عبد الله بن يونس عن الإمام الصادق عليه السلام وص 37 ح 2 عن محمد بن يحيى عن الإمام الرضا عليه السلام وفيه «لا حجاب بينه وبينها غيرها» بدل «لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه» ، بحار الأنوار: ج 77 ص 311 ح 14 .

9 / 4 حجابهُ النُّور

مِنَ الْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ مِنَ الْمَحْدُودِ ، وَالرَّبِّ مِنَ الْمَرْبُوبِ . (1)

الإمام الرضا عليه السلام : خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِجَابٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَمُبَايَنَةٌ إِيَّاهُمْ مُفَارَقَتُهُ إِيَّتِهِمْ . (2)

9 / 4 حجابُهُ النُّورُ الْكِتَابُ « وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » . (3)

«يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ» . (4)

الحديثا لإمام زين العابدين عليه السلام في قوله تعالى : . . . «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» : ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَنَا مِنْ حُجْبِ النُّورِ ، فَرَأَى مَلَكَوَتَ السَّمَاوَاتِ ، ثُمَّ تَدَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَنَظَرَ مِنْ تَحْتِهِ إِلَى مَلَكَوَتِ الْأَرْضِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ فِي الْقُرْبِ مِنَ الْأَرْضِ كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . (5)

- 1- .الكافي : ج 1 ص 139 ح 5 عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق عليه السلام ، التوحيد : ص 56 ح 14 عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا عليه السلام نحوه .
- 2- .التوحيد : ص 35 ح 2 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 151 ح 51 وفيه «أينيتهم» بدل «إيتيتهم» وكلاهما عن القاسم بن أيوب العلوي ، الأماشي للمفيد : ص 254 ح 4 عن محمد بن زيد الطبري وفيه «مفارقة لهم» بدل «مفارقتهم إيتيتهم» ، بحار الأنوار : ج 4 ص 228 ح 3 .
- 3- .النجم : 7_ 9 .
- 4- .القلم : 42 .
- 5- .علل الشرائع : ص 132 ح 1 ، الأماشي للصدوق : ص 214 ح 238 كلاهما عن ثابت بن دينار ، روضة الواعظين : ص 70 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 314 ح 8 .

الإمام الرضا عليه السلام في قوله عز وجل: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ» -: حِجَابٌ مِّن نُّورٍ يُكْشَفُ فَيَقَعُ الْمُؤْمِنُونَ سُجَّدًا . (1)

رسول الله صلي الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ... حِجَابُهُ النَّورُ ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ (2) . (3)

عنه صلي الله عليه وآله في الدعاء -: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ احْتَجَبَ بِشِعَاعِ نُورِهِ عَن نَّوَظِرِ خَلْقِهِ ، يَا مَنْ تَسَرَّبَ بِالْجَلَالِ وَالْعِزَّةِ ، وَاشْتَهَرَ بِالتَّجَبُّرِ فِي قُدْسِهِ . (4)

عنه صلي الله عليه وآله : الْحَمْدُ لِلَّهِ . . . وَهُوَ الْكَيْنُونُ أَوَّلًا ، وَالسَّيَمُومُ أَبَدًا الْمُحْتَجِبُ بِنُورِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، فِي الْأَفْقِ الطَّامِحِ ، وَالْعِزِّ الشَّامِخِ ، وَالْمَلِكِ الْبَادِخِ ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ عَالَا ، وَمِنَ كُلِّ شَيْءٍ دَنَا ، فَتَجَلَّى لِخَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ يُرَى ، وَهُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى ، فَأَحَبَّ الْإِخْتِصَاصَ بِالتَّوْحِيدِ ؛ إِذْ احْتَجَبَ بِنُورِهِ ، وَسَمَا فِي عُلُوِّهِ ، وَاسْتَتَرَ عَن خَلْقِهِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ ؛ لِتَكُونَ لَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَي خَلْقِهِ ، وَيَكُونَ رُؤْسُهُ إِلَيْهِمْ شُهَدَاءَ عَلَيْهِمْ ، وَابْتَعَثَ فِيهِمُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ، وَلِيَعْقِلَ الْعِبَادُ عَن رَبِّهِمْ مَا جَهَلُوهُ ، فَيَعْرِفُوهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ بَعْدَ مَا أَنْكَرُوا ، وَيُوحِّدُوهُ

1- .عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 121 ح 14 عن الحسن بن سعيد ، التوحيد : ص 154 ح 1 عن الحسين بن سعد ، الاحتجاج : ج 2 ص 388 ح 295 ، بحار الأنوار : ج 4 ص 8 ح 17 .

2- . جاء في مسند ابن حنبل ج 7 ص 142 ح 19604 نظير هذا الحديث وفيه «النار» بدل «النور» ، وقد ذكرت حجب النار والنور معا في أحاديث أخرى ، راجع التوحيد : ص 278 ح 2 و الدر المنثور : ج 1 ص 229 .

3- . صحيح مسلم : ج 1 ص 162 ح 293 وح 294 ، سنن ابن ماجة : ج 1 ص 70 ح 195 ، مسند ابن حنبل : ج 7 ص 151 ح 19651 كلها عن أبي موسى ، كنز العمال : ج 1 ص 226 ح 1139 .

4- . مهج الدعوات : ص 102 عن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الدرود الواقية : ص 182 عن الإمام علي عليه السلام وفيه «واحتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه» فقط ، بحار الأنوار : ج 94 ص 403 ح 5 .

9 / 5 حجابهُ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ

بِالْإِلَهِيَّةِ بَعْدَ مَا عَصَدُوا . (1)

الإمام عليّ عليه السلام في مُناجاةهِ في شهرِ شَعبانَ - : إلهي هَبْ لي كَمالَ الإِنقِطاعِ إِلَيْكَ ، وَأَثرَ أَبصارِ قُلوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها إِلَيْكَ ، حَتّى تَحرقَ أَبصارَ القُلوبِ حُجُبِ النُّورِ ، فَتَصِلَ إِلَي مَعَدِنِ العَظَمَةِ ، وَتَصيرَ أرواحنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدسِكَ . (2)

التوحيد عن يونس بن عبد الرحمن : قُلْتُ لِأبي الحَسَنِ موسى بنِ جَعْفَرٍ عليهما السلام : لِأَيِّ عِلَّةٍ عَرَجَ اللَّهُ بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَمِنْهَا إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، وَمِنْهَا إِلَى حُجُبِ النُّورِ ، وَخاطَبَهُ وَناجَاهُ هُنَاكَ وَاللَّهُ لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ ، وَلِكنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ وَسُكَّانَ سَمَواتِهِ ، وَيُكْرِمَهُمْ بِمُشاهدَتِهِ ، وَيُريَهُ مِنْ عَجائبِ عَظَمَتِهِ ما يُخَبِّرُ بِهِ بَعْدَ هُبوطِهِ ، وَليسَ ذَلِكَ عَلَي ما يَقولُ المُشَبِّهُونَ ، سُبْحانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . (3)

9 / 5 حجابُهُ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجابٍ مِنْ نورٍ وَظُلْمَةٍ ، وما يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ

- 1- .التوحيد : ص 44 ح 4 عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام ، علل الشرائع : ص 119 ح 1 عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه «واستتر عن خلقه ليكون له الحجة البالغة» بدل «واستتر عن خلقه ... شهداء عليهم»، بحار الأنوار: ج 11 ص 38 ح 35 وراجع الكافي: ج 5 ص 369 ح 1، كفاية الأثر: ص 161.
- 2- .الإقبال : ج 3 ص 299 ، بحار الأنوار : ج 94 ص 99 ح 13 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي وكلاهما عن ابن خالويه .
- 3- .التوحيد : ص 175 ح 5 ، علل الشرائع : ص 132 ح 2 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 315 ح 10 .

شَيْئًا مِنْ حَسِّنِ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلَّا زَهَقَتْ . (1)

عنه صلي الله عليه وآله : إِنَّ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ سَبْعِينَ (تِسْعِينَ) (2) أَلْفَ حِجَابٍ ، وَأَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنَا وَإِسْرَافِيلُ ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَرْبَعَةُ حُجُبٍ ، حِجَابٌ مِنْ نُورٍ ، وَحِجَابٌ مِنْ ظُلْمَةٍ ، وَحِجَابٌ مِنَ الْغَمَامِ ، وَحِجَابٌ مِنَ الْمَاءِ . (3)

عوالي اللآلي : رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ سَبْعِينَ حِجَابًا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : سَبْعَمِئَةَ حِجَابٍ . وَفِي أُخْرَى : سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ ، لَوْ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ لَأَحْتَرَقَتْ (4) سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ . (5)

الإمام زين العابدين عليه السلام في مُنَاجَاتِهِ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ فَتَقَتْ لَهُمْ رَتَقَ عَظِيمِ غَوَاشِي جُفُونِ حَدَقِ عِيُونِ الْقُلُوبِ ، حَتَّى نَنظُرُوا إِلَى تَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ وَشَوَاهِدِ حُجُجِ بَيِّنَاتِكَ ، فَعَرَفُوكَ بِمَحْصُولِ فِطْنِ الْقُلُوبِ ، وَأَنْتَ فِي غَوَامِضِ سُتْرَاتِ حُجُبِ الْقُلُوبِ ، فَسَدِّ بِحَانِكَ أَيُّ عَيْنٍ تَقُومُ بِهَا نُصَبَ نُورُكَ ، أَمْ تَرَفَأُ إِلَيَّ نُورِ ضِيَاءِ قُدْسِكَ ؟ أَوْ أَيُّ فَهْمٍ يَفْهَمُ مَا دُونَ ذَلِكَ إِلَّا الْأَبْصَارَ الَّتِي كَشَفْتَ عَنْهَا حُجُبَ الْعَمِيَّةِ ، فَوَقَّتْ أَرْوَاحُهُمْ عَلَيَّ أَجْنَحَةَ الْمَلَائِكَةِ ، فَسَمَّاهُمْ أَهْلُ الْمَلَائِكَةِ .

- 1- المعجم الكبير : ج 6 ص 148 ح 5802 ، مسند أبي يعلى : ج 6 ص 494 ح 7487 وفيه «حسن» بدل «حسن» ، الفردوس : ج 2 ص 221 ح 3074 كلاهما نحوه وكلها عن سهل بن سعد ، كنز العمال : ج 10 ص 369 ح 29846 .
- 2- في المصدر : «سبعون (تسعون)» ، والصحيح ما أثبتناه .
- 3- تفسير القمي : ج 2 ص 10 عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 18 ص 327 ح 34 .
- 4- كذا في المصدر ، والصحيح : «لأحرقت» .
- 5- عوالي اللآلي : ج 4 ص 106 ح 158 ، بحار الأنوار : ج 58 ص 45 نقلاً عن شرح النهج للكيدري نحوه وراجع المعجم الأوسط : ج 6 ص 278 ح 6407 .

زُورًا، وَأَسْمَاهُمْ أَهْلُ الْجَبَرُوتِ عُمَارًا، فَتَرَدَّدُوا فِي مَصَافِّ الْمُسَبِّحِينَ، وَتَعَلَّقُوا بِحِجَابِ الْقُدْرَةِ، وَنَاجُوا رَبَّهُمْ عِنْدَ كُلِّ شَهْوَةٍ، فَحَرَقَتْ (1) قُلُوبُهُمْ حُجُبَ النُّورِ، حَتَّى نَظَرُوا بِعَيْنِ الْقُلُوبِ إِلَى عِزِّ الْجَلَالِ فِي عِظَمِ الْمَلَكُوتِ، فَرَجَعَتِ الْقُلُوبُ إِلَى الصُّدُورِ عَلَى النِّيَّاتِ بِمَعْرِفَةِ تَوْحِيدِكَ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، تَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. (2)

1- كذا في المصدر وهو تصحيف : «فخرقت» .

2- بحار الأنوار : ج 94 ص 128 ح 19 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي .

نظرة علي روايات الحجب

نظرة علي روايات الحجب ما روي في حجب الله تعالى ينقسم - كما لوحظ - إلي خمسة أقسام هي : الأول : الروايات التي تؤكد انعدام الحجاب بين الله والخلق ، وهذه الروايات تشير إلي صفته سبحانه و تعالي بالظاهر ، وقد تمّ تبيينها في عدد من الروايات ، كما يأتي : «الظَّاهِرُ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ» (1) . «الظَّاهِرُ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ» (2) . الثاني : الروايات التي تدلّ علي أنّ الله - جلّ شأنه - محجوب مع أنّه لا- حجاب له ، وهي تشير إلي صفته - جلّ وعلا - بالباطن ، كما جاء توضيحه في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ قال : «الباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين» 3 . الثالث : الروايات التي تدلّ علي أنّ الحجاب بين الله والخلق يتمثل في كونهم مخلوقين ، إذ من المحال أن يُحيط المخلوق المحدود بالخالق الذي لا حدود له ، فضلاً عن أنّ جميع الأحاديث التي مرّت في الباب الرابع من هذا الفصل تدلّ علي

1- راجع : ج 4 ص 319 ح 4827 .

2- راجع : ج 4 ص 319 ح 4828 .

هذا المعني أيضا . (1) الرابع : الروايات التي تعبر عن حجاب الله _ عز وجل _ بالتور . ولعل المراد من الحجب النورانية _ كما قيل _ رؤية العابد عبادة نفسه ، فإن العبادة نور ، لكن إن رآها السالك يُصَب بنوع من الأناية التي تحجب المعرفة الشهودية . وقيل : إن المراد بالحجب النورانية ، المخلوقات الأفضل ، بمعني أن كل مخلوق أفضل يحجب ما دونه ؛ لأنه واسطة الفيض إليه . ولكن لا يستقيم هذا الاحتمال مع ما مر من الأحاديث في هذا الشأن ، فتأمل . إذا ، يتيسر لنا أن نقول : إن المراد من خرق حجب التور بأبصار القلوب الوارد في المناجاة الشعبانية : « وأبصار قلوبنا بضيء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب التور فتصل إلي معدن العظمة ... » هو أن السالك في سلوكه إلي الله يبلغ نقطة تماط فيها حجب الأناية كلها نتيجة لشدة حب الله سبحانه فلا يرى شيئا إلا الله سبحانه وتعالى ، وكما قال الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي ما تعريبه : لا حجاب بين العاشق والمعشوق فنفسك هي الحجاب يا حافظ فأزحها وهذه المرحلة من معرفة الله وإن كانت تمثل أعلي منازل السلوك وأسمي درجات المعرفة لكنها لا تعني إحاطة المخلوق بالخالق ومعرفة كنه الله سبحانه قطعا ، من هنا فإن سيد المرسلين وإمام أهل المعرفة أجمعين إذ يصرح علي أن معرفة الكنه غير ميسرة له أيضا ، يقول :

1- .راجع : ص 317 « لا يبلغ أحد كنه معرفته » .

«اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ أَنْ يَطَّلَعَ أَحَدٌ عَلَيَّ كُنْهَ مَعْرِفَتِي». (1) وقال أيضا: «بِأَمْنٍ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ». (2) وقال كذلك: «سُبْحَانَكَ مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ». (3) الخامس: الروايات التي تقسم حجب الله تعالى إلي حجب نورانية وظلمانية، وأشرنا قبل ذلك إلي المعني المحتمل للحجب النورانية، (4) أما القصد من الحجب الظلمانية فهو_ علي ما يبدو_ الصداً الذي يرين علي البصائر ويحول دون معرفة الله بسبب الأعمال غير الصالحة، كما جاء في القرآن الكريم: «كَأَلَا بَلْ رَانَ عَلَيَّ قُلُوبُهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَأَلَا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ» (5). وسيأتي شرح هذه الموانع في الفصل العاشر. ويقول الشاعر حافظ الشيرازي مشيراً إلي هذه الحجب ما تعريبه: لا نقاب ولا حجاب يحول دون جمال الحبيب ولكن أزح الغبار حتي يتيسر لك النظر. توضيح العلامة المجلسي حول روايات الحجب: قال العلامة المجلسي رحمه الله في تبين الروايات التي هي مثار البحث:

-
- 1- راجع: ص 317 ح 3793.
 - 2- راجع: ص 317 ح 3791.
 - 3- راجع: ص 317 ح 3792.
 - 4- المعني الدقيق القاطع لحجب النور والظلمة غير واضح. لمزيد الاطلاع انظر: فصوص الحكم، فص الحكمة الإلهية في الكلمة الآدمية، تعليقة أبي العلاء: ص 16 _ 17. تعليقات الإمام الخميني علي فصوص الحكم.
 - 5- المطففين: 14 و 15.

«والتحقيق أن لتلك الأخبار ظهرا وبطنا وكلاهما حق فأما ظهرها ، فإنه سبحانه كما خلق العرش والكرسي مع عدم احتياجه إليهما ، كذلك خلق عندهما أستارا وحجبا وسرادقات ، وحشاها من أنواره الغريبة المخلوقة له ؛ ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة وبعض النبيين ولمن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته وجلال هيئته وسعة فيضه ورحمته ، ولعلّ اختلاف الأعداد باعتبار أنّ في بعض الإطلاقات اعتبرت الأنواع ، وفي بعضها الأصناف ، وفي بعضها الأشخاص أو ضمّ بعضها إلي بعض في بعض التعبيرات ، أو أكتفي بذكر بعضها في بعض الروايات ، وأما بطنها فلأنّ الحجب المانعة عن وصول الخلق إلي معرفة كنه ذاته وصفاته أمور كثيرة : منها : ما يرجع إلي نقص المخلوق وقواه ومداركه بسبب الإمكان والافتقار والاحتياج والحدوث ، وما يتبع ذلك من جهات النقص والعجز ، وهي الحجب الظلمانية . ومنها : ما يرجع إلي نوريته وتجرّده وتقدّسه ووجوب وجوده وكماله وعظّمته وجلاله وسائر ما يتبع ذلك ، وهي الحجب النورانية ، وارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال ، فلو ارتفعت لم يبقّ بغير ذات الحق شيء ، أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلّي عن الصفات الشهوانية والأخلاق الحيوانية ، والتخلّي بالأخلاق الربّانية بكثرة العبادات والرياضات والمجاهدات وممارسة العلوم الحقّة ، فترتفع الحجب بينه وبين ربّه سبحانه في الجملة ، فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيّناتهم وإراداتهم وشهواتهم ، فيرون بعين اليقين كماله سبحانه ونقصهم ، وبقائه وفناءهم وذلكهم ، وغناه وافتقارهم ، بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدما ، وقدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزا ، بل يتخلّون عن إرادتهم وعلمهم وقدرتهم ،

فيتصرّف فيهم إرادته وقدرته وعلمه سبحانه ، فلا يشاؤون إلا أن يشاء الله ، ولا يريدون سوي ما أراد الله ، ويتصرفون في الأشياء بقدره الله ، فيحيون الموتى ، ويردون الشمس ، ويشقون القمر ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما قلعتُ بابَ خَيْرِ بُقُوَّةٍ جِسْمَانِيَّةٍ ، بَلْ بُقُوَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ » (1) . والمعني الذي يمكن فهمه ولا ينافي أصول الدين من الفناء في الله والبقاء بالله هو هذا المعني 2 ، وبعبارة أخرى : الحجب النورانية الموانع التي للعبد عن

1- بحار الأنوار : ج 58 ص 47 ، الأمالي للصدوق : ص 604 ح 840 ، روضة الواعظين : ص 142 كلاهما نحوه .

الوصول إلى قربهِ وغاية ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرياء والعجب والسمعة والمرء وأشباهها ، والظلمانية ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه ، فإذا ارتفعت تلك الحجب تجلّى الله له في قلبه ، وأحرق محبّة ما سواه حتّى نفسه عن نفسه ... وكلّ ذلك لا يوجب عدم وجوب الإيمان بظواهرها إلا بمعارضة نصوص صحيحة صريحة صارفة عنها وأول الإلحاد سلوك التأويل من غير دليل ، والله الهادي إلى سواء السبيل» (1).

الفصل العاشر: موانع معرفة الله

10 / 1 السِّيئَات

الفصل العاشر: موانع معرفة الله 10 / 1 السِّيئَات الكتاب «ثُمَّ كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ» . (1)

«كَأَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَالَّذِينَ إِذَا أَتَاهُم مَّا مَنَعُوا لَمْ يَجِئُوا بِوَجْهِكَ بِالْقَوْلِ كَذِبًا وَأَعْتَدُوا لِلْآثَامِ يَوْمَ تَأْتِي سَائِرًا مِمَّنْ جَاءَكَ مِنَ الْمَدِينِ الَّذِينَ إِذَا نَادَوْا بِتَحْرِيرَتِكَ قِيلَ لَهُمْ إِنَّا تَبَوَّأْنَا الْبَيْتَ مِن قَبْلُ هَذَا فَمَنَّا أَكْثَرُ فِيهِ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ الْعَاذِرُ الْمُؤْمِنُونَ» . (2)

الحديث الكافي عن محمد بن يزيد الرفاعي رفعه: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُئِلَ عَنِ الْوُقُوفِ بِالْجَبَلِ ، لِمَ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرَمِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُهُ وَالْحَرَمَ بَابُهُ ، فَلَمَّا قَصَدُوهُ وَافِدِينَ وَقَفَهُمْ بِالْبَابِ يَتَضَرَّعُونَ . قِيلَ لَهُ : فَالْمَشْعَرُ الْحَرَامُ لِمَ صَارَ فِي الْحَرَمِ ؟

1- .الروم : 10 .

2- .المطففين : 14 و 15 .

قَالَ: لِأَنَّهُ لَمَّا أَذِنَ لَهُمْ بِالِدُخُولِ وَقَفَّهِمْ بِالْحِجَابِ الثَّانِي، فَلَمَّا طَالَ تَصَدَّرُ عَنْهُمْ بِهَا أَذِنَ لَهُمْ لِتَقْرِبِ قُرْبَانِهِمْ، فَلَمَّا قَضَوْا تَقَشَّهِمْ (1) [و] (2) تَطَهَّرُوا بِهَا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي كَانَتْ حِجَابًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ أَذِنَ لَهُمْ بِالزِّيَارَةِ عَلَيَّ الطَّهَارَةَ. (3)

الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء: وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لِلرَّاجِي بِمَوْضِعِ إِجَابَةٍ... وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ، وَأَنَّكَ لَا تَحْتَجِبُ عَن خَلْقِكَ إِلَّا أَنْ تَحْبُبَهُمُ الْأَعْمَالُ دُونَكَ. (4)

الاحتجاج: لَمَّا دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَرَمُهُ عَلِيَّ بْنَ زَيْدٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَجِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ ثَنِيَاهُ بِمِخْصَرَةٍ (5) كَانَتْ فِي يَدِهِ... فَقَامَتْ إِلَيْهِ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَيَّ جَدِّي سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، صَدَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ يَقُولُ: «ثُمَّ كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْأَلُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ» (6). أَظَنَنْتَ يَا زَيْدُ، أَنَّكَ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَصَدَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ

- 1- التَّفَقُّتُ: هُوَ مَا يَفْعَلُهُ الْمُحْرَمُ بِالْحَجِّ إِذَا حَلَّ، كَقَصِّ الشَّارِبِ وَالْأَطْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبْطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ. وَقِيلَ: هُوَ إِذْهَابُ الشَّعْثِ وَالذَّرَنِ وَالْوَسْخِ مُطْلَقًا (النهاية: ج 1 ص 191).
- 2- سَقَطَ مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنَ الْمَصْدَرِ وَأَثْبَتَاهُ مِنْ بَقِيَةِ الْمَصَادِرِ.
- 3- الكافي: ج 4 ص 224 ح 1، تهذيب الأحكام: ج 5 ص 448 ح 1565، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 197 ح 2129 من دون إسنادٍ إلى المعصوم، علل الشرائع: ص 443 ح 1 عن الإمام الصادق عليه السلام وكلاهما نحوه؛ شعب الإيمان: ج 3 ص 468 ح 4084 عن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية نحوه، كنز العمال: ج 5 ص 282 ح 12898.
- 4- مصباح المتهجد: ص 583 ح 691، الإقبال: ج 1 ص 158 بزيادة «السيئة» بعد «الأعمال» وكلاهما عن أبي حمزة الثمالي، بحار الأنوار: ج 98 ص 83 ح 2.
- 5- المِخْصَرَةُ: مَا يَخْتَصِرُهُ الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ فَيُمْسِكُهُ؛ مِنْ عَصَا أَوْ عَكَازَةٍ أَوْ مِرْعَاةٍ أَوْ قَضِيبٍ (النهاية: ج 2 ص 36).
- 6- الروم: 10.

السَّمَاءِ ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارِ الدُّلِّ ، نُسَاقُ إِلَيْكَ سَوْقًا فِي قِطَارٍ ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا ذُو اقْتِدَارٍ ، أَنْ بِنَا مِنَ اللَّهِ هَوَانًا وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةٌ وَامْتِنَانًا ، وَأَنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمِ خَطَرِكَ وَجَلَالَةِ قَدْرِكَ ، فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ ، وَنَظَرْتَ فِي عَظْفِكَ ، تَضْرِبُ أَصْدْرِيكَ (1) فَرَحًا ، وَتَنْفُضُ (2) مِذْرَوِيكَ (3) مَرَحًا ، حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوِيَّةً وَالْأُمُورَ لَدَيْكَ مُتَسَيِّمَةً ، وَحِينَ صَدَّ مَا لَكَ مُلْكُنَا ، وَخَلَصَ لَكَ سُلْطَانُنَا ، فَمَهْلًا مَهْلًا لَا تَطِشْ جَهْلًا ، أَنْسَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» (4) . (5)

بحار الأنوار عن محمد بن أبي مسهر عن أبيه عن جدّه: كَتَبَ الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ الْجَعْفِيُّ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُعَلِّمُهُ أَنَّ أَقْوَامًا ظَهَرُوا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ يَجْحَدُونَ الرَّبُوبِيَّةَ ، وَيُجَادِلُونَ عَلِيَّ ذَلِكَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ ، وَيَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ فِيمَا ادَّعَوْا بِحَسَبِ مَا احْتَجَّ بِهِ عَلِيٌّ غَيْرِهِمْ ، فَكَتَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ ؛ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِبَطَاعَتِهِ ، وَأَوْجَبَ لَنَا بِذَلِكَ رِضْوَانَهُ بِرَحْمَتِهِ . وَصَلَّ كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ مَا ظَهَرَ فِي مِلَّتِنَا ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْإِلْحَادِ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، قَدْ كَثُرَتْ عِدَّتُهُمْ ، وَاشْتَدَّتْ حُصُومَتُهُمْ ، وَتَسَأَلُ أَنْ أَصْنَعَ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، وَالنَّقْضِ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ ، كِتَابًا عَلِيٍّ نَحْوِ مَا رَدَدْتُ عَلِيَّ غَيْرِهِمْ ، مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْإِخْتِلَافِ .

1- .أَصْدَرِيهِ : مَنْكِبِيهِ (النهاية : ج 3 ص 16) .

2- .في المصدر : «تنفض» ، والتصويب من بحار الأنوار .

3- .المذروان : جانبا الأليتين ، وقيل: هما طرفا كل شيء . يقال : جاء فلانٌ ينفُضُ مِذْرَوِيهِ؛ إذا جاء باغيا يتهدد (النهاية : ج 4 ص 311) .

4- .آل عمران : 178 .

5- .الاحتجاج : ج 2 ص 122 ح 173 ، بحار الأنوار : ج 45 ص 157 ح 5 .

وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيِ النَّعْمِ السَّابِقَةِ ، وَالْحُجَجِ الْبَالِغَةِ ، وَالْبَلَاءِ الْمَحْمُودِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، فَكَانَ مِنْ نِعْمِهِ الْعِظَامِ وَالْآئِنَةِ الْجِسَامِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا تَقْرِيرُهُ قُلُوبَهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ ، وَأَخَذَهُ مِشَاقَهُمْ بِمَعْرِفَتِهِ ، وَإِنْزَالُهُ عَلَيْهِمْ كِتَابًا فِيهِ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ، مِنْ أَمْرَاضِ الْخَوَاطِرِ وَمُشْتَبِهَاتِ الْأُمُورِ ، وَلَمْ يَدَعْ لَهُمْ وَلَا لِسِيءٍ مِنْ خَلْقِهِ حَاجَةً إِلَى مَنْ سِوَاهُ ، وَاسْتَعْنَى عَنْهُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا . وَلَعَمْرِي مَا أُتِيَ الْجَهَّالُ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِمْ وَإِنَّهُمْ لَيَرَوْنَ الدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ وَالْعَلَامَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِي خَلْقِهِمْ ، وَمَا يُعَايِنُونَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّنْعِ الْعَجِيبِ الْمُتَقَنِّ الدَّالِّ عَلَيِ الصَّنَاعِ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ فَتَحُوا عَلَيِ أَنْفُسِهِمْ أَبْوَابَ الْمَعَاصِي ، وَسَهَّلُوا لَهَا سَبِيلَ الشَّهَوَاتِ ، فَغَلَبَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَيِ قُلُوبِهِمْ ، وَاسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ بِظُلْمِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَيِ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ . (1)

الإمام الرضا عليه السلام_ لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ عَنْ سَبَبِ احْتِجَابِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ الْحِجَابَ عَلَيِ الْخَلْقِ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ ، فَأَمَّا هُوَ فَلَا يَخْفِي عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي آثَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . (2)

10 / 2 الظلم الكتاب (بَلْ هُوَ أَيَّت بَيْنَتْ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِثَائِيَتِنَا إِلَّا الظُّلْمُونَ) . (3)

1- بحار الأنوار : ج 3 ص 152.

2- عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 132 ح 28 ، التوحيد : ص 252 ح 3 ، علل الشرائع : ص 119 ح 1 كلها عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الإمام الرضا عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 3 ص 15 ح 1 .

3- العنكبوت : 49 .

«وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» . (1)

«قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَا كَرَّ الظُّلْمَ لِمِينَ بِنَائِي تِلْكَ اللَّهُ يَجْحَدُونَ» . (2)

الحديث تفسير الطبري عن أبي صالح: جاء جبريلُ إلي النبي صلي الله عليه وآله وهو جالسٌ حزينٌ، فقال له: ما يحزنُكَ؟ فقال: كَذَّبني هؤلاء. فقال له جبريلُ: إِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ، إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ «وَلَكِنَّ الظُّلْمَ لِمِينَ بِنَائِي تِلْكَ اللَّهُ يَجْحَدُونَ» . (3)

الإمام علي عليه السلام: إِنَّ أبا جهلٍ قال للنبي صلي الله عليه وآله: إِذَا لَا نَكَذَّبُكَ وَلَكِنْ نَكَذَّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَا كَرَّ الظُّلْمَ لِمِينَ بِنَائِي تِلْكَ اللَّهُ يَجْحَدُونَ» . (4)

10 / 3 الاستكبار الكتاب «سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا

1- النمل: 14 .

2- الأنعام: 33 .

3- تفسير الطبري: ج 5 الجزء 7 ص 181 .

4- سنن الترمذي: ج 5 ص 261 ح 3064، المستدرک علي الصحيحين: ج 2 ص 345 ح 3230 كلاهما عن ناجية بن كعب، تفسير الطبري: ج 5 الجزء 7 ص 182 عن ناجية بن كعب من دون إسنادٍ إلي المعصوم، كنز العمال: ج 2 ص 409 ح 4374 .

وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ . (1)

راجع : النمل: 14 ، المؤمنون: 46 ، الجاثية: 8 و 31 ، الأحقاف: 10 ، غافر: 35 ، لقمان : 7 ، الزمر: 59_ 60 .

الحدِيثُ للإمام عليٍّ عليه السلام: بُيِّى الكُفْرُ عليّ أربَعِ دَعَائِمٍ: الفِسْقِ ، وَالغُلُوُّ ، وَالشُّكُّ ، وَالشُّبُهَاتِ . وَالْفِسْقُ عليّ أربَعِ شُعَبٍ: عليّ الجَفَاءِ ، وَالعَمِي ، وَالغَفْلَةَ ، وَالعُتُوَّ . (2)

عنه عليه السلام: مَنْ اسْتَكْبَرَ أَذْبَرَ عَنِ الحَقِّ . (3)

الإمام الصادق عليه السلام: أَصُولُ الكُفْرِ ثَلَاثَةٌ: الحِرْصُ ، وَالإِسْتِكْبَارُ ، وَالْحَسَدُ . (4)

10 / 4 الجَهْلُ للإمام الصادق عليه السلامَ لِلْمُفْضَلِ بْنِ عُمَرَ: يَا مُفْضَلُ ، إِنَّ الشُّكَّكَ جَهْلُوا الأَسْبَابَ وَالْمَعَانِي فِي الخِلْقَةِ ، وَقَصَّ رَتَّ أَفْهَامُهُمْ عَن تَأَمُّلِ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ فِيمَا ذَرَأَ البَارِي جَلَّ قُدْسُهُ ، وَبَرَأَ مِنْ صَدَنُوفِ خَلْقِهِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَالسَّهْلِ وَالعَرِّ ، فَخَرَجُوا بِقِصَرِ عُلُومِهِمْ إِلَى الجُحُودِ ، وَبِضَعْفِ بَصَائِرِهِمْ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالعُنُودِ ، حَتَّى أَنْكَرُوا خَلْقَ .

1- الأعراف : 146 .

2- الكافي: ج 2 ص 391 ح 1 عن سليمان بن قيس الهلالي ، الخصال: ص 232 ح 74 عن الأصمغ بن نباتة ، تحف العقول: ص 166 ، بحار الأنوار: ج 72 ص 117 ح 15 .

3- الكافي: ج 2 ص 394 ح 1 عن سليمان بن قيس الهلالي ، الخصال: ص 234 ح 74 عن الأصمغ بن نباتة ، تحف العقول: ص 168 وليس فيهما «عن الحق» ، بحار الأنوار: ج 72 ص 120 ح 15 .

4- الكافي: ج 2 ص 289 ح 1 ، الخصال: ص 90 ح 28 ، الأمالي للصدوق: ص 505 ح 694 كلَّها عن أبي بصير ، روضة الواعظين: ص 418 ، بحار الأنوار: ج 72 ص 104 ح 1 .

الأشياء ، وادَّعُوا أَنَّ كَوْنَهَا بِالْإِهْمَالِ ، لا صَنَعَةَ فِيهَا ولا تَقْدِيرَ ولا حِكْمَةَ مِنْ مُدَبِّرٍ ولا صَانِعٍ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ . (1)

10 / 5 الغفلة الإمام علي عليه السلام من دعاء علمه نون البكالي : إلهي تناهت أبصار الناظرين إليك بسرائر القلوب ، وطالعت أصغى السامعين لك نجات الصدور ، فلم يلق أبصارهم رد دون ما يريدون ، هتكت بينك وبينهم حجب الغفلة ، فسكنوا في نورك وتنفسوا بروحك . (2)

10 / 6 الهوي مروج الذهب : قد كان من ذكرنا من الأمم لا يجحد الصانع - جل وعز - ، ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا ، وأنه وفي لقومه بما وعدهم من العذاب ، إلا أن القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركيهم البحث واستعمال النظر ، ومالت نفوسهم إلي الدعة (3) ، وما تدعو إليه الطباع من الملاذ والتقليد ، وكان في نفوسهم هيبة الصانع ، والتقرب إليه بالتمثيل وعبادتها ؛ لظنهم أنها مقربة لهم إليه . (4)

مصباح الشريعة - فيما نسبه إلي الإمام الصادق عليه السلام - : لا حجاب أظلم وأوحش

1- بحار الأنوار : ج 3 ص 59 عن المفصل بن عمر .

2- بحار الأنوار : ج 94 ص 95 ح 12 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي عن نون البكالي .

3- الدعة : الخفض في العيش والراحة (العين : ص 845) .

4- مروج الذهب : ج 2 ص 145 .

10 / 7 مرض القلب

بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنَ النَّفْسِ وَالْهَوِيِّ ، وَلَيْسَ لِقَتْلِهِمَا وَقَطْعِهِمَا سِوَا لَاحِ وَأَلَّةٍ مِثْلُ الْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ ، وَالْحُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْجُوعِ وَالظَّمَا
بِالنَّهَارِ وَالسَّهْرِ بِاللَّيْلِ ؛ فَإِنْ مَاتَ صَاحِبُهُ مَاتَ شَهِيدًا ، وَإِنْ عَاشَ وَاسْتَقَامَ أَذَى عَاقِبَتُهُ إِلَى الرَّضْوَانِ الْأَكْبَرِ . (1)

10 / 7 مَرَضُ الْقَلْبِ لِإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَلَكِنْ
الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ وَالْبَصَائِرُ مَدْحُولَةٌ . (2)

راجع : ج 2 ص 163 (الفصل الأول : حجب العلم والحكمة) .

1- . مصباح الشريعة : ص 442 ، بحار الأنوار : ج 70 ص 69 ح 15 .

2- . نهج البلاغة : الخطبة 185 ، الاحتجاج : ج 1 ص 481 ح 117 وفيه «الأبصار» بدل «البصائر» ، بحار الأنوار : ج 3 ص 26 ح 1 .

القسم الثاني : التعرّف علي توحيد الله

اشاره

القسم الثاني : التعرّف علي توحيد اللّهُوفيه فصلان : الفصل الأول: قيمة التّوحيدالفصل الثاني : مراتب التّوحيد

الفصل الأول: قيمة التوحيد

1 / 1 أول الدين

1 / 2 نصف الدين

الفصل الأول: قيمة التوحيد 1 / 1 أول الدين لإمام علي عليه السلام: أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيداً. (1)

1 / 2 نصف الدين رسول الله صلي الله عليه وآله: التوحيد نصف الدين. (2)

1- نهج البلاغة: الخطبة 1، الاحتجاج: ج 1 ص 473 ح 113، عوالي اللآلي: ج 4 ص 126 ح 215، بحار الأنوار: ج 4 ص 247 ح 5.

2- التوحيد: ص 68 ح 24، عيون أخبار الرضا: ج 2 ص 35 ح 75 كلاهما عن داوود بن سليمان الفراء عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ص 104 ح 52 عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام عنه صلي الله عليه وآله، بحار الأنوار: ج 3 ص 240 ح 25.

1 / 3 كلمة التَّقْوِي

1 / 4 ثَمَنُ الْجَنَّةِ

1 / 3 كَلِمَةُ التَّقْوِيرِ سَوَّلَ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تَفْسِيرِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» _ : قَوْلُهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَعْنِي وَحْدَانِيَّتَهُ ، لَا يَقْبَلُ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِهَا ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوِي ، يُثْقَلُ اللهُ بِهَا الْمَوَازِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . (1)

1 / 4 ثَمَنُ الْجَنَّةِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : التَّوْحِيدُ ثَمَنُ الْجَنَّةِ . (2)

عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : مَا جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ . (3)

عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ . (4)

عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ قَالَ : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِخْلَاصُهُ أَنْ تَحْجُزَهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» .

1- .علل الشرائع : ص 251 ح 8 ، الأماي للصدوق : ص 255 ح 279 وفيه «لا يقبل الله» بدل «لا يقبل» وكلاهما عن الحسن بن عبد الله عن أبيه عن جدّه الإمام الحسن عليه السلام ، الاختصاص : ص 34 عن الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْوِهِ ، بحار الأنوار : ج 9 ص 294 ح 5 .

2- .الأماي للطوسي : ص 570 ح 1178 عن محمّد بن عليّ بن الحسين بن زيد عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار : ج 3 ص 3 ح 3 .

3- .التوحيد : ص 28 ح 29 ، الأماي للصدوق : ص 471 ح 628 ، الأماي للطوسي : ص 430 ح 960 كلّها عن إسماعيل بن موسى عن أبيه الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام ، الاختصاص : ص 225 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 3 ح 2 ؛ تاريخ أصبهان : ج 1 ص 280 ح 468 ، الفردوس : ج 4 ص 337 ح 6975 كلاهما عن أنس بن مالك نحوه ، كنز العمال : ج 2 ص 43 ح 3048 .

4- .صحيح مسلم : ج 1 ص 55 ح 43 ، مسند ابن حنبل : ج 1 ص 142 ح 464 ، المستدرک عليّ الصحيحين : ج 1 ص 144 ح 242 ، المصنّف لابن أبي شيبة : ج 3 ص 126 ح 12 ، حلية الأولياء : ج 7 ص 174 كلّها عن عثمان بن عفّان ، كنز العمال : ج 1 ص 46 ح 123 ؛ التوحيد : ص 29 ح 30 عن عثمان بن عفّان وفيه «أنّ الله حقّ» بدل «أنّه لا إله إلاّ الله» ، بحار الأنوار : ج 3 ص 10 ح 20 .

1 / 5 حياة النفس

1 / 6 عروة الله الوثقي

إِلَّا اللَّهُ» عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . (1)

عنه صلي الله عليه وآله: إِنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ كَرِيمَةٌ عَلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَنْ قَالَهَا مُخْلِصًا اسْتَوْجَبَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا عَصَمَتْ مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَكَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ . (2)

عنه صلي الله عليه وآله_ فِي مَوْعِظَتِهِ لِابْنِ مَسْعُودٍ_: إِذَا تَكَلَّمْتَ بِـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَلَمْ تَعْرِفْ حَقَّهَا ؛ فَإِنَّهُ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ . (3)

1 / 5 حَيَاةُ النَّفْسِ لِإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: التَّوْحِيدُ حَيَاةُ النَّفْسِ . (4)

1 / 6 عُرْوَةُ اللَّهِ الْوُثْقِيَا لِإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عُرْوَةُ اللَّهِ الْوُثْقِي التَّوْحِيدُ . (5)

-
- 1- التوحيد: ص 28 ح 27 ، معاني الأخبار: ص 370 ح 2 ، ثواب الأعمال: ص 20 ح 3 ، مكارم الأخلاق: ج 2 ص 83 ح 2218
كلها عن زيد بن أرقم ، بحار الأنوار: ج 93 ص 197 ح 22 ؛ تاريخ بغداد: ج 12 ص 64 ح 6455 عن أنس ، حلية الأولياء: ج 9 ص 254
عن زيد بن أرقم وكلاهما نحوه ، كنز العمال: ج 1 ص 61 ح 206 .
 - 2- التوحيد: ص 23 ح 18 عن أحمد بن عبد الله الجويباري عن الإمام الرضا عن أبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار: ج 3 ص 5 ح 13 .
 - 3- مكارم الأخلاق: ج 2 ص 357 ح 2660 عن عبد الله بن مسعود ، بحار الأنوار: ج 77 ص 106 ح 1 .
 - 4- غرر الحكم: ح 540 .
 - 5- المحاسن: ج 1 ص 375 ح 822 عن محمد بن مسلم ، بحار الأنوار: ج 3 ص 279 ح 14 .

1 / 7 حصن الله

1 / 8 أفضل الأعمال

1 / 9 سبب المغفرة

1 / 7 حصنُ اللّهِ رسولُ اللّهِ صلي اللّهِ عليه وآله : حَدَّثَنِي جَبْرِئِيلُ سَيِّدُ الْمَلَائِكَةِ ، قَالَ : قَالَ اللّهُ سَيِّدُ السَّادَاتِ عَزَّ وَجَلَّ : إِنِّي أَنَا اللّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، فَمَنْ أَقْرَأَ لِي بِالتَّوْحِيدِ دَخَلَ حِصْنِي ، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي . (1)

1 / 8 أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ رَسُولُ اللّهِ صلي اللّهِ عليه وآله : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ» ، لَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَلَا تَتْرُكُ ذَنْبًا . (2)

الأمالي عن محمد بن سماعة : سَأَلَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : تَوْحِيدُكَ لِرَبِّكَ . قَالَ : فَمَا أَعْظَمُ الذُّنُوبِ ؟ قَالَ : تَشْبِيهُكَ لِخَالِقِكَ . (3)

1 / 9 سَبَبُ الْمَغْفِرَةِ رَسُولُ اللّهِ صلي اللّهِ عليه وآله : إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ» ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى : يَا مَلَأْنِيكَتِي ،

1- .عيون أخبار الرضا : ج 2 ص 135 ح 3 عن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام ، جامع الأحاديث للقمي : ص 272 عن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البلاذري عن الإمام المهدي عن آبائه عليهم السلام عنه صلي الله عليه وآله ، بحار الأنوار : ج 3 ص 10 ح 22 ؛ كنز العمال : ج 1 ص 47 ح 127 نقلاً عن الشيرازي عن الإمام علي عليه السلام عنه صلي الله عليه وآله .

2- .سنن ابن ماجه : ج 2 ص 1248 ح 3797 عن أم هانئ ، كنز العمال : ج 1 ص 418 ح 1781 وراجع المعجم الكبير : ج 8 ص 115 ح 7533 .

3- .الأمالي للطوسي : ص 687 ح 1458 ، بحار الأنوار : ج 3 ص 8 ح 18 .

1 / 10 سبب دفع البلاء

1 / 11 سبب الفلاح

عَلِمَ عَبْدِي أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ رَبٌّ غَيْرِي ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ لَهُ . (1)

عنه صلي الله عليه وآله : لا يَزَالُ قَوْلُ: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» يَرْفَعُ سَخَطَ اللَّهِ عَنِ الْعِبَادِ ، حَتَّى إِذَا نَزَلُوا بِالْمَنْزِلِ الَّذِي لا يُبَالُونَ ما نَقَصَ مِنْ دِينِهِمْ إِذَا سَلِمَتْ دُنْيَاهُمْ ، فَقَالُوا عِنْدَ ذَلِكَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ : كَذِبْتُمْ كَذِبْتُمْ . (2)

1 / 10 سَبَبُ دَفْعِ الْبَلَاءِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» تَدْفَعُ عَنْ قَائِلِهَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ بَاباً مِنَ الْبَلَاءِ أَدْنَاهَا هَهُمْ . (3)

راجع: ص 17 (الفصل الأول: قِيمَةُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ).

1 / 11 سَبَبُ الْفَلَاحِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قَوْلُوا: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» ثَقُلِحُوا . (4)

1- . تاريخ دمشق : ج 7 ص 61 ح 1617 عن أنس .

2- . نوادر الأصول : ج 2 ص 73 عن أنس ، كنز العمال : ج 1 ص 63 ح 224 وراجع ثواب الأعمال : ج 20 ص 4 .

3- . تاريخ دمشق : ج 17 ص 172 ح 4087 ، الفردوس : ج 5 ص 8 ح 7280 كلاهما عن ابن عباس ، كنز العمال : ج 1 ص 63 ح 226 وراجع المقنع : ص 297 .

4- . مسند ابن حنبل : ج 5 ح 423 ح 16023 ، المستدرک علي الصحيحين : ج 1 ص 61 ح 39 كلاهما عن ربيعة بن عباد ، صحيح ابن حبان : ج 14 ص 518 ح 6562 ، السنن الكبرى : ج 1 ص 123 ح 358 ، المعجم الكبير : ج 8 ص 314 ح 8175 كلَّها عن طارق بن عبد الله المحاربي ، كنز العمال : ج 12 ص 449 ح 35538 ؛ المناقب لابن شهر آشوب : ج 1 ص 56 عن طارق المحاربي ، بحار الأنوار : ج 18 ص 202 .

الفصل الثاني : مراتب التوحيد

المرتبة الاولى : التوحيد في الذات

اشاره

الفصل الثاني : مراتب التوحيد المرتبة الاولى : التوحيد في الذات موضوع التوحيد من أهم موضوعات معرفة الله سبحانه بعد إثبات وجوده ، وهو جدير بالمناقشة والتحليل من جوانب مختلفة . لقد تم في هذا الفصل تنظيم النصوص المرتبطة بأهم المباحث التوحيدية تحت عنوان مراتب التوحيد ، وهي تبدأ من التوحيد في الذات ، وتنتهي بالتوحيد في العبادة الذي يمثل أعلى المراتب في معرفة الله تعالى ، وذلك علي المنوال الذي تلاحظونه . إن التوحيد الذاتي الذي يجسد أول مرتبة من مراتب التوحيد ، بمعني نفي الشريك ، والتشبيه ، والجزء عن ذات الحق تعالى ، وستلاحظون في الأبواب الآتية البراهين العقلية علي توحيد الذات وتفسيرها و تبيانها من وحي القرآن والحديث .

1 / 1 ما يدل علي وحدة ذاته

1 / 1 ما يدل علي وحدة ذاتها الكتاب «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» . (1)

«أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَهَةٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» . (2)

الحديثا لإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «إعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لآتتك رسله، ولزأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكن الله واحد كما وصف نفسه، لا يضاذه في ملكه أحد» . (3)

الإمام الصادق عليه السلام لما سئل: كيف هو الله الواحد؟: «واحد في ذاته فلا واحد كواحد؛ لأن ما سواه من الواحد متجزئ، وهو تبارك وتعالى واحد لا يتجزأ ولا يقع عليه العد» . (4)

عنه عليه السلام لما سئل: ما الدليل علي الواحد؟: «ما بالخلق من الحاجة» . (5)

الإمام الرضا عليه السلام لما سأل رجل من الثنوية: إن صانع العالم اثنان، فما الدليل علي

1- المؤمنون: 117 .

2- النمل: 64 .

3- نهج البلاغة: الكتاب 31، تحف العقول: ص 72 وفيه «لا يضاذه في ذلك أحد ولا يحاجه» بدل «لا يضاذه في ملكه أحد»، بحار الأنوار: ج 3 ص 234 .

4- الاحتجاج: ج 2 ص 217 ح 223، بحار الأنوار: ج 10 ص 167 ح 2 .

5- تحف العقول: ص 377 .

1 / 2 تفسير التوحيد

أَنَّهُ وَاحِدٌ؟ قَالَ_- قَوْلُكَ: إِنَّهُ اثْنَانِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تَدَّعِ الثَّانِي إِلَّا بَعْدَ إِثْبَاتِكَ الْوَاحِدِ، فَالْوَاحِدُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ مُخْتَلَفٌ فِيهِ. (1)

راجع: ص 400 (ما يدلُّ علي وحدة الرُّبُوبِيَّةِ) و 402 (ما يدلُّ علي وحدة التَّدْبِيرِ).

1 / 2 تفسیر التَّوْحِيدِ رسول الله صلي الله عليه وآله: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ نِسْبَةً، وَإِنَّ نِسْبَةَ اللَّهِ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (2). (3)

عنه صلي الله عليه وآله: التَّوْحِيدُ ظَاهِرُهُ فِي بَاطِنِهِ، وَبَاطِنُهُ فِي ظَاهِرِهِ، ظَاهِرُهُ مَوْصُوفٌ لَا يُرَى، وَبَاطِنُهُ مَوْجُودٌ لَا يَخْفَى، يُطَلَّبُ بِكُلِّ مَكَانٍ وَلَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ طَرْفَةً عَيْنٍ، حَاضِرٌ غَيْرٌ مَحْدُودٍ، وَغَائِبٌ غَيْرٌ مَفْقُودٍ. (4)

عنه صلي الله عليه وآله: اللَّهُ وَاحِدٌ وَاحِدِيٌّ الْمَعْنَى، وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ ثَنَوِيٌّ الْمَعْنَى؛ جِسْمٌ وَعَرَضٌ وَبَدَنٌ وَرُوحٌ. (5)

الإمام علي عليه السلام_ فِي صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ_-: كُلُّ مُسَمِّيٍّ بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ. (6)

عنه عليه السلام_ فِي قَوْلِ الْمُؤَدِّنِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ_-: إِعْلَامٌ بِأَنَّ الشَّهَادَةَ لَا تَجُوزُ

1- التوحيد: ص 270 ح 6 عن الفضل بن شاذان، بحار الأنوار: ج 3 ص 228 ح 18.

2- الإخلاص: 1.

3- المعجم الأوسط: ج 1 ص 222 ح 732، تفسير ابن كثير: ج 8 ص 538، الفردوس: ج 3 ص 329 ح 4987 كلِّها عن أبي هريرة.

4- معاني الأخبار: ص 10 ح 1 عن عمر بن علي عن أبيه الإمام علي عليه السلام، بحار الأنوار: ج 4 ص 264 ح 12.

5- العدد القويَّة: ص 82 ح 143، كفاية الأثر: ص 12 كلاهما عن ابن عباس، بحار الأنوار: ج 3 ص 304 ح 40.

6- نهج البلاغة: الخطبة 65، غرر الحكم: ح 6877، بحار الأنوار: ج 4 ص 309 ح 37.

إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ مِنَ الْقَلْبِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ بِاطِلٍ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأُقِرُّ بِلِسَانِي بِمَا فِي قَلْبِي مِنَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا مَنجِي مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَفِتْنَةٍ إِلَّا اللَّهُ . وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . مَعْنَاهُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا هَادِيَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا دَلِيلَ لِي إِلَى الدِّينِ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ اللَّهُ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ سَكَّانَ السَّمَاوَاتِ وَسَكَّانَ الْأَرْضِينَ وَمَا فِيهِنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَمَا فِيهِنَّ مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَشْجَارِ وَالْدَّوَابِّ وَالْوُحُوشِ ، وَكُلِّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا رَازِقَ وَلَا مَعْبُودَ وَلَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ وَلَا قَابِضَ وَلَا بَاسِطَ وَلَا مُعْطِيَ وَلَا مَانِعَ وَلَا نَاصِحَ وَلَا كَافِيَ وَلَا شَافِيَ وَلَا مُقَدِّمَ وَلَا مُؤَخِّرَ إِلَّا اللَّهُ ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . (1)

فاطمة عليها السلام_ في احتجاجها علي القوم لما منعوها فدكا_ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَلِمَةً جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا ، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا ، وَأَنَارَ فِي التَّفَكُّرِ مَعْقُولَهَا . (2)

الإمام الباقر عليه السلام_ في قول الله_ تَبَارَكَ وَتَعَالَى _ : «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» _ : «قُلْ» أَي أَظْهَرَ مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَنَبَّأْنَاكَ بِهِ بِتَأْلِيْفِ الْحُرُوفِ الَّتِي قَرَأْنَاهَا لَكَ ، لِيَهْتَدِيَ بِهَا مَنْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَ«هُوَ» اسْمٌ مُكْنَى مُشَارًّا إِلَيْ غَائِبٍ ، فَالْهَاءُ تَنْبِيْهُ عَلَي مَعْنَى ثَابِتٍ ، وَالْوَاوُ

1- .معاني الأخبار: ص 39 ح 1 ، التوحيد: ص 239 ح 1 كلاهما عن يزيد بن الحسن عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام ، بحار الأنوار: ج 84 ص 132 ح 24 .

2- .الاحتجاج: ج 1 ص 255 ح 49 عن عبد الله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام ، دلائل الإمامة: ص 111 ح 36 عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عنها عليهما السلام ، كشف الغمّة: ج 2 ص 107 عن عمر بن شبة وفيهما «أبان في الفكر» بدل «أنار في التفكير» ؛ بلاغات النساء: ص 27 عن زينب بنت الإمام الحسين عليه السلام وفيه «أني في الفكرة» بدل «أنار في التفكير».

إِشَارَةٌ إِلَى الْغَائِبِ عَنِ الْحَوَاسِّ ، كَمَا أَنَّ قَوْلَكَ: «هَذَا» إِشَارَةٌ إِلَى الشَّاهِدِ عِنْدَ الْحَوَاسِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ نَبَّهُوا عَنِ آلِهَتِهِمْ بِحَرْفِ إِشَارَةِ الشَّاهِدِ الْمُدْرِكِ ، فَقَالُوا: هَذِهِ آلِهَتُنَا الْمَحْسُوسَةُ الْمُدْرَكَةُ بِالْأَبْصَارِ ، فَأَشِيرُ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ حَتَّى نَرَاهُ وَنُدْرِكُهُ وَلَا نَأَلَهُ فِيهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فَالْهَاءُ تَثْبِيْتُ لِلثَّابِتِ ، وَالْوَاوُ إِشَارَةٌ إِلَى الْغَائِبِ عَنِ دَرَكِ الْأَبْصَارِ وَلَمَسِ الْحَوَاسِّ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى عَنِ ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ مُدْرِكُ الْأَبْصَارِ وَمُبْدِعُ الْحَوَاسِّ . (1)

عنه عليه السلام: تَعَلَّقُ الْقَلْبُ بِالْمَوْجُودِ شَرِكٌ ، وَبِالْمَفْقُودِ كُفْرٌ . (2)

الإمام الصادق عليه السلام: هُوَ وَاحِدٌ وَاحِدِيُّ الدَّاتِ ، بَاتِنٌ مِنْ خَلْقِهِ . (3)

عنه عليه السلام: خَالِقُنَا لَا مَدْخَلَ لِلْأَشْيَاءِ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ وَاحِدِيُّ الدَّاتِ ، وَاحِدِيُّ الْمَعْنَى . (4)

عنه عليه السلام: مَنْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ: وَاحِدٌ ، فَهَذَا لَهُ اسْمٌ وَلَهُ شَبِيهٌ ، وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَهُوَ لَهُ اسْمٌ وَلَا شَيْءَ لَهُ شَبِيهٌ ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى وَاحِدًا . وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ فَهِيَ دَلَالَتُنَا عَلَى الْمَسْمُومِ ؛ لِأَنَّا قَدْ نَرَى الْإِنْسَانَ وَاحِدًا وَإِنَّمَا نُخْبِرُ وَاحِدًا إِذَا كَانَ مُفْرَدًا ، فَعَلِمَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ بِوَاحِدٍ فِي الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلِفَةٌ وَأَجْزَاءُهُ لَيْسَتْ سَوَاءً ، وَلِحَمَّهَ غَيْرُ دَمِهِ ، وَعَظْمُهُ غَيْرُ عَصَبِهِ ، وَشِدَّةُ عَرَّةٍ غَيْرُ ظُفْرِهِ ، وَسَوَادُهُ غَيْرُ بَيَاضِهِ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْخَلْقِ .

- 1- التوحيد: ص 88 ح 1 ، مجمع البيان: ج 10 ص 861 نحوه وكلاهما عن وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار: ج 3 ص 221 ح 12 .
- 2- مسكن الفؤاد: ص 82 ، مصباح الشريعة: ص 484 كلاهما عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار: ج 71 ص 149 ح 45 .
- 3- الكافي: ج 1 ص 127 ح 5 عن ابن أذينة .
- 4- الكافي: ج 1 ص 110 ح 6 ، معاني الأخبار: ص 20 ح 3 وليس فيه «لأنه» وكلاهما عن هشام بن الحكم ، بحار الأنوار: ج 4 ص 66 ح 7 .

وَالْإِنْسَانَ وَاحِدٌ فِي الْإِسْمِ ، وَلَيْسَ بِوَاحِدٍ فِي الْإِسْمِ وَالْمَعْنَى وَالْخَلْقِ ، فَإِذَا قِيلَ لِلَّهِ فَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا وَاحِدَ غَيْرُهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ . (1)

عنه عليه السلام لَمَّا سئل عَنْ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» : نَسَبَةُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ ، أَحَدًا صَمَدًا (2) أَزَلِيًّا صَدْمَدِيًّا ، لَا ظِلَّ لَهُ يُمَسِّكُهُ ، وَهُوَ يُمَسِّكُ الْأَشْيَاءَ بِأَظْلَمَتِهَا ، عَارِفٌ بِالْمَجْهُولِ ، مَعْرُوفٌ عِنْدَ كُلِّ جَاهِلٍ ، فَرْدَانِيًّا ، لَا خَلْقَهُ فِيهِ وَلَا هُوَ فِي خَلْقِهِ ، غَيْرٌ مَحْسُوسٍ وَلَا مَجْسُوسٍ (3) ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، عَلَا فَقْرُبٌ وَدَنَا فَبُعْدٌ ، وَعُصِيَّيَ فَعَفَّرَ وَأَطِيعَ فَشَكَرَ ، لَا تَحْوِيهِ أَرْضُهُ وَلَا تَقْلُهُ سَمَاوَاتُهُ ، حَامِلٌ الْأَشْيَاءِ بِقُدْرَتِهِ ، دِيمُومِيٌّ أَزَلِيٌّ ، لَا يَنْسِي وَلَا يَلْهَوُ وَلَا يَغْلُظُ وَلَا يَلْعَبُ ، وَلَا لِإِعْرَادَتِهِ فَصْلٌ ، وَفَصْلُهُ جَزَاءٌ ، وَأَمْرُهُ وَقَعٌ ، لَمْ يَلِدْ فَيُورَثْ ، وَلَمْ يُولَدْ فَيُشَارَكَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤًا أَحَدٌ . (4)

عنه عليه السلام : إِنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالُوا : إِنْسِبْ لَنَا رَبَّكَ ! فَلَبِثَ ثَلَاثًا لَا يُجِيبُهُمْ ، ثُمَّ نَزَلَتْ : «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» إِلَى آخِرِهَا . (5)

التوحيد عن هشام بن سالم : دَخَلْتُ عَلَيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لِي : أَتَنْعَتُ اللَّهَ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : هَاتِ .

1- بحار الأنوار: ج 3 ص 195 عن المفضل بن عمر .

2- الصمد: الدائم الباقي (مجمع البحرين: ج 2 ص 1049) .

3- الجس: المس باليد (القاموس المحيط: ج 2 ص 204) .

4- الكافي: ج 1 ص 91 ح 2 ، التوحيد: ص 57 ح 15 وليس فيه «نسبة الله إلى خلقه» وكلاهما عن حماد بن عمرو النصيبى ، بحار الأنوار: ج 4 ص 286 ح 18 .

5- الكافي: ج 1 ص 91 ح 1 ، التوحيد: ص 93 ح 8 كلاهما عن محمد بن مسلم ، بحار الأنوار: ج 3 ص 220 ح 9 ؛ سنن الترمذي: ج 5 ص 451 ح 3364 ، مسند ابن حنبل: ج 8 ص 44 ح 21277 ، المستدرک علي الصحيحين: ج 2 ص 589 ح 3987 وكلها عن أبي بن كعب وفيها «المشركين» بدل «اليهود» وليس فيها «فلبث ثلاثا لا يجيبهم» .

فَقُلْتُ: هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ. قَالَ: هَذِهِ صِفَةٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا المَخْلُوقُونَ! قُلْتُ: فَكَيْفَ تَنَعَّتُهُ؟ فَقَالَ: هُوَ نُورٌ لَا ظِلْمَةَ فِيهِ، وَحَيَاةٌ لَا مَوْتَ فِيهِ، وَعِلْمٌ لَا جَهْلَ فِيهِ، وَحَقٌّ لَا بَاطِلَ فِيهِ. فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِالتَّوْحِيدِ. (1)

الإمام الصادق عليه السلام_ لَمَّا سئل: كَيْفَ هُوَ اللّهُ الوَاحِدُ؟_ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ فَلَا وَاحِدٌ كَوَاحِدٍ؛ لِأَنَّ مَا سِوَاهُ مِنَ الوَاحِدِ مُتَجَزِّئٌ، وَهُوَ- تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَاحِدٌ لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ العَدُّ. (2)

الإمام الرضا عليه السلام: إِنَّ اللّهُ المُبْدِئُ الوَاحِدُ، الكَائِنُ الأَوَّلُ، لَمْ يَزَلْ وَاحِدًا لَا شَيْءَ مَعَهُ، فَردًا لَا ثَانِيَّ مَعَهُ. (3)

الكافي عن عبد العزيز بن المهتدي: سَأَلْتُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامَ عَنِ التَّوْحِيدِ، فَقَالَ: كُلُّ مَنْ قَرَأَ: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ» وَأَمَّنَ بِهَا فَقَدَ عَرَفَ التَّوْحِيدَ. قُلْتُ: كَيْفَ يَقْرُؤُهَا؟ قَالَ: كَمَا يَقْرُؤُهَا النَّاسُ، وَزَادَ فِيهِ: كَذَلِكَ اللّهُ رَبِّي، كَذَلِكَ اللّهُ رَبِّي. (4)

1- التوحيد: ص 146 ح 14، بحار الأنوار: ج 4 ص 70 ح 16.

2- الاحتجاج: ج 2 ص 217 ح 223، بحار الأنوار: ج 10 ص 167 ح 2.

3- التوحيد: ص 435 ح 1، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 172 ح 1 كلاهما عن الحسن بن محمد النوفلي، تحف العقول: ص 423 نحوه، بحار الأنوار: ج 10 ص 313 ح 1.

4- الكافي: ج 1 ص 91 ح 4، التوحيد: ص 284 ح 3، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 133 ح 30، مشكاة الأنوار: ص 39 ح 9 وقد كُتِبَ فِي كَلِّهَا «كَذَلِكَ اللّهُ رَبِّي» ثَلَاثًا، بحار الأنوار: ج 3 ص 268 ح 2.

الكافي عن الفتح بن يزيد الجرجاني_ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (1) لَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُ فِي التَّوْحِيدِ: لَكِنَّكَ قُلْتَ: الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، وَقُلْتَ: لَا يُشَبَّهُهُ شَيْءٌ ، وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ ، أَلَيْسَ قَدْ تَشَابَهَتِ الْوَحْدَانِيَّةُ؟ قَالَ: يَا فَتْحُ ، أَحَلَّتْ (2) تَبَتُّكَ اللَّهُ ، إِنَّمَا التَّشْبِيهُ فِي الْمَعْنَى ، فَأَمَّا فِي الْأَسْمَاءِ فَهِيَ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى الْمُسَمَّى . (3)

الإمام الجواد عليه السلام: ما سَوِيَ الْوَاحِدِ مُتَجَزِّئٌ ، وَاللَّهُ وَاحِدٌ لَا مُتَجَزِّئٌ وَلَا مُتَوَهَّمٌ بِالْقِلَّةِ وَالكَثْرَةِ ، وَكُلُّ مُتَجَزِّئٍ أَوْ مُتَوَهَّمٍ بِالْقِلَّةِ وَالكَثْرَةِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ دَالٌّ عَلَى خَالِقِهِ لَهُ . (4)

الكافي عن أبي هاشم الجعفري: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ؟ فَقَالَ: إِجْمَاعُ الْأَلْسِنِ عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» (5) . (6)

- 1- المراد بأبي الحسن عليه السلام هنا الثاني علي ما صرَّح به الصدوق ، ويحتمل الثالث كما في كشف الغمّة (هامش المصدر). وذكر السيّد الخوئي رحمه الله في معجم رجال الحديث (ج 13 ص 246) الفتح بن يزيد الجرجاني واعتبره من أصحاب الإمام الرضا والإمام الهادي عليهما السلام ، وبقرينة إقامته في مشهد الرضا عليه السلام وكون أكثر رواياته عنه عليه السلام احتتمل أن المراد من أبي الحسن في رواياته علي نحو الإطلاق هو الإمام الرضا عليه السلام .
- 2- أحال الرجل: أتى بالمحال وتكلّم به (لسان العرب: ج 11 ص 186 «حول»).
- 3- الكافي: ج 1 ص 119 ح 1 ، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 127 ح 23 ، التوحيد: ص 185 ح 1 وص 62 ح 18 نحوه ، بحار الأنوار: ج 4 ص 173 ح 2 .
- 4- الكافي: ج 1 ص 116 ح 7 ، التوحيد: ص 193 ح 7 ، الاحتجاج: ج 2 ص 468 ح 321 كلّها عن أبي هاشم الجعفري ، بحار الأنوار: ج 4 ص 153 ح 1 .
- 5- الزخرف: 87 .
- 6- الكافي: ج 1 ص 118 ح 12 ، التوحيد: ص 83 ح 2 وص 82 ح 1 كلاهما نحوه ، بحار الأنوار: ج 3 ص 208 ح 4 .

1 / 3 المذهب الحق في التوحيد

1 / 3 المذهب الحق في التوحيد للإمام الصادق عليه السلام: التأس في التوحيد علي ثلاثة أوجه: مثبت وناق ومشبّه؛ فالناقى مبطل، والمثبت مؤمن، والمشبّه مشرك. (1)

عنه عليه السلام في كتابه لعبد الرحيم القصير: سألت - رحمتك الله - عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثل شىء وهو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه، المفترون على الله! فأعلم - رحمتك الله - أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله - جل وعز -، فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفى ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان. (2)

التوحيد عن محمد بن عيسى بن عبيد: قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما تقول إذا قيل لك: أخبرني عن الله عز وجل شىء هو أم لا؟ قال: فقلت له: قد أثبت الله عز وجل نفسه شىء، حيث يقول: «قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَيْءٍ دَعَا قُلُوبَ اللَّهِ شَهِيدَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» (3)، فأقول: إنه شىء لا كالأشياء؛ إذ في نفى الشئبة عنه إبطاله ونفيه.

-
- 1- تحف العقول: ص 370، عوالي اللآلي: ج 1 ص 304 ح 3 عنهم عليهم السلام، بحار الأنوار: ج 78 ص 253 ح 115.
 - 2- الكافي: ج 1 ص 100 ح 1، التوحيد: ص 102 ح 15 و ص 228 ح 7 كلها عن عبدالرحيم القصير، بحار الأنوار: ج 3 ص 261 ح 12.
 - 3- الأنعام: 19.

1 / 4 التوحيد الخالص

قال لي: صدقت وأصبت، ثم قال لي الرضا عليه السلام: للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نقي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه. فمذهب النقي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز؛ لأن الله - تبارك وتعالى - لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه. (1)

راجع: ج 4 ص 22 (الخروج من حد التشبيه والتعطيل).

1 / 4 التوحيد الخالص الإمام علي عليه السلام: أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحده، وكمال توحده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نقي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. (2)

الإمام الصادق عليه السلام: الله غاية من غيائه، والمعنى (3) غير الغاية، توحد بالربوبية، ووصف

1- التوحيد: ص 107 ح 8، تفسير العياشي: ج 1 ص 356 ح 11 عن هشام المشرقي نحوه، بحار الأنوار: ج 3 ص 262 ح 19 وراجع التوحيد: ص 101 ح 10.

2- نهج البلاغة: الخطبة 1، الاحتجاج: ج 1 ص 473 ح 113، عوالي اللآلي: ج 4 ص 126 ح 215 وليس فيه ذيله من «لشهادة...»، بحار الأنوار: ج 4 ص 247 ح 5.

3- التغية: جعل الشيء غاية للسلوك والحركة، والغاية لا بد أن تقع في الذهن ابتداء السلوك حتى تكون باعثة له، فمعنى الكلام أن الله تعالى يصح أن يجعله الإنسان غاية لسلوكه الإنساني، ولكن المعنى، أي الذي يقع في الذهن قبل السلوك غير الله الذي هو غاية موصول بها بعد السلوك؛ لأن ما هو واقع في الذهن محدود، والله تعالى وصف نفسه بغير محدودية، فالذاكر الله الذي هو مفهوم واقع في ذكرك وذهنك ويوجب توجهك وسلوكك إلى الله تعالى غير الله الذي هو مصداق تام حقيقي لهذا المفهوم، وموصل وموصول لك في سلوكك إليه، فإذا كان هذا المفهوم غير الله فأسمائه التي تحكي عن هذه المفاهيم غير الله بطريق أولي، بل هي مضافة إليه إضافة ما، فما ذهب إليه قوم من اتحاد الاسم والمعنى باطل (هامش المصدر).

نَفْسَهُ بِغَيْرِ مَحْدُودِيَّةٍ، فَالذَّاكِرُ اللّٰهَ غَيْرُ اللّٰهِ، وَاللّٰهُ غَيْرُ أَسْمَائِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمٌ شَيْءٍ سِوَاهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ. أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: «الْعِزَّةُ لِلّٰهِ الْعَظْمَةُ لِلّٰهِ» وَقَالَ: «وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا» (1) وَقَالَ: «قُلْ ادْعُوا اللّٰهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ» (2) فَالْأَسْمَاءُ مُضَافَةٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ. (3)

عنه عليه السلام: اسْمُ اللّٰهِ غَيْرُ اللّٰهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمٌ شَيْءٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللّٰهَ، فَأَمَّا مَا عَبَّرَتِ الْأَلْسُنُ عَنْهُ أَوْ عَمَلَتِ الْأَيْدِي فِيهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَاللّٰهُ غَايَةٌ مِنْ غَايَاهُ، وَالْمَغْيَبِيُّ غَيْرُ الْغَايَةِ، وَالْغَايَةُ مَوْصُوفَةٌ، وَكُلُّ مَوْصُوفٍ مَصْنُوعٌ، وَصَانِعُ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مَوْصُوفٍ بِحَدِّ مَسْمِيٍّ، لَمْ يَتَكَوَّنْ فَتَعْرِفَ كَيْنُونَتَهُ بِصَنِيعِ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَتَنَاهَ إِلَىٰ غَايَةٍ إِلَّا كَانَتْ غَيْرَهُ، لَا يَدُلُّ مَنْ فَهَمَ هَذَا الْحُكْمَ أَبَدًا، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ، فَاعْتَمَدُوهُ وَصَدَّقُوهُ وَتَقَهَّمُوهُ بِإِذْنِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللّٰهَ بِحِجَابٍ أَوْ بِصُورَةٍ أَوْ بِمِثَالٍ فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ لِأَنَّ الْحِجَابَ وَالْمِثَالَ وَالصُّورَةَ غَيْرُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ مُّوَحَّدٌ، فَكَيْفَ يُوَحَّدُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَرَفَهُ بِغَيْرِهِ، إِنَّمَا عَرَفَ اللّٰهَ مَنْ عَرَفَهُ بِاللّٰهِ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِهِ فَلَيْسَ يَعْرِفْهُ، إِنَّمَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ، وَاللّٰهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ لَا مِنْ شَيْءٍ. يُسَمِّي بِأَسْمَائِهِ فَهُوَ غَيْرُ أَسْمَائِهِ وَالْأَسْمَاءُ غَيْرُهُ، وَالْمَوْصُوفُ غَيْرُ الْوَاصِفِ. فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِمَا لَا يَعْرِفُ فَهُوَ ضَالٌّ عَنِ الْمَعْرِفَةِ. لَا يُدْرِكُ مَخْلُوقٌ شَيْئًا

1- الأعراف: 180 .

2- الإسراء: 110 .

3- التوحيد: ص 58 ح 16 ، بحار الأنوار: ج 4 ص 160 ح 5 .

1 / 5 ما يمتنع في التوحيد

إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تُدْرِكُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَاللَّهُ خَلَوْ مِنْ خَلْقِهِ ، وَخَلَقَهُ خَلَوْ مِنْهُ . إِذَا أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا كَانَ كَمَا أَرَادَ بِأَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ نُطْقٍ ، لَا مَلَجًا لِعِبَادِهِ مِمَّا قَضَى ، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيمَا ارْتَضَى ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيَّ عَمَلٍ وَلَا مُعَالَجَةَ مِمَّا أَحَدَثَ فِي أَبْدَانِهِمُ الْمَخْلُوقَةَ إِلَّا بِرَبِّهِمْ ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْوَى عَلَيَّ عَمَلٍ لَمْ يُرِدْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ إِرَادَتَهُ تَغْلِبُ إِرَادَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (1) . (2)

الإمام الجواد عليه السلام: الحمد لله إقرارا بِنِعْمَتِهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِخْلَاصًا لَوْحَدَانِيَّتِهِ . (3)

1 / 5 ما يمتنع في التوحيد الإمام علي عليه السلام: ما وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ ، وَلَا إِيَّاهُ عَنِي مَنْ شَبَّهَهُ . (4)

عنه عليه السلام: دَلِيلُهُ آيَاتُهُ ، وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ ، وَمَعْرِفَتُهُ تَوْحِيدُهُ ، وَتَوْحِيدُهُ تَمَيُّزُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَحُكْمُ التَّمْيِيزِ بَيْنُونَةٌ صِدْفَةٌ لَا بَيْنُونَةَ عَزَلَةٍ ، إِنَّهُ رَبُّ خَالِقٍ غَيْرٍ مَرِيوبٍ مَخْلُوقٍ ، كُلَّمَا يَتَصَوَّرُ فَهُوَ بِخِلَافِهِ . (5)

1- قال الصدوق قدس سره: معني ذلك أن من زعم أنه يقوي علي عمل لم يرده الله أن يقويه عليه ، فقد زعم أن إرادته تغلب إرادة الله ، تبارك الله رب العالمين (المصدر) .

2- التوحيد: ص 142 ح 7 وص 192 ح 6 ، الكافي: ج 1 ص 113 ح 4 وفيهما صدره إلي «والأسماء غيره» وكلها عن عبدالأعلي ، بحار الأنوار: ج 4 ص 160 ح 6 .

3- الاحتجاج: ج 2 ص 472 ح 322 ، إعلام الوري: ج 2 ص 103 ، روضة الواعظين: ص 263 كلها عن الريان بن شبيب ، المناقب لابن شهر آشوب: ج 4 ص 382 عن ريان بن شبيب ويحيى الزيات وغيرهما ، بحار الأنوار: ج 50 ص 76 ح 3 .

4- نهج البلاغة: الخطبة 186 ، بحار الأنوار: ج 77 ص 310 ح 14 .

5- الاحتجاج: ج 1 ص 475 ح 115 ، بحار الأنوار: ج 4 ص 253 ح 7 .

عنه عليه السلام_ لَمَّا سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ_: التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ . (1)

الإمام الصادق عليه السلام_ لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يَذْكَرَ لَهُ مِنَ التَّوْحِيدِ مَا يَسْهَلُ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ وَيَتَهَيَّأُ حِفْظُهُ_: أَمَّا التَّوْحِيدُ فَأَلَّا تُجَوِّزَ عَلَيَّ رَبِّكَ مَا جَازَ عَلَيْكَ . (2)

الإمام الرضا عليه السلام: لَيْسَ اللَّهُ عَرَفَ مَنْ عَرَفَ بِالتَّشْبِيهِ ذَاتَهُ ، وَلَا إِيَّاهُ وَحَدَّ مِنْ اِكْتِنَاهُ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ ، وَلَا بِهِ صَدَّقَ مَنْ نَهَاهُ . (3)

الكافي عن أبي الحسن عليه السلام: اللَّهُ _ جَلَّ جَلَالُهُ _ هُوَ وَاحِدٌ لَا وَاحِدَ غَيْرُهُ ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ ، وَلَا تَفَاوُتَ ، وَلَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ . (4)

1- نهج البلاغة: الحكمة 470 ، خصائص الأئمة عليهم السلام : ص 124 ، روضة الواعظين: ص 48 ، أعلام الدين : ص 318 عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار: ج 5 ص 52 ح 86 .

2- التوحيد: ص 96 ح 1 ، معاني الأخبار: ص 11 ح 2 ، مشكاة الأنوار: ص 39 ح 8 ، روضة الواعظين: ص 48 وليس فيه صدره ، بحار الأنوار: ج 4 ص 264 ح 13 .

3- التوحيد: ص 35 ح 2 ، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 150 ح 51 كلاهما عن والقاسم بن أيوب العلوي ، الأمالي للمفيد: ص 254 ح 4 عن محمّد بن زيد الطبري ، الأمالي للطوسي: ص 22 ح 28 عن محمّد بن يزيد الطبري وفيهما «ليس الله عبد من نعت ذاته» بدل «ليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته» ، بحار الأنوار: ج 4 ص 228 ح 3 .

4- الكافي: ج 1 ص 119 ح 1 ، التوحيد: ص 62 ح 18 ، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 128 ح 23 كلّها عن الفتح بن يزيد الجرجاني ، بحار الأنوار: ج 4 ص 173 ح 2 .

المرتبة الثانية : التوحيد في الصفات

إشاره

المرتبة الثانية : التوحيد في الصّفات إنّ التّوحيد الوصفيّ يعني نفي الصفات الزائدة عن الذات الإلهية ، وهذا المطلب يلازم التّوحيد الذاتي؛ إذ علي أساس التّوحيد الذاتي أنّ الله تعالى غير مركّب من أجزاء ، وقبول الصفات الزائدة علي الذات يستلزم أنّ الله تعالى مركّب من الذات والصفات . والتّوحيد الوصفيّ يتعلّق بصفات الذات لا صفات الفعل ، وبعبارة أُخري : إنّ صفات الذات كالعلم والقدرة هي عين ذاته تعالى ، أمّا صفات الفعل كالإرادة والكلام فهي من أفعاله تعالى وهي حادثة . لقد اعتبر بعض المحقّقين التّوحيد الوصفيّ بمعني توحيد الله سبحانه في الصفات الكمالية ، وهذا الرأي مفاد بعض الأحاديث ، مثل : «كُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ...» . (1) وقد ذكرنا هذا المعني للتوحيد الوصفيّ والأحاديث المتعلقة به في ذيل التّوحيد الذاتي .

2 / 1 صفات الله عين ذاته

2 / 1 صفات الله عين ذاتها لإمام علي عليه السلام: أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيدُهُ، ونظام توحيدِهِ نفي التشبيه عنه، جلّ عن أن تحلّه الصفات؛ لشدّه هادّة العقول أن كل من حلته الصفات مصنوع، وشدّه هادّة العقول أنه - جلّ جلاله - صانع ليس بمصنوع. بصنع الله يُستدلّ عليه، وبالعقول تُعتمد معرفته، وبالنظر تثبت حجته. جعل الخلق ذليلاً عليه، فكشّف به عن ربوبيته. هو الواحد الفرد في أزليته، لا شريك له في إلهيته، ولا ند له في ربوبيته، بمضادته بين الأشياء المتضادة علم أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لا قرين له. (1)

الإمام الباقر عليه السلام: إن ربي - تبارك وتعالى - كان ولم يزل حياً بلا كيف، ولم يكن له كان ولا كان لكونه كون كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء ولا كان علي شيء، ولا ابتدأ لمكانه مكاناً ولا قوي بعدما كوّن الأشياء، ولا كان ضديفاً قبل أن يكون شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً مذكوراً، ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه، لم يزل حياً بلا حياة وملياً قادراً قبل أن ينشئ شيئاً، وملياً جباراً بعد إنشائه للكون. فليس لكونه كيف ولا له أين ولا له حد، ولا يعرف بشيء يشبهه ولا يهرم لطول البقاء، ولا يصعق لشيء، بل لخوفه تصعق الأشياء كلها، كان حياً بلا حياة حادثة، ولا كون موصوف ولا كيف محدود ولا أين موقوف عليه، ولا مكان جاور شيئاً،

1- الإرشاد: ج 1 ص 223 عن صالح بن كيسان، الاحتجاج: ج 1 ص 475 ح 114 وفيه «نفي الصفات» بدل «نفي التشبيه»، بحار الأنوار: ج 4 ص 253 ح 6.

بَلْ حَيٌّ يُعْرَفُ وَمَلِكٌ لَمْ يَزَلْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْمُلْكُ ، أَنْشَأَ مَا شَاءَ حِينَ شَاءَ بِمَشِيئَتِهِ ، لَا يُحَدُّ وَلَا يُعْعَضُ وَلَا يَفْنِي ، كَانَ أَوَّلًا بِلاَ كَيْفٍ وَيَكُونُ آخِرًا بِلاَ أَيْنٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . (1)

الكافي عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام_ في صِفَةِ الْقَدِيمِ _ : إِنَّهُ وَاحِدٌ ، صَمَدٌ ، أَحَدِيُّ الْمَعْنَى ، لَيْسَ بِمَعَانٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ . قَالَ : قُلْتُ : _ جُعِلْتُ فِدَاكَ _ يَزْعُمُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنَّهُ يَسْمَعُ بِغَيْرِ الَّذِي يُبْصِرُ ، وَيُبْصِرُ بِغَيْرِ الَّذِي يَسْمَعُ ! قَالَ : فَقَالَ : كَذَبُوا وَالْحَدُوا وَشَدَّ بَهُوا ؛ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ ، إِنَّهُ سَمِعَ بِبَصِيرٍ ، يَسْمَعُ بِمَا يُبْصِرُ ، وَيُبْصِرُ بِمَا يَسْمَعُ . قَالَ : قُلْتُ : يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَصِيرٌ عَلَيَّ مَا يَعْقِلُونَهُ . قَالَ : فَقَالَ : تَعَالَى اللَّهُ ! إِنَّمَا يُعْقَلُ مَا كَانَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ ، وَلَيْسَ اللَّهُ كَذَلِكَ . (2)

الإمام الصادق عليه السلام : رَبُّنَا نُورِيُّ الذَّاتِ ، حَيُّ الذَّاتِ ، عَالِمُ الذَّاتِ ، صَمَدِيُّ الذَّاتِ . (3)

عنه عليه السلام_ لِيَزِيدِي حِينَ سَأَلَهُ : أَنْتَقُولُ : إِنَّهُ سَمِعَ بِبَصِيرٍ ؟ _ : هُوَ سَمِعَ بِبَصِيرٍ ، سَمِعَ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ ، بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ وَيُبْصِرُ بِنَفْسِهِ ، وَلَيْسَ قَوْلِي : « إِنَّهُ سَمِعَ بِنَفْسِهِ » أَنَّهُ شَيْءٌ وَالنَّفْسُ شَيْءٌ آخَرٌ ، وَلِكِنِّي أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنِ نَفْسِي إِذْ كُنْتُ مَسْئُولًا ، وَإِفْهَامًا لَكَ إِذْ كُنْتُ سَائِلًا ، فَأَقُولُ : يَسْمَعُ بِكُلِّهِ لَا أَنْ كُلَّهُ لَهُ بَعْضٌ ؛ لِأَنَّ

1- .الكافي: ج 1 ص 88 ح 3 عن أبي بصير ، التوحيد: ص 141 ح 6 عن عبدالأعلي عن الإمام الكاظم عليه السلام نحوه ، بحار الأنوار: ج 4 ص 298 ح 27 .

2- .الكافي: ج 1 ص 108 ح 1 ، التوحيد: ص 144 ح 9 ، الاحتجاج: ج 2 ص 167 ح 196 نحوه ، بحار الأنوار: ج 4 ص 69 ح 14 .

3- .التوحيد: ص 140 ح 4 عن هارون بن عبدالمملك ، بحار الأنوار: ج 4 ص 68 ح 12 .

الْكُلُّ لَنَا (لَهُ) بَعْضٌ ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ وَالتَّعْبِيرَ عَنِ نَفْسِي ، وَلَيْسَ مَرَجِعِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا أَنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، الْعَالِمُ الْخَبِيرُ بِأَلَا اخْتِلَافِ الذَّاتِ وَلَا اخْتِلَافِ مَعْنَى . (1)

عنه عليه السلام: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَلِيمًا سَمِيعًا بَصِيرًا ، ذَاتُ عَلَامَةٍ سَمِيعَةٌ بَصِيرَةٌ . (2)

التوحيد عن أبان بن عثمان الأحمر: قُلْتُ لِلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَمْ يَزَلِ سَمِيعًا بَصِيرًا عَلِيمًا قَادِرًا؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لَهُ: إِنَّ رَجُلًا يَنْتَحِلُ مُوَالَاتِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَمْ يَزَلِ سَمِيعًا بِسَمْعٍ ، وَبَصِيرًا بِبَصَرٍ ، وَعَلِيمًا بِعِلْمٍ ، وَقَادِرًا بِقُدْرَةٍ! فَغَضِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ: مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَدَانَ بِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَلَيْسَ مِنْ وِلَايَتِنَا عَلِيٍّ شَيْءٍ ، إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ذَاتُ عَلَامَةٍ سَمِيعَةٌ بَصِيرَةٌ قَادِرَةٌ . (3)

الإمام الكاظم عليه السلام: أَوَّلُ الدِّيَاذَةِ بِهِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ ؛ بِشَهَادَةِ كُلِّ صِدْقَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ ، وَشَهَادَةِ الْمَوْصُوفِ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ ، وَشَهَادَتُهُمَا جَمِيعًا بِالتَّشْبِيهِ الْمُمْتَنِعِ مِنْهُ الْأَزْلُ . (4)

- 1- الكافي: ج 1 ص 109 ح 2 وص 83 ح 6 ، التوحيد: ص 144 ح 10 كلَّها عن هشام بن الحكم ، بحار الأنوار: ج 4 ص 69 ح 15 .
- 2- التوحيد: ص 139 ح 2 عن حماد بن عيسى ، إرشاد القلوب: ص 167 وفيه «وقال له رجل آخر: لم يزل الله ... فقال: ذات الله تعالى علامة...» ، بحار الأنوار: ج 4 ص 72 ح 19 .
- 3- التوحيد: ص 144 ح 8 ، الأمالي للصدوق: ص 708 ح 975 ، روضة الواعظين: ص 46 نحوه ، بحار الأنوار: ج 4 ص 63 ح 2 .
- 4- الكافي: ج 1 ص 140 ح 6 عن فتح بن عبد الله مولي بني هاشم ، التوحيد: ص 57 ح 14 عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا عليه السلام وفيه «جميعا علي أنفسهما بالبيئة» بدل «جميعا بالتشبيهة» ، بحار الأنوار: ج 4 ص 285 ح 17 .

2 / 2 الفرق بين صفات ذاته وصفات فعله

الإمام الرضا عليه السلام: أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعْرِفَتُهُ، وَأَصْلُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَوْحِيدُهُ، وَنِظَامُ تَوْحِيدِ اللَّهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ الْعُقُولِ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ مَخْلُوقٌ، وَشَهَادَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ أَنَّ لَهُ خَالِقًا لَيْسَ بِصِفَةٍ وَلَا مَوْصُوفٍ، وَشَهَادَةُ كُلِّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ بِالِاقْتِرَانِ، وَشَهَادَةُ الْإِقْتِرَانِ بِالْحَدَثِ، وَشَهَادَةُ الْحَدَثِ بِالِامْتِنَاعِ مِنَ الْأَزْلِ الْمُمْتَنِعِ مِنَ الْحَدَثِ. (1)

التوحيد عن الحسين بن خالد: سَمِعْتُ الرِّضَا عَلِيَّ بْنَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولُ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلِيمًا قَادِرًا حَيًّا قَدِيمًا سَمِيعًا بَصِيرًا. فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا يَعْلَمُ، وَقَادِرًا بِقُدْرَةٍ، وَحَيًّا بِحَيَاةٍ، وَقَدِيمًا بِقَدِيمٍ، وَسَمِيعًا بِسَمْعٍ، وَبَصِيرًا بِبَصَرٍ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَدَانَ بِهِ فَقَدْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى، وَلَيْسَ مِنْ وِلَايَتِنَا عَلَيَّ شَيْءٌ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلِيمًا قَادِرًا حَيًّا قَدِيمًا سَمِيعًا بَصِيرًا لِذَاتِهِ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُشَبِّهُونَ عُلوًّا كَبِيرًا. (2)

2 / 2 الفرق بين صفات ذاته وصفات فعلها الكافي عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَبَّنَا وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ

1- التوحيد: ص 34 ح 2، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 150 ح 51 نحوه وكلاهما عن القاسم بن أيوب العلوي، الأمالي للمفيد: ص 253 ح 4 عن محمد بن زيد الطبري، الاحتجاج: ج 2 ص 360 ح 283، بحار الأنوار: ج 57 ص 43 ح 17 وراجع الأمالي للطوسي: ص 22 ح 28.

2- التوحيد: ص 140 ح 3، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 119 ح 10، الأمالي للصدوق: ص 352 ح 428، الاحتجاج: ج 2 ص 384 ح 291، بحار الأنوار: ج 4 ص 62 ح 1.

وَلَا مَعْلُومَ، وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلَا مَسْمُوعٌ، وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلَا مُبْصَرٌ، وَالْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلَا مَقْدُورٌ، فَلَمَّا أَحْدَثَ الْأَشْيَاءَ وَكَانَ الْمَعْلُومُ وَقَعَ الْعِلْمُ مِنْهُ عَلَيَّ الْمَعْلُومِ، وَالسَّمْعُ عَلَيَّ الْمَسْمُوعِ، وَالْبَصَرُ عَلَيَّ الْمُبْصَرِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَيَّ الْمَقْدُورِ قُلْتُ: فَلَمَّ يَزِلُ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ مُحَدَّثَةٌ لَيْسَتْ بِأَزَلِيَّةٍ، كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا مُتَكَلِّمًا. (1)

الإمام الصادق عليه السلام _ لَمَّا سُئِلَ: لَمَّ يَزِلُ اللَّهُ مُرِيدًا؟ _ : إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمُرَادٍ مَعَهُ، لَمَّ يَزِلُ اللَّهُ عَالِمًا قَادِرًا ثُمَّ أَرَادَ. (2)

الكافي عن بكير بن أعين: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عِلْمُ اللَّهِ وَمَشِيئَتُهُ هُمَا مُخْتَلِفَانِ أَوْ مُتَّفِقَانِ؟ فَقَالَ: الْعِلْمُ لَيْسَ هُوَ الْمَشِيئَةُ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: سَأَفْعَلُ كَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا تَقُولُ: سَأَفْعَلُ كَذَا إِنْ عَلِمَ اللَّهُ! فَقَوْلُكَ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنَّهُ لَمْ يَشَأْ، فَإِذَا شَاءَ كَانَ الَّذِي شَاءَ كَمَا شَاءَ، وَعِلْمُ اللَّهِ السَّابِقُ (3) لِلْمَشِيئَةِ. (4)

التوحيد عن الحسن بن محمد النوفلي _ فِي ذِكْرِ مَجْلِسِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ سُلَيْمَانَ الْمَرْوَزِيِّ مُتَكَلِّمًا خُرَاسَانَ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فِي التَّوْحِيدِ _ : ... فَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا سُلَيْمَانُ، سَلْ أَبَا الْحَسَنِ عَمَّا بَدَأَ لَكَ، وَعَلَيْكَ بِحُسْنِ الْإِسْتِمَاعِ وَالْإِنْصَافِ.

- 1- الكافي: ج 1 ص 107 ح 1، التوحيد: ص 139 ح 1، بحار الأنوار: ج 4 ص 71 ح 18 وراجع الأماليللطوسي: ص 168 ح 282.
- 2- الكافي: ج 1 ص 109 ح 1، التوحيد: ص 146 ح 15، مختصر بصائر الدرجات: ص 140 كلَّها عن عاصم بن حميد، بحار الأنوار: ج 4 ص 144 ح 16.
- 3- في التوحيد: «وَعِلْمُ اللَّهِ سَابِقٌ لِلْمَشِيئَةِ».
- 4- الكافي: ج 1 ص 109 ح 2، التوحيد: ص 146 ح 16، بحار الأنوار: ج 4 ص 144 ح 15.

قَالَ سَلِيمَانُ: يَا سَيِّدِي أَسَأَلُكَ؟ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ. قَالَ: مَا تَقُولُ فَيَمَنُ جَعَلَ الْإِرَادَةَ اسْمًا وَصِفَةً، مِثْلَ حَيٍّ وَسَمِيعٍ وَبَصِيرٍ وَقَدِيرٍ؟ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا قُلْتُمْ: حَدَّثْتَ الْأَشْيَاءَ وَاخْتَلَفْتَ؛ لِأَنَّهُ شَاءَ وَأَرَادَ، وَلَمْ تَقُولُوا: حَدَّثْتَ وَاخْتَلَفْتَ؛ لِأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمِثْلِ سَمِيعٍ وَلَا بَصِيرٍ وَلَا قَدِيرٍ. قَالَ سَلِيمَانُ: فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا، قَالَ: يَا سَلِيمَانُ، فَإِرَادَتُهُ غَيْرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ أَثْبَتَ مَعَهُ شَيْئًا غَيْرَهُ لَمْ يَزَلْ! قَالَ سَلِيمَانُ: مَا أَثْبَتُ. قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَهِيَ مُحَدَّثَةٌ؟ قَالَ سَلِيمَانُ: لَا، مَا هِيَ مُحَدَّثَةٌ. فَصَاحَ بِهِ الْمَأْمُونُ، وَقَالَ: يَا سَلِيمَانُ، مِثْلُهُ يُعَايَا أَوْ يُكَابِرُ؟! عَلَيْكَ بِالْإِنْصَافِ، أَمَا تَرَى مَنْ حَوْلَكَ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ؟ ثُمَّ قَالَ: كَلِّمُهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ، فَإِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ خُرَاسَانَ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ، فَقَالَ: هِيَ مُحَدَّثَةٌ يَا سَلِيمَانُ؛ فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَرْزَلِيًّا كَانَ مُحَدَّثًا، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مُحَدَّثًا كَانَ أَرْزَلِيًّا. قَالَ سَلِيمَانُ: إِِرَادَتُهُ مِنْهُ، كَمَا أَنَّ سَمْعَهُ مِنْهُ وَبَصَرَهُ مِنْهُ وَعِلْمَهُ مِنْهُ. قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِرَادَتُهُ نَفْسُهُ؟

قال: لا . قال عليه السلام : فليس المرید مثل السميع والبصير . قال سُلیمانُ: إنما أراد نفسه ، كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه . قال الرضا عليه السلام : ما معني أراد نفسه ؟ أراد أن يكون شيئاً ، أو أراد أن يكون حياً ، أو سميعاً أو بصيراً أو قديراً! قال: نعم . قال الرضا عليه السلام : أفيأرادته كان ذلك؟ قال سُلیمانُ: لا . قال الرضا عليه السلام : فليس لقولك: أراد أن يكون حياً سميعاً بصيراً معني إذا لم يكن ذلك بإرادته! قال سُلیمانُ: بلي ، قد كان ذلك بإرادته . فضحك المأمونُ ومن حوله وضحك الرضا عليه السلام ، ثم قال لهم: ارفقوا بمتكلم خراسان . يا سُلیمانُ ، فقد حال عندكم عن حالةٍ وتغير عنها ، وهذا مما لا يوصف الله عز وجل به . فانتقطع . ثم قال الرضا عليه السلام : يا سُلیمانُ ، أسألك مسألةً . قال: سل _ جعلت فداك! _ . قال: أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما يفقهون ويعرفون ، أو بما لا يفقهون ولا يعرفون؟! قال: بل ، بما يفقهون ويعرفون . قال الرضا عليه السلام : فالذي يعلم الناس أن المرید غير الإرادة ، وأن المرید قبل الإرادة ،

وَأَنَّ الْفَاعِلَ قَبْلَ الْمَفْعُولِ ، وَهَذَا يُبْطِلُ قَوْلَكُمْ: إِنَّ الْإِرَادَةَ وَالْمُرِيدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ . قَالَ: _ جُعِلْتُ فِدَاكَ! _ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُ عَلِيٌّ مَا يَعْرِفُ النَّاسُ وَلَا عَلِيٌّ مَا يَفْقَهُونَ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَأَرَأَيْتُمْ عَلِمَ ذَلِكَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ ، وَقُلْتُمْ: الْإِرَادَةُ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَكُمْ عَلِيٌّ مَا لَا يَعْرِفُ وَلَا يُعْقَلُ! فَلَمْ يُجِرْ جَوَابًا . ثُمَّ قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا سَلِيمَانُ ، هَلْ يَعْلَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعَ مَا فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؟! قَالَ سَلِيمَانُ: نَعَمْ . قَالَ: أَفَيَكُونُ مَا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: فَإِذَا كَانَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا كَانَ أَيْزِيدُهُمْ أَوْ يَطْوِيهِ عَنْهُمْ؟ قَالَ سَلِيمَانُ: بَلْ يَزِيدُهُمْ . قَالَ: فَأَرَأَيْتَ فِي قَوْلِكَ: قَدَّ زَادَهُمْ ، مَا لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَكُونُ . قَالَ: _ جُعِلْتُ فِدَاكَ! _ وَالْمَزِيدُ لَا غَايَةَ لَهُ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَلَيْسَ يُحِيطُ عِلْمُهُ عِنْدَكُمْ بِمَا يَكُونُ فِيهِمَا إِذَا لَمْ يُعْرِفْ غَايَةَ ذَلِكَ ، وَإِذَا لَمْ يُحِطْ عِلْمُهُ بِمَا يَكُونُ فِيهِمَا لَمْ يَعْلَمْ مَا يَكُونُ فِيهِمَا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا . قَالَ سَلِيمَانُ: إِنَّمَا قُلْتُ: لَا يَعْلَمُهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا غَايَةَ لِهَذَا ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَهُمَا بِالْخُلُودِ وَكَرِهْنَا أَنْ نَجْعَلَ لَهُمَا انْقِطَاعًا . قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ عِلْمُهُ بِذَلِكَ بِمَوْجِبٍ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ثُمَّ

يَزِيدُهُمْ ثُمَّ لَا يَقَطَعُهُ عَنْهُمْ ، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: «كُلَّمَا نَضَيْتُمْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ» (1) وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: «عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ» (2) وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَفَ كَهَاتِهِ كَثِيرَةٌ * لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ» (3) فَهَوَّ جَلَّ وَعَزَّ - يَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَا يَقَطَعُ عَنْهُمْ الزِّيَادَةَ . أَرَأَيْتَ مَا أَكَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَمَا شَرَبُوا أَلَيْسَ يُخْلِفُ مَكَانَهُ؟! قَالَ: بَلِي . قَالَ: أَفَيَكُونُ يَقَطَعُ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَقَدْ أَخْلَفَ مَكَانَهُ؟! قَالَ سَلِيمَانُ: لَا . قَالَ: فَكَذَلِكَ كُلُّ مَا يَكُونُ فِيهَا إِذَا أَخْلَفَ مَكَانَهُ فَلَيْسَ بِمَقْطُوعٍ عَنْهُمْ . قَالَ سَلِيمَانُ: بَلْ يَقَطَعُهُ عَنْهُمْ فَلَا يَزِيدُهُمْ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِذَا بَيَّيْتُ مَا فِيهِمَا ، وَهَذَا يَا سَلِيمَانُ إِبْطَالُ الْخُلُودِ وَخِلَافُ الْكِتَابِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» (4) وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : «عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ» وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ» (5) وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: «خَلِّدْنَاهُمْ فِيهَا أَبَدًا» (6) وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَفَ كَهَاتِهِ كَثِيرَةٌ * لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ» ! فَلَمْ يُحْرَجُوا . ثُمَّ قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا سَلِيمَانُ ، أَلَا تُخْبِرُنِي عَنِ الْإِرَادَةِ فِعْلٌ هِيَ أَمْ غَيْرُ فِعْلٍ؟

1- النساء: 56 .

2- هود: 108 .

3- الواقعة: 32 و 33 .

4- ق: 35 .

5- الحجر: 48 .

6- البينة: 8 .

قَالَ: بَلْ هِيَ فِعْلٌ . قَالَ: فَهِيَ مُحَدَّثَةٌ ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ كُلَّهُ مُحَدَّثٌ . قَالَ: لَيْسَتْ بِفِعْلٍ . قَالَ: فَمَعَهُ غَيْرُهُ لَمْ يَزَلْ . قَالَ سَلِيمَانُ: الْإِرَادَةُ هِيَ الْإِنْشَاءُ . قَالَ: يَا سَلِيمَانُ هَذَا الَّذِي ادَّعَيْتُمُوهُ (1) عَلَيَّ ضِرَارٍ وَأَصْحَابِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ كُلَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَمَاءٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ بَحْرٍ أَوْ بَرٍّ مِنْ كَلْبٍ أَوْ خِنْزِيرٍ أَوْ قِرْدٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ دَابَّةٍ إِرَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَحْيَا وَتَمُوتُ ، وَتَذْهَبُ ، وَتَأْكُلُ وَتَشْرَبُ ، وَتَنْكَحُ وَتَلِدُ ، وَتَظْلِمُ ، وَتَفْعَلُ الْفَوَاحِشَ ، وَتَكْفُرُ ، وَتُشْرِكُ ، فَتُبْرِّئُ مِنْهَا وَتُعَادِيهَا ، وَهَذَا حَدُّهَا . قَالَ سَلِيمَانُ: إِنَّهَا كَالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَالْعِلْمِ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ رَجَعْتَ إِلَيَّ هَذَا ثَانِيَةً ، فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَالْعِلْمِ أَمْصَنُوعٌ؟ قَالَ سَلِيمَانُ: لَا . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَكَيْفَ نَفَيْتُمُوهُ فَمَرَّةً قُلْتُمْ لَمْ يُرِدْ وَمَرَّةً قُلْتُمْ أَرَادَ ، وَلَيْسَتْ بِمَفْعُولٍ لَهُ! قَالَ سَلِيمَانُ: إِنَّمَا ذَلِكَ كَقَوْلِنَا مَرَّةً عَلِمَ وَمَرَّةً لَمْ يَعْلَمْ .

1- . في عيون أخبار الرضا والاحتجاج «عبتموه» .

قال الرضا عليه السلام: ليس ذلك سواً؛ لأن نفي المعلوم ليس بنفي العلم، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون؛ لأن الشيء إذا لم يرد لم يكن إرادة، وقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم بمنزلة البصر؛ فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المبصر، ويكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم. (1) قال سليمان: إنها مصنوعة. قال عليه السلام: فهي محدثة ليست كالسمع والبصر؛ لأن السمع والبصر ليسا بمصنوعين وهذه مصنوعة. قال سليمان: إنها صفة من صفاته لم تنزل. قال: فينبغي أن يكون الإنسان لم ينزل؛ لأن صفة لم تنزل! قال سليمان: لا؛ لأنه لم يفعلها. قال الرضا عليه السلام: يا خراساني ما أكثر غلطك! أفليس بإرادته وقوله تكون الأشياء؟! قال سليمان: لا. قال: فإذا لم يكن بإرادته ولا مشيئته ولا أمره ولا بالمشاورة فكيف يكون ذلك؟! تعالي الله عن ذلك. فلم يجر جواباً. ثم قال الرضا عليه السلام: ألا تخبرني عن قول الله عز وجل: «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا» (2) يعني بذلك أنه يحدث إرادة؟! .

1- إلي هنا يوجد في الاحتجاج، مع ذيله من «فإن الإرادة القدرة» إلى آخره.

2- الإسراء: 16.

قَالَ لَهُ: نَعَمْ . قَالَ: فَإِذَا أَحْدَثَ إِرَادَةً كَانَ قَوْلُكَ : إِنَّ الْإِرَادَةَ هِيَ هُوَ أَمْ شَيْءٌ مِنْهُ بَاطِلًا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ أَنْ يُحْدِثَ نَفْسَهُ وَلَا يَتَغَيَّرَ عَنْ حَالِهِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ . قَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ يُحْدِثُ إِرَادَةً . قَالَ: فَمَا عَنِي بِهِ ؟ قَالَ: عَنِي فِعْلَ الشَّيْءِ . قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَيَلُوكَ ! كَمْ تُرَدِّدُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ ، وَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ الْإِرَادَةَ مُحَدَّثَةٌ ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الشَّيْءِ مُحَدَّثٌ . قَالَ: فَلَيْسَ لَهَا مَعْنَى . قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ عِنْدَكُمْ حَتَّى وَصَفَهَا بِالْإِرَادَةِ بِمَا لَا مَعْنَى لَهُ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مَعْنَى قَدِيمٌ وَلَا حَدِيثٌ بَطَلَ قَوْلُكُمْ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا . قَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّمَا عَنَيْتُ أَنَّهَا فِعْلٌ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ . قَالَ: أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَا لَمْ يَزَلْ لَا يَكُونُ مَفْعُولًا وَحَدِيثًا وَقَدِيمًا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ؟! فَلَمْ يُجِرْ جَوَابًا . قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا بَأْسَ ، أَتَمِمَ مَسْأَلَتَكَ . قَالَ سُلَيْمَانُ: قُلْتُ: إِنَّ الْإِرَادَةَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ . قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَمْ تُرَدِّدُ عَلَيَّ أَنَّهَا صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ . وَصِفَتُهُ مُحَدَّثَةٌ أَوْ لَمْ تَزَلْ؟! قَالَ سُلَيْمَانُ: مُحَدَّثَةٌ .

قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَالْإِرَادَةُ مُحَدَّثَةٌ وَإِنْ كَانَتْ صِدْفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لَمْ تَزَلْ ؟ فَلَمْ يَرُدَّ شَيْئًا . قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ مَا لَمْ يَزَلْ لَا يَكُونُ مَفْعُولًا . قَالَ سَلِيمَانُ : لَيْسَ الْأَشْيَاءُ إِرَادَةً ، وَلَمْ يَرِدْ شَيْئًا . قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَسَوَسْتَ يَا سَلِيمَانُ ، فَقَدْ فَعَلَ وَخَلَقَ مَا لَمْ يَرِدْ خَلَقَهُ وَلَا فَعَلَهُ ، وَهَذِهِ صِدْفَةٌ مَنْ لَا يَدْرِي مَا فَعَلَ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ . قَالَ سَلِيمَانُ : يَا سَيِّدِي قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهَا كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ . قَالَ الْمَأْمُونُ : وَيَلْكَ يَا سَلِيمَانُ ، كَمْ هَذَا الْعَلْطُ وَالتَّرَدُّدُ ، اقْطَعْ هَذَا وَخُذْ فِي غَيْرِهِ إِذْ لَسْتَ تَقْوِي عَلَيَّ هَذَا الرَّدَّ . قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : دَعُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَقْطَعْ عَلَيْهِ مَسْأَلَتَهُ فَيَجْعَلَهَا حُجَّةً . تَكَلَّمَ يَا سَلِيمَانُ . قَالَ : قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهَا كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ . قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا بَلَسَ ، أَخْبِرْنِي عَنْ مَعْنَى هَذِهِ أَمَعْنِي وَاحِدٌ أَمْ مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ؟! قَالَ سَلِيمَانُ : بَلْ مَعْنِي وَاحِدٌ . قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَمَعْنَى الْإِرَادَاتِ كُلِّهَا مَعْنِي وَاحِدٌ؟ قَالَ سَلِيمَانُ : نَعَمْ . قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِنْ كَانَ مَعْنَاهَا مَعْنِي وَاحِدًا كَانَتْ إِرَادَةُ الْقِيَامِ وَإِرَادَةُ الْقُعُودِ

وإرادة الحياة وإرادة الموت ، إذا كانت إرادته واحدة لم يتقدم بعضهما بعضا ولم يخالف بعضهما بعضا ، وكان شيئا واحدا ! قال سَلِيمَانُ: إِنَّ مَعْنَاهَا مُخْتَلِفٌ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْمُرِيدِ أَهْوَى الْإِرَادَةَ أَوْ غَيْرُهَا؟! قَالَ سَلِيمَانُ: بَلْ هُوَ الْإِرَادَةُ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَالْمُرِيدُ عِنْدَكُمْ يَخْتَلِفُ إِنْ كَانَ هُوَ الْإِرَادَةُ؟ قَالَ: يَا سَلِيمَانُ ، لَيْسَ الْإِرَادَةُ الْمُرِيدَ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَالْإِرَادَةُ مُحَدَّثَةٌ ، وَإِلَّا فَمَعَهُ غَيْرُهُ . أَفْهَمَ وَزِدْ فِي مَسْأَلَتِكَ . قَالَ سَلِيمَانُ: فَإِنَّهَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلْ سَمِّيَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ؟ قَالَ سَلِيمَانُ: لَا ، لَمْ يُسَمَّ نَفْسَهُ بِذَلِكَ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُسَمِّيَهُ بِمَا لَمْ يُسَمَّ بِهِ نَفْسَهُ . قَالَ: قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ مُرِيدٌ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَيْسَ صِفَتُهُ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُرِيدٌ إِخْبَارًا عَنْ أَنَّهُ إِرَادَةٌ وَلَا إِخْبَارًا عَنْ أَنَّ الْإِرَادَةَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ . قَالَ سَلِيمَانُ: لِأَنَّ إِرَادَتَهُ عِلْمُهُ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا جَاهِلُ ، فَإِذَا عَلِمَ الشَّيْءَ فَقَدْ أَرَادَهُ .

قَالَ سَلِيمَانُ: أَجَلٌ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِذَا لَمْ يُرِدْهُ لَمْ يَعْلَمْهُ . قَالَ سَلِيمَانُ: أَجَلٌ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مِنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَلِكَ ، وَمَا الدَّلِيلُ عَلَيَّ أَنْ إِرَادَتَهُ عِلْمُهُ ، وَقَدْ يَعْلَمُ مَا لَا يُرِيدُهُ أَبَدًا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : «وَلَيْسَ شَيْئًا لَنَنْدَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» (1) فَهُوَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ بِهِ وَهُوَ لَا يَذْهَبُ بِهِ أَبَدًا . قَالَ سَلِيمَانُ: لِأَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ فَلَيْسَ يَزِيدُ فِيهِ شَيْئًا . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَذَا قَوْلُ الْيَهُودِ . فَكَيْفَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (2) ؟ قَالَ سَلِيمَانُ: إِنَّمَا عَنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَفَيَعْبُدُ مَا لَا يَفِي بِهِ؟! فَكَيْفَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» (3) وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (4) وَقَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ؟! فَلَمْ يُحِرْ جَوَابًا . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا سَلِيمَانُ ، هَلْ يَعْلَمُ أَنَّ إِنْسَانًا يَكُونُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَ إِنْسَانًا أَبَدًا ، وَأَنَّ إِنْسَانًا يَمُوتُ الْيَوْمَ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَمُوتَ الْيَوْمَ؟ قَالَ سَلِيمَانُ: نَعَمْ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَيَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ مَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ ، أَوْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ مَا لَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ؟! .

1- الإِسْرَاءُ: 86 .

2- الْمُؤْمِنُ: 60 .

3- فَاطِرُ: 1 .

4- الرَّعْدُ: 39 .

قال: يَعْلَمُ أَنَّهُمَا يَكُونَانِ جَمِيعًا . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِذَا يَعْلَمُ أَنَّ إِنْسَانًا حَيًّا مَيِّتٌ ، قَائِمٌ قَاعِيدٌ ، أَعْمَى بَصِيرٌ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَذَا هُوَ الْمُحَالُّ ! قَالَ : _ جُعِلْتُ فِدَاكَ ! _ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ أَحَدُهُمَا دُونَ الْآخَرِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا بَأْسَ ، فَإِنَّهُمَا يَكُونُ ؛ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ، أَوِ الَّذِي لَمْ يُرِدْ أَنْ يَكُونَ ؟ قَالَ سُلَيْمَانُ : الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَكُونَ . فَضَحِكَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمَأْمُونُ وَأَصْحَابُ الْمَقَالَاتِ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : غَلَطْتَ وَتَرَكْتَ قَوْلَكَ : إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ إِنْسَانًا يَمُوتُ الْيَوْمَ وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَمُوتَ الْيَوْمَ ، وَأَنَّهُ يَخْلُقُ خَلْقًا وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَهُمْ ، فَإِذَا لَمْ يَجُزِ الْعِلْمُ عِنْدَكُمْ بِمَا لَمْ يُرِدْ أَنْ يَكُونَ فَإِنَّمَا يَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ مَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ . قَالَ سُلَيْمَانُ : فَإِنَّمَا قَوْلِي : إِنَّ الْإِرَادَةَ لَيْسَتْ هُوَ وَلَا غَيْرُهُ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا جَاهِلٌ ، إِذَا قُلْتَ : لَيْسَتْ هُوَ ؛ فَقَدْ جَعَلْتَهَا غَيْرَهُ ، وَإِذَا قُلْتَ : لَيْسَتْ هِيَ غَيْرُهُ ؛ فَقَدْ جَعَلْتَهَا هُوَ ! قَالَ سُلَيْمَانُ : فَهُوَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَصْنَعُ الشَّيْءَ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَعَمْ . قَالَ سُلَيْمَانُ : فَإِنَّ ذَلِكَ إِثْبَاتٌ لِلشَّيْءِ . قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَحَلَّتْ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُحْسِنُ الْبِنَاءَ وَإِنْ لَمْ يَبِينِ ، وَيُحْسِنُ الْخِيَاطَةَ

وإن لم يخط ، ويحسنُ صنعةَ الشيء وإن لم يصنعه أبدا . ثم قال له: يا سليمان هل تعلم أنه واحد لا شيء معه؟ قال: نعم . قال: أف يكون ذلك إثباتا للشيء؟ قال سليمان: ليس يعلم أنه واحد لا شيء معه. قال الرضا عليه السلام: أفتعلم أنت ذلك؟ قال: نعم . قالت يا سليمان أعلم منه إذا! قال سليمان: المسألة محال . قال: محال عندك أنه واحد لا شيء معه ، وأنه سميع بصير حكيمٍ عليهم قادر؟ قال: نعم . قال عليه السلام: فكيف أخبر الله عز وجل أنه واحد حيٌ سميعٌ بصيرٌ عليهم خبيرٌ وهو لا يعلم ذلك! وهذا ردُّ ما قال وتكذيبه ، تعالى الله عن ذلك . ثم قال الرضا عليه السلام: فكيف يريد صنع ما لا يدري صنعه ولا ما هو! وإذا كان الصانع لا يدري كيف يصنع الشيء قبل أن يصنعه فإتما هو متحيرٌ ، تعالى الله عن ذلك . قال سليمان: فإن الإرادة القدرة . قال الرضا عليه السلام: وهو عز وجل يقدر علي ما لا يريد أبدا ، ولا بد من ذلك لأنه قال

– تَبَارَكَ وَتَعَالَى – : «وَلَيْسَ شَيْئًا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» فَلَوْ كَانَتِ الْإِرَادَةُ هِيَ الْقُدْرَةُ كَانَ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ لِقُدْرَتِهِ . فَانْقَطَعَ سُلَيْمَانُ .
قَالَ الْمَأْمُونُ عِنْدَ ذَلِكَ: يَا سُلَيْمَانُ ، هَذَا أَعْلَمُ هَاشِمِيٍّ . ثُمَّ تَفَرَّقَ الْقَوْمُ . (1)

1- .التوحيد: ص 445 ح 1 ، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 182 ح 1 ، الاحتجاج: ج 2 ص 367 ح 284 ، مختصر بصائر الدرجات: ص 143 ، بحار الأنوار: ج 10 ص 331 ح 2 .

المرتبة الثالثة : التوحيد في الأفعال

3 / 1 التوحيد في الخالقية

المرتبة الثالثة : التوحيد في الأفعال إنّ التوحيد في الأفعال ، يعني : كلّ فعل يحدث في هذا العالم هو تحت سلطنة الخالق وبمشيئته وتقديره تعالى ، وليس ثمة فاعل يوازي الخالق أو مستقلّ عنه ، وينطبق هذا المعنى علي جميع الأفعال الإلهية ، ومن بين الأفعال الإلهية المهمة : الخلق ، والربوبية ، والتدبير ، من هنا طرحنا في ذيل التوحيد في الأفعال .

3 / 1 التوحيد في الخالقية الكتاب «قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَدِيرُ» . (1)

«هُوَ اللَّهُ الَّذِي بَارَأَ الْمُصَوِّرَ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى» . (2)

«هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» . (3)

1- الرعد: 16. راجع : الأنعام: 102 ، الزمر: 62 ، غافر: 62 .

2- الحشر: 24 .

3- فاطر: 3 .

الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله في الدعاء: يا لا إله إلا أنت، ليس خالقاً ولا رازقاً سواك يا الله، وأسألك باسمك الظاهر في كل شيء بالقدرة والكبرياء والبرهان والسلطان يا الله. (1)

عنه صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي! فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً (2) أو ليخلقوا حبة أو شعيرة. (3)

عنه صلى الله عليه وآله: سبحانك الذي لا إله غيره... بديع السموات والأرض، المبدع غير المبتدع، خالق ما يرى وما لا يرى. (4)

الإمام الصادق عليه السلام: إن الله عز وجل خلق الخلق لا شريك له، له الخلق والأمر والدينا والآخرة، وهو رب كل شيء وخالقه، خلق الخلق وأوجب أن يعرفوه بأنبيائه، فاحتج عليهم بهم، والنبي صلى الله عليه وآله هو الدليل على الله عز وجل، وهو عبد مخلوق مربي اصطفاؤه الله لنفسه برسالته. (5)

راجع: ج 4 ص 171 (الفصل الثاني والعشرون: الخالق) وج 5 ص 3 (الفصل الخمسون: الفاعل، الفعال).

1- البلد الأمين: ص 415، بحار الأنوار: ج 93 ص 259 ح 1.

2- الدرر: صغار النمل واحده: ذرة. وقيل: الذرة ليس لها وزن ويأراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة (لسان العرب: ج 4 ص 304 «ذر»).

3- صحيح البخاري: ج 6 ص 2747 ح 7120 عن أبي هريرة، صحيح مسلم: ج 3 ص 1671 ح 101، مسند ابن حنبل: ج 3 ص 11 ح 7169.

4- العظمة: ص 53 ح 110 عن أسامة بن زيد، كنز العمال: ج 10 ص 370 ح 29849.

5- مختصر بصائر الدرجات: ص 87، بصائر الدرجات: ص 535 ح 1 كلاهما عن المفصل بن عمر، بحار الأنوار: ج 24 ص 297 ح 1.

3 / 2 التوحيد في الربوبية

3 / 2_1 لا ربَّ غيره

3 / 2 التوحيد في الربوبية 3 / 2_1 لا ربَّ غيرُ رسول الله صلي الله عليه وآله: يا الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ولا إله غيرك ، أنت ربُّ الأرباب ، ومالك الرقاب ، وصاحبُ العقوبِ والعقاب ، أسألك بالربوبية التي انفردت بها أن تعتقني من النار بقدرتك . (1)

الإمام علي عليه السلام من خطبة له في التوحيد: عِلْمَ مَا خَلَقَ وَخَلَقَ مَا عِلْمَ لَا بِالتَّفَكِيرِ فِي عِلْمِ حَادِثٍ أَصَابَ مَا خَلَقَ ، وَلَا شَبَهَةٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِيمَا لَمْ يَخْلُقْ ، لَكِنْ قَضَاءٌ مُبْرَمٌ وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ وَأَمْرٌ مُتَقَنَّ ، تَوَحَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ . (2)

عنه عليه السلام من خطبته بصفين: فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا . (3)

الإمام الصادق عليه السلام: اللَّهُ غَايَةٌ مِنْ غَايَاهُ ، وَالْمَعْيِي غَيْرُ الْغَايَةِ ، تَوَحَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ مَحْدُودِيَّةٍ . (4)

1- مهج الدعوات: ص 100 ، بحار الأنوار: ج 94 ص 218 ح 17 .

2- الكافي: ج 1 ص 136 ح 1 عن الإمام الصادق عليه السلام ، التوحيد: ص 43 ح 3 عن الحصين بن عبدالرحمن عن أبيه عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه عنه عليهم السلام وفيه «ولا- بعلم حادث» بدل «في علم حادث» ، الغارات: ج 1 ص 175 عن إبراهيم بن إسماعيل الشكري نحوه ، بحار الأنوار: ج 4 ص 270 ح 15 .

3- الكافي: ج 8 ص 356 ح 550 عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام ، نهج البلاغة: الخطبة 216 ، بحار الأنوار: ج 41 ص 154 ح 46 .

4- التوحيد: ص 58 ح 16 ، بحار الأنوار: ج 4 ص 160 ح 5 .

3 / 2_2 ما يدلُّ علي وحدة الرُّبوبيَّة

الإمام الهادي عليه السلام في الدعاء: يا مَنْ تَقَرَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَتَوَحَّدَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، يَا مَنْ أَضَاءَ بِاسْمِهِ النَّهَارُ وَأَشْرَقَتْ بِهِ الْأَنْوَارُ. (1)

2 / 3_2 ما يدلُّ علي وَحْدَةِ الرُّبُوبِيَّةِ الإمام علي عليه السلام: اللَّهُ أَكْبَرُ الْحَلِيمِ الْعَلِيمِ الَّذِي لَهُ فِي كُلِّ صَفَةٍ مِنْ غَرَائِبِ فِطْرَتِهِ وَعَجَائِبِ صَنَعَتِهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ تَوْجِبُ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ، وَعَلِيٌّ كُلُّ نَوْعٍ مِنْ غَوَامِضِ تَقْدِيرِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ وَشَاهِدٌ عَدْلٍ يَقْضِيَانِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ. (2)

عنه عليه السلام من كلامه في التَّوْحِيدِ: بِصُنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، وَبِالْعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ، وَبِالنَّظَرِ تُثَبِّتُ حُجَّتُهُ، جَعَلَ الْخَلْقَ دَلِيلًا عَلَيْهِ فَكَشَفَ بِهِ عَنِ رُبُوبِيَّتِهِ، هُوَ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ فِي أَرْزَلِيَّتِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَلَا نَدَّ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ. (3)

الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بَشَّرَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: «فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ» (4)، يَا هِشَامُ، إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ، وَنَصَرَ النَّبِيِّينَ بِالْبَيَانِ وَدَلَّاهُمْ عَلَي رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدَلَّةِ، فَقَالَ: «وَإِلَّا هُكُمُ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِي

1- مهج الدعوات: ص 82، بحار الأنوار: ج 85 ص 227 ح 1.

2- البلد الأمين: ص 112، بحار الأنوار: ج 90 ص 171 ح 19.

3- الإرشاد: ج 1 ص 223 عن صالح بن كيسان، الاحتجاج: ج 1 ص 475 ح 114، بحار الأنوار: ج 4 ص 253 ح 6.

4- الزمر: 17 و 18.

3 / 3 التوحيد في التدبير

3 / 3_1 لا يدبر الأمر إلا الله

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (1). (2)

راجع: ج 4 ص 217 (الفصل السادس والعشرون: الرب).

3 / 3 التوحيد في التدبير 3 / 3_1 لا يدبر الأمر إلا الله الكتاب «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» (3).

الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: يا مَنْ لَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا هُوَ. (4)

1- البقرة: 163 و 164 .

2- الكافي: ج 1 ص 13 ح 12 عن هشام بن الحكم، تحف العقول: ص 383 نحوه، بحار الأنوار: ج 1 ص 132 ح 30 .

3- يونس: 31 .

4- البلد الأمين: ص 410، المصباح للكفعمي: ص 347 .

3 / 3_2 ما يدلُّ علي وحدة التَّدبير

3 / 3_2 ما يدلُّ علي وحدة التَّدبير الكتاب «لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِلهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ». (1)

«مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَي بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ». (2)

«قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِلهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَي ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَ نَهْ وَتَعَلَّى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا». (3)

الحديث تفسير القمِّي : «قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِلهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَي ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا» قال: لو كانتِ الأصنامُ ءِلهَةً كما يزعمون لصعدوا إلي العرشِ. (4)

تفسير القمِّي: رَدَّ اللهُ عَلَي الثَّنَوِيَّةِ الَّذِينَ قالوا بِالْهَيْنِ ، فقال اللهُ تَعَالَى: «مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَي بَعْضٍ» قال: لو كانِ الْهَيْنِ كَمَا زَعَمْتُمْ لكانا يَخْتَلِفانِ ، فَيَخْلُقُ هَذَا وَلَا يَخْلُقُ هَذَا ، وَيُرِيدُ هَذَا وَلَا يُرِيدُ هَذَا ، وَيَطْلُبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْعَلَبَةَ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمَا خَلْقَ إِنْسَانٍ أَرَادَ

1- الأنبياء: 22 .

2- المؤمنون: 91 .

3- الإسراء: 42 و 43 .

4- تفسير القمِّي: ج 2 ص 20 ، بحار الأنوار: ج 9 ص 222 ح 108 .

الآخِرُ خَلَقَ بِهِمَّةً ، فَيَكُونُ إِنْسَانًا وَبِهِمَّةً فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ ، فَلَمَّا بَطَلَ هَذَا ثَبَتَ التَّدْبِيرُ وَالصَّنْعُ لِوَاحِدٍ ، وَذَلِكَ أَيْضًا التَّدْبِيرُ وَثَبَاتُهُ وَقِيَامُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ عَلَيَّ أَنَّ الصَّانِعَ وَاحِدٌ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ» إِلَى قَوْلِهِ: «لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ» ، ثُمَّ قَالَ آتِفًا: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ» . (1)

الإمام علي عليه السلام في حُطْبَةٍ لَهُ: لَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَيَّ أَنَّ فَاطِرَ النَّمَلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّحْلَةِ (النَّحْلَةُ) ، لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ ، وَالثَّقِيلُ وَالخَفِيفُ ، وَالقَوِيُّ وَالصَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً . (2)

عنه عليه السلام: لَمَّا لَمْ يَكُنْ إِلَى إِثْبَاتِ صَانِعِ الْعَالَمِ طَرِيقٌ إِلَّا بِالْعَقْلِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحَسُّ فَيَدْرِكُهُ الْعِيَانُ أَوْ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَاسِّ ، فَلَوْ كَانَ غَيْرَ وَاحِدٍ ، بَلِ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ لَأَوْجَبَ الْعَقْلُ عِدَّةَ صُنَاعٍ كَمَا أَوْجَبَ إِثْبَاتَ الصَّانِعِ الْوَاحِدِ ، وَلَوْ كَانَ صَانِعُ الْعَالَمِ اثْنَيْنِ لَمْ يَجْرِ تَدْبِيرُهُمَا عَلَيَّ نِظَامٍ ، وَلَمْ يَنْسَقِ أَحْوَالُهُمَا عَلَيَّ إِحْكَامٍ وَلَا تَمَامٍ ؛ لِأَنَّهُ مَعْقُولٌ مِنَ الْإِثْنَيْنِ الْإِخْتِلَافُ فِي دَوَاعِيهِمَا وَأَفْعَالِهِمَا . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا مُتَّفِقَانِ وَلَا يَخْتَلِفَانِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ جازَ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ جازَ عَلَيْهِ الْإِخْتِلَافُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْمُتَّفِقِينَ لَا يَخْلُو أَنْ يَقْدِرَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَيَّ ذَلِكَ أَوْ لَا يَقْدِرُ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَيَّ ذَلِكَ ، فَإِنْ قَدَّرَا كَانَا جَمِيعًا عَاجِزِينَ ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرَا كَانَا جَاهِلِينَ ، وَالْعَاجِزُ وَالْجَاهِلُ لَا يَكُونُ إِلَهاً وَلَا قَدِيمًا . (3)

-
- 1- تفسير القمي: ج 2 ص 93 ، بحار الأنوار: ج 3 ص 219 ح 6 .
 - 2- نهج البلاغة: الخطبة 185 ، الاحتجاج: ج 1 ص 482 ح 117 ، بحار الأنوار: ج 3 ص 26 ح 1 .
 - 3- بحار الأنوار: ج 93 ص 91 نقلاً عن رسالة النعماني .

الإمام الصادق عليه السلام_ لِلْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ: يَا مُفَضَّلُ، أَوَّلُ الْعِبَرِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَيَّ الْبَارِي جَلَّ قُدْسُهُ تَهَيَّئْ هَذَا الْعَالَمَ وَتَأَلِّفْ أَجْزَائِهِ وَنَظِّمِهَا عَلَيَّ مَا هِيَ عَلَيَّ؛ فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْعَالَمَ بِفِكَرِكَ وَمَيَّزْتَهُ بِعَقْلِكَ وَجَدْتَهُ كَالْبَيْتِ الْمَبْنِيِّ الْمُعَدِّ فِيهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِبَادُهُ، فَالسَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ كَالسَّقْفِ، وَالْأَرْضُ مَمْدُودَةٌ كَالْبَسَاطِ، وَالنُّجُومُ مَنْضُودَةٌ كَالْمَصَابِيحِ، وَالْجَوَاهِرُ مَخْزُونَةٌ كَالذَّخَائِرِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهَا لِشَأْنِهِ مُعَدُّ، وَالْإِنْسَانُ كَالْمَمْلُوكِ ذَلِكَ الْبَيْتِ، وَالْمُخَوَّلُ جَمِيعٌ مَا فِيهِ، وَضَرْبُ النَّبَاتِ مُهَيَّأَةٌ لِمَارِيهِ، وَضَرْبُ نَوْفِ الْحَيَوَانَ مَصْرُوفَةٌ فِي مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ، فَفِي هَذَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَيَّ أَنَّ الْعَالَمَ مَخْلُوقٌ بِتَقْدِيرِ وَحِكْمَةٍ، وَنِظَامٍ وَمُلَائِمَةٍ، وَأَنَّ الْخَالِقَ لَهُ وَاحِدٌ وَهُوَ الَّذِي أَلْفَهُ وَنَظَّمَهُ بَعْضًا إِلَيَّ بَعْضٍ. (1)

عنه عليه السلام_ مِنْ كَلَامِهِ فِي التَّوْحِيدِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ بَعْضَ آيَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: فَكُلُّ هَذَا مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ الْقَلْبُ عَلَيَّ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِعَقْلِهِ أَنَّ مَنْ دَبَّرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هُوَ الْوَاحِدُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ آلِهَةٌ مَعَهُ سُبْحَانَهُ لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٍ، وَلَفَسَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَيَّ صَاحِبِهِ. وَكَذَلِكَ سَمِعَتِ الْأُذُنُ مَا أَنْزَلَ الْمُدَبِّرُ مِنَ الْكُتُبِ تَصَدِيقًا لِمَا أَدْرَكَتَهُ الْقُلُوبُ بِعُقُولِهَا، وَتَوَفَّقَ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَمَا قَالَهُ مَنْ عَرَفَهُ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ بِلاَ وَلاَ دِ ولا صَاحِبَةٍ ولا شَرِيكَ، فَأَدَّتِ الْأُذُنُ مَا سَمِعَتْ مِنَ اللِّسَانِ بِمَقَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَيَّ الْقَلْبِ. (2)

-
- 1- بحار الأنوار: ج 3 ص 61 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .
 - 2- بحار الأنوار: ج 3 ص 165 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .

عنه عليه السلام_ في مُناظَرَتِهِ لِلزَّنَدِيقِ : لا يَخْلُو قَوْلُكَ: إِنَّهُمَا اثْنَانِ ، مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدِيمَيْنِ قَوِيَّيْنِ ، أَوْ يَكُونَ ضَعِيفَيْنِ ، أَوْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا قَوِيًّا وَالْآخَرُ ضَعِيفًا ؛ فَإِنْ كَانَا قَوِيَّيْنِ فَلِمَ لا يَدْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَيَتَفَرَّدُ بِالتَّدْبِيرِ؟ وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ أَحَدَهُمَا قَوِيٌّ وَالْآخَرُ ضَعِيفٌ ، ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ كَمَا نَقُولُ ، لِلْعَجْزِ الظَّاهِرِ فِي الثَّانِي فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُمَا اثْنَانِ ؛ لَمْ يَخُلْ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُتَقَبِّحَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ أَوْ مُفْتَرِقَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ؛ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْخَلْقَ مُنْتَظِمًا وَالْفَلَكَ جَارِيًا وَالتَّدْبِيرَ وَاحِدًا وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَلَّ صِحَّةَ الْأَمْرِ وَالتَّدْبِيرِ وَاتِّلَافُ الْأَمْرِ عَلَيَّ أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ. ثُمَّ يَلْزَمُكَ إِنْ ادَّعَيْتَ اثْنَيْنِ فُرْجَةً مَا بَيْنَهُمَا حَتَّى يَكُونَ اثْنَيْنِ ، فَصَارَتِ الْفُرْجَةُ ثَالِثًا بَيْنَهُمَا قَدِيمًا مَعَهُمَا ، فَيَلْزَمُكَ ثَلَاثَةٌ ، فَإِنْ ادَّعَيْتَ ثَلَاثَةً لَزِمَكَ مَا قُلْتَ فِي الْإِثْنَيْنِ حَتَّى تَكُونَ بَيْنَهُمْ فُرْجَةً فَيَكُونُوا خَمْسَةً ، ثُمَّ يَتَنَاهَى فِي الْعَدَدِ إِلَيَّ مَا لا نِهَايَةَ لَهُ فِي الْكَثْرَةِ . (1)

عنه عليه السلام_ لَمَّا سُئِلَ : مَا الدَّلِيلُ عَلَيَّ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ؟ قَالَ : اتِّصَالُ التَّدْبِيرِ ، وَتَمَامُ الصَّنْعِ ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» . (2)

عنه عليه السلام_ بَعْدَ الْإِشَارَةِ إِلَى آيَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِالْأَعْلَامِ الْمُنِيرَةِ الْوَاضِحَةِ أَنَّ مُدَبِّرَ الْأُمُورِ وَاحِدٌ ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً لَكَانَ

-
- 1- .الكافي: ج 1 ص 80 ح 5 ، التوحيد: ص 243 ح 1 نحوه ، الاحتجاج: ج 2 ص 200 ح 213 وليس فيه ذيله من «ثم يلزمك ...»
وكَلَّهَا عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ ، بَحَارِ الْأَنْوَارِ: ج 3 ص 230 ح 22 .
2- .التوحيد: ص 250 ح 2 عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ ، بَحَارِ الْأَنْوَارِ: ج 3 ص 229 ح 19 .

3 / 3 ما ينافي التوحيد في التدبير

في طول هذه الأزمنة والأبد والدهر اختلاف في التدبير، وتناقض في الأمور، ولتأخر بعض وتقدم بعض، ولكان نَسَمَلْ بَعْضُ مَا قَدَّ عَلَا وَلَعَلَّا بَعْضُ مَا قَدَّ سَفَلَ، وَلَطَّلَعَ شَيْءٌ وَغَابَ؛ فَتَأَخَّرَ عَن وَقْتِهِ أَوْ تَقَدَّمَ مَا قَبْلَهُ، فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِذَلِكَ أَنَّ مُدَبِّرَ الْأَشْيَاءِ مَا غَابَ مِنْهَا وَمَا ظَهَرَ هُوَ اللَّهُ الْأَوَّلُ، خَالِقُ السَّمَاءِ وَمُمَسِكُهَا، وَفَارِشُ الْأَرْضِ وَدَاحِيهَا (1)، وَصَانِعُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِمَّا عَدَدْنَا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُحْصَ . (2)

الإمام الكاظم عليه السلام في الدعاء: لَيْسَ لَكَ فِي الْخَلْقِ شَرِيكٌ، وَلَوْ كَانَ لَكَ شَرِيكٌ لَتَشَابَهَ عَلَيْنَا وَلَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَعَلَّا عُلُوًّا كَبِيرًا، جَلَّ قَدْرُكَ عَن مُجَاوِزَةِ الشَّرْكَاءِ . (3)

3 / 3 ما ينافي التوحيد في التدبير الكتاب «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» . (4)

الحديث للإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ ...» : مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّجُلِ: لَا، وَحَيَاتِكَ . (5)

تفسير العياشي عن مالك بن عطية عن الإمام الصادق عليه السلام: أَيْضًا: هُوَ الرَّجُلُ يَقُولُ:

1- الدَّحْوُ: البَسْطُ (النهاية: ج 2 ص 106) .

2- بحار الأنوار: ج 3 ص 165 عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل .

3- بحار الأنوار: ج 95 ص 446 ح 1 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي .

4- يوسف: 106 .

5- تفسير العياشي: ج 2 ص 199 ح 90 عن زرارة، بحار الأنوار: ج 72 ص 98 ح 21 .

لَوْلَا فُلَانٌ لَهَلَكْتُ ، وَلَوْلَا فُلَانٌ لَأَصَبْتُ كَذَا وَكَذَا ، وَلَوْلَا فُلَانٌ لَصَنَعَ عِيَالِي ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ جَعَلَ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي مُلْكِهِ يَرْزُقُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ؟ قَالَ قُلْتُ: فَيَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ مَنَّ عَلَيَّ بِفُلَانٍ لَهَلَكْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ ، لَا بَأْسَ بِهَذَا . (1)

راجع : ج 5 ص 185 (الفصل الثاني والسبعون : المدبر) .

1- . تفسير العياشي: ج 2 ص 200 ح 96 ، عدّة الداعي: ص 89 وزاد في آخره «ونحوه» ، بحار الأنوار: ج 5 ص 148 ح 12 .

المرتبة الرابعة : التوحيد في الحكم

المرتبة الرابعة : التوحيد في الحكم التوحيد في الحكم عبارة عن توحيد تعالي في تشريع الأحكام وتقنينها. ويرى القرآن الكريم أن لله سبحانه وحده حق التشريع ووضع القوانين والأمر بتطبيقها ، ويعدُّ أتباع كلِّ قانون لحياة الانسان الفردية والاجتماعية ما عدا قانون الله شركا . إنَّ الدليل علي أنَّ تشريع القوانين وتنفيذها لله وحده ، هو أنَّ مَنْ يعرف الإنسان وحاجاته ، ويعلم مبادئ تكامله أكثر من غيره ، ومن كان متحرراً من الهوي والخوف في تنفيذ القانون ، هو أفضل المشرِّعين ، وما من أحد يتَّصف بهذه الخصائص بشكل كامل إلا الله سبحانه ، ولَمَّا كان تعالي خالقاً للإنسان ، عارفاً بقبلياته وحاجاته ، العالم المطلق الذي يخبر مبادئ تكامله ، والغني المطلق ، فلا مانع يحول دون حكمه أو حكومته . علي هذا الأساس يصف القرآن الكريم الله سبحانه بأنَّه «خير الحاكمين» و«أحكم الحاكمين» و«خير الفاضلين» . وأنَّ التشريع له وحده «إن الحكم إلا لله» ، وأنَّ الحكومة حقٌ لخلقائه في الأرض . قال جلُّ شأنه : «يـَـدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ» (1) .

الكتاب «وَهُوَ خَيْرُ الْحَقِّ كَيْمِينَ» . (1)

«وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَقِّ كَيْمِينَ» . (2)

«مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا» . (3)

«إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ» . (4)

«إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ» . (5)

«وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» . (6)

«أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ» . (7)

الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تَسْمُوا أَوْلَادَكُمْ الْحَكَمَ وَلَا أَبَا الْحَكَمِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ . (8)

الإمام زين العابدين عليه السلام : اللَّهُمَّ لَا أَشْكُو إِلَيْ أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَلَا أَسْتَعِينُ بِحَاكِمٍ غَيْرِكَ ، حَاشَاكَ . (9)

راجع : ج 4 ص 125 (الفصل الخامس عشر : الحاكم) .

1- الأعراف : 87 ، يونس : 109 ، يوسف : 80 .

2- هود : 45 وراجع : التين : 8 .

3- الكهف : 26 .

4- الأنعام : 57 وراجع : يوسف : 67 .

5- يوسف : 40 .

6- الشوري : 10 .

7- الأنعام : 62 وراجع : القصص : 70 و 88 و غافر : 12 .

8- علل الشرائع : ص 583 ح 23 عن الإمام علي عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 76 ص 357 ح 25 .

9- الصحيفة السجادية : ص 62 الدعاء 14 .

المرتبة الخامسة : التوحيد في الطاعة

المرتبة الخامسة : التوحيد في الطاعة إنَّ معني التَّوْحِيدِ فِي الطَّاعَةِ هُوَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُطَاعَ إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لِأُمُورِ عِبَادِهِ ، فَاتَّبَاعٌ غَيْرَ أَمْرِ اللَّهِ إِذَا كَانَ خِلَافَ أَمْرِهِ شَرَكٌ ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ هَوَى النَّفْسِ الَّذِي يَعْتَبِرُ الْقُرْآنَ عَنْهُ بِالْإِلَهَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ » (1). وَالتَّوْحِيدُ فِي الطَّاعَةِ شَرْطٌ لِلتَّوْحِيدِ فِي التَّشْرِيعِ وَالتَّقْنِينِ ، ذَلِكَ إِذَا كَانَ التَّشْرِيعُ لِلَّهِ وَحْدَهُ فَإِنَّ إِطَاعَةَ غَيْرِهِ إِذَا كَانَ أَمْرُهُ مُخَالَفًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعْنِي اتِّخَاذَ شَرِيكَ لِلَّهِ فِي التَّشْرِيعِ . وَفِي ضَوْءِ ذَلِكَ ، فَاجْتِنَابُ طَاعَةِ الْأَهْوَاءِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ وَالجَبَابِرَةِ الَّذِينَ يَعْتَبِرُ عَنْهُمْ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ بِالطَّوَاغِيَةِ ، بَلْ اجْتِنَابُ اتِّبَاعِ كُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ شَخْصٍ يَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى الْقِيَامِ بِعَمَلٍ يَخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ضَرُورِيٌّ لِلْحَصُولِ عَلَيَّ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ مِنَ التَّوْحِيدِ ، وَبِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ : إِنَّ الْإِثْمَ وَمَعْصِيَةَ اللَّهِ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ شَرَكٌ فِي الطَّاعَةِ .

بناءً علي هذا فالموحد الذي ليس بمشرك مطلقاً هو الذي يجتنب الإثم و معصية الله مطلقاً ، لذا قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»: «شِرْكُ طَاعَةٍ وَلَيْسَ شِرْكُ عِبَادَةٍ». (1) والتوحيد في الطاعة كالتقوي له ثلاث مراحل هي: الأولى: أداء الواجبات وترك المحرمات الإلهية. الثانية: عمل المستحبات وترك المكروهات. الثالثة: اجتناب كل ما ليس له صبغة إلهية سواء كان حراماً أم مكروهاً أم مباحاً. ففي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرٍّ - رضوان الله عليه - حين قال له: «يا أباذرٍّ، لِيَكُنْ لَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ حَتَّى فِي النَّوْمِ وَالْأَكْلِ». (2) إشارة إلى هذه المرحلة من التوحيد التي تعدّ من أعلي مراحل التوحيد في الطاعة قال الله عز و جل: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». (3) «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا». (4) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ». (5)

1- راجع: ص 414 ح 3980.

2- مكارم الأخلاق: ج 2 ص 370 ح 2661.

3- التنغابن: 16.

4- النساء: 80.

5- النساء: 59.

«وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» . (1) «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» . (2) «وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَيَّ اللَّهُ لَهُمُ الْبُشْرَى» . (3) «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحَدًّا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» . (4) «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُونَكَ فِيمَا سَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» . (5)

الحديث تفسير العياشي عن أبي الصباح الكناني عن الإمام الباقر عليه السلام: إِيَّاكُمْ وَالْوَلَانِجَ (6) ، فَإِنَّ كُلَّ وَلِيَجَةٍ دُونَنَا فَهِيَ طَاغُوتٌ _ أَوْ قَالَ : نِدُّ . (7)

الإمام الصادق عليه السلام_ في قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» _ : شِرْكُ طَاعَةِ وَلَيْسَ شِرْكُ عِبَادَةٍ . (8)

عنه عليه السلام_ أيضا : يُطِيعُ الشَّيْطَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ فَيُشْرِكُ . (9)

1- يوسف: 106 .

2- النحل : 36 .

3- الزمر : 17 .

4- التوبة: 31 .

5- النساء: 65 .

6- الوليَجَةُ : كلُّ ما يَتَّخِذُهُ الْإِنْسَانُ مَعْتَمِدًا عَلَيْهِ وَليْسَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَانٌ وَليَجَةٌ فِي الْقَوْمِ ؛ إِذَا لَحِقَ بِهِمْ وَليْسَ مِنْهُمْ (المفردات : ص 883 «ولج»).

7- تفسير العياشي: ج 2 ص 83 ح 33 ، بحار الأنوار: ج 24 ص 246 ح 6 .

8- الكافي: ج 2 ص 397 ح 4 عن ضريس ، حقائق التأويل: ص 375 ، تفسير القمي: ج 1 ص 358 عن الفضيل عن الإمام الباقر عليه السلام ، بحار الأنوار: ج 9 ص 214 ح 93 .

9- الكافي: ج 2 ص 397 ح 3 عن أبي بصير وإسحاق بن عمّار .

الكافي عن عبد الله الكاهلي عن الإمام الصادق عليه السلام: لَوْ أَنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ، وَحَجُّوا الْبَيْتَ، وَصَامُوا شَهْرَ رَمَضَانَ؛ ثُمَّ قَالُوا لِشَيْءٍ صَنَعَهُ اللَّهُ أَوْ صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَا صَنَعَ خِلَافَ الَّذِي صَنَعَ؟ أَوْ وَجَدُوا ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، لَكَانُوا بِذَلِكَ مُشْرِكِينَ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا». ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَلَيْكُمْ بِالتَّسْلِيمِ. (1)

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ بَنِي أُمَّيَّةَ أَطْلَقُوا لِلنَّاسِ تَعْلِيمَ الْإِيمَانِ وَلَمْ يُطْلِقُوا تَعْلِيمَ الشَّرْكِ، لِكَيْ إِذَا حَمَلُوهُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَعْرِفُوهُ. (2)

عنه عليه السلام. وَقَدْ سَأَلَهُ أَبُو بَصِيرٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»: أَمَا وَاللَّهِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ أَنْفُسِهِمْ لَمَا أَجَابُوهُمْ، وَلَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمْ حَرَامًا وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالَ فَعَبَدُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ. (3)

عنه عليه السلام. لِأَبِي بَصِيرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى» (4): أَنْتُمْ هُمْ، وَمَنْ أَطَاعَ جَبَّارًا فَقَدْ عَبَدَهُ. (5)

عنه عليه السلام: مَرَّ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيَّ قَرِيَّةً قَدْ مَاتَ أَهْلُهَا... فَقَالَ: يَا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ،

1- الكافي: ج 1 ص 390 ح 2 وج 2 ص 398 ح 6، المحاسن: ج 1 ص 423 ح 969، تفسير العياشي: ج 1 ص 255 ح 184، مجمع البيان: ج 3 ص 107 كلاهما نحوه وليس فيهما «صنعه الله»، بحار الأنوار: ج 2 ص 205 ح 90.

2- الكافي: ج 2 ص 415 ح 1 عن سفيان بن عيينة.

3- الكافي: ج 2 ص 398 ح 7 وج 1 ص 53 ح 1، المحاسن: ج 1 ص 383 ح 848 كلُّها عن أبي بصير، بحار الأنوار: ج 2 ص 98 ح 50.

4- الزمر: 17.

5- مجمع البيان: ج 8 ص 770 عن أبي بصير، تأويل الآيات الظاهرة: ج 2 ص 513 ح 5 عن أبي بصير عن الإمام الصادق عن الإمام الباقر عليهما السلام، بحار الأنوار: ج 23 ص 361 ح 20.

فَأَجَابَهُ مِنْهُمْ مُجِيبٌ: لَبَّيْكَ يَا رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ . فَقَالَ: وَيَحْكُمُ ، مَا كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ؟ قَالَ: عِبَادَةُ الطَّاغُوتِ وَحُبُّ الدُّنْيَا ، مَعَ خَوْفٍ قَلِيلٍ وَأَمَلٍ بَعِيدٍ وَغَفْلَةٍ فِي لَهْوٍ وَلَعِبٍ . فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ حُبُّكُمْ لِلدُّنْيَا؟ قَالَ: كَحُبِّ الصَّبِيِّ لِأُمِّهِ ؛ إِذَا أَقْبَلَتْ عَلَيْنَا فَرِحْنَا وَسَدَرْنَا ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنَّا بَكَيْنَا وَحَزْنَا . قَالَ: كَيْفَ كَانَتْ عِبَادَتُكُمْ لِلطَّاغُوتِ؟ قَالَ: الطَّاعَةُ لِأَهْلِ الْمَعَاصِي . (1)

عنه عليه السلام: مَعْنَى صِفَةِ الْإِيمَانِ الْإِقْرَارُ وَالْخُضُوعُ لِلَّهِ بِذَلِكَ الْإِقْرَارِ وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِهِ وَالْأَدَاءُ لَهُ بِعِلْمٍ كُلِّ مَفْرُوضٍ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ مِنْ حَدِّ التَّوْحِيدِ فَمَا دُونَهُ إِلَى آخِرِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَةِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، مَقْرُونٌ ذَلِكَ كُلُّهُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ مَوْصُولٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، فَإِذَا أَدَّى الْعَبْدُ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ صِدْقَةٌ مَا وَصَفْنَا ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُسْتَحِقٌّ لِصِدْقَةِ الْإِيمَانِ ... وَمَعْنَى الشَّرْكِ: كُلُّ مَعْصِيَةٍ عَصِيَّ اللَّهُ بِهَا بِالتَّدْيِينِ فَهُوَ مُشْرِكٌ صَغِيرٌ كَانَتْ الْمَعْصِيَةُ أَوْ كَبِيرَةً ، فَفَاعِلُهَا مُشْرِكٌ . (2)

1- .الكافي: ج 2 ص 318 ح 11 ، مشكاة الأنوار: ص 461 ح 1538 كلاهما عن مهاجر الأسدي ، معاني الأخبار: ص 341 ح 1 ، ثواب الأعمال: ص 303 ح 1 ، علل الشرائع: ص 466 ح 21 والثلاثة الأخيرة عن سهل الحلواني نحوه ، بحار الأنوار: ج 73 ص 10 ح 3

2- .تحف العقول: ص 329 ، بحار الأنوار: ج 68 ص 278 ح 31 .

المرتبة السادسة : التوحيد في العبادة

المرتبة السادسة : التوحيد في العبادة في اللغة هي : اللين والذل (1) ، وعبادة الله : التذلل والخضوع أمامه، ويُستعمل التوحيد في العبادة قرآنيًا وروائيًا بمعنيين هما: 1 . إطاعة الله وحده وترك عبادة غيره ، كما جاء في قوله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» . (2) وقوله سبحانه: «وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَيَّ اللَّهُ لَهُمُ الْبُشْرَى» . (3) وهذا المعنى للتوحيد في العبادة هو نفس التوحيد في الطاعة الذي تقدم توضيحه من قبل . 2 . خلوص النية في عبادة الله وحده . إن التوحيد في الطاعة و إن كان يلازم التوحيد في العبادة أيضا _ لأن طاعة

-
- 1- قال ابن فارس : العين والباء والداد أصلان صحيحان كأنهما متضادان و[الأول] من ذينك الأصلين يدل علي لين وذل ، والآخر علي شدة وغلظ. (معجم مقاييس اللغة : ج 4 ص 205) .
- 2- النحل : 36 .
- 3- الزمر: 17 .

أعلي مراتب التوحيد

الأوامر الإلهية بنحو مطلق يستلزم إخلاص النية _ ولكن ارتأينا لتوحيد العبادة عنواناً مستقلاً ، للتنبه علي أن الرياء في الطاعة والعبادة شرك. أعلي مراتب التوحيد إن أعلي مراتب الإخلاص أو التوحيد في العبادة ، هي أن الإنسان في عبادته وطاعته لله تعالى لا يطلب أجراً ، بل إن عشق الله سبحانه وحبته يدفعانه إلي طاعته ، كما قال الإمام الصادق عليه السلام : «إِنَّ النَّاسَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَي ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ، فَطَبَقَةٌ يَعْبُدُونَهُ رَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْحُرِّصَاءِ ، وَهُوَ الطَّمَعُ ، وَآخَرُونَ يَعْبُدُونَهُ فَرَقًا مِنَ النَّارِ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ ، وَهِيَ الرَّهْبَةُ ، وَلِكِنِّي أُعْبُدُهُ حُبًّا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْكِرَامِ ، وَهُوَ الْأَمْنُ» . (1) قال سبحانه وتعالى : «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» . (2) «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» . (3) «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ» . (4) «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ

1- راجع: المحبة في الكتاب والسنة : (القسم الثاني / الفصل الأول / عبادة المحبين) .

2- الأنبياء: 25 .

3- الفاتحة: 5 .

4- الزمر: 3 .

وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» . (1) «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ» . (2) «قُلْ إِن صَلَائِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» . (3) «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» . (4)

راجع : البقرة: 83 ، يوسف: 40 .

الحديث المعجم الكبير عن شداد بن أوس: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِبِقِيعٍ (5) وَاحِدٍ يَنْفَذُهُمُ الْبَصْرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ ، قَالَ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ ، كُلُّ عَمَلٍ كَانَ عَمَلٍ لِي فِي دَارِ الدُّنْيَا كَانَ لِي فِيهِ شَرِيكَ فَأَنَا أَدْعُهُ الْيَوْمَ ، وَلَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ إِلَّا .

1- .آل عمران: 64 .

2- .يونس: 104 _ 106 .

3- .الأنعام: 162 و 163 .

4- .الكهف: 110 .

5- .البقيع: المكان المتسع (المصباح المنير: ص 57) .

خالصا . ثُمَّ قَرَأَ: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» (1) «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَوِّبًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» . (2)

رسول الله صلي الله عليه وآله: لم آتكم إلا بخير؛ آتيتكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له... وأن تدعوا اللات والعزى . (3)

الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَوِّبًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» : الرَّجُلُ يَعْمَلُ شَيْئًا مِنَ الثَّوَابِ لَا يَطْلُبُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّمَا يَطْلُبُ تَرْكِيَةَ النَّاسِ ، يَشْتَهِي أَنْ يُسْمِعَ بِهِ النَّاسَ ، فَهَذَا الَّذِي أَشْرَكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ . (4)

عنه عليه السلام في قوله تعالى «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (5) : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» : إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ ، «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» : أَفْضَلُ مَا طَلَبَ بِهِ الْعِبَادُ حَوَائِجَهُمْ . (6)

عنه عليه السلام في قول الله عز وجل : «حَنِيفًا مَسْلَمًا» : خَالِصًا مُخْلِصًا ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ . (7)

الإمام الرضا عليه السلام : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» رَغْبَةً وَتَقَرُّبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، وَإِخْلَاصٌ لَهُ بِالْعَمَلِ دُونَ غَيْرِهِ ، «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» إِسْتِزَادَةٌ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَعِبَادَتِهِ وَاسْتِدَامَةٌ لِمَا

1- الصافات: 40 .

2- المعجم الكبير: ج 7 ص 291 ح 7167 .

3- مسند ابن حنبل: ج 9 ص 48 ح 23188 ، كنز العمال: ج 1 ص 31 ح 35 .

4- الكافي: ج 2 ص 293 ح 4 ، منية المرید: ص 318 ، تفسير العياشي: ج 2 ص 352 ح 93 كلها عن جراح المدائني ، بحار الأنوار: ج 72 ص 281 ح 4 .

5- الفاتحة: 5 .

6- تفسير العياشي: ج 1 ص 22 ح 17 عن محمد بن مسلم ، بحار الأنوار: ج 85 ص 21 ح 10 .

7- الكافي: ج 2 ص 15 ح 1 ، المحاسن: ج 1 ص 391 ح 873 نحوه وكلاهما عن عبد الله بن مسكان ، تهذيب الأحكام: ج 2 ص 43 ح 133 عن أبي بصير نحوه، بحار الأنوار: ج 84 ص 70 ح 27 .

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَنَصَرَهُ . (1)

الإمام العسكري عليه السلام في تفسير «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» - قال الله عز وجل: قولوا يا أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» أَيُّهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْنَا، نُطِيعُكَ مُخْلِصِينَ مَعَ التَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ بِلا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»: مِنْكَ نَسْأَلُ الْمَعُونَةَ عَلَي طَاعَتِكَ لِنُؤَدِّيَهَا كَمَا أَمَرْتَ، وَنَتَّقِي مِنْ دُنْيَانَا عَمَّا عَنْهُ نَهَيْتَ، وَنَعْتَصِمُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ سَائِرِ مَرَدَّةِ الْإِنْسِ مِنَ الْمُضِلِّينَ، وَمِنْ الْمُؤَذِينَ الظَّالِمِينَ بِعِصْمَتِكَ . (2)

الإمام علي عليه السلام: الْعِبَادَةُ الْخَالِصَةُ إِلَّا يَرْجُو الرَّجُلُ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافُ إِلَّا ذَنْبَهُ . (3)

عنه عليه السلام: طوبي (4) لِمَنْ أَخْصَصَ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ وَالِدُعَاءَ، وَلَمْ يَشْغَلْ قَلْبَهُ بِمَا تَرَى عَيْنَاهُ، وَلَمْ يَنْسَ ذِكْرَ اللَّهِ بِمَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ . (5)

عنه عليه السلام: مِنْ أَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَيَّ اللَّهُ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اللَّهُمَّ لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، اللَّهُمَّ لَا نُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ . (6)

الإمام الصادق عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ مَلَائِكَتَكَ وَحَمَلَةَ

1- .كتاب من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 310 ح 926 ، علل الشرائع: ص 260 ح 9 ، عيون أخبار الرضا: ج 2 ص 107 ح 1 وفيه «وبصره» بدل «ونصره» وكلها عن الفضل بن شاذان ، بحار الأنوار: ج 85 ص 54 ح 46 .

2- .تنبيه الخواطر: ج 2 ص 95 ، تأويل الآيات الظاهرة: ج 1 ص 27 ح 7 ، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ص 39 ح 15 وفيه «مردة الجنّ والإنس» بدل «مردة الإنس» ، بحار الأنوار: ج 70 ص 216 .

3- .غرر الحكم: ح 2128 ، عيون الحكم والمواعظ: ص 65 ح 1666 .

4- .طوبي: اسم شجرة في الجنة ، وقيل: بل إشارة إلى كل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء ، وعزّ بلا زوال ، وغني بلا فقر (مفردات ألفاظ القرآن: ص 528) .

5- .الكافي: ج 2 ص 16 ح 3 عن علي بن أسباط عن الإمام الرضا عليه السلام ، بحار الأنوار: ج 70 ص 229 ح 5 .

6- .كنز العمال: ج 2 ص 678 ح 5053 نقلاً عن هناد ويوسف القاضي في سننه .

عَرَشِكَ وَسَكَانَ سَمَاوَاتِكَ وَأَرْضِكَ ، بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الْمَعْبُودُ الَّذِي لَيْسَ مِنْ لَدُنْ عَرْشِكَ إِلَيَّ قَرَارِ أَرْضِكَ مَعْبُودٌ يُعْبَدُ سِوَاكَ إِلَّا بَاطِلٌ مُضْمَجَلٌّ غَيْرٌ وَجْهَكَ الْكَرِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَعْبُودُ فَلَا مَعْبُودَ سِوَاكَ ، تَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوقًا كَثِيرًا . (1)

الإمام الرضا عليه السلام في كتابه للمؤمنين لما سأله أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار: إنَّ مَحْضَ الْإِسْلَامِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِهْمَا وَاحِدًا أَحَدًا فَرْدًا صَمَدًا قَيُّومًا (2) سَمِيعًا بَصِيرًا قَدِيرًا قَدِيمًا قَائِمًا بَاقِيًا ، عَالِمًا لَا يَجْهَلُ ، قَادِرًا لَا يَعْجِزُ ، غَنِيًّا لَا يَحْتَاجُ ، عَدْلًا لَا يَجُورُ ، وَأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، لَا شِبْهَ لَهُ وَلَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا كُفُوَ لَهُ ، وَأَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِالْعِبَادَةِ وَالِدُعَاءِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ . (3)

1- تهذيب الأحكام: ج 3 ص 144 ح 317 عن علي بن الحسين العبدي ، الإقبال: ج 2 ص 283 عن علي بن الحسن العبدي ، بحار الأنوار: ج 98 ص 303 ح 2 .

2- القَيُّومُ: القائم الحافظ لكلِّ شيءٍ والمعطي له ما به قوامه (مفردات ألفاظ القرآن: ص 691) .

3- عيون أخبار الرضا: ج 2 ص 121 ح 1 عن الفضل بن شاذان ، بحار الأنوار: ج 10 ص 352 ح 1 .

القسم الثالث : التعرّف علي أسماء الله

إشاره

القسم الثالث : التعرّف علي أسماء اللهوفيه فصول :الفصل الأول : معني أسماء اللهالفصل الثاني: أصناف أسماء اللهالفصل الثالث: عدد أسماء اللهالفصل الرابع : الإسم الأعظمالفصل الخامس : دور أسماء الله في تدبير العالم

الفصل الأول : معني أسماء الله

إشاره

الفصل الأول : معني أسماء اللّٰهناك اختلاف في الآراء حول الجذر اللغوي للاسم ، فالكوفيون يرون أنه مشتق من «الوسم» بمعني العلامة ، ويرى البصريون أنه مشتق من «السموّ» بمعني العلوّ والرفعة ، بيد أنهم يعترفون بأنه يستعمل من حيث المعني اللغوي بمعني العلامة . (1) أمّا «الصفة» فقد جاءت بهذه الهيئة ولكن أصلها اللغوي هو «الوصف» كما أنّ «العِدّة» اشتقت من «الوعد» . وبناءً علي هذا فإنّ «الصفة» هي مصدر بمعني الوصف، ولكنها في كثير من الأحيان تستعمل بمعني اسم المصدر ، ويراد منها حينئذ الأمانة والعلامة (2) ، غير أنّ الصفة أمانة تبين إحدى خصائص الموصوف (3) . وعلي هذا فالاسم والصفة كلاهما بمعني العلامة والأمانة للمسمّي والموصوف؛ فالاسم يشمل كلّ علامة و أمانة ، وأمّا الصفة ، فهي علامة مخصّصة ومقيّدة . و من هنا فإنّ بين الاسم والصفة علاقة عموم و خصوص مطلق ، أي

-
- 1- راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين «البصريين والكوفيين» : ج 6 ص 16 والمصباح المنير: ص 290 ولسان العرب: ج 14 ص 401 ومشكل إعراب القرآن: ج 1 ص 6 .
 - 2- معجم مقاييس اللغة : ج 6 ص 115 ، كتاب التعريفات : ص 58.
 - 3- المصباح المنير : ص 661 ، العين : ص 1957.

أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ اسْمٍ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ اسْمٍ صِفَةً ، فَالْأَعْلَامُ وَالْأَسْمَاءُ الْخَاصَّةُ ، مِثْلُ «زَيْدٍ» وَ «بَكْرٍ» أَسْمَاءٌ وَلَيْسَتْ صِفَاتٍ . أَمَّا الْأَسْمَاءُ الدَّالَّةُ عَلَيِ الْأَوْصَافِ فَهِيَ أَسْمَاءُ وَصِفَاتٍ كَالْعَالِمِ وَالْعِلْمِ . (1) أَمَّا فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَالْعِرْفَانِ وَ الْكَلَامِ فَإِنَّ لِلْاسْمِ وَالصِّفَةِ إِطْلَاقَاتٍ أُخْرَى أَيْضًا ؛ فَطَبَقًا لِإِحْدِي الْإِطْلَاقَاتِ فِي الْعِلْمِ الْأَدْبِيِّ ، تَكُونُ الْمَصَادِرُ كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةُ أَسْمَاءٌ وَلَيْسَتْ بِصِفَاتٍ ، أَمَّا الْمَشْتَقَاتُ كَالْعَالِمِ وَالْقَادِرِ فَهِيَ صِفَاتٌ وَلَيْسَتْ بِأَسْمَاءٍ . وَيَحْمِلُ الْاسْمُ وَالصِّفَةُ فِي الْعِرْفَانِ النَّظْرِيَّ مَعْنَى مَعَاكِسَا تَمَامًا لِلْمَعْنَى الْمَذْكُورِ . (2) وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فِي بَيَانِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ فَلَمْ يُوْخَذْ فِيهَا بِنَظَرِ الْإِعْتِبَارِ التَّفَاوُتِ الْمَوْجُودِ فِي الْإِصْطِلَاحَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ لِلْاسْمِ وَالصِّفَةِ ؛ وَأُطْلِقَ الْاسْمُ وَالصِّفَةُ كِلَاهُمَا عَلَيِ الْكَمَالَاتِ مِنْ قَبِيلِ «الْعِلْمِ» ، وَعَلَيِ الصِّفَاتِ الْمَتَّصِفَةِ بِالْكَمَالَاتِ مِثْلِ «العَالِمِ» ، نَذَكَرْ عَلَيِ سَبِيلِ الْمَثَالِ أَنَّ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ فِي خُصُوصِ السَّمِيعِ وَ الْبَصِيرِ اسْتُخْدِمَتْ فِيهَا لَفْظَةُ «الصِّفَةِ» (3) . وَفِي بَعْضِهَا الْآخَرِ اسْتُخْدِمَتْ لَفْظَةُ «الْاسْمِ» (4) ، بَلْ إِنَّ هَٰذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ أُطْلِقَا حَتَّى عَلَيِ كَلِمَتِي الْعِلْمِ وَالْعَالِمِ فِي الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ . وَقَدْ صَرَّحَتْ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ بِأَنَّ الْاسْمَ وَالصِّفَةَ عَلَيِ مَعْنَى وَاحِدٍ ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ :

1- .معجم الفروق اللغوية : ص 314 الرقم 1269 .

2- .راجع شرح فصوص الحكم للقيصري : ج 1 ص 34 . فيما يخص الاصطلاحات المختلفة للاسم والصيغة ؛ الفتوحات المكية لابن العربي : ج 2 ص 58 ؛ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ، ج 2 ، ص 1791 و ص 1078 وج 1 ص 181 و ص 184 ؛ جامع الدروس العربية : ج 1 ص 97 ؛ صرف ساد (بالفارسية) ص 224 .

3- .التوحيد : ص 146 ح 14 .

4- .التوحيد : ص 187 ح 2 .

«إِنَّ الْأَسْمَاءَ صِفَاتٌ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ» . (1) وعندما سأل محمد بن سنان الإمام الرضا عليه السلام : مَا الْإِسْمُ؟ قَالَ : «صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ» . (2) بناءً علي ما سبق ذكره فإنّ جميع أسماء الله صفاته ، وكلّ صفاته أسماؤه . وقد جاء الفصل بين الأسماء والصفات في تقسيمات هذا الكتاب بناءً علي ما اقتضاه نظم التأليف وليس من باب الفصل في المعني . بناءً علي المعني اللغوي للاسم والصفة ، وانطلاقاً من وحدة مصداقهما بشأن الله تعالى ، نستنتج في ضوء الأحاديث الواردة في هذا المجال أنّ أسماء الله هي من نوع صفاته، وأنّه تعالى ليس له اسم إلاّ ويحمل صفة من صفاته . ومن هنا فإنّ الله سبحانه وتعالى ليس له اسم علم جامد غير مشتقّ جاء كعلامة له فقط من غير أن ينطوي علي وصف من أوصافه ، ويمكن القول بعبارة أُخري : إنّ الاسم بشأن الله مقيّد ، وكون أسماء الله علامة هي من جهة كونها ذات دلالة علي وصف خاصّ به . وسنري عند تفسير لفظ الجلالة «الله» أنّ لهذا الاسم جذر اشتقاقي أيضاً ، وقد ذكرت الأحاديث الشريفة جذورا مختلفة له . (3) قال العلامة الطباطبائي قدس سره في بيان معني الأسماء الحسني : «نحن أوّل ما نفتح أعيننا ونشاهد من مناظر الوجود ما نشاهده يقع إدراكنا علي أنفسنا وعلي أقرب الأمور متنا ، وهي روابطنا مع الكون الخارج من

1- .راجع : ص 430 ح 4003 .

2- .عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 129 ح 25 .

3- .راجع : ص 437 «معني الله» .

مستدعيات قوانا العاملة لإبقائنا ، فأنفسنا وقوانا وأعمالنا المتعلقة بها ، هي أوّل ما يدقّ باب إدراكنا لكنّا لا نري أنفسنا إلاّ مرتبطة بغيرها ولا قوانا ولا أفعالنا إلاّ كذلك ، فالحاجة من أقدم ما يشاهده الإنسان ، يشاهدها من نفسه ومن كلّ ما يرتبط به من قواه وأعماله والدنيا الخارجة ، وعند ذلك يقضي بذات ما يقوم بحاجته ويسدّ خلّته وإليه ينتهي كلّ شيء ، وهو الله سبحانه ، ويصدّقنا في هذا النظر والقضاء قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيَّ اللَّهُ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ» . (1) وقد عجز التاريخ عن العثور علي بدء ظهور القول بالربوبية بين الأفراد البشرية ، بل وجدده وهو يصاحب الإنسانيّة إلي أقدم العهود التي مرّت علي هذا النوع حتّي أنّ الأَقوام الوحشيّة التي تحاكي الإنسان الأوّلي في البساطة لما اكتشفوهم في أطراف المعمورة كقطّان أميركا وأستراليا وجدوا عندهم القول بقوي عالية هي وراء مستوي الطبيعة ينتحلون بها ، وهو قول بالربوبية وإن اشتبه عليهم المصداق فالإذعان بذات ينتهي إليها أمر كلّ شيء من لوازم الفطرة الإنسانيّة لا يحد عنه إلاّ من انحرف عن إلهام فطرته لشبهة عرضت له كمن يضطرّ نفسه علي الاعتياد بالسّم وطبيعته تحذّره بالهامها ، وهو يستحسن ما ابتلي به . ثمّ إنّ أقدم ما نواجهه في البحث عن المعارف الإلهية أنّا ندعن بانتهاء كلّ شيء إليه ، وكيّنوته ووجوده منه فهو يملك كلّ شيء لعلمنا أنّه لو لم يملكها لم يمكن أن يفوضها ويفيدها لغيره علي أنّ بعض هذه الأشياء ممّا ليست حقيقته إلاّ مبنية علي الحاجة منبئة عن النقيصة ، وهو تعالي منزّه عن كلّ حاجة ونقيصة ؛ لأنّه الذي إليه يرجع كلّ شيء في رفع حاجته ونقيصته .

فله الملك _ بكسر الميم وبضمّها _ علي الإطلاق ، فهو سبحانه يملك ما وجدناه في الوجود من صفة كمال ؛ كالحياة والقدرة والعلم والسمع والبصر والرزق والرحمة والعزة وغير ذلك . فهو سبحانه حيّ ، قادر ، عليم ، سميع ، بصير ؛ لأنّ في نفيها إثبات النقص ولا سبيل للنقص إليه . ورازق ، ورحيم ، وعزيز ، ومحبي ، ومميت ، ومبدئ ، ومعيد ، وباعث ، إلي غير ذلك ؛ لأنّ الرزق والرحمة والعزة والإحياء والإماتة والإبداء والإعادة والبعث له ، وهو السبّوح القدّوس العليّ الكبير المتعال ، إلي غير ذلك ، نعني بها نفي كلّ نعت عدميّ ، وكلّ صفة نقص عنه . فهذا طريقنا إلي إثبات الأسماء والصفات له تعالي علي بساطته ، وقد صدّقنا كتاب الله في ذلك حيث أثبت الملك _ بكسر الميم _ والملك _ بضمّ الميم _ له علي الإطلاق في آيات كثيرة لا حاجة إلي إيرادها» . (1)

1- .الميزان في تفسير القرآن : ج 8 ص 349 ، راجع تمام كلامه .

إشاره

1 / 1 أسماءه تعبيراً الإمام الرضا عليه السلام من كلامه في التوحيد: أسماءه تعبيراً، وأفعاله تفهيماً، وذاته حقيقة. (1)

عنه عليه السلام: لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْإِسْمِ مَا هُوَ؟ قَالَ: صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ. (2)

الإمام عليّ عليه السلام في دعاء علمه نوناً البكالي: فَأَسَأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي ظَهَرَتْ بِهِ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَانِكَ فَوَحَّدَكَ وَعَرَفَكَ فَعَبَدَكَ بِحَقِيقَتِكَ أَنْ تُعَرِّفَنِي نَفْسَكَ؛ لِأَقْرَبَ لَكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ عَلَيَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ بِكَ، وَلَا تَجْعَلَنِي يَا إِلَهِي مِمَّنْ يَعْبُدُ الْإِسْمَ دُونَ الْمَعْنَى، وَالْحَظَنِي بِلِحْظَةٍ مِنْ لِحْظَاتِكَ تُنَوِّرُ بِهَا قَلْبِي بِمَعْرِفَتِكَ خَاصَّةً وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَانِكَ، إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (3)

الكافي عن عبد الرحمن بن أبي نجران: أَوْقَلْتُ لَهُ - كَتَبْتُ إِلَيَّ أَبِي جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِي دَاكُ! نَعْبُدُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الصَّمَدَ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ مَنْ عَبَدَ الْإِسْمَ دُونَ الْمُسَمَّى بِالْأَسْمَاءِ أَشْرَكَ وَكَفَرَ وَجَحَدَ وَلَمْ يَعْبُدِ شَيْئاً، بَلْ اعْبُدِ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الصَّمَدَ، الْمُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ دُونَ الْأَسْمَاءِ؛ إِنَّ الْأَسْمَاءَ صِفَاتٌ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ. (4)

- 1- التوحيد: ص 36 ح 2، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 151 ح 51 كلاهما عن القاسم بن أيوب العلوي، الاحتجاج: ج 2 ص 361 ح 283، تحف العقول: ص 63 عن الإمام عليّ عليه السلام، بحار الأنوار: ج 4 ص 228 ح 3.
- 2- الكافي: ج 1 ص 113 ح 3، التوحيد: ص 192 ح 5، معاني الأخبار: ص 2 ح 1 كلاهما عن محمد بن سنان، بحار الأنوار: ج 4 ص 159 ح 3.
- 3- بحار الأنوار: ج 94 ص 96 ح 12 نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي عن نون البكالي.
- 4- الكافي: ج 1 ص 87 ح 3.

الإمام الصادق عليه السلام لَمَّا سَأَلَهُ الرَّنْدِيقُ عَنِ اللَّهِ: مَا هُوَ؟ _ هُوَ الرَّبُّ، وَهُوَ الْمَعْبُودُ، وَهُوَ اللَّهُ، وَلَيْسَ قَوْلِي: «اللَّهُ» إِثْبَاتَ هَذِهِ الْحُرُوفِ أَلْفٍ، لَامٍ، هَاءٍ، وَلَكِنِّي أَرْجِعُ إِلَى مَعْنِي هُوَ شَيْءٌ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَصَانِعُهَا، وَقَعَتِ عَلَيْهِ هَذِهِ الْحُرُوفُ، وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يُسَمَّى بِهِ اللَّهُ، وَالرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ وَالْعَزِيزُ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَهُوَ الْمَعْبُودُ _ جَلَّ وَعَزَّ . (1)

الكافي عن النضر بن سويد: عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَاشْتِقَاقِهَا: «اللَّهُ» مِمَّا هُوَ مُشْتَقٌّ؟ فَقَالَ: يَا هِشَامُ، «اللَّهُ» مُشْتَقٌّ مِنْ إِلَهٍ، وَإِلَهُ يَفْتَضِي مَالُوهَا، وَالْإِسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى، فَمَنْ عَبَدَ الْإِسْمَ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ وَلَمْ يَعْبُدْ شَيْئًا، وَمَنْ عَبَدَ الْإِسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ أَشْرَكَ وَعَبَدَ اثْنَيْنِ، وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى دُونَ الْإِسْمِ فَذَلِكَ التَّوْحِيدُ، أَفْهَمْتَ يَا هِشَامُ؟ قَالَ: قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، فَلَوْ كَانَ الْإِسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى لَكَانَ كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا إِلَهًا، وَلَكِنَّ «اللَّهُ» مَعْنَى يَدُلُّ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَكُلُّهَا غَيْرُهُ. يَا هِشَامُ، الْخُبْزُ اسْمٌ لِلْمَأْكُولِ، وَالْمَاءُ اسْمٌ لِلْمَشْرُوبِ، وَالثَّوْبُ اسْمٌ لِلْمَلْبُوسِ، وَالنَّارُ اسْمٌ لِلْمُحْرِقِ. أَفْهَمْتَ يَا هِشَامُ فَهَمَا تَدْفَعُ بِهِ وَتُنَاضِلُ بِهِ أَعْدَاءَنَا الْمُتَّخِذِينَ مَعَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ غَيْرُهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.

1- التوحيد: ص 245 ح 1، الكافي: ج 1 ص 84 ح 6 نحوه وكلاهما عن هشام بن الحكم.

فَقَالَ: نَفَعَكَ اللَّهُ بِهِ وَثَبَّتَكَ يَا هِشَامُ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا فَهَرَنِي أَحَدٌ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى قُمْتُ مَقَامِي هَذَا. (1)

الإمام الصادق عليه السلام: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالتَّوَهُّمِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ عَبَدَ الإِسْمَ دُونَ المَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ عَبَدَ الإِسْمَ وَالمَعْنَى فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ عَبَدَ المَعْنَى بِإِبْتِغَاءِ الأَسْمَاءِ عَلَيْهِ بِصِدْقِ فَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فَعَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَنَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ فِي سَرَائِرِهِ وَعَلَانِيَتِهِ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ حَقًّا. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا. (2)

عنه عليه السلام_ لِيَزِيدِي سَأَلَهُ: كَيْفَ جَازَ لِلخَلْقِ أَنْ يَتَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؟: إِنْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أَبَاحَ لِلنَّاسِ الأَسْمَاءَ، وَوَهَبَهَا لَهُمْ، وَقَدْ قَالَ الفَائِلُ مِنَ النَّاسِ لِلوَاحِدِ: وَاحِدٌ، وَيَقُولُ لِلَّهِ: وَاحِدٌ، وَيَقُولُ: قَوِيٌّ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَوِيٌّ، وَيَقُولُ: صَانِعٌ، وَاللَّهُ صَانِعٌ، وَيَقُولُ: رَازِقٌ، وَاللَّهُ رَازِقٌ، وَيَقُولُ: سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَمَنْ قَالَ لِلإِنْسَانِ: وَاحِدٌ فَهَذَا لَهُ اسْمٌ وَلَهُ شَبِيهٌ، وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَهُوَ لَهُ اسْمٌ وَلَا شَيْءَ لَهُ شَبِيهٌ، وَلَيْسَ المَعْنَى وَاحِدًا. وَأَمَّا الأَسْمَاءُ فَهِيَ دَلَالَتُنَا عَلَى المَسْمِيِّ؛ لِأَنَّهَا قَدْ نَرَى الإِنْسَانَ وَاحِدًا وَإِنَّمَا نُخْبِرُ وَاحِدًا إِذَا كَانَ مُفْرَدًا، فَعَلِمْنَا أَنَّ الإِنْسَانَ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ بِوَاحِدٍ فِي المَعْنَى؛ لِأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَجْزَاءَهُ لَيْسَتْ سَوَاءً، وَلَحْمُهُ غَيْرُ دَمِهِ، وَعَظْمُهُ غَيْرُ عَصَبِهِ، وَشَعْرُهُ غَيْرُ ظُفْرِهِ، وَسَوَادُهُ غَيْرُ بَيَاضِهِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الخَلْقِ، وَالإِنْسَانُ وَاحِدٌ فِي الإِسْمِ، وَلَيْسَ بِوَاحِدٍ فِي الإِسْمِ وَالمَعْنَى وَالمَخْلُوقِ، فَإِذَا قِيلَ لِلَّهِ فَهُوَ الوَاحِدُ الَّذِي

1- الكافي: ج 1 ص 114 ح 2 وص 87 ح 2، التوحيد: ص 220 ح 13، الاحتجاج: ج 2 ص 203 ح 216 وراجع: مرآة العقول: ج 1 ص 304_ 306.

2- الكافي: ج 1 ص 87 ح 1، التوحيد: ص 220 ح 12 وراجع: مرآة العقول: ج 1 ص 303.

لا واحدَ غيرُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ، وَهُوَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ وَقَوِيٌّ وَعَزِيزٌ وَحَكِيمٌ وَعَلِيمٌ، فَتَعَالَى اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ . (1)

عنه عليه السلام: إسمُ اللهِ غيرُهُ، وكُلُّ شَيْءٍ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللَّهُ . (2)

الكافي عن ابن سنان: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَارِفًا بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: يَرَاهَا وَيَسْمَعُهَا؟ قَالَ: مَا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيَّ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُهَا وَلَا يَطْلُبُ مِنْهَا، هُوَ نَفْسُهُ وَنَفْسُهُ هُوَ، فَدَرَّتْهُ نَافِذَةٌ، فَلَيْسَ يَحْتَاجُ إِلَيَّ أَنْ يُسَمِّيَ نَفْسَهُ، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَسْمَاءَ لِغَيْرِهِ يَدْعُوهُ بِهَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَدْعَ بِاسْمِهِ لَمْ يَعْرِفْ، فَأَوَّلُ مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ «الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» لِأَنَّهُ أَعْلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، فَمَعْنَاهُ اللَّهُ، وَاسْمُهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ هُوَ أَوَّلُ أَسْمَائِهِ، عَلَا عَلِيٌّ كُلُّ شَيْءٍ . (3)

الإمام الرضا عليه السلام: إعلم أَنَّهُ لَا يَكُونُ صِدْقَةً لِعَبْدٍ مَوْصُوفٍ، وَلَا اسْمًا لِعَبْدٍ مَعْنِيٍّ، وَلَا حَدًّا لِعَبْدٍ مَحْدُودٍ، وَالصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَيَّ الْكَمَالِ وَالْوُجُودِ، وَلَا تَدُلُّ عَلَيَّ الْإِحَاطَةِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَيَّ الْحُدُودِ الَّتِي هِيَ التَّرْبِيعُ وَالتَّثْلِيثُ وَالتَّسْدِيسُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ وَتَقَدَّسَ - تُدْرِكُ مَعْرِفَتَهُ بِالصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ، وَلَا تُدْرِكُ بِالتَّحْدِيدِ بِالتَّوَلُّوْلِ .

1- بحار الأنوار: ج 3 ص 195 عن المفضل بن عمر .

2- الكافي: ج 1 ص 113 ح 4، التوحيد: ص 142 ح 7 وفيه «غير الله» بدل «غيره» وكلاهما عن عبد الأعلى، بحار الأنوار: ج 4 ص 149 ح 3.

3- الكافي: ج 1 ص 113 ح 2، التوحيد: ص 191 ح 4، معاني الأخبار: ص 2 ح 2، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 129 وفيها «عليّ علا كل شيء» بدل «علا علي كل شيء»، بحار الأنوار: ج 4 ص 88 ح 26 .

1 / 1 - 1 معني «الإله»

وَالْعَرْضِ وَالْقِلَّةِ وَالكَثْرَةَ وَاللَّوْنَ وَالْوَزْنَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ يَحُلُّ بِاللَّهِ جَلَّ وَتَقَدَّسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَعْرِفَهُ خَلْقُهُ بِمَعْرِفَتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِالضَّرُورَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا ، وَلَكِنْ يُدَلُّ عَلَى اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ بِصِفَاتِهِ ، وَيُذْرَكُ بِأَسْمَائِهِ . . . فَلَوْ كَانَتْ صِفَاتُهُ جَلًّا ثَنَاؤُهُ لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَأَسْمَاؤُهُ لَا تَدْعُو إِلَيْهِ ، وَالْمَعْلَمَةُ مِنَ الْخَلْقِ لَا تُدْرِكُهُ لِمَعْنَاهُ كَانَتْ الْعِبَادَةُ مِنَ الْخَلْقِ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ دُونَ مَعْنَاهُ ، فَلَوْلَا أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْمَعْبُودُ الْمُوَحَّدُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ صِفَاتِهِ وَأَسْمَاءَهُ غَيْرُهُ . (1)

تعليق: كما لاحظنا فإن الأحاديث بيّنت أوجهها مختلفة لإطلاق الأسماء والصفات . وهذه الأسماء والصفات يجب أن تستخدم بشكل لا يفضي إلى أمور من قبيل تشبيه الخالق بالمخلوق ، أو نفي الخالق أو تعطيل المعرفة ، أو إيجاد صور ذهنية وإحاطة بالذات الإلهية ، فالباري عز وجل يوصف تارة بأفعاله ، وقد تفسر صفات الله تارة أُخري تفسيراً سلبياً. والإنسان يقيم علاقته مع الله - جلّ وعلا - من خلال هذه الأسماء والصفات ، ويدعوه ويتضرّع إليه في إطار معرفته له ، ولكن ينبغي الالتفات إلى أن أسماء الله لا موضوع لها ، وكلها تعبير عن الذات الإلهية المقدّسة ، والإنسان يتوجّه عن طريق هذه الأسماء إلى الله الذي يعرفه بالفطرة .

1 / 1 - 1 معني «الإله» الإمام علي عليه السلام - في الدعاء - : أَنْتَ إِلَهِي الْمَالِكُ الَّذِي مَلَكَتِ الْمُلُوكُ ، فَتَوَاضَعَ لِهَيْبَتِكَ

1- التوحيد : ص 437 ح 1 ، عيون أخبار الرضا : ج 1 ص 174 ح 1 كلاهما عن الحسن بن محمد النوفلي ، بحار الأنوار : ج 10 ص 315 وراجع تحف العقول : ص 424 .

الأَعْرَاءُ وَدَانَ لَكَ بِالطَّاعَةِ الْأَوْلِيَاءُ، فَاحْتَوَيْتَ بِالْهَيْتِكَ عَلَيَّ الْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ. (1)

عنه عليه السلام: لَيْسَ بِاللَّهِ مَنْ عُرِفَ بِنَفْسِهِ، هُوَ الدَّالُّ بِالذَّلِيلِ عَلَيْهِ، وَالْمُؤَدِّي بِالْمَعْرِفَةِ إِلَيْهِ. (2)

عنه عليه السلام: اللَّهُمَّ أَنْتَ الَّذِي لَا يَتَعَاطَمُكَ غُفْرَانُ الذُّنُوبِ وَكَشْفُ الْكُرُوبِ... لِأَنَّكَ الْبَاقِي الرَّحِيمُ الَّذِي تَسْرَبَلَتْ (3) بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوَحَّدْتَ بِالْإِلَهِيَّةِ وَتَنَزَّهْتَ مِنَ الْحَيْثُوثِيَّةِ، فَلَمْ يَجِدْكَ وَاصِفٌ مَحْدُودًا بِالْكَيفُوفِيَّةِ... (4)

الإمام الحسن عليه السلام: لَمَّا سُدَّ بِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَسْمَعُ الشَّيْءَ فَيَذْكُرُهُ دَهْرًا، ثُمَّ يَنْسَاهُ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ كَيْفَ هَذَا؟ -: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي يَنْسَى الشَّيْءَ، ثُمَّ يَذْكُرُهُ فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا عَلِيٌّ رَأْسُ فُؤَادِهِ حَقَّةٌ مَفْتُوحَةٌ الرَّأْسِ، فَإِذَا سَمِعَ الشَّيْءَ وَقَعَ فِيهَا، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُنْسِيَهَا أَطْبَقَ عَلَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذْكُرَهَا فَتَحَهَا، وَهَذَا دَلِيلُ الْإِلَهِيَّةِ. (5)

الإمام زين العابدين عليه السلام: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، رَبَّ الْأَرْبَابِ وَإِلَهَ كُلِّ مَالُوهٍ، وَخَالِقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ. (6)

الإمام الباقر عليه السلام: إِنَّ تَقْسِيرَ الْإِلَهِ هُوَ الَّذِي أَلَهَ الْخَلْقَ عَنْ دَرَكِ مَا هَيْتِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ، بِحَسِّ أَوْ بَوَهْمٍ، لَا بَلْ هُوَ مُبْدِعُ الْأَوْهَامِ وَخَالِقُ الْحَوَاسِّ. (7)

- 1- البلد الأمين: ص 121، جمال الأسبوع: ص 67، العدد القوي: ص 334 الرقم 5 كلاهما من دون إسنادٍ إلي المعصوم، بحار الأنوار: ج 90 ص 184 ح 23.
- 2- الاحتجاج: ج 1 ص 476 ح 115، بحار الأنوار: ج 4 ص 253 ح 7.
- 3- السُّرْبَالُ: القميص، وتسربل: أي لبس السربال (الصحاح: ج 5 ص 1729).
- 4- البلد الأمين: ص 96، بحار الأنوار: ج 90 ص 146 ح 9.
- 5- تفسير القمي: ج 2 ص 45، بحار الأنوار: ج 61 ص 39 ح 9.
- 6- الصحيفة السَّجَّادِيَّة: ص 185 الدعاء 47، المصباح للكفعمي: ص 886.
- 7- التوحيد: ص 92 ح 6، معاني الأخبار: ص 7 ح 3 كلاهما عن وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج 3 ص 224 ح 15.

عنه عليه السلام_ في قنوته_ : اللَّهُمَّ . . . بِعَيْدِكَ ضَعْفُ الْبَشَرِيَّةِ وَعَجْزُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَكَ سُلْطَانُ الْإِلَهِيَّةِ وَمَلَكَةُ الْبَرِيَّةِ. (1)

الإمام الصادق عليه السلام: لا يُكُونُ الشَّيْءُ لَّا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَنْقُلُ الشَّيْءُ مِنْ جَوْهَرِيَّتِهِ إِلَى جَوْهَرٍ آخَرَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَنْقُلُ الشَّيْءُ مِنَ الْوُجُودِ إِلَى الْعَدَمِ إِلَّا اللَّهُ. (2)

عنه عليه السلام: قَدِيمٌ وَفَدٌّ مِنْ أَهْلِ فَلَسْطِينَ عَلَيَّ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلُوهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الصَّمَدِ، فَقَالَ: تَفْسِيرُهُ فِيهِ؛ الصَّمَدُ خَمْسَةُ أَحْرُفٍ: فَالْأَلِفُ دَلِيلٌ عَلَيَّ إِنِّي، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» (3) وَذَلِكَ تَنْبِيهُ وَإِشَارَةٌ إِلَى الْغَائِبِ عَنِ دَرْكِ الْحَوَاسِّ، وَاللَّامُ دَلِيلٌ عَلَيَّ الْإِلَهِيَّةِ بِأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ مُدْعَمَانِ لَا يَظْهَرَانِ عَلَيَّ اللِّسَانِ وَلَا يَقَعَانِ فِي السَّمْعِ وَيَظْهَرَانِ فِي الْكِتَابَةِ، دَلِيلَانِ عَلَيَّ أَنَّ الْإِلَهِيَّةَ بِلُطْفِهِ خَافِيَةٌ لَا تُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا تَقَعُ فِي لِسَانٍ وَاصِفٍ وَلَا أُذُنٍ سَامِعٍ؛ لِأَنَّ تَفْسِيرَ الْإِلَهِ هُوَ الَّذِي أَلِهَ الْخَلْقُ عَنِ دَرْكِ مَا هِيَ وَكَيْفِيَّتِهِ بِحَسِّ أَوْ بَوَهِمٍ، لَا بَلْ هُوَ مُبْدِعُ الْأَوْهَامِ وَخَالِقُ الْحَوَاسِّ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْكِتَابَةِ، [فَهُوَ] (4) دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَظْهَرَ رُبُوبِيَّتَهُ فِي إِبْدَاعِ الْخَلْقِ، وَتَرْكِيبِ أَرْوَاحِهِمُ اللَّطِيفَةِ فِي أَجْسَادِهِمُ الْكَثِيفَةِ، فَإِذَا نَظَرَ عَبْدٌ إِلَى نَفْسِهِ لَمْ يَرِ رُوحَهُ، كَمَا أَنَّ لَامَ الصَّمَدِ لَا تَتَبَيَّنُ وَلَا تَدْخُلُ فِي حَاسَّةٍ مِنَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْكِتَابَةِ ظَهَرَ لَهُ مَا خَفِيَ وَلُطِفَ. فَامْتِ تَفَكَّرَ الْعَبْدُ فِي مَا هِيَ الْبَارِي وَكَيْفِيَّتِهِ، أَلِهَ فِيهِ وَتَحَيَّرَ وَلَمْ تُحِطْ فِكْرَتُهُ

1- مهج الدعوات: ص 71، بحار الأنوار: ج 85 ص 216 ح 1 .

2- التوحيد: ص 68 ح 22 عن عبد الله بن سنان، بحار الأنوار: ج 4 ص 148 ح 2 .

3- آل عمران: 18 .

4- ما بين المعقوفين سقط من المصدر، وأثبتناه من بحار الأنوار .

1 / 1_2 معني «الله»

بِشَيْءٍ يَتَّصِرُ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُ الصُّورِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى خَلْقِهِ ثَبَّتَ لَهُ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُمْ وَمُرَكَّبُ أَرْوَاحِهِمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. (1)

الكافي عن هشام بن الحكم: قال أبو شاكِرٍ الدَّيَّصَانِيُّ: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ آيَةً هِيَ قَوْلُنَا. قُلْتُ: مَا هِيَ؟ فَقَالَ: «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ» (2) فَلَمْ أَدْرِ بِمَا أُجِيبُهُ! فَحَجَجْتُ فَخَبَّرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: هَذَا كَلَامُ زَنْدِيقٍ خَبِيثٍ، إِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: مَا اسْمُكَ بِالْكُوفَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ: فُلَانٌ. فَقُلْ لَهُ: مَا اسْمُكَ بِالْبَصْرَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ: فُلَانٌ. فَقُلْ: كَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ، وَفِي الْبَحَارِ إِلَهٌ وَفِي الْقِفَارِ إِلَهٌ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَهٌ. قَالَ: فَقَدِمْتُ فَاتَيْتُ أَبَا شَاكِرٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: هَذِهِ تَقَلَّتْ مِنَ الْحِجَازِ. (3)

الإمام الرضا عليه السلام - من كلام له في توحيد الله سبحانه -: له معني الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه. (4)

1 / 1_2 معني «الله» الإمام علي عليه السلام: «الله» معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه، والله هو المستور

1- التوحيد: ص 92 ح 6، معاني الأخبار: ص 7 ح 3 كلاهما عن وهب بن وهب القرشي، بحار الأنوار: ج 3 ص 224 ح 15.

2- الزخرف: 84.

3- الكافي: ج 1 ص 128 ح 10.

4- الأمالي للمفيد: ص 256 ح 4 عن محمد بن زيد الطبري، التوحيد: ص 38 ح 2، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 152 ح 51 كلاهما عن محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، بحار الأنوار: ج 4 ص 229 ح 3.

عَنْ دَرِكِ الْأَبْصَارِ ، الْمَحْجُوبِ عَنِ الْأَوْهَامِ وَالْخَطَرَاتِ . (1)

عنه عليه السلام: «اللَّهُ» أَعْظَمُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُ اللَّهِ ، وَلَمْ يَتَّسَمَ بِهِ مَخْلُوقٌ . (2)

عنه عليه السلام: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَوَارِثُهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهَ الْإِلَهَةِ. (3)

الإمام زين العابدين عليه السلام- لَمَّا سئلَ عَنْ مَعْنَى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ-: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَخِيهِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أَنَّ رَجُلًا قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي عَنْ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» مَا مَعْنَاهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْلَكَ «اللَّهُ» أَعْظَمُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَنْ يَتَّسَمَ بِهِ مَخْلُوقٌ. فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: «اللَّهُ»؟ قَالَ: هُوَ الَّذِي يَتَّأَلَّهُ (4) إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَائِجِ وَالشَّدَائِدِ كُلِّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ جَمِيعِ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَتَقْطَعُ الْأَسْبَابَ مِنْ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُتَرَتِّسٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمُتَعَطِّمٍ فِيهَا- وَإِنْ عَظُمَ غِنَاؤُهُ وَطُغْيَانُهُ وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ مَنْ دُونَهُ إِلَيْهِ- فَأِنَّهُمْ سَيَحْتَاجُونَ حَوَائِجَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا هَذَا الْمُتَعَاظِمُ، وَكَذَلِكَ هَذَا الْمُتَعَاظِمُ يَحْتَاجُ حَوَائِجَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا، فَيَنْقَطِعُ إِلَيْ اللَّهِ عِنْدَ صُرُورَتِهِ وَفَاقَتِهِ، حَتَّى إِذَا كَفَى هَمَّهُ عَادَ .

1- التوحيد: ص 89 ح 2 عن وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج 3 ص 222 .

2- التوحيد: ص 231 ح 5 عن محمد بن زياد ومحمد بن سيار عن الإمام العسكري عن الإمام زين العابدين عليهما السلام، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص 27 ح 9، بحار الأنوار: ج 92 ص 244 .

3- بحار الأنوار: ج 97 ص 222 تقياً عن الدرود الواقية وراجع مصباح المنتهجد: ص 601 والإقبال: ج 1 ص 102 .

4- أَلَهٌ: عَبَدَ، وَأَلَهٌ: تَحَيَّرَ (الصحيح: ج 6 ص 2223).

إِلَى شِرْكِهِ . أَمَا تَسْمَعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ» . (1) فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ: أَيُّهَا الْفُقَرَاءُ إِلَيَّ رَحْمَتِي، إِنِّي قَدْ أَلْزَمْتُكُمْ الْحَاجَةَ إِلَيَّ فِي كُلِّ حَالٍ، وَذَلَّةَ الْعُبُودِيَّةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَإِلَيَّ فَافْرَعُوا فِي كُلِّ أَمْرٍ تَأْخُذُونَ فِيهِ وَتَرْجُونَ تَمَامَهُ وَبُلُوغَ غَايَتِهِ، فَإِنِّي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَكُمْ لَمْ يَقْدِرْ غَيْرِي عَلَيَّ مَنْعَكُمْ، وَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَمْنَعَكُمْ لَمْ يَقْدِرْ غَيْرِي عَلَيَّ إِعْطَائِكُمْ، فَأَنَا أَحَقُّ مَنْ سَأَلَ وَأَوْلَى مَنْ تُضَرَّعُ إِلَيْهِ، فَقُولُوا عِنْدَ افْتِتَاحِ كُلِّ أَمْرٍ صَدِّغِيهِ أَوْ عَظِّمِيهِ . «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» أَيَّ اسْتَعِينُ عَلَيَّ هَذَا الْأَمْرَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا يَحِقُّ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ، الْمُغِيثُ إِذَا اسْتُغِيثَ، وَالْمُجِيبُ إِذَا دُعِيَ، الرَّحْمَنُ الَّذِي يَرْحَمُ، بِسَطِّ الرِّزْقِ عَلَيْنَا، الرَّحِيمُ بِنَا فِي أَدْيَانِنَا وَدُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا، خَفَّفَ عَلَيْنَا الدِّينَ وَجَعَلَهُ سَهْلًا خَفِيفًا، وَهُوَ يَرْحَمُنَا بِتَمَيُّزِنَا مِنْ أَعْدَائِهِ. (2)

الإمام الباقر عليه السلام: «اللَّهُ» مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي إِلَهُ الْخَلْقِ عَنِ دَرَكِ مَا هَيَّيْتِهِ، وَالْإِحَاطَةَ بِكَيْفِيَّتِهِ، وَيَقُولُ الْعَرَبُ: إِلَهُ الرَّجُلِ إِذَا تَحَيَّرَ فِي الشَّيْءِ فَلَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمًا، وَوَلَهُ إِذَا فَرَعَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يَحْدُرُهُ وَيَخَافُهُ، فَالْإِلَهُ هُوَ الْمَسْتُورُ عَنِ حَوَاسِّ الْخَلْقِ . . . فَمَعْنَى قَوْلِهِ: «اللَّهُ أَحَدٌ» الْمَعْبُودُ الَّذِي يَأَلُّهُ الْخَلْقُ عَنِ إِدْرَاكِهِ، وَالْإِحَاطَةَ بِكَيْفِيَّتِهِ، فَردُّ بِالْهَيْئَةِ، مُتَعَالٍ عَنِ صِفَاتِ خَلْقِهِ. (3)

1- الأنعام: 40 و 41 .

2- التوحيد: ص 231 ح 5، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص 27 ح 9 كلاهما عن يوسف بن محمد بن زياد و علي بن محمد بن سيار عن الإمام العسكري عليه السلام، بحار الأنوار: ج 92 ص 232 ح 14 .

3- التوحيد: ص 89 ح 2 عن وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج 3 ص 222 .

1 / 1 - 3 معني «الله أكبر»

الإمام الكاظم عليه السلام_ في معني «الله»_-: استولي علي ما دقّ وجلّ . (1)

الإمام الرضا عليه السلام: إنَّ في تسمية الله عز وجل الإقرار برُبوبيّته وتوحيده . (2)

راجع: ص 431 ح 4004 و 4005 و 442 ح 4035، بحار الأنوار: ج 3 ص 226.

1 / 1 - 3 معني «الله أكبر» رسول الله صلي الله عليه وآله_ في تفسير «الله أكبر»_-: أمّا قوله: «الله أكبر» فهي كلمة ليس أعلاها كلامٌ، وأحَبُّها إلي الله، يعني ليس أكبر منه؛ لأنَّه يُستفتحُ الصَّلواتُ به، لِكِرامَتِهِ عَلَي الله، وهو اسمٌ من أسماءِ الله الأَكْبَرِ . (3)

الكافي عن ابن محبوب عمّن ذكره عن الإمام الصادق عليه السلام: قال رجلٌ عنده: «الله أكبر». فقال: الله أكبر من أيّ شيءٍ؟ فقال: من كلِّ شيءٍ. فقال أبو عبد الله عليه السلام: حدّته. فقال الرجلُ: كيف أقولُ؟

1- الكافي: ج 1 ص 115 ح 3، معاني الأخبار: ص 4 ح 1، التوحيد: ص 230 ح 4 كلّها عن الحسن بن راشد وراجع: المحاسن: ج 1 ص 372 ح 812 وبحار الأنوار: ج 3 ص 336 ح 44.

2- عيون أخبار الرضا: ج 2 ص 93 ح 1، علل الشرائع: ص 482 ح 1 كلاهما عن محمّد بن سنان، بحار الأنوار: ج 65 ص 323 ح 27.

3- الاختصاص: ص 34 عن الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام.

1 / 1 _ 4 معني « باسم الله »

قال: قل: الله أكبر من أن يُوصَفَ . (1)

الكافي عن جميع بن عمير: قال أبو عبد الله عليه السلام: أي شيء «الله أكبر»؟ فقلت: الله أكبر من كل شيء. فقال: وكان ثم شيء فيكون أكبر منه؟! فقلت: وما هو؟ قال: الله أكبر من أن يُوصَفَ . (2)

راجع: ج 5 ص 101 (الفصل التاسع والخمسون: الكبير، المتكبر).

1 / 1 _ 4 معني « باسم الله » الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء: . . . باسم الله كلمة المعتصمين ومقالة المتحرزين . (3)

التوحيد عن الحسن بن علي بن فضال: سألت الرضا علي بن موسى عليهما السلام عن «باسم الله». قال: معني قول القائل: باسم الله، أي أسم علي نفسي سمة من سمات الله عز وجل؛ وهي العبادة.

-
- 1- الكافي: ج 1 ص 117 ح 8، التوحيد: ص 313 ح 1، معاني الأخبار: ص 11 ح 2، بحار الأنوار: ج 84 ص 366 ح 20.
 - 2- الكافي: ج 1 ص 118 ح 9، التوحيد: ص 313 ح 2 عن جميع بن عمرو، معاني الأخبار: ص 11 ح 1، المحاسن: ج 1 ص 376 ح 827، بحار الأنوار: ج 93 ص 218 ح 1.
 - 3- البلد الأمين: ص 100، المصباح للكفعمي: ص 144، بحار الأنوار: ج 90 ص 153 ح 11.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: مَا السَّمَةُ؟ فَقَالَ: الْعَلَامَةُ. (1)

الكافي عن عبد الله بن سنان: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ تَفْسِيرِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» قَالَ: الْبَاءُ بِهَاءِ اللَّهِ، وَالسَّيْنُ سِنَاءُ اللَّهِ، وَالْمِيمُ مَجْدُ اللَّهِ. وَرَوَى بَعْضُهُمْ: الْمِيمُ مُلْكُ اللَّهِ، وَاللَّهُ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، الرَّحْمَنُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَالرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً. (2)

الإمام العسكري عليه السلام في قول الله عز وجل: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَائِجِ وَالشَّدَائِدِ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَتَقَطُّعِ الْأَسْبَابِ مِنْ جَمِيعِ مَا سِوَاهُ، يَقُولُ: «بِاسْمِ اللَّهِ» أَيِ اسْتَعِينُ عَلَيَّ أُمُورِي كُلَّهَا بِاللَّهِ الَّذِي لَا تَحِقُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، الْمُغِيثُ إِذَا اسْتُعِثَ، وَالْمُجِيبُ إِذَا دُعِيَ. (3)

راجع: ص 438 ح 4025.

1- التوحيد: ص 229 ح 1، معاني الأخبار: ص 3 ح 1، عيون أخبار الرضا: ج 1 ص 260 ح 19 وفيه «العبودية» بدل «العبادة»، بحار الأنوار: ج 92 ص 230 ح 9.

2- الكافي ج 1 ص 114 ح 1، التوحيد: ص 230 ح 2، معاني الأخبار: ص 3 ح 1، بحار الأنوار: ج 92 ص 231 ح 1.

3- التوحيد: ص 230 ح 5، معاني الأخبار: ص 4 ح 2 كلاهما عن محمد بن زياد ومحمد بن سيّار، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص 21 ح 5، بحار الأنوار: ج 3 ص 41 ح 16.

أَجَابَ ، نَحْنُ الْأَسْمَاءُ الْمَكْتُوبَةُ عَلَيَّ الْعَرْشِ . (1)

الإمام الباقر عليه السلام_ في قوله تعالى : «تَبَّرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (2) _ : نَحْنُ جَلَالُ اللَّهِ وَكِرَامَتُهُ الَّتِي أَكْرَمَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِطَاعَتِنَا . (3)

الإمام الصادق عليه السلام : مَنَّا . . . الْإِسْمُ الْمَخْزُونُ وَالْعِلْمُ الْمَكْنُونُ . (4)

عنه عليه السلام_ في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام _ : السَّلَامُ عَلَيَّ اسْمِ اللَّهِ الرَّضِيِّ ، وَوَجْهِهِ الْمُضِيِّ . (5)

الإمام الرضا عليه السلام : إِذَا نَزَلَتْ بِكُمْ شِدَّةٌ فَاسْتَعِينُوا بِنَا عَلَيَّ اللَّهُ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ : «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» (6) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَحْنُ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا ، قَالَ : «فَادْعُوهُ بِهَا» . (7)

الإمام الهادي عليه السلام : نَحْنُ الْكَلِمَاتُ الَّتِي لَا تُدْرِكُ فَضَائِلُنَا وَلَا تُسْتَقْصَى . (8)

راجع : بحار الأنوار : ج 24 ص 173 باب «إِنَّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَلِمَاتُ اللَّهِ وَوَلَايَتُهُمُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ» .

1- .المحتضر: ص 75 ، مدينة المعاجز : ج 1 ص 556 ح 351 كلاهما نقلاً عن منهج التحقيق إلي سواء الطريق عن سلمان ، بحار الأنوار: ج 27 ص 38 ح 5 .

2- .الرحمن : 78 .

3- .تفسير القمي : ج 2 ص 346 ، بصائر الدرجات : ص 312 ح 12 كلاهما عن سعد بن ظريف ، بحار الأنوار : ج 24 ص 196 ح 20 .

4- .بحار الأنوار : ج 3 ص 137 عن المفضل بن عمر .

5- .الإقبال : ج 3 ص 133 ، المزار للشهيد الأول : ص 94 كلاهما عن محمد بن مسلم ، فرحة الغري : ص 47 عن أبي حمزة الشمالي عن الإمام زين العابدين عليه السلام بزيادة «نور» قبل «وجهه» ، بحار الأنوار : ج 100 ص 306 .

6- .الأعراف : 180 .

7- .تفسير العياشي : ج 2 ص 42 ح 119 ، الكافي : ج 1 ص 143 ح 4 عن معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه وليس فيه صدره ، الاختصاص : ص 252 وليس فيه ذيله من «قال أبو عبد الله عليه السلام» ، بحار الأنوار : ج 94 ص 5 ح 7 .

8- .الاحتجاج : ج 2 ص 499 ح 331 ، الاختصاص : ص 94 ، المناقب لابن شهر آشوب : ج 4 ص 400 ، تحف العقول : ص 479 نحوه ، بحار الأنوار : ج 24 ص 174 ح 1 .

2 / 3 المستأثر من الأسماء

2 / 3 المستأثر من الأسماء رسول الله صلي الله عليه وآله في دُعائه المُسمِّي بالأسماء الحُسني: يا الله وأسألك بِاسْمِكَ الَّذِي لَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمُ الْعُلَمَاءِ ، يَا اللَّهَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي لَا يَحْوِيهِ حُكْمُ الْحُكَمَاءِ . (1)

عنه صلي الله عليه وآله: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَرْبَعَةَ آلَافِ اسْمٍ: أَلْفٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَأَلْفٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ، وَأَلْفٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ، وَأَمَّا الْأَلْفُ الرَّابِعُ فَالْمُؤْمِنُونَ يَعْلَمُونَهُ: ثَلَاثُمِئَةٌ مِنْهَا فِي التَّوْرَةِ، وَثَلَاثُمِئَةٌ فِي الْإِنْجِيلِ، وَثَلَاثُمِئَةٌ فِي الزَّبُورِ، وَمِئَةٌ فِي الْقُرْآنِ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ظَاهِرَةً، وَوَاحِدٌ مَكْتُومٌ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ . (2)

عنه صلي الله عليه وآله: مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحُزْنٌ: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِبِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدَلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيْعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي» إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا . (3)

الإمام الصادق عليه السلام: لِمَنْ قَالَ لَهُ: يَدْخُلُنِي الْعَمُّ: أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَإِذَا خِفْتَ وَسُوسَةَ أَوْ حَدِيثَ نَفْسٍ فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ

1- .البلد الأمين: ص 415، بحار الأنوار: ج 93 ص 259 ح 1 .

2- .عوالي اللآلي: ج 4 ص 106 ح 157، بحار الأنوار: ج 4 ص 211 ح 6 .

3- .مسند ابن حنبل: ج 2 ص 168 ح 4318، صحيح ابن حبان: ج 3 ص 253 ح 972، المستدرک علي الصحيحين: ج 1 ص 690 ح 1877، المعجم الكبير: ج 10 ص 169 ح 10352 كلها عن عبد الله بن مسعود، كنز العمال: ج 2 ص 122 ح 3434؛ الدعوات: ص 55 ح 140، مكارم الأخلاق: ج 2 ص 155 ح 2382، مصباح المتهدج: ص 509 ح 588 عن الإمام الكاظم عليه السلام والثلاثة الأخيرة نحوه، بحار الأنوار: ج 90 ص 201 ح 32 .

عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، ناصِرِي يَدِيكَ ، عَدْلٌ فِي حُكْمِكَ ، ماضٍ فِي فِضَاؤِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلِيٍّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ نُورًا بَصَرِي ، وَرَبِيعَ قَلْبِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» . (1)

الإمام الكاظم عليه السلام في الدعاء: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَشِفَاءَ صَدْرِي ، وَنُورَ بَصَرِي ، وَذَهَابَ هَمِّي وَحُزْنِي ؛ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ . (2)

راجع: ج 5 ص 41 ح 5004 .

-
- 1- الكافي: ج 2 ص 561 ح 16 عن سعيد بن يسار، بحار الأنوار: ج 86 ص 311 ح 63 نقلاً عن مهج الدعوات .
 - 2- مصباح المتهجد: ص 509 ح 588؛ كنز العمال: ج 2 ص 122 ح 3435 نقلاً عن ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أبي موسى .

الفصل الثالث: عدد أسماء الله

3 / 1 عدد الأسماء اللفظية

إشارة

الفصل الثالث: عدد أسماء الله 3 / 1 عدد الأسماء اللفظية رسول الله صلى الله عليه وآله: إن في القرآن تسعة وتسعين اسما، من أحصاها كُلَّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. (1)

عنه صلى الله عليه وآله: إن لله تسعة وتسعين اسما، مئة إلا واحدا، من أحصاها دَخَلَ الْجَنَّةَ. (2)

عنه صلى الله عليه وآله: إن لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - تسعة وتسعين اسما؛ مئة إلا واحدا، من أحصاها دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهِيَ: اللَّهُ، الْإِلَهُ، الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ (3)، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْقَدِيرُ،

-
- 1- تاريخ بغداد: ج 3 ص 422 الرقم 1553 عن أبي هريرة وراجع بحار الأنوار: ج 4 ص 211 ح 6.
 - 2- صحيح البخاري: ج 2 ص 981 ح 2585، صحيح مسلم: ج 4 ص 2063 ح 6، سنن الترمذي: ج 5 ص 530 ح 3506، سنن ابن ماجة: ج 2 ص 1269 ح 3860، مسند ابن حنبل: ج 3 ص 91 ح 7627 كُلُّهَا عن أبي هريرة، كنز العمال: ج 1 ص 448 ح 1933؛ التوحيد: ص 194 ح 8 عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج 4 ص 209 ح 3.
 - 3- الصَّمَدُ: الَّذِي لَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ السُّودُّ، وَقِيلَ: هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِي، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يُصَمَّدُ فِي الْحَوَائِجِ؛ أَي يُقَصَّدُ (مجمع البحرين: ج 2 ص 1049).

الْقَاهِرُ، الْعَلِيُّ، الْأَعْلَى، الْبَاقِي، الْبَدِيعُ، الْبَارِيُّ، الْأَكْرَمُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْحَيُّ، الْحَكِيمُ، الْعَلِيمُ، الْحَلِيمُ، الْحَفِيزُ، الْحَقُّ، الْحَسِبُ (1)، الْحَمِيدُ، الْحَفِيُّ، الرَّبُّ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الدَّارِيُّ (2)، الرَّزَاقُ، الرَّقِيبُ، الرَّؤُوفُ، الرَّائِي، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيَّمُنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، السَّيِّدُ، السُّبُوْحُ (3)، الشَّهِيدُ، الصَّادِقُ، الصَّانِعُ، الظَّاهِرُ، الْعَدْلُ، الْعَفْوُ، الْغَفُورُ، الْغَنِيُّ، الْغِيَاثُ، الْفَاطِرُ، الْفَرْدُ، الْفَتَّاحُ، الْفَالِقُ، الْقَدِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، الْقَوِيُّ، الْقَرِيبُ، الْقَيُّومُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، قَاضِي الْحَاجَاتِ، الْمَجِيدُ، الْمَوْلَى، الْمَنَّانُ، الْمُحِيطُ، الْمُبِينُ، الْمُقِيتُ، الْمُصَوِّرُ، الْكَرِيمُ، الْكَبِيرُ، الْكَافِي، كَاشِفُ الضَّرِّ، الْوَتْرُ، التُّورُ، الْوَهَّابُ، النَّاصِرُ، الْوَاسِعُ، الْوَدُودُ، الْهَادِي، الْوَفِيُّ، الْوَكِيلُ، الْوَارِثُ، الْبَرُّ، الْبَاعِثُ، التَّوَّابُ، الْجَلِيلُ، الْجَوَادُ، الْخَبِيرُ، الْخَالِقُ، خَيْرُ النَّاصِرِينَ، الدِّيَانُ (4)، الشَّكُورُ، الْعَظِيمُ، اللَّطِيفُ، الشَّافِي (5).

الإمام الصادق عليه السلام - لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْأَسْمَاءِ التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ الَّتِي مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ 6 - هِيَ فِي الْقُرْآنِ :

- 1- الْحَسِبُ : الْكَافِي (النهاية : ج 1 ص 381) .
- 2- الدَّارِيُّ : هُوَ الَّذِي ذَرَأَ الْخَلْقَ ؛ أَي خَلَقَهُمْ (لسان العرب : ج 1 ص 79 «ذراً») .
- 3- سُبُوْحُ قُدُّوسُ : يَرْوِيَانِ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ أَقْيَسَ وَالضَّمُّ أَكْثَرَ اسْتِعْمَالاً ، وَهُوَ مِنْ أُنْبِيَةِ الْمَبَالِغَةِ وَالْمَرَادُ بِهِمَا التَّنْزِيهِ (النهاية : ج 2 ص 332 «سبح») .
- 4- الدِّيَانُ : الْقَهَّارُ ، وَقِيلَ : الْحَاكِمُ وَالْقَاضِي (النهاية : ج 2 ص 148 «دين») .
- 5- التَّوْحِيدُ : ص 194 ح 8 ، الْخِصَالُ : ص 593 ح 4 ، عُدَّة الدَّاعِي : ص 299 كَلَّمَهَا عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ مَهْرَانَ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، بِحَارِ الْأَنْوَارِ : ج 4 ص 186 ح 1 .

فَإِلْفَاتِحَةَ خَمْسَةَ أَسْمَاءٍ: يَا أَللَّهُ، يَا رَبُّ، يَا رَحْمَانَ، يَا رَحِيمًا، يَا مَالِكًا. وَفِي الْبَقَرَةِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ اسْمًا: يَا مُحِيطًا، يَا قَدِيرًا، يَا عَلِيمًا، يَا حَكِيمًا، يَا عَلِيًّا، يَا عَظِيمًا، يَا تَوَّابًا، يَا بَصِيرًا، يَا وَلِيًّا، يَا وَاسِعًا، يَا كَافِيًا، يَا رَوْوْفًا، يَا بَدِيعًا، يَا شَاكِرًا، يَا وَاحِدًا، يَا سَمِيعًا، يَا قَابِضًا، يَا بَاسِطًا، يَا حَيًّا، يَا قَيُّومًا، يَا غَنِيًّا، يَا حَمِيدًا، يَا غَفُورًا، يَا حَلِيمًا، يَا إِلَهًا، يَا قَرِيبًا، يَا مُجِيبًا، يَا عَزِيزًا، يَا نَصِيرًا، يَا قَوِيًّا، يَا شَدِيدًا، يَا سَرِيعًا، يَا خَبِيرًا. وَفِي آلِ عِمْرَانَ: يَا وَهَّابًا، يَا قَانِمًا، يَا صَادِقًا، يَا بَاعِثًا، يَا مُنْعِمًا، يَا مُتَّقَضِّلًا. وَفِي النَّسَاءِ: يَا رَقِيبًا، يَا حَسِيبًا، يَا شَهِيدًا، يَا مُقِيمًا، يَا وَكِيلًا، يَا عَلِيًّا، يَا كَبِيرًا. وَفِي الْأَنْعَامِ: يَا فَاطِرًا، يَا قَاهِرًا، يَا لَطِيفًا، يَا بُرْهَانَ. وَفِي الْأَعْرَافِ: يَا مُحِييًا، يَا مُمِيتًا. وَفِي الْأَنْفَالِ: يَا نِعَمَ الْمَوْلَى، يَا نِعَمَ النَّصِيرِ. وَفِي هُودٍ: يَا حَفِيزًا، يَا مَجِيدًا، يَا وَدُودًا، يَا فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ. وَفِي الرَّعْدِ: يَا كَبِيرًا، يَا مُتَعَالًا. وَفِي إِبْرَاهِيمَ: يَا مَنَّانًا، يَا وَارِثًا. وَفِي الْحَجَرِ: يَا خَلَّاقًا. وَفِي مَرْيَمَ: يَا فَرْدًا.

وفي طه: يا غَفَّارُ . وفي «قَدْ أَفْلَحَ»: يا كَرِيمُ . وفي الثُّور: يا حَقُّ ، يا مُبِينُ . وفي الفرقان: يا هادي . وفي سبأ: يا فَتَّاحُ . وفي الزُّمَر: يا عَالِمُ .
 وفي غافر: يا غَافِرُ ، يا قَابِلَ التَّوْبَةِ ، يا ذَا الطَّلُوعِ ، يا رَفِيعُ . وفي الدَّارِيَات: يا رَزَّاقُ ، يا ذَا القُوَّةِ ، يا مَتِينُ . وفي الطور: يا بَرُّ . وفي «اقتربت»:
 يا مَلِكُ ، يا مُقْتَدِرُ . وفي الرَّحْمَن: يا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ ، يا رَبَّ المَشْرِقِينَ ، يا رَبُّ المَغْرِبِينَ ، يا باقي ، يا مُهَيِّمُ . وفي الحديد: يا أَوَّلُ ، يا
 آخِرُ ، يا ظاهِرُ ، يا باطِنُ . وفي الحَشْرِ: يا مَلِكُ ، يا قُدُّوسُ ، يا سَلامُ ، يا مُؤْمِنُ ، يا مُهَيِّمُ ، يا عَزِيزُ ، يا جَبَّارُ ، يا مُتَكَبِّرُ ، يا خالِقُ ، يا بارِئُ ،
 يا مُصَوِّرُ . وفي البُرُوج: يا مُبْدِئُ ، يا مُعِيدُ . وفي الفَجْرِ: يا وَترُ . وفي الإِخْلاصِ: يا أَحَدُ ، يا صَمَدُ . (1)

1- الدر المنثور: ج 3 ص 615 نقلاً عن أبي نعيم عن محمد بن جعفر؛ بحار الأنوار: ج 93 ص 273 ح 4 .

كلام في عدد الأسماء الحسني اللفظية

كلام في عدد الأسماء الحسني اللفظية قال العلامة الطباطبائي قدس سره: «لا دليل في الآيات الكريمة علي تعيين عدد للأسماء الحسني تتعين به، بل ظاهر قوله: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» (1)، وقوله: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» (2)، وقوله: «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» (3)، وأمثالها من الآيات أن كل اسم في الوجود هو أحسن الأسماء في معناها فهو له تعالي فلا تتحدد أسماءه الحسني بمحدد. والذي ورد منها في لفظ الكتاب الإلهي مئة وبضعة وعشرون اسما، هي: أ_ الإله، الأحد، الأول، الآخر، الأعلى، الأكرم، الأعلم. أرحم الراحمين، أحكم الحاكمين، أحسن الخالقين، أهل التقوي، أهل المغفرة، الأقرب، الأبقى. ب_ الباري، الباطن، البديع، البرّ، البصير. ت_ التوّاب. ج_ الجبّار، الجامع.

1- طه : 8 .

2- الأعراف : 180 .

3- الحشر : 24 .

ح _ الحكيم ، الحلِيم ، الحي ، الحق ، الحميد ، الحسيب ، الحفيظ ، الحفي . خ _ الخبير ، الخالق ، الخلاق ، الخير ، خير الماكرين ، خير الرازقين ، خير الفاصلين ، خير الحاكمين ، خير الفاتحين ، خير الغافرين ، خير الوارثين ، خير الرّاحمين ، خير المنزلين . ذ _ ذوالعرش ، ذوالطول ، ذوالانتقام ، ذوالفضل العظيم ، ذوالرحمة ، ذوالقوة ، ذوالجلال والإكرام ، ذوالمعارج . ر _ الرّحمن ، الرّحيم ، الرّؤوف ، الرّب ، رفيع الدّرجات ، الرّزاق ، الرّقيب . س _ السّميع ، السّلام ، سريع الحساب ، سريع العقاب . ش _ الشّهيد ، الشّاكر ، الشّكور ، شديد العقاب ، شديد المحال . ص _ الصّمد . ظ _ الظّاهر . ع _ العليم ، العزيز ، العفو ، العلي ، العظيم ، علّام الغيوب ، عالم الغيب والشّهادة . غ _ الغنيّ ، الغفور ، الغالب ، غافر الذنب ، الغفار . ف _ فلق الإصباح ، فلق الحبّ والنوي ، الفاطر ، الفّتاح . ق _ القوي ، القدّوس ، القيّوم ، القاهر ، القهار ، القريب ، القادر ، القدير ، قابل التوب ، القائم علي كل نفس بما كسبت . ك _ الكبير ، الكريم ، الكافي . ل _ اللطيف . م _ الملك ، المؤمن ، المهيمن ، المتكبرّ ، المصوّر ، المجيد ، المجيب ، المبين ،

المولي، المحيط، المقيت، المتعال، المحيي، المتين، المقندر، المستعان، المبدي، مالك الملك. ن _ النَّصِير، التُّور. و _ الوهَّاب، الواحد، الولي، الوالي، الواسع، الوكيل، الودود. ه _ الهادي. وقد تقدّم أنّ ظاهر قوله: «ولله الأسماء الحسني» «وله الأسماء الحسنی» أنّ معاني هذه الأسماء له تعالي حقيقة وعلي نحو الأصالة، ولغيره تعالي بالتبع فهو المالك لها حقيقة، وليس لغيره إلا ما ملكه الله من ذلك، وهو مع ذلك مالك لما ملكه غيره لم يخرج عن ملكه بالتمليك، فله سبحانه حقيقة العلم مثلاً، وليس لغيره منه إلا ما وهبه له، وهو مع ذلك له لم يخرج من ملكه وسلطانه . . . وأما ما ورد مستفيضاً ممّا رواه الفريقان عن النبي صلي الله عليه وآله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسماً مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» أو ما يقرب من هذا اللفظ فلا دلالة فيها علي التوقيف. هذا بالنظر إلي البحث التفسيري، وأما البحث الفقهي فمرجه فن الفقه والاحتياط في الدين يقتضي الاقتصار في التسمية بما ورد من طريق السمع، وأما مجرد الإجراء والإطلاق من دون تسمية فالأمر فيه سهل». (1)

تعليق

3 / 2 عدد الأسماء التكوينية الكتاب «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» . (1)

«قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» . (2)

«وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» . (3)

الحديث للإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ . . .» : «قَدْ أَخْبَرَكَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ لَهُ آخِرٌ وَلَا غَايَةٌ ، وَلَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا» . (4)

تعليقاً أسماء الله وكلماته التكوينية بمعناها العام تشمل جميع مخلوقات الله ، و علي هذا الأساس فإن كلمات الله لا عد لها ولا حصر ، والمخلوقات غير قادرة علي إحصائها ، ولكن هذا لا يعني طبعاً أن الله غير قادر علي إحصائها؛ فهو تعالي يعلم عدد جميع مخلوقاته؛ ولهذا نري القرآن الكريم يعلن: «وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» (5) ، «لَا يُغَادِرُ

1- لقمان : 27 .

2- الكهف : 109 .

3- إبراهيم : 34 ، النحل : 18 .

4- تفسير القمي : ج 2 ص 46 عن أبي بصير ، تفسير نور الثقلين : ج 3 ص 313 ح 256 .

5- الجن : 28 .

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَىٰهَا» (1)، «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا». (2) وإضافة إلي الأسماء والكلمات التكوينية العامة، فإنَّ لله تعالى أسماء وكلمات تكوينية خاصة أيضا تذكر تحت عنوان «أسماء الله الحسني»، أو «أمثاله العليا»، أو «آياته الكبرى»، أو «اسم الله الرضي»، و مصداقها البارز الأنبياء والأولياء وأهل البيت عليهم السلام.

1- الكهف : 49 .

2- النبأ : 29 .

الفصل الرابع : الإسم الأعظم

4 / 1 ما روي في تفسير الاسم الأعظم

4 / 1 _ 1 البسمة

الفصل الرابع : الإسم الأعظم 4 / 1 ما روي في تفسير الإسم الأعظم 4 / 1 _ 1 البسمة رسول الله صلي الله عليه وآله : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» أَقْرَبُ إِلَيَّ الإِسْمِ الأَعْظَمِ (1) مِنْ سَوَادِ العَيْنِ إِلَيَّ بِيَاضِهَا . (2)

1- .استعملت كلمة «اسم» في معناها الجامع القابل للصدق علي جميع أسمائه تعالي ، فهو من باب ذكر المفهوم والإشارة به إلي المصداق. وبما أن الإسم الأعظم أشرف المصدايق فلا محالة أن يكون أولي وأحق بانطباق المفهوم عليه . وبهذا يتضح معني كون «باسم الله» أقرب إلي الإسم الأعظم من سواد العين إلي بياضها؛ فإنّ القرب بينهما قرب ذاتي ، إذ المفهوم متحد مع مصداقه خارجا ، وقرب سواد العين إلي بياضها قرب مكاني ، والاتحاد بينهما وضعي (البيان في تفسير القرآن : ص 514) .

2- .عدّة الداعي : ص 49 ، تهذيب الأحكام : ج 2 ص 289 ح 1159 عن عبد الله بن يحيي الكاهلي عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه «ناظر» بدل «سواد» ، عيون أخبار الرضا : ج 2 ص 5 ح 11 عن محمد بن سنان عن الإمام الرضا عليه السلام ، تفسير العياشي : ج 1 ص 21 ح 13 عن إسماعيل بن مهران عن الإمام الرضا عليه السلام ، دلائل الإمامة : ص 420 ح 383 عن أحمد بن إسحاق عن الإمام الهادي عن الإمام الرضا عليهما السلام وفيها «اسم الله الأعظم» بدل «الإسم الأعظم» ، بحار الأنوار : ج 78 ص 371 ح 6 ؛ المستدرک علي الصحيحين : ج 1 ص 738 ح 2027 ، تاريخ بغداد : ج 7 ص 313 الرقم 3826 كلاهما عن ابن عباس نحوه ، كنز العمال : ج 2 ص 296 ح 4047 .

4 / 1_ 2 آيات من القرآن

مُهَج الدعوات عن معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» إِسْمُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ . أَوْ قَالَ : الْأَعْظَمُ . (1)

4 / 1_ 2 آياتٌ مِنَ الْقُرْآنِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ : «وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَحِدٌ لَآ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـنُ الرَّحِيمُ» (2) ، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : «الْم * اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» (3) . (4)

عنه صلي الله عليه و آله : إِسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي سُورِ ثَلَاثٍ : الْبَقْرَةِ ، وَآلِ عِمْرَانَ ، وَطه . (5)

عنه صلي الله عليه و آله : إِسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ آلِ عِمْرَانَ : «قُلْ

1- مهج الدعوات : ص 379 .

2- البقرة : 163 .

3- آل عمران : 1 و 2 .

4- سنن أبي داوود : ج 2 ص 80 ح 1496 ، سنن الترمذي : ج 5 ص 517 ح 3478 ، سنن ابن ماجة : ج 2 ص 1267 ح 3855 وليس فيه ذيله ، سنن الدارمي : ج 2 ص 907 ح 3266 ، المعجم الكبير : ج 24 ص 174 ح 440 وح 441 والثلاثة الأخيرة نحوه وكلها عن أسماء بنت يزيد ، كنز العمال : ج 1 ص 451 ح 1941 .

5- سنن ابن ماجة : ج 2 ص 1267 ح 3856 ، المستدرک علي الصحيحين : ج 1 ص 684 ح 1861 وليس فيه «الذي إذا دعي به أجاب» ، المعجم الكبير : ج 8 ص 237 ح 7925 ، المعجم الأوسط : ج 8 ص 192 ح 8371 كلها عن أبي أمامة ، كنز العمال : ج 1 ص 451 ح 1942 ؛ مهج الدعوات : ص 380 عن أبي أمامة ، بحار الأنوار : ج 93 ص 224 .

اللَّهُمَّ مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ» (1) إِلَى آخِرِهِ. (2)

عنه صلي الله عليه وآله: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَيَّ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُبِّحَ بِهِ أُعْطِيَ الدَّعْوَةَ الَّتِي دَعَا بِهَا يُونُسُ ، حَيْثُ نَادَاهُ فِي الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ : «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» (3). (4)

عنه صلي الله عليه وآله: اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ فِي سِتِّ آيَاتٍ فِي آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ . (5)

كنز العمال عن البراء بن عازب: قُلْتُ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسَأَلُكَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَّا خَصَصْتَنِي بِأَعْظَمِ مَا خَصَّكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَاخْتَصَّهُ بِهِ جِبْرِيلُ ، وَأَرْسَلَهُ بِهِ الرَّحْمَنُ ، فَصَدَّحَكَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا بَرَاءُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، فَاقْرَأْ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَى آخِرِ سِتِّ آيَاتٍ مِنْهَا إِلَى « . . . عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » ، وَآخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ يَعْنِي أَرْبَعَ آيَاتٍ ، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَيْكَ فَقُلْ : « يَا مَنْ هُوَ هَكَذَا ، أَسَأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلِيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا مِمَّا تُرِيدُ » . فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَتَقْبَلَنَّ (6) بِحَاجَتِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (7)

- 1- آل عمران : 26 .
- 2- المعجم الكبير : ج 12 ص 133 ح 12792 عن ابن عباس ، كنز العمال : ج 1 ص 451 ح 1943 ؛ مهج الدعوات : ص 380 عن أسماء بنت زيد بزيادة الآية 27 من آل عمران ، بحار الأنوار : ج 93 ص 224 .
- 3- الأنبياء : 87 .
- 4- المستدرک علي الصحيحين : ج 1 ص 685 ح 1865 ، تفسير الطبري : ج 10 الجزء 17 ص 82 نحوه وكلاهما عن سعد بن مالك ، كنز العمال : ج 1 ص 452 ح 1944 .
- 5- مجمع البيان : ج 9 ص 401 عن ابن عباس ، بحار الأنوار : ج 93 ص 224 ؛ الفردوس : ج 1 ص 416 ح 1686 عن ابن عباس ، كنز العمال : ج 1 ص 452 ح 1945 .
- 6- في الدر المنثور : «لَتَقْبَلَنَّ» .
- 7- كنز العمال : ج 2 ص 248 ح 3941 نقلاً عن أبي داود ، دستور معالم الحكم : 91 نحوه ، الدر المنثور : ج 8 ص 49 نقلاً عن ابن النجار في تاريخ بغداد وراجع بحار الأنوار : ج 93 ص 230 ح 2 .

4 / 1 _ 3 نصوص من الأدعية

الإمام الصادق عليه السلام: إسمُ اللهِ الأعظمُ مُقَطَّعٌ فِي أُمَّ الْكِتَابِ . (1)

عنه عليه السلام: «الـم» هُوَ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الْمُقَطَّعِ فِي الْقُرْآنِ ، الَّذِي يُؤَلِّفُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْإِمَامُ ، فَإِذَا دَعَا بِهِ أُجِيبَ . (2)

4 / 1 _ 3 نصوص من الأدعية رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدَاكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، الْمَتَّانُ ، بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . : لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ . (3)

سنن ابن ماجة عن بريدة: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ . (4)

1- . ثواب الأعمال : ص 130 ح 1 ، تفسير العياشي : ج 1 ص 19 ح 1 ، مهج الدعوات : ص 379 كلّها عن علي بن أبي حمزة البطائي ، بحار الأنوار : ج 92 ص 234 ح 16 .

2- . معاني الأخبار: ص 23 ح 2 ، تفسير القمّي : ج 1 ص 30 كلاهما عن أبي بصير، بحار الأنوار: ج 2 ص 16 ح 38.

3- . سنن ابن ماجة: ج 2 ص 1268 ح 3858 ، سنن الترمذي : ج 5 ص 550 ح 3544 نحوه، مسند ابن حنبل: ج 4 ص 241 ح 12206 ، المصنّف لابن أبي شيبة : ج 7 ص 57 ح 2 كلّها عن أنس بن مالك وراجع كنز العمال : ج 1 ص 452 ح 1948 ومهج الدعوات : ص 380 وبحار الأنوار : ج 95 ح 163 .

4- . سنن ابن ماجة : ج 2 ص 1267 ح 3857 ، سنن أبي داود : ج 2 ص 79 ح 1493 وفيه «بالاسم» بدل «باسمه الأعظم» ، سنن الترمذي : ج 5 ص 515 ح 3475 نحوه ، مسند ابن حنبل : ج 9 ص 13 ح 23026 عن عبد الله بن بريدة ، صحيح ابن حبان : ج 3 ص 173 ح 891 ، المستدرک علي الصحيحين : ج 1 ص 683 ح 1858 ، كنز العمال : ج 1 ص 453 ح 1949 .

سنن أبي داود عن حفص عن أنس: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَتَّانُ، بِدَيْعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ. (1)

الأدب المفرد عن أنس: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَا رَجُلٌ فَقَالَ: يَا بَدِيْعَ السَّمَاوَاتِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ: أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ. (2)

الإمام الحسين عليه السلام عن الإمام علي عليه السلام: رَأَيْتُ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ بَدْرِ بِلَيْلَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: عَلَّمَنِي شَيْئًا أَنْصِرُ بِهِ عَلِيَّ الْأَعْدَاءِ. فَقَالَ: قُلْ: «يَا هُوَ، يَا مَنْ لَا هُوَ إِلَّا هُوَ»، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَصَصْتُهَا عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ عَلَّمْتَ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ. فَكَانَ عَلِيٌّ لِسَانِي يَوْمَ بَدْرِ. وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرَأَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ: يَا هُوَ، يَا مَنْ لَا هُوَ إِلَّا هُوَ، اغْفِرْ لِي وَأَنْصِرْ رَنِي عَلَيَّ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. وَكَانَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ ذَلِكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَهُوَ يُطَارِدُ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هَذِهِ الْكِنَايَاتُ؟

1- سنن أبي داود: ج 2 ص 79 ح 1495، سنن النسائي: ج 3 ص 52، صحيح ابن حبان: ج 3 ص 175 ح 893 نحوه، مسند ابن حنبل: ج 4 ص 316 ح 12611 وفيه «الحَنَّان» بدل «المتَّان»، المستدرک علی الصحیحین: ج 1 ص 683 ح 1856 وفيه «باسم الله الأعظم» بدل «باسمه العظيم»، كنز العمال: ج 2 ص 249 ح 3942.

2- الأدب المفرد: ص 211 ح 705.

4 / 1 _ 4 كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ

قَالَ: اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ، وَعِمَادُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ثُمَّ قُرَأَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»، وَآخِرَ الْحَشْرِ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الزَّوَالِ. (1)

الإمام زين العابدين عليه السلام: كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ سُبْحَانَهُ سَنَةً عَقِيبَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يُعَلِّمَنِي الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ، فَإِنِّي ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ صَلَّيْتُ الْفَجْرَ، إِذْ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ وَأَذْنَا قَاعِدُ، وَإِذَا أَدْنَا بَرَجَلٍ قَائِمٍ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ لِي: سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَكَ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ». قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَعَوْتُ بِهَا (2) لِشَيْءٍ إِلَّا رَأَيْتُ نُجْحَهُ. (3)

الإمام الرضا عليه السلام: مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَ أَقْرَبَ إِلَيَّ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ مِنْ سَوَادِ الْعَيْنِ إِلَيَّ بِيَاضِهَا، وَإِنَّهُ دَخَلَ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ. (4)

4 / 1 _ 4 كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا سُئِلَ عَنِ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، فَفَرَّغَ قَلْبَكَ

- 1- التوحيد: ص 89 ح 2 عن وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج 3 ص 222 .
- 2- في المصدر: «لها»، والتصويب من بحار الأنوار .
- 3- مكارم الأخلاق: ج 2 ص 159 ح 2392، مهج الدعوات: ص 382 نحوه، بحار الأنوار: ج 61 ص 170 ح 27 .
- 4- مهج الدعوات: ص 379 عن سليمان بن جعفر الحميري، بحار الأنوار: ج 86 ص 162 ح 41 .

4 / 2 من كان عنده الاسم الأعظم

إشارة

عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، وَادْعُهُ بِأَيِّ اسْمٍ شِئْتَ ، فَلَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلَّهِ اسْمٌ دُونَ اسْمٍ ، بَلْ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّازُ . (1)

4 / 2 مَنْ كَانَ عِنْدَهُ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ الْكِتَابُ «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ» . (2)

الحديث للإمام الباقر عليه السلام: إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ عَلَيَّ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعِينَ حَرْفًا ، وَإِنَّمَا كَانَ عِنْدَ آصَفَ مِنْهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ ، فَتَكَلَّمَ بِهِ ، فَخُسِفَ بِالْأَرْضِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَدْرِي بِلَقَيْسٍ ، حَتَّى تَنَاوَلَ السَّرِيرَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ عَادَتِ الْأَرْضُ كَمَا كَانَتْ أَسْرَعَ مِنْ طَرْقَةِ عَيْنٍ ، وَنَحْنُ عِنْدَنَا مِنَ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ حَرْفًا ، وَحَرْفٌ وَاحِدٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . (3)

الإمام الصادق عليه السلام: كَانَ سُلَيْمَانُ عِنْدَهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ ، الَّذِي إِذَا سَأَلَهُ أُعْطِيَ ، وَإِذَا

1- مصباح الشريعة: ص 129 .

2- النمل: 40 .

3- الكافي: ج 1 ص 230 ح 1 عن جابر وح 3 عن علي بن محمد النوفلي عن الإمام العسكري عليه السلام ، خصائص الأئمة عليهم السلام: ص 47 عن الإمام علي عليه السلام وكلاهما نحوه ، بصائر الدرجات: ص 208 ح 1 وص 209 ح 6 كلاهما عن جابر ، المناقب لابن شهر آشوب: ج 4 ص 406 عن علي بن محمد النوفلي عن الإمام الهادي عليه السلام وكلاهما نحوه ، بحار الأنوار: ج 14 ص 113 ح 5 .

دَعَا بِهِ أَجَابَ ، وَلَوْ كَانَ الْيَوْمَ لَاحْتِاجَ إِلَيْنَا . (1)

عنه عليه السلام : سَلِمَانُ عَلَّمَ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ . (2)

بصائر الدرجات عن عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام : كُنْتُ عِنْدَهُ فَذَكَرُوا سَلِيمَانَ وَمَا أُعْطِيَ مِنَ الْعِلْمِ وَمَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ ، فَقَالَ لِي : وَمَا أُعْطِيَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُودَ؟ إِنَّمَا كَانَ عِنْدَهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ مِنَ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ ، وَصَاحِبِكُمْ الَّذِي قَالَ اللَّهُ : «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» (3) ، وَكَانَ وَاللَّهِ عِنْدَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمُ الْكِتَابِ ، فَقُلْتُ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ ، جُعِلَتْ فِدَاكَ! (4)

الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُعْطِيَ حَرْفَيْنِ وَكَانَ يَعْمَلُ بِهِمَا ، وَأُعْطِيَ مُوسَى أَرْبَعَةَ أَحْرَفٍ ، وَأُعْطِيَ إِبْرَاهِيمَ ثَمَانِيَةَ أَحْرَفٍ ، وَأُعْطِيَ نُوحٌ خَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفًا ، وَأُعْطِيَ آدَمُ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ حَرْفًا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا ، أُعْطِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفًا ، وَحُجِبَ عَنْهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ . (5)

عنه عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ اسْمَهُ الْأَعْظَمَ عَلَيَّ ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ حَرْفًا ، فَأُعْطِيَ آدَمَ مِنْهَا خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ حَرْفًا ، وَأُعْطِيَ نُوحًا مِنْهَا خَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفًا ، وَأُعْطِيَ

1- بصائر الدرجات : ص 211 ح 2 ، المناقب لابن شهر آشوب : ج 4 ص 249 وفيه «سأل به» بدل «سأله» وكلاهما عن أبي بصير ، بحار الأنوار : ج 27 ص 27 ح 7 .

2- رجال الكشي : ج 1 ص 56 ح 29 ، الاختصاص : ص 11 كلاهما عن أبي بصير ، بحار الأنوار : ج 22 ص 346 ح 59 .

3- الرعد : 43 .

4- بصائر الدرجات : ص 212 ح 1 ، بحار الأنوار : ج 26 ص 170 ح 36 .

5- الكافي : ج 1 ص 230 ح 2 ، بصائر الدرجات : ص 208 ح 2 بزيادة «وأهل بيته» بعد «لمحمد» ، تفسير العياشي : ج 1 ص 352 ح

231 عن عبد الله بن بشير ، بصائر الدرجات : ص 209 ح 4 عن عبد الصمد بن بشير كلاهما نحوه ، بحار الأنوار : ج 27 ص 25 ح 2 .

إِبْرَاهِيمَ مِنْهَا ثَمَانِيَةَ أَحْرُفٍ ، وَأَعْطِيَ مُوسَى مِنْهَا أَرْبَعَةَ أَحْرُفٍ ، وَأَعْطِيَ عِيسَى مِنْهَا حَرْفَيْنِ ؛ فَكَانَ يُحْيِي بِهِمَا (1) الْمَوْتَى ، وَيُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَأَعْطِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفًا ، وَاحْتَجَبَ بِحَرْفٍ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَحَدٌ مَا فِي نَفْسِهِ ، وَيَعْلَمَ مَا فِي أَنْفُسِ الْعِبَادِ .
(2)

الإمام الرضا عليه السلام : أُعْطِيَ بِلَعْمِ بَنِي بَاعُورَا الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ ، فَكَانَ يَدْعُو بِهِ فَيَسْتَجَابُ لَهُ . (3)

راجع : أهل البيت في الكتاب والسنة : (القسم الرابع / الفصل الثاني / اسم الله الأعظم) .

-
- 1- في المصدر : «بها» ، والصواب ما أثبتناه كما في بصائر الدرجات و بحار الأنوار .
 - 2- مختصر بصائر الدرجات : ص 125 ، بصائر الدرجات : ص 208 ح 3 ، بحار الأنوار : ج 4 ص 211 ح 5 .
 - 3- تفسير القمي : ج 1 ص 248 عن الحسن بن خالد ، بحار الأنوار : ج 13 ص 377 ح 1 .

تحقيق في معني الاسم الأعظم

تحقيق في معني الاسم الأعظم المتكرر موضوع الاسم الأعظم لله عز وجل في الأحاديث ، وبخاصة في الأدعية كثيرا ، وذكر أن كل إنسان يدعو الله به يستجاب دعاؤه ، وأن أهل البيت عليهم السلام يعرفون جميع حروفه إلا حرفا واحدا منه ، فما ذلك الاسم؟ إن روايات الباب مختلفة كما لوحظ ولا يمكن الإجابة عن هذا السؤال بشكل قاطع من وجهة نظر الروايات ، لكن يتسني لنا أن نقول: هب أن هذه الروايات صحيحة فإن الاسم الأعظم الذي كان عند الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام بالخصائص المذكورة له يجب أن يكون شيئا غير الألفاظ الواردة في الروايات المذكورة لا محالة . لقد أدي فقدان الدليل القاطع علي المراد من الاسم الأعظم إلي تضارب الآراء فيه ، حتى نقل السيوطي عشرين قولاً منها: ذهب جماعة منهم : أبو جعفر الطبري ، وأبو الحسن الأشعري ، وأبو حاتم بن حيان ، والباقلاني إلي أن الأسماء الإلهية كلها عظيمة ، ولا وجود لاسم أعظم من الأسماء الأخرى .

أفضل تحقيق في تبيان الاسم الأعظم

وذهب بعضهم: إلي وجود الاسم الأعظم، لكن لا يعلمه إلا الله تعالى وحده. ورأي بعض آخر: أن الاسم الأعظم خافٍ بين الأسماء الحسني. وقال آخرون: الاسم الأعظم، هو كل اسم يدعو به العبد ربّه بكلّ وجوده (1). ومنهم: من ذكر أن الاسم الأعظم اسم جامع للأسماء كلّها (2). ومنهم: من يعتقد أن الأنبياء مظاهر أمّهات أسماء الحقّ، وهي داخله في الاسم الأعظم الجامع، ومظهر الحقيقة المحمّديّة (3). أجل، إنّ الخلاف في تبيان ما غمضت حقيقته علي الباحثين طبيعيّ، بيد أنّي وجدتُ بين الآراء المختلفة التي لاحظتها أنّ كلام العلامة الطباطبائي في تبيّنه هو أفضلها.

أفضل تحقيق في تبيان الاسم الأعظمقال العلامة الطباطبائي قدس سره _ في بيان معني الاسم الأعظم _ : «شاع بين النَّاس أنَّه اسم لفظي من أسماء الله سبحانه إذا دعي به استجيب، ولا يشدّ من أثره شيء غير أنّهم لما لم يجدوا هذه الخاصّة في شيء من الأسماء الحسني المعروفة ولا في لفظ الجلالة، اعتقدوا أنّهُ مؤلّف من حروف مجهولة تأليفاً مجهولاً لنا لو عثرنا عليه أخضعنا لإرادتنا كلّ شيء. وفي مزعمة أصحاب العزائم والدعوات أنّ له لفظاً يدلُّ عليه بطبعه لا بالوضع

1- لمزيد من الاطلاع علي الأقوال الأخرى راجع: الحاوي للسيوطي: ج 2 ص 135 ح 139.

2- كتاب التعريفات: ص 10 و 11.

3- شرح فصوص الحكم للقيصري: ص 108.

اللغوي غير أنّ حروفه وتأليفها تختلف باختلاف الحوائج والمطالب ، ولهم في الحصول عليه طرق خاصة يستخرجون بها حروفاً أولاً ، ثم يؤلفونها ويدعون بها علي ما نعرفه من راجع فنههم (1) . وفي بعض الروايات الواردة إشعار ما بذلك ، كما ورد أنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلي اسم الله الأعظم من بياض العين إلي سوادها ، وما ورد أنّه في آية الكرسي ، وأول سورة آل عمران ، وما ورد أنّ حروفه متفرقة في سورة الحمد يعرفها الإمام وإذا شاء ألفها ودعا بها فاستجيب له ، وما ورد أنّ آصف بن برخيا وزير سليمان دعا بما عنده من حروف اسم الله الأعظم فأحضر عرش ملكة سبأ عند سليمان في أقل من طرفة عين ، وما ورد أنّ الاسم الأعظم علي ثلاثة وسبعين حرفاً قسم الله بين أنبيائه اثنين وسبعين منها ، واستأثر واحداً منها عنده في علم الغيب ، إلي غير ذلك من الروايات المشعرة بأنّ له تأليفاً لفظياً . والبحث الحقيقي عن العلة والمعلول وخواصّها يدفع ذلك كلّهُ فإنّ التأثير الحقيقي يدور مدار وجود الأشياء في قوته وضعفه والمسانخة بين المؤثر والمتأثر، والاسم اللفظي إذا اعتبرنا من جهة خصوص لفظه كان مجموعة أصوات مسموعة هي من الكيفيات العرضية ، وإذا اعتبر من جهة معناه المتصوّر كان صورة ذهنية لا أثر لها من حيث نفسها في شيء البتة ، ومن المستحيل أن يكون صوت أوجدناه من طريق الحنجرة أو صورة خيالية نصوّرها في ذهننا بحيث يقهر بوجوده وجود كلّ شيء ، ويتصرّف فيما نريده علي ما نريده فيقلب السماء أرضاً والأرض سماءً ويحوّل الدنيا إلي الآخرة وبالعكس وهكذا ، وهو في نفسه معلول لإرادتنا . والأسماء الإلهية واسمه الأعظم خاصّة وإن كانت مؤثرة في الكون ووسائط

1- . كما في المصدر ، والظاهر أنّ فيها تصحيف .

وأسباباً لنزول الفيض من الذات المتعالية في هذا العالم المشهود ، لكنها إنما تؤثر بحقائقها لا بالألفاظ الدالّة في لغة كذا عليها ، ولا بمعانيها المفهومة من ألفاظها المتصورة في الأذهان ، ومعني ذلك أنّ الله سبحانه هو الفاعل الموجد لكلّ شيء بما له من الصفة الكريمة المناسبة له التي يحويها الاسم المناسب ، لا تأثير اللفظ أو صورة مفهومة في الذهن أو حقيقة أُخري غير الذات المتعالية ، إلا أنّ الله سبحانه وعدّ إجابة دعوة ، من دعاه كما في قوله : «أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (1) ، وهذا يتوقّف علي دعاء وطلب حقيقي ، وأن يكون الدعاء والطلب منه تعالي لا من غيره _ كما تقدم في تفسير الآية _ فمن انقطع عن كلّ سبب واتصل برّبّه لحاجة من حوائجه فقد اتصل بحقيقة الاسم المناسب لحاجته فيؤثر الاسم بحقيقته ويستجاب له ، وذلك حقيقة الدعاء بالاسم فعلي حسب حال الاسم الذي انقطع إليه الداعي يكون حال التأثير خصوصاً وعموماً ، ولو كان هذا الاسم هو الاسم الأعظم انقاد لحقيقته كلّ شيء واستجيب للداعي به دعاؤه علي الإطلاق. وعلي هذا يجب أن يحمل ما ورد من الروايات والأدعية في هذا الباب دون الاسم اللفظي أو مفهومه. ومعني تعليمه تعالي نبيا من أنبيائه أو عبداً من عباده أسماً من أسمائه أو شيئاً من الاسم الأعظم هو أن يفتح له طريق الانقطاع إليه تعالي باسمه ذلك في دعائه ومسألته فإن كان هناك اسم لفظي وله معني مفهوم فإنّما ذلك ؛ لأجل أن الألفاظ ومعانيها وسائل وأسباب تحفظ بها الحقائق نوعاً من الحفظ فافهم ذلك» (2) .

1- البقرة : 186 .

2- الميزان في تفسير القرآن : ج 8 ص 354 ، 356 .

الفصل الخامس : دور أسماء الله في تدبير العالم

الفصل الخامس : دور أسماء الله في تدبير العالم رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه المُسمِّي بالأسماء الحُسني : أَسْأَلُكَ وَأَدْعُوكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَقَطَّعَ بِهِ الْعُرُوقَ مِنَ الْعِظَامِ ، ثُمَّ تُنَبِّئُ عَلَيْهَا اللَّحْمَ بِمَشِيئَتِكَ ، فَلَا يَنْقُصُ مِنْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ بِعَظِيمِ ذَلِكَ الْإِسْمِ بِقُدْرَتِكَ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَعَلَّمَ بِهِ مَا فِي السَّمَاءِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي الْأَرْحَامِ وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَنْفُخُ بِهِ الْأَرْوَاحَ فِي الْأَجْسَادِ فَيَدْخُلُ بِعَظِيمِ ذَلِكَ الْإِسْمِ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا ، وَلَا يَعْلَمُ بِتِلْكَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي صَوَّرْتَ فِي جَسَدِهَا الْمُسَمِّي فِي ظُلُمَاتِ الْأَحْشَاءِ إِلَّا أَنْتَ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّتِي (1) تَعَلَّمَ بِهِ مَا فِي الْقُبُورِ وَتُحَصِّلُ بِهِ مَا فِي الصُّدُورِ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَنْبَتَ بِهِ اللَّحْمَ عَلَى الْعِظَامِ فَتَنْبُتُ عَلَيْهَا بِذَلِكَ الْإِسْمِ يَا اللَّهُ .

1- . كذا في المصدر و بحار الأنوار ، والصحيح: «الذي» .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْقَادِرِ بِكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ الْحَيَاةَ مِنْ مَشِيئَتِكَ الْعَظْمَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى يَا اللَّهُ .
وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ الْمَوْتَ وَأَجْرَيْتَهُ فِي الْخَلْقِ عِنْدَ انْقِطَاعِ آجَالِهِمْ وَفَرَاغِ أَعْمَالِهِمْ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي طَيَّبْتَ بِهِ
نُفُوسَ عِبَادِكَ ، فَطَابَتْ لَهُمْ أَسْمَاؤُكَ الْحُسْنَى وَالْأَوَّلُ الْكُبْرَى يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمُصَوِّرِ الْمَاجِدِ الْوَاحِدِ الَّذِي خَشَعَتْ لَهُ الْجِبَالُ وَمَا
فِيهَا يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَقُولُ بِهِ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ بِقُدْرَتِكَ يَا اللَّهُ . . . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَجْرِي بِهِ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ
الْمُسَلْسَلِ الْمَحْبُوسِ بِقُدْرَتِكَ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي يُسَبِّحُ لَكَ بِهِ قَطْرُ الْمَطَرِ وَالسَّحَابُ الْحَامِلَاتُ قَطْرَاتِ رَحْمَتِكَ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ
بِاسْمِكَ الَّذِي أَجْرَيْتَ بِهِ وَابِلَ السَّحَابِ فِي الْهَوَاءِ بِقُدْرَتِكَ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تُنَزِّلُ بِهِ قَطْرَ الْمَطَرِ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً تُجَاوِزُ (1)
فَتَجْعَلُهُ فَرْجًا يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي مَلَأَتْ بِهِ قُدْسَكَ بِعَظِيمِ التَّعْدِيسِ يَا قُدُّوسُ يَا اللَّهُ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَعَانَ بِهِ حَمَلَةُ
عَرْشِكَ فَأَعْنَتَهُمْ وَطَوَّقَتَهُمْ احْتِمَالَهُ

1- .تجّاجا؛ أي متدافقا، وقيل : سيّالاً (مجمع البحرين : ج 1 ص 239) .

فَحَمَلُوهُ بِذَلِكَ الْإِسْمِ يَا اللَّهُ . وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ الْكُرْسِيَّ سَعَةَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا اللَّهُ . وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ الْعَرْشَ الْعَظِيمَ الْكَرِيمَ وَعَظَّمْتَ خَلْقَهُ فَكَانَ كَمَا شِئْتَ أَنْ يَكُونَ بِذَلِكَ الْإِسْمِ يَا عَظِيمُ يَا اللَّهُ . وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي طَوَّقْتَ بِهِ الْعَرْشَ بِهَيْبَةِ الْعِزَّةِ وَالسُّلْطَانِ يَا اللَّهُ . وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تُخْرِجُ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ مَنَافِعَ لِخَلْقِكَ وَغِيَاثًا يَا اللَّهُ ... وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ النُّجُومَ وَجَعَلْتَ مِنْهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَا اللَّهُ . وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَنْثُرُ بِهِ الْكَوَاكِبُ نِثْرًا لِدَعْوَتِكَ يَا اللَّهُ . وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي يَطِيرُ بِهِ الطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ صَافَاتٍ بِأَمْرِكَ يَا اللَّهُ . وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَحْضَرْتَ بِهِ الْأَرْضُونَ لِأَمْرِكَ يَا اللَّهُ . وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي يُسَبِّحُ لَكَ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ يَا اللَّهُ ... وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي شَقَقْتَ بِهِ الْأَرْضَ شَقًّا ، وَأَنْبَتَ فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا (1) ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا (2) ، وَفَاكِهَةً وَأَبًا (3) يَا اللَّهُ . وَأَسَأُ لُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تُخْرِجُ بِهِ الْحُبُوبَ مِنَ الْأَرْضِ ، فَتُرِيْنُ بِهَا الْأَرْضَ ، فَتَذَكَّرُ بِنِعْمَتِكَ يَا اللَّهُ .

1- القَضْبُ : كل نبتٍ اقتَضَبَ فأكلَ طريًّا (المصباح المنير : ص 507) .

2- غُلْبًا : أي ملتفة الشجر ، أو غلاظ أعناق النخل (مجمع البحرين : ج 2 ص 1328) .

3- الأبُّ : مارعته الأغنام . وهو للبهائم كالفاكهة للإنسان (مجمع البحرين : ج 1 ص 5) .

وَأَسَأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تُسَبِّحُ لَكَ بِهِ الضَّفَادِعُ فِي الْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالغَدْرَانِ بِالْوَانِ صِدْفَاتِهَا وَاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا يَا اللَّهُ ... وَأَسَأَلُكَ بِاسْمِكَ الظَّاهِرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالْقُدْرَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَالْبُرْهَانِ وَالسُّلْطَانِ يَا اللَّهُ . (1)

الإمام علي عليه السلام في دُعائه المعروف بدُعاء كَمِيلٍ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَأَلُكَ ... بِأَسْمَائِكَ الَّتِي غَلَبَتْ (2) أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ . (3)

الإمام زين العابدين عليه السلام في دُعائه عَقِيبَ الصَّلَاةِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي بِهِ تَجْمَعُ الْمُتَفَرِّقُ وَتُفَرِّقُ الْمُجْتَمِعَ ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي تُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي تَعْلَمُ بِهِ كَيْلَ الْبِحَارِ وَعَدَدَ الرَّمَالِ وَوِزْنَ الْجِبَالِ ، أَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا . (4)

الإمام الصادق عليه السلام في دُعاء الإلْحَاحِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَبِهِ تَقُومُ الْأَرْضُ ، وَبِهِ تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَبِهِ تَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَفَرِّقِ ، وَبِهِ تُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُجْتَمِعِ ، وَبِهِ أَحْصَيْتَ عَدَدَ الرَّمَالِ وَزِنَةَ الْجِبَالِ وَكَيْلَ الْبِحَارِ . (5)

الإمام الكاظم عليه السلام في دُعاء لَهُ بَعْدَ صَلَاةِ جَعْفَرٍ : أَسَأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَحْشُرُ بِهِ

1- البلد الأمين : ص 411 _ 415 ، بحار الأنوار : ج 93 ص 254 ح 1 .

2- في البلد الأمين : «مَلَأَتْ» والظاهر أنه الصواب .

3- مصباح المتهجد : ص 844 ح 910 ، الإقبال : ج 3 ص 332 كلاهما عن كميل بن زياد النخعي .

4- دلائل الإمامة : ص 539 ح 521 عن أبي علي محمد بن أحمد المحمودي عن الإمام المهدي عليه السلام ، بحار الأنوار : ج 86 ص 59 ح 66 .

5- الغيبة للطوسي : ص 260 ح 227 ، كمال الدين : ص 470 ح 24 كلاهما عن أبي نعيم الأنصاري عن الإمام المهدي عليه السلام ، مصباح المتهجد : ص 235 ح 340 ، بحار الأنوار : ج 52 ص 7 ح 5 .

الموتى إلى المحشر، يا من لا يقدر علي ذلك أحد غيره، أسألك باسمك الذي تحيي به العظام وهي رميم. (1)

الإمام المهدي عليه السلام في قنوته: أسألك باسمك الذي كوّنت به طعم المياه. وأسألك باسمك الذي أجرىته به الماء في عروق النبات بين أطباق الثرى، وسقت الماء إلي عروق الأشجار بين الصخرة الصماء. وأسألك باسمك الذي كوّنت به طعم الثمار وألوانها. وأسألك باسمك الذي به تبدى وتعيد. وأسألك باسمك الفرد الواحد المتفرد بالوحدانية المتوحد بالصمدانية باسمك (2). وأسألك باسمك الذي فجرت به الماء من الصخرة الصماء وسقته من حيث شئت. وأسألك باسمك الذي خلقت به خلقك ورزقتهم كيف شئت وكيف شاؤوا. (3)

-
- 1- جمال الأسبوع: ص 186 عن الحسن بن القاسم العباسي، بحار الأنوار: ج 91 ص 197 ح 3.
 - 2- كذا في الطبعة المعتمدة، ولا توجد كلمة «باسمك» في طبعة إيران وبحار الأنوار.
 - 3- مهج الدعوات: ص 91، بحار الأنوار: ج 85 ص 234.

ص: 477

الفهرس التفصلي .

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

